

فهرس الجزء الاول من امالي السيد المرتضى

المجلس الاول

المجلس الثاني

المجلس الثالث

المجلس الرابع

المجلس الخامس

المجلس السادس

المجلس السابع

المجلس الثامن

المجلس التاسع

المجلس العاشر

المجلس الحادي عشر

المجلس الخامس والعشرون

المجلس السادس والعشرون

المجلس السابع والعشرون

المجلس الثامن والعشرون

المجلس التاسع والعشرون

المجلس الثلاثون

المجلس الواحد والثلاثون

المجلس الثاني والثلاثون

المجلس الثالث والثلاثون

المجلس الرابع والثلاثون

(فهرس الجزء الرابع من امالي السيد المرتضى)

المجلس الثاني والسبعون

المجلس الثالث والسبعون

المجلس الرابع والسبعون

المجلس الخامس والسبعون

المجلس السادس والسبعون

المجلس السابع والسبعون

المجلس الثامن والسبعون

المجلس التاسع والسبعون

المجلس الثمانون

(تتمة الغرر والدرر)

سنه ١١٢٠

ثم طرحت بريد الوصيه ... [illegible]

سنه ١١٣٠

كتاب الغرر للسيد المرتضى علم الهدى رحمه الله تعالى [illegible]

سنه ١١٥٢

سنه ١٠٧٣

الشريف الاجل المرتضى ابو القسم علي
بن الحسين بن موسى الموسوي الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القسم علي بن الحسين قدس الله روحه **تاويل اية** قال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا في الاية وجوه عدة من التاويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتاويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه **اولها** ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا وانما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة به لا يقتضي تعلقها بالقبيح وانما علمنا بالادلة تنزه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده الفسق ويجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد انني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الاية فلا معنى لقوله تعالى اذا اردنا امرنا لان امره بما يامر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة الامر المذكور في الاية فهذا الذي تابونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب **والجواب** عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى واذا اردنا امرنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرر الوعظ والوعيد والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **والوجه الثاني** في تاويل هذه الاية ان يكون قوله امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب لم يات لها جواب ظاهر في الاية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا بصحة هذا الجواب قول الهذلي

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت اخر القصيدة **والوجه الثالث** ان يكون ذكر الارادة في الاية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الارادة هاهنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل جانب وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في ماكله وتسرع الى كل ما تتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا العليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران

مستحق

ومن حال ذلك الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الادراك
لهذا الوجه وكلام العرب يجيء باشارات واستعارات و
مجازات ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة
فان الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان
بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله تعالى افصح
الكلام والوجه الرابع ان تحمل على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها
اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب
فاهلكناهم والتقديم والتأخير في كلام العرب كثير ومما يمكن ان
يكون شاهدا لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة وقوله تعالى
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك
وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها
هي الاتيان بجميعها على الكمال فاما قراءة من قرأ الآية بالتشديد
فقال امّرنا وقراءة من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج
معنى قراءتيهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه
لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الامر الذي يستدعى به
الى الفعل تأويل خبر روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو اجذم قال ابو عبيد
القسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث في غريب الحديث الاجذم
المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس وما كنت الا مثل قاطع كفه
بكف له اخرى فاصبح اجذما ۝ وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة
ابا عبيد في تأويله هذا الخبر وقال الاجذم وان كان مقطوع
اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع لان العقوبات من الله لا
تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان

القرآن

القرآن فكيف يعاقب واستشهد بقوله تعالى ان الذين
يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس وزعم ان تأويل الآية ان الربا اذا اكلوه ثقل في بطونهم و
ربا في اجوافهم فجعل قيامهم كقيام من يتخبطه الشيطان ۝ واستشهد
ايضا بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله رأيت ليلة اسري
بي قوما تقرض شفاههم وكلما قرضت وفت فقال لي جبرئيل
هؤلاء خطباء امتك تقرض شفاههم لانهم يقولون ما لا يفعلون
قال فالاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم
اجذم لان الجذام يقطع اعضاءه ويشذبها والجذم هو القطع قال
المرتضى رضي الله عنه وقد اخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب
ذهابا بعيدا وان كان غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلطه
فلخرج الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما اورداه
اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب العرب
في كلامها وانما اراد عليه السلام بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه
بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان بالقرآن من الزينة والجمال
والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء
الشريفة التي كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها
ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المرافق التي كانت
يحصل بيده ذريعة الى نيلها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد
حفظه لانه يفقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا له من الثواب
وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون لمن فقد سا
ومعينه فلان بعد فلان اجذع وقد بقي بعده اجذم قال
الفرزدق يرثي مالك بن مسمع ۝ تضعضع طودا وائل بعد مالك
واصبح معطس العز اجذعا ۝ وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب
ملاحن في كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعاني

حتى لم يفهمها ويسرع الى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم
وتأويل خطابهم كان ظالما لنفسه متعديا طوره ونعود الى الكلام
على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فان خطاه من لم يفطن للغرض
في الخبر وضل عن وجهه والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال
الا انه لا يليق بهذا الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كانت
شبهته التي اوقعته في ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة
له على نسيان القرآن فليس كما ظن لان الجذام او الكلّ ليس بعقوبة
لان الله تعالى قد يجذّم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم
بالامراض وقد يبتدئ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس يلزم ان
يكون عقوبة ثم لو كان يستحق القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ
القرآن باسره فرضا واجبا وحتما لازما لان العقوبة لا تستحق
بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك واما ابن قتيبة
فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث
ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا القول يوجب
عليه ان لا يجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه وكذلك
القاذف كان يجب ان يعاقب في لسانه دون سائر اعضائه والخبر
الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان اقوى حظا في باب
الكلام من الشفة فلم لا يختص بالعقوبة وخصت بالشفاه دونه
ثم غلط في تأويل الاية التي اوردها افحش من كل ما تقدم لانه توهم
ان ما تضمنته الاية من تخبط آكل الربا وتعثره في القيام انما هو في
الدنيا من حيث يثقل ما اكله في بطنه من النهوض ويخرج
[illegible] في ذلك ونجد كثيرا من آكلي الربا اخف نهوضا
واسرع قياما وتصرفا من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في
الاية هو ما ذكره المفسرون من ان ما وصفهم الله تعالى به يكون
عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار والزلل والتخبل على سبيل

العقوبة

العقوبة لهم ولتكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من الملائكة و
الحفظة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق
النار وليس بمعروف والظاهر ان الاجذم هو المجذوم وقد ذكر ابن
قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع يوجب ان
يكون كل داء يقطع الجسد ويفرقه او ساكرا كالجدري والاكلة
وغيرهما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه اجذم وهذا باطل واما قول الشاعر
حرّف تيس على البلاد … حتى اذا اضطربت اجذما
فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكانه
قال لما اضطربت اسرع مني وتباعدني والاجذام بالذال المعجمة
والدال غير المعجمة جميعا الاسراع واما قول عنترة في وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه … قدح المكب على الزناد الاجذم
فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة المكب لا من صفة
الزناد فكانه قال قدح المكب الاجذم على الزناد وهذا من احسن
التشبيه وابدعه **مسئلة** كان بعض المشايخ المتقدمين يقول
ليس بممتنع ان يمكن الله من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير
مستحق لشيء من الاعواض او لما يوازي القدر المستحق عليه منها
فاذا اراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض
ويقول هذا الذي يبعد ولا يستحيل لان العوض ليس يختص بصفة
تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر
من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز ان
يكون موقوفا على ما يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تعالى من
حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الامر الواجب
بالتفضل لفاعله ان لا يفعله فيؤدي الحال الى تعذر الانتصاف
وقالوا من يعلم الله تعالى انه يرد القيامة ولا اعواض له يمنعه من
الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجوزون ان يمكن من الظلم

من يكون في الحال غير مستحق للعوض او غير مستحق للقدر الذي
يوازي الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه
يرد القيمة وقد يستحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها قال
الشريف المرتضى رضه وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم
من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي ابطلنا
بها قول من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف
لا تجب وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا
الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف
على هذا القول بما ليس بواجب وليس لهم ان يقولوا ان ذلك يجوز
لان الله تعالى اخبر بتبقيته فيستحق اعواضا لان عليهم ان يقولوا لو ان ذلك اذا
قيل لهم فاخبروا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحق العوض ويعلم
الله تعالى انه سيفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا اعلم الله تعالى بانه
سيفضل لا يخرج التفضل من ان يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله تعالى
بانه سيبقي من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية من ان
تكون غير واجبة فاستوى الامران والصحيح ان يقال انه تعالى لا يمكن
من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرد **بحث آخر**
تاويل آية قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ تعلق قوم من عقلاء الملحدين وجهالهم
بها ان الجواب عن ما سئل عنه في هذه الاية لم يحصل وان الامتناع منه
انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت
وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هما على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب
وفي هذه الاية وجوه من التاويل تبطل ما ظنوه وتدل على ما جهلوه **اولها**
انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح
في الدين فان الجواب لو وصل منه اليهم لازدادوا فسادا وعنادا
اذ كانوا ابدا لهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لانا

وغير المكلف

غيرهم

يعلم

قال الله تعالى

فقرة

فنعلم

فنعلم في كثير من الاحوال فيمن يسألنا عن الشيء ان العدول عن
جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش
سلوا محمدا عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا
نجد في كتبنا ذلك فامره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علما
له ودالا على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب
ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي **وثانيها** ان القوم انما سألوه
عن الروح هل هي محدثة مخلوقة او ليست كذلك فاجابهم بانها
من امر ربي وهو جوابهم عما سألوه عنه بعينه لانه لا فرق بين ان
يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من امر ربي
لانه اراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب ان تكون الروح
التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى ام جبرئيل عليه
السلم فقد سمى الله تعالى جبرئيل روحا وعيسى ايضا بذلك في القران
وثالثها انهم سألوه عن الروح الذي هو القران فقد سمى الله القران
روحا في مواضع من الكتاب واذا كان السؤال عن القران فقد وقع
الجواب موقعه لانه قال لهم الروح الذي هو القران من امر ربي
ومما انزله على نبيه ليجعله دلالة وعلما على صدقه وليس من فعل
المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا جواب الحسن البصري
ويقوي قوله تعالى بعد هذه الاية ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ فكانه تعالى قال ان القران
من امري وفعلي ومما انزلته علما على نبوة رسولي ولو شئت
لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله
فصل قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني في قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ قال انما خص الموزون
دون المكيل بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى
الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في باب

عليه السلم

يستحق

صلى الله عليه وآله وسلم

الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن اعم من الكيل والو
الاخرات فى الوزن بمعنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشئ بالشئ
ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت فى الكيل فخصّ
الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول ابى مسلم ووجه
الاية وما يشهد لظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى
بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها
ولا زائدا عليها زيادة تؤدى الى الخلل فى باب العبث ونظير ذلك من كلامهم
قولهم فلان موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا
اليه وعلى هذا المعنى تأوّل المفسرون ذكر الموازين فى القرآن دون
انها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب قال الشاعر
لها بشر مثل الحرير ومنطق ۵ رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
اراد الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد
عليها وهذا يجرى مجرى ان نقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزارى
وحديث الذه هو مما ۵ ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيانا ۵ وخير الحديث ما كان لحنا
وهذا الوجه الذى ذكرناه هو اشبه بمراد الله تعالى فى الاية وأليق بفصاحة
القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم واولى
على الشئ ابى شرف فاما قول الشاعر الذى استشهدنا بشعره وتلحن
احيانا فلم يرد اللحن فى الاعراب الذى هو ضد الصواب وانما اراد الكناية
عن الشئ والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله
تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول وقول الشاعر
ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ۵ ولحنت لحنا ليس بالمرتاب
وقد قيل ان اللحن الذى عنى فى البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على
نحو ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله فى قوله لعل احدكم
ان يكون الحن بحجته اى افطن لها واغوص عليها مما يشهد لما ذكرنا

ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال
حدثنا احمد بن عبد الله العسكرى قال حدثنا العنزى قال حدثنا
على بن اسمعيل اليزيدى قال اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال تكلمت
هند بنت اسماء بن خارجة عند الحجاج فلحنت فقال لها اتلحنين وانت شريفة
فى بيت قيس قالت اما سمعت قول اخى مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت
منطق صائب وتلحن احيانا ۵ وخير الحديث ما كان لحنا
فقال لها الحجاج انما عنى اخوك اللحن فى القول اذا كنى المحدث عما يريد و
لم يعن اللحن فى العربية فاصلحى لسانك قال المرتضى رضى الله عنه وقد ظن
عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء
الغرائر وليس بمستحسن منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال
واستشهد بابيات مالك بعينها وظن انه اراد باللحن ما يخالف الصواب
وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى فذكر فى
كتابه المعروف بعيون الاخبار ابيات الفزارى واعتذر بها من لحن
ان اصيب فى كتابه واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنى محمد بن يحيى
الصولى قال حدثنى ابى قال قلت للجاحظ فى عقلك وعلمك بالادب
تنشد قول الفزارى وتفسره على انه اراد اللحن فى الاعراب وانما
اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورى عما قصدت وتتنكب
التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعد قلت فغيّره من كتابك
فقال كيف لى بما سارت به الركبان قال فهو كذا فى كتابه على خطئه
قال المرتضى رضى الله عنه ومن حسن اللحن الذى هو التعريض
والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال حدثنا ابو بكر
محمد بن الحسن بن دريد الازدى ان رجلا من بنى العنبر حصل اسيرا فى
بكر بن وائل فسألهم رسولا الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا
لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجئ بعبد
اسود فقال له اتعقل قال نعم انى لعاقل فقال له ما اراك عاقلا واشار

وهى عند الحجاج نسخه
فى الاعراب بدل
الغرائر جمع غريرة وهى الغر المجرب
قال حدثنا يحيى بن على المنجم نسخه
الصولى نسخه

بيده الى الليل فقال ما هذا قال هذا الليل قال اراك عاقلا
ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا ادري وانه لكثير فقال
ايما اكثر النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية
وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر فان قومه لي
مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء وامرهم ان يعروا
ناقتي الحمراء فقد طالما ركبوها وان يركبوا جملي الاصهب باية
ما اكلت معكم حيسا واسألوا اخي الحرث عن خبري فلما اداها العبد
الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا
اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه القصة فقال
قد انذركم اما قوله قد ادبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا
ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء اي اتخذت الشكاء للسفر وقوله
الناقة الحمراء اي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل
الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد
غزوكم لان الحيس يجمع التمر والاقط فامتثلوا ما قال فعرفوا لحن
كلامه تأويل خبر روى ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب غريب الحديث
عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال من احبنا اهل
البيت فليعد للفقر جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد وقد تأول بعض الناس
هذا الخبر على انه اراد الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى
فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى والفقر لا يميز بينهما
قال والصحيح انه اراد الفقر في يوم القيمة واخرج الكلام مخرج
الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا
فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى
والزلفة عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث
خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر انه
من احبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه

بالكف

بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف
او الجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب والتجفاف البدن
قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روي عنه عليه السلام انه رأى قوما
على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال ما
لي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما هي قال خمص البطون من الطوى
ويبس الشفاه من الظماء وعمش العيون من البكاء هذا كله قول
ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعا حسنان وان كان الوجه
الذي قاله ابن قتيبة احسن واوضح ويمكن ان يكون في الخبر وجه
ثالث يشهد بصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة الفقر ان
يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه
حبل يذلل بذلك الصعب فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير
مفقور وبه فقرة وكل شيء حز او اثر فيه فقد فقر تفقيرا
ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحتمل القول ان يكون عليه
السلام اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقودها الى الطاعات
ويصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر
عما كرهه منها ومشقة ما اريده منها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب
وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر وليس يستبعد حمل الكلام على
بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد في اللغة وكلام العرب لان الواجب
على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله
الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل
واحد منها منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده
مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من وجوه احتمال الكلام
فصل قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وممن كان من مشهوري
الشعراء ومتقدميهم على مذهب اهل العدل ذو الرمة واسمه
غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث [illegible] قال وهو في صفة

اغبر مشجّج القفا موتود

الوتد اشعث باقي رمّة التقليد الرمة القطعة البالية
من الحبل يقال حبل ارمام اذا كان ضعيفا باليا وقيل انه انما
لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام يستفزع فجاءت امه بمن كتب
له كتابا فعلقته عليه برمّة من حبل فسمي ذا الرمة ويشهد بمذهبه
في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى
المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال اخبرنا ابو عثمان الاشنانداني
عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال
ابن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع
قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدّر
الله على الذئب ان ياكل حلوبة عيايل ضرائك فقال رؤبة افبقدرته
اكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب
خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل
واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فاما العيايل فهو جمع عيّل وهو
ذو العيال والضرائك جمع ضريك وهو الفقير واخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي
عن اسحق بن سويد قال انشدني ذو الرمة

وعينان قال الله كونا فكانتا ۝ فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبّحت ربحت وانما اراد
وعينان فعولان وصفهما بذلك وانما تحرّز ذو الرمة بهذا الكلام
من القول بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا
الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن خالد النخاس قال
حدثني محمد بن الضمر ابو العيناء قال حدثني الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا ۝ فعولين بالالباب ما يفعل الخمر

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن
عبيد ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالالباب فقال له ذو الرمة

ما ابالي

ما ابالي اقلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال
يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا وممن روي انه كان
على مذهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن
ثعلبة واستشهد بقوله استاثر الله بالوفاء وبالعدل وولّى الملامة
الرجلا وممن قيل انه يتحلى مذاهب الجبر من المشهورين ايضا لبيد بن ربيعة
العامري واستدل بقوله

ان تقوى ربنا خير نفل ۝ وباذن الله ريثي والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى ۝ ناعم البال ومن شاء اضل

وان كان لا طريق الى نسب الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان
فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل
ان يكون بعلمه كما تاول عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله اي بعلمه وان قيل في هذه الآية اراد بتخليته وتمكينه
وان كان لا شاهد لذلك في اللغة امكن مثله في قول لبيد فاما
قوله من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون منصرفا
الى بعض الوجوه التي تاول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن
مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب
لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتاول له هذا التاويل
بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه مسئلة اعلم
ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير
وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه
على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في وقت
من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف تمدح بانه لا يرى وقد
يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات
والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية عنه وانما

الريث الابطاء

فقط وانما تمدح بنفي الرؤية

تمدحٍ بهما وجدتهما مفتقرةً الى الشروط الا ترى ان من ليس بعاقل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا بهذا المعنى اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم ولم يدعوا اليه ولابد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى تكون مدحا من ان تكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يتخصص وشارك فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا امتدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يكن داع الى الظلم لم يحصل المدح لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلابد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان يقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال وتتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدح في الاية انما تعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا وتجعل كل واحدة من الصفتين يقتضي المدح مجتمعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس منكرا ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشرط معروف على نحو ما ذكرناه وهذا التخيير في هذا الموضع اولى واحسم للشبهة مما تقدم ذكره **مجلس آخر** ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال تعالى في موضع آخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب والثعبان العظيم الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا وهي

شروط ظ

لانه قد يكون الحي لا عاقلا ولا جاهلا لسهو يلحقه وذهول يعتريه

وساوى

ولا يحصل كذا كان في النسخ المقروة على السيد رحمه الله تعالى وتوجيهه محتاج الى تامل فليتدبر

للشبهة ... تاويل الاية

عليه السلام

لم يعقب لم يرجع وقيل لم يلتفت وقيل لم يحلف نفسه ولم ينتظر يقال كر على القوم وما عقب ... اهل النظر انه ماخوذ من العقب وقال ... لم يعقب لم يمكث ويقال عقب في الامر اذا تردد في طلبه مجدا وقوله تعالى لا معقب لحكمه اي لا راد لحكمه

فتمدح بمجموع الامرين وليس يشاركه فيها من الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب منها ما لا يرى كالارادات والاعتقادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدح لله تعالى بمتضمن الاية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لا تقتضي المدح بانفرادها ثم تصير تقتضيه مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدح في وصف الذات بانها شيء وموجود وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن ثبتت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكرناه من حيث لا تاثير لها بين الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا فلابد فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود اكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد ان يكون متناهيا فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصهما وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي

فتقدح ظ

لا يكاد ... ظ

ثبوت ... ظ

تمدح

واحدة يصف فيها عظم خلقه من الحيات ويصفه باصغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام الجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر عن العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة و التلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلف الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا غلطا او غفلة وذكروا وجهين يزول بكل واحد منهما الشبهة في تاويلها احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال تعالى يطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون

تكلفوا

الآية

المراة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه تعالى اخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن ان يكون في الآية تاويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا التاويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي رآها موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كان بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس يقتضي الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو في الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصل الى الارض الا على تدريج وكذلك الهابط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب

ويمكن

حالة

الحالة

من الحائط

الزمان وانه لم يبطل ولم يمتنع آية اخرى قال الله تعالى واذ اخذ
ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل
المبطلون وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تاويل
هذه الاية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم فى خلق الذر
فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا التاويل مع ان العقل
يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القران بخلافه لان الله تعالى قال
واذ اخذ ربك من بنى آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل
من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك
لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم
وانهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضى ان الاية لم تتناول
ولد آدم لصلبه وانها تناولت من كان له اباء مشركون
وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بنى آدم فهذه شهادة الظاهر
ببطلان تاويلهم فاما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية
التى استخرجت من ظهر آدم فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة
العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كاملة العقول
مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الاولى وجب
ان يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا
عليه فى تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل
لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز
ان يتصرف احدنا فى بلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد
جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين
الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان
تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء بين احوال العقلاء يزيل

ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما ينفى العلوم
يجرى مجرى الموت فى هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز فى
العاقل الكامل ان ينسى ما كان عليه فى حال الطفولية جاز ما ذكرناه
وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم
من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة
الاطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما اوجبناه على تجويز الغاية
عليهم بعض الغرض فى الاية وذلك ان الله تعالى اخبرنا بانه انما قررهم
واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه
فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا
على الصفة الثانية من نقصان العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم
وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا فان قيل قد ابطلتم
قول مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا فى الاية وجهان
احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بنى آدم خلقهم
وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام بمعرفته
وما يجب من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم
وانما اتى من اشتبه عليه تاويل الاية من حيث ظن ان اسم الذرية
لا يقع الا على من لم يكن عاقلا كاملا وليس الامر كما ظن لانا
نسمى جميع البشر بانهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون
وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن
صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان
كاملا عاقلا فان استبعدوا تاويلنا وحملنا الاية على البالغين المكلفين
فهذا جوابهم والجواب الثانى انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا
يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر
والايات والدلائل فى غيرهم وفى انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم

على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على
الوجه الذي اراده الله تعالى فتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم
من ذلك لهم بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف
على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله
تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا
بالكفر بالسنتهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه
كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك
وحالي معترفة باحسانك وما روي عن بعض الحكماء سل الارض من
شق انهارك وجنى ثمارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك
اعتبارا وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني
عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها تأويل خبر قال ابو عبيد
القسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله ليس منا من
لم يتغن بالقرآن قال اراد يستغني به واحتج بقوله تغنيت تغنيا و
تغانيت تغانيا وانشد بيت الاعشى وكنت امرأ زمنا بالعراق
عفيف المناخ طويل التغن وقال الآخر
كلانا غني عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا
واحتج ايضا بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني
مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها
في آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى
الله عليه وآله قال لا ينبغي لحامل القرآن ان يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي
لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القرآن افضل من ملكه واحتج
ايضا بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فاذا
مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه ليس منا من لم يتغن

بالقرآن

بالقرآن قال ابو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على
ان التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال هو الفراش قال الشاعر
بكل طوال الساعدين كانما يرى بسرى الليل المثال الممهدا
يعني الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة
علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه السلام وذكر
عن غير ابي عبيد جواب آخر وهو انه عليه السلام اراد من لم يحسن صوته
بالقرآن ويرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن
بن السائب قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من
انت فاخبرته فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا فقوله فابكوا
او تباكوا دليل على ان التغني هو الترجيع والتحسين وروي عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يأذن الله لشيء من اهل الارض الا
لاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن يعني قوله يأذن يستمع
لم يقال اذنت للشيء آذن اذنا اذا استمعت له قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال عدي بن زيد العبادي

ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن
الاذن هو السماع وانما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ والعرب
فهذا مذهب معروف وشائع وهندا ان من دونها النأي والبعد
فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث ددن على مثال بدن وددا
على مثال قفا وددن على مثال حزن ومنه قول النبي صلى الله عليه ما انا من دد و
لا الدد مني فان قيل كيف يحمل لا يأذن الله لشيء كاذنه لكذا وكذا
على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع فاي معنى للاختصاص
قلنا ليس المراد ههنا بالاستماع مجرد الادراك وانما المراد به القبول

بالسماع ههنا

فكأنه عليه السلام قال إن الله لا يتقبل أو يثيب على نبي من أهل الأرض كتقبله
وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلا
بكلام فلم يسمعه وإنما يريد نفي القبول لا الإدراك والبيت الذي أنشدناه يدل
لأنه قال وإن ذكرت بشيء عندهم أذنوا ونحن نعلم أنهم يسمعون الذكر
بالخير والشر معاً من حيث الإدراك فلم يبق إلا الاختصاص بما ذكرناه و
قد ذكر أبو بكر محمد بن القسم الأنباري وجهاً ثانياً في الخبر قال أراد عليه
السلام من لم يتلذذ بالقرآن ويستحليه ويستعذب تلاوته كما يستحلي
أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به وسمّى ذلك تغنياً من حيث يفعل
عنده ما يفعل عند التغني وذكر أن ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب
والحبا حيطان العرب والشمس حمامات العرب وأنشد بيت النابغة
بكاء حمامة تدعو هديلاً ؞ مفجعة على فنن تغني
فشبه صوتها لما أطرب بالغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام
التيجان تيجاناً وكذلك القول في الحبا والشمس وجواب أبي عبيد أحسن
الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون إلا في المشتهيات
وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الأفعال
الشاقة فكيف يكون ملذاً مشتهى فإن عاد إلى أن يقول قد يستحلي التلاوة من
الصوت الحزين قلنا هذا رجوع إلى الجواب الثاني الذي حكيت عنه وانفرد
عنه نفسك بما يجعل الفرد ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن
يكون قوله عليه السلام يتغنى من غني الرجل بالمكان إذا طال
مقامه به ومنه قيل المغنى قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكأن
لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الأسود بن يعفر الإيادي
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ؞ في ظل ملك ثابت الأوتاد
ويحمل بيت الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو قوله
وكنت امرأ زمناً بالعراق ؞ عفيف المناخ طويل التغن
يريد بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لأن المقام يوصف بالطول ولا يوصف

الاستغناء

يشهد ص

من هذا الباب قول الشاعر دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول أي يجيب

بالغناء ص

الحسن ظ

والمغاني ص

عيشة ظ

الاستغناء بذلك ويكون الأعشى أراد أني كنت ثاوياً زمناً لوطني مقيماً
بين أهلي لا أسافر للانتجاع والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ؞ قبر ابن مارية الجواد المفضل
أراد بقوله قبر أبيهم أنهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالّهم وأوطانهم
فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه
إلى غيره ولا يتعداه إلى سواه ويتخذه مغنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا فإن
قيل كيف يتعدى القرآن إلى السنة والإجماع وسائر أدلة الشرع
فكيف يحظر علينا تعديه قلنا ليس في ذلك تعدٍّ للقرآن لأن القرآن
دالّ على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها
في شيء من الأحكام لا يكون متجاوزاً للقرآن فأما قوله عليه السلام ليس
منا فقد قيل فيه أنه لا يكون على أخلاقنا واستشهد ببيت النابغة
إذا حاولت في أسد فجوراً ؞ فإني لست منك ولست مني
وقيل إنه أراد ليس منا أي على ديننا وهذا الوجه لا يليق بالأجوبة التي
اخترناها وهو بعضد جواب أبي عبيد أليق لأنه محال أن يخرج عن دين
النبي وملته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ
بتلاوته ويستحليها مسئلة اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال
ما ظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها
ناظرة على وجوه معروفة لأنهم قد بيّنوا أن النظر ليس يفيد الرؤية
ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلّوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام
كثيرة فمنها تقليب الحدقة الصحيحة في جهة المرئي طلباً لرؤيته ومنها
النظر الذي هو الانتظار ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة
ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل وقالوا إذا لم يكن في أقسام
النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعاً إلى طلب
تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب
وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر مذكوراً على عادة

بن ثابت الأنصاري ص

فالمعنى من لم يقم على القرآن بحيث لا يتجاوز إلى غيره ولا يتعداه إلى سواه ولا يتخذ مغنى ويكون معطوفاً على يتغنى ولا مستعيداً له كم

صلى الله عليه وآله وسلم ص

النظر من الرؤية بمنزلة الإصغاء من السمع فكما يصغي ولا يسمع فكذا ينظر ولا يرى المرئي ص د

للعرب معروفة وذكر بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل
الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة
وهذا الكلام مستضعف في هذا الموضع وقد بيّنّا ما يرد عليه وما يجاب به عن
الشبه المعترضة في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الآية حكي
عن بعض المتأخرين لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف
ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية أو لا يحتملها بل يصح الاعتماد
عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو
أن يحمل قوله تعالى إلى ربها على أنه أراد نعمة ربها لأن الآلاء النعم وفي واحدها
أربع لغات إلًى مثل قفا وأَلْي مثل رمي وإلي مثل معا وإلْي مثل حِسي قال أعشى
بكر بن وائل: أبيض لا يرهب الهزال ولا ... يقطع رحما ولا يخون إلا
أراد أنه لا يخون نعمة فأراد تعالى إلى ربها نعمة ربها وأسقط التنوين للإضافة
فإن قيل فأي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أراد بها
إلى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر
إلى محذوف لأنه إذا جعل إلى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من
تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف
لأن إلى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج إلى تقدير غيره والله أعلم
بالصواب. **مجلس آخر** تأويل آية إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى وما كان
لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وظاهر
هذا الكلام يدل على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره وليس
هذا مذهبكم وإن حمل الإذن ههنا على الإرادة اقتضى أن من لم يقع
منه الإيمان لم يرده الله تعالى منه وهذا أيضا بخلاف قولكم ثم جعل الرجس
الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا
فكيف يستحق العذاب وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه
وآله أنه قال أكثر أهل الجنة البله. **الجواب** يقال له في قوله تعالى
إلا بإذن الله وجوه منها أن يكون الإذن الأمر ويكون معنى الكلام أن

الايمان

الإيمان لا يقع إلا بعد أن يأذن الله فيه ويأمر به ولا يكون معناه
ما ظنه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه ويجري هذا مجرى
قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ومعلوم أن معنى إذن
ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وإن كان الأشبه في الآية التي فيها
ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم ومنها أن يكون الإذن هو
التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان
ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه ومنها أن يكون الإذن العلم من
قولهم أذنت لكذا وكذا إذا استمعته وعلمته وآذنت فلانا بكذا
إذا أعلمته فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات
وأنه ممن لا يخفى عليه الخفيات وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون
الإذن بكسر الألف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم أن الذي
هو العلم الأذَن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر
إن همّي في سماع وأذَن ... وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم
لأن الأَذَن هو المصدر والإذن هو اسم الفعل فيجري مجرى الحِذْر في
أنه مصدر والحَذَر بالتسكين الاسم على أنه لو لم يكن مسموعا إلا الأَذَن
بالتحريك لجاز التسكين مثل مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه ونظائر ذلك
كثيرة ومنها أن يكون الإذن العلم ومعناه إعلام الله تعالى المكلفين
بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله فيكون معنى الآية وما كان لنفس
أن تؤمن إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان ويدعوها
إلى فعله فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل لأن الإذن
لا يحتمل الإرادة في اللغة ولو احتملها أيضا لم يجب ما توهمه لأنه
إذا قال إن الإيمان لا يقع إلا وأنا مريد له فلم ينف أن يكون مريدا
لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته شيء من ذلك فأما قوله
تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعن بذلك الناقصي العقول
وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ويعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة الله

خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد إلى طاعتهم ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً كما قال الله تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور ولم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل. فأما الحديث الذي أورده السائل شاهداً لرفده فلم يرد عليه السلام بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعانونه لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر فإن الأبله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد إليه فإذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجراً لفعله جاز أن يوصف بالبله للعلة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميادة ... بلهاء تطلعني على أسرارها

أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة وإن كانت فطنة لغيرهما وقال أبو النجم

من كل عجزاء سقوط البرقع ... بلهاء لم تحفظ ولم تضيع

أراد بالبلهاء ما ذكرناه فأما قوله سقوط البرقع فأراد أنها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وإدلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد أن استقامة طرائقها تغني عن حفظها وأنها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدد وموقف وقوله لم تضيع أراد أنها لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتخشن ومثل قوله سقوط البرقع قول الشاعر

فلما أتوا نفنا وشكت أسفرت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

بما بهرن من زعفران وعنبر ... أطارت من الحسن الرداء المحبرا

نهاها أي منعت منها ثقة بالجمال والكمال ومثله [illegible]

لهونا بمجول البرائع حقبة ... فما بال دهر لزنا بالوصاوص

أراد بمجول البرائع اللواتي يوسعن عيون من رآهن تعتر حسنهن ومن الطعنة النجلاء ثم قال كما بال دهر أحوجنا واضطرنا إلى القباح اللواتي يغضضن عيون من رآهن لقبحهن والوصاوص وهي النقب الصغار

البرائع ومما يشهد للمعنى الأول الذي هو الوصف بالبله بمعنى الغفلة قول ابن [illegible]

بمالي وأهلي من إذا عرضوا له ... ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل ... به سكتة حتى يقال مريب

أحب اللواتي في صباهن غرة ... وفيهن عن أزواجهن طماح

مسرات حب مظهرات عداوة ... تراهن كالمرضى وهن صحاح

بكبين بالمجوج في كبد المشتى ... وبله وفي أخلاقهن وشام

أما قوله بكبين فمأخوذ من لفظ الكباء وهو العود الذي يتبخر به والمجوج هو العود وفيه ست لغات يلنجوج وألنجوج ويلنجج وألنجج وألنجوج ويلنجوج وأما كبد المشتى فهو شدته ومشقته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في كبد وقد روي في كبة المشتى والمعنى متقارب لأن الكبة هي الشدة مأخوذ من كبة الخيل وأما الوشام فهي جمع من الوشامة وهي الحسن ويمكن في البله جواب آخر وهو أن يحمل على البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلهاً في الدنيا بعد أن الله تعالى يعيد الأطفال في الخبر والمجانين والبهائم وإنما يجعلهم بلهاً في الجنة وإن كان ما يصل إليهم من النعيم على سبيل العوض أو التفضل لا يفتقر إلى كمال العقل لأن الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا أدخلوا الجنة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة وردوناه إلى أحوال الدنيا وإلا فالعقل لا يمنع من ذلك لتكفيره إياه في باب الثواب والعقاب

تأويل آية أخرى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه وقال في موضع آخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الآيات ظاهر اختلاف لأن بعضها يخبر أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم

وبعضها يخبر عن خلافه وقد قال قوم من المفسرين في تأويل هذه الآية
إن يوم القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن
لهم في بعض آخر وهذا الجواب يضعف لأن الإشارة إلى يوم القيمة بطوله
فكيف يجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب
السديد عن هذا أن يقال إنما أراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول
الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي
ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضر
فلانا ناظر فلانا فلم يقل شيئا وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي
نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير غير أنه من حيث لم يكن فيه
حجة ولا منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثله قول الشاعر

أعمى إذا ما جارتي خرجت ۞ حتى يواري جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما ۞ سمعي وما بي غيره وقر

ويقول الآخر

لقد طال كتمانيك حتى كأنني ۞ برد جواب السائلي عنك أعجم

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لأن التساؤل والتلاوم لا حجة
فيه وأما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل إنهم غير مأذون
بالاعتذار وتحمل الأذن على الأمر وإنما لم يؤمروا به من حيث كانت
تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجؤون عند مشاهدة أهوالها
إلى الاعتراف والإقرار وأحسن من هذا التأويل أن يحمل يؤذن لهم
على معنى أنه لا يسمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول
عذرهم هي التي ذكرناها تأويل خبر روي عن النبي صلى الله عليه
وآله أنه قال لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله وقد ذكر قوم في تأويل
هذا الخبر أن المراد به لا تسبوا الدهر فإنه لا فعل له وإن الله مصرفه ومدبره
فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفي هذا
الخبر وجه آخر أحسن من الذي ذكرناه وهو أن الملحدين ومن نفى

وجه هو أحسن منه

الصانع

الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله تعالى كالمرض
والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء إلى الدهر جهلا منهم
بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الأحوال
من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك
وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الأفعال ممن تعتقدون أنه الدهر
فإن الله تعالى هو الفاعل لهذه وإنما قال إن الله هو الدهر من حيث
نسبوا إلى الدهر أفعال الله تعالى وقد حكى الله سبحانه عنهم قولهم ما هي
إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر وقال لبيد

في قروم سادة من قومه ۞ نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة

كأني وقد جاوزت تسعين حجة ۞ خلعت بها عني عذار لجامي
على الراحتين مرة وعلى العصا ۞ أنوء ثلاثا بعدهن قيامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ۞ فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنها نبل إذا لاتقيتها ۞ ولكنني أرمى بغير سهام
إذا ما رآني الناس قالوا ألم يكن ۞ حديثا جديد البرى غير كهام
وأفنى وما أفنى من الدهر ليلة ۞ ولم يغن ما أفنيت سلك نظام
وأهلكني تأميل يوم وليلة ۞ وتأميل عام بعد ذاك وعام

وقال الأصمعي ذم أعرابي رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأنشد الفراء

حنتني حانيات الدهر حتى ۞ كأني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني ۞ ولست مقيدا أني بقيد

وقال كثير

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ۞ ورجل رمى فيها الزمان فشلت

فاستأثر الدهر الغداة بهم ۞ والدهر يرميني وما أرمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا ۞ بسراتنا ووقرت في العظم

قوله وقرت في العظم فإنما أخذ فيه وقرا أو وقيرة والوقر هي الحفيرة
العظيمة تكون في الصفا إنما يحدث فيه حفرا يستنقع فيها ماء المطر

والوثب ايضا الخفيف الا انها دون الاوليين في الكبر وكل
هؤلاء الذين تعبنا اشخاصهم نسبوا افعال الله تعالى التي لا يشاركه
فيها غيره الى الدهر فحسن وجرى التأويل الذي ذكرناه مسئلة اعلم
ان المنافع التي عرض الله تعالى الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل و
عوض ومنفعة ثواب فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة
ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها ان يفعلها وان لا يفعلها
واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء
من التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل لاستحقاقها
والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له وكان
التفضل اصلا لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخرهما عليه
لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء دون ان يكون حيا له شهوة
والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع
بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل فاما المنفعة
بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام وما جرى مجرى
الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي الى الثواب
ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول
ان الله لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدئ
بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عوض
لا غير ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب
لا بد ان يكون منفوعا بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله ان يكون
منفوعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف مما من الالم يبتدئه
تعالى به فلا يكون معوضا للعوض فمن عرض له فقد تكاملت فيه
المكلف مقطوعا على نفع بعينه لا تختص من المنافع ويجوز تكامل
الثلاث له فاما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احد المنافع وهي
التفضل من حيث خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك

في غيره

كذلك والوثب هي ايضا م

تبارك وتعالى م

اما واما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل صح

وخص غ د

كذا في الاصل الاولى

تبارك وتعالى م

من الوجه الذي قلنا لانه اذا خلق حيا وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل صح

المنافع فصار م

في شيء بعينه للعوض من الوجه الذي بيناه وكلنا قطعنا على احدى المنافع
فيه فنحن ايضا قاطعون على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يؤدي
اليه وهو التكليف ولابد في كل حي محدث من ان يكون معرضا لاحد
هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى
لان خلق الحي يستحيل في نفسه وانما قلنا انه يستحيل في نفسه لان كونه
حيا قادرا او ذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة
ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا لوجه
من الوجوه فانه لا يكون منفعة ولا نعمة واوجبنا من
جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا خلق الحي بهذه الصفات فلا يخلو
من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد بها شيئا فان كان الاول
فهو الذي اوجبناه وان كان الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه
عنهما لان الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه
وقد يشارك القديم تعالى في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون
المحدثون ولا يصح ان يشاركوه في النفع بالثواب لان الصفة التي
يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه
لا تكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي الى الدين
ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك
ان المكلف قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون
كل هداية وارشاد يقع منا ولولا الصفة التي جعل الله عليها لم يصح
ان يستحقه فبان الفضل بين الامرين على ان احدنا وان نفع
غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله تعالى
ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه وصنائعه لم تكن هذه منافع و
لا نعم الا ترى انه لو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما
ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا الى
النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه مجلس آخر ان سأل

وجب غ د
يستحيل خ
ليس م

الاول م

لان المكلف غ د

تعالى م

يوصل م

سائل فقال ما تأويل قوله تعالى اخبارا عمن اهلك من قوم فرعون كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضاف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما الجواب يقال له في هذه الآية وجوه اربعة من التأويل اولها انه تعالى اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في قوله واسأل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب اوزارها اراد اهل القرية واصحاب الحرب ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال

وشر المنايا ميت وسط اهله ... كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره

اراد شر المنايا ميتة ميت وقال الآخر

قليل عيبه والعيب جم ... ولكن الغنى رب غفور

اراد غنى رب غفور وقال ذو الرمة

لهم مجلس صهب السبال اذلة ... سواسية احرارها وعبيدها

اراد اهل مجلس فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبال وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت لفقده الشمس واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الريح تبكي شجوه ... والبرق يلمع في غمامه

وهذا صنيعهم في وصف كل امر جليل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها قال النابغة

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقال طرفة

ان تنوله فقد تمنعه ... وتريه النجم يجري بالظهر

ومن هذا قولهم لاريتك الكواكب بالنهار ومعناه اي اورد عليك ما يظلم في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير فقد قيل في نصب القمر والنجوم وجوه ثلاثة احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد وما الدهر وطول المسند وما جرى مجرى ذلك فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم الليل باكين على هذا المرثي فبكتهن اي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته وفضلت عليه وثالثها ان يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل الا بعد الاخذ بثاره وقتل من كان بواتره من عشيرة القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رحمه الله في قوله فما بكت عليهم السماء والارض قيل له او تبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء هاهنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال

لعمر ابيك لقد شاقني ... مكان حزنت له او حزن

وقال مزاحم العقيلي

بكت دارهم من اجلهم فتهللت ... دموعي فاي الجازعين الوم

امستعبرا يبكي من الهون والبلى ... ام آخر يبكي شجوه ويهيم

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله تعالى عن بوارهم مقام صالح
في الارض ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم
السماء والارض ويمكن في الآية وجه خامس وهو ان يكون البكاء فيها كناية
عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية
ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف
في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من اعزائهم
ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة

فلا زال قبر بين بصرى وجاسم	عليه من الوسمي طل ووابل
فينبت حوذانا وعوفا منورا	سأتبعه من خير ما قال قائل

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله تعالى لهم الرضوان
والفعل الذي اضيف الى السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد
يصح عطف الارض على السماء بان يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل
مثل هذا قال الشاعر

يا ليت زوجك قد غدا	متقلدا سيفا ورمحا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه اراد حاملا
رمحا ومثل هذا يتقدر في الآية فيقال انه تعالى اراد ان السماء لم تسق قبورهم
وان الارض لم تعشب عليهما وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى
ورضوانه **تأويل خبر** روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه عليه السلام بالملل وجوه اربعة
اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل
التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط

فانك سوف تحكم او تناهى	اذا ما شبت او شاب الغراب

اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل ومن اين قلتم انما علقه بما لا يقع حتى
حكمتم انه اراد نفي الملل على سبيل التأبيد قلنا معلوم ان الملل لا يجوز

البشر في جميع آفاتهم واوطارهم فانهم لا يعرون من حرص ورغبة
وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى انه لا يكون بملالهم والوجه
الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل
له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى الجود فسمى الفعلين مللا
وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم
غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي

ثم اضحوا لعب الدهر بهم	وكذاك الدهر يودي بالرجال

وقال عبيد بن الابرص الاسدي

سائل بنا حجر بن ام قطام اذ	ظلت به السمر الذوابل تلعب

فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها وقال ذو الرمة

وابيض موشي القميص نصبته	على خصر مقلات سفيه جديلها

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحريكه سفها لان السفه في الاصل هو الطيش
وكثرة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما
قوله وابيض موشي القميص فانما عنى سيفه وقميصه جفنه والمقلات
الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع
عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله فيفعلهم مللا على الحقيقة
وسمي فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة
اللفظتين في الصورة وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله
قول الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن احد علينا	فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفتخر بالجهل ولا يتمدح به
والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم فغلط من الفتح الى الضم وان يكون
قوله يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لا يعاملكم
بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي

مشتويا بحضرته يقال مَلَّ الرجل الخبزة وغيرها يملّها اذا اشتواها في
الملّة وقيل ان الحجر لا يقال له ملّة حتى يحمى ربما ذو المعنى انا نأبى أن
نكون أنا دائما لا نسرع الى اغضابكم بل نحلم عنكم ونغضي حتى تملّوا حلمنا و
تستعجلوا اعدائنا بركوبكم المحارم وتتابعكم الى المآثم وروي انه قيل للفرزدق
هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا الا احسد على بيت سيّار الأبلز

الأخيلية في قولها

ومخرّق عنه القميص تخاله	بين البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رُفع اللواء رأيته	تحت اللواء على الخميس زعيما
لا تقربنّ الدهر آل مطرّف	لا ظالما أبدا ولا مظلوما

قال على أني قد قلت

وركب كأن الريح تطلب عندهم	لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفّهم	الى شعب الأكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها	وقد خصرت أيديهم نار غالب

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى بل هي أجزل ألفاظا وأشد
أسرا الا أن أبيات ليلى أطبع وأنصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد
على الشعر والاستكثار لقليله والافراط في استحسان مستحسنه
وروي أن الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله عرض على الفرزدق أبياتا من

قصيدته التي أولها

أنصرم الحبل حبل البيض أم تصل	وكيف والشيب في فوديك مشتعل
لما عتبت لغرس الحبل شيمتها	حنّت جدوده على الأحساب تنتضل
لعرّيت من غرها بها واحدة	فلا العمى لك من رأي ولا الشلل
الشمس ريبتك الا أنها امرأة	والبدر راداك الا أنه رجل

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وانما سلم لك الخطابة ليخرجك
عن أسلوب الشعر لما بهره من حسن الأبيات وأفرط بها اعجابه ولما لم
يتمكن من دفع فضلها حمله ذلك على وصفها الى معنى الخطابة وحدها

ولما بهره حسن الأبيات وأفرط بها اعجابه ولم يتمكن من

الفرزدق على الشعر واعجابه من أدل دليل على حسن نقده وقوة
بصيرته بجيده وأنه كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل
عجب ويدل أيضا على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته
فان كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان
لما نظموه من شعر أن يفضل الى أن يعموا عن محاسن غيرهم ويستقلوا
منهم الكثير ويستصغروا الكبير ولأبيات الفرزدق التي ذكرناها خبر
مشهور أسنده قال أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد
قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال لما دخل
الفرزدق على سليمان بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر فقال سليمان
للفرزدق أنشدني فأنشده الأبيات التي تقدم ذكرها فاسودّ وجه سليمان
وغاظه فعله وكان يظنه نحو مديحا له فلما رأى نصيب ذلك قال

ألا أنشدك فأنشده

أقول لركب قافلين لقيتهم	قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني	لمعروفه من أهل ودّان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله	ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك وفي بعض الأخبار أن الفرزدق
قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان ويروى أيضا أنه لما أنشد نصيب
أبياته قال له سليمان أحسنت وتفضل ولم يصل الفرزدق فخرج
الفرزدق وهو يقول ٭ وخير الشعر أكرمه رجالا ٭ وشر الشعر ما قال العبيد ٭
ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق متقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات
نصيب وان كان نصيب قد أغرب وأبدع في قوله ولو سكتوا
أثنت عليك الحقائب الا أن أبيات نصيب قد وقعت موقعها ووردت
في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها
فلهذا فضلت أبيات نصيب على الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه
فيه الذروة العليا والغاية القصوى شريف الآباء كريم البيت لرواية

مآثرهم وأيامهم ومفاخرهم المجد والفرزدق لقب لُقِّب به ولكنه إنما لُقِّب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وقيل إنما هي الخبزة الغليظة التي تتخذها النساء للفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيل إنه كان يكنى في شبابه بأبي مكية وهي ابنة له وكان شيعياً مائلاً إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق لم يفترا الدين على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملاً لأمره أصلاً ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الغلابي عن عبد الله بن سوار عن معوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فسمعت صوت حديد يتقعقع فتأملت الأمر فإذا هو مقيد الرجلين فسألته عن السبب في ذلك فقال آليت على نفسي أن لا أنزع القيد من رجلي حتى أحفظ القرآن وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال أخبرنا ابن أبي الدنيا قال أخبرنا الرياشي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله الله أحب إليّ من عينيّ هاتين أفتراه يعذبني بعدها ويروى أنه تعلق بأستار الكعبة فعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما وقال

ألم ترني عاهدت ربي وإنني	۵	لبين رتاج قائماً ومقام
على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً	۵	ولا خارجاً من فيّ زور كلام
أطعتك يا إبليس تسعين حجة	۵	فلما انقضى عمري وتم تمامي
فزعت إلى ربي وأيقنت أنني	۵	ملاقٍ لأيام الحتوف حمامي

وروى الصولي عن الحسن بن الفياض عن ادريس بن عمران قال جاءنا الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات وتفعل

فقال أتروني لو أذنبت إلى أبويّ ذنباً أكانا يقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك فقلنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربي أوثق مني برحمتهما وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني أبي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر يا أبا فراس ما أعددت لهذا المضجع قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فأين الطنب وفي رواية أخرى أنه قال نعم ما أعددت ثم قال الفرزدق في الحال

أخاف وراء القبر إن لم يعافني	۵	أشد من الموت التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد	۵	عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى	۵	إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلى نار الجحيم مسربلاً	۵	سرابيل قطران لباساً محرقا

قال فرأيت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك ويقال إن رجلاً رأى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال عفي عني بتلك الأبيات فأما ما يدل على تشيعه وميله إلى بني هاشم فما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا أبو لبيد قال جاء الكميت إلى الفرزدق فقال يا عم إني قلت قصيدة أعرضها عليك فقال له قل فأنشد طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب فقال له الفرزدق

قال إلى من طربت

ثكلتك أمك قال	۵	ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل	۵	ولم يتطربني بنان مخضب

فقال له إلى من طربت فقال

وما أنا ممن يزجر الطير همه	۵	أصاح غراب أم تعرض ثعلب

لاه

قال المرتضى رضي الله عنه يجب الوقوف على الطرب ثم يبتدأ بهم ليعلم الغرض

ولا السانحات البارحات عشية	أمر سليم القرن ام مر اعضب
ولكن الى اهل الفضائل والنهى	وخير بني حواء والخير يطلب

فقال الفرزدق من هؤلاء ويحك فقال الكميت

الى النفر البيض الذين بحبهم	الى الله فيما نابني اتقرب

فقال الفرزدق من هؤلاء قال بنو هاشم فقال الكميت

بني هاشم رهط النبي فانني	بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فقال الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد ايضا لذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني جدي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من اهل الادب ان علي بن الحسين عم حج فاستجهره الناس وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا رأته قريش قال قائلها	الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته	فما يكلم الا حين يبتسم
اي القبائل ليست في رقابهم	لاولية هذا او له نعم
من يشكر الله يشكر اولية ذا	فالدين من بيت هذا ناله الامم

وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او الوليد وهو حديث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو احسن الناس وجها واطيبهم ريحا بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ

الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني اعرفه وذكر الابيات وهي اكثر مما رويناه فلما تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق رحمه الله باثني عشر الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك به فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئا فردها اليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد راى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فمن ذلك

أتحبسني بين المدينة والتي	اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب راسا لم يكن راس سيد	وعينا له حولاء باد عيوبها

مجلس آخر [٧] ان سأل سائل فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه الآية يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من ان يكون اراد للاختلاف او للرحمة فلا يجوز ان يعني الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظ ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه الى الاختلاف اولى وليس يصح حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تعالى الا من رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة

الثلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى وتمنى ما تعذر بهما بما ذكرناه لم يبق بهما الا العفو واسفا الى الضرر وما جرى مجراه عن مستحقيه وهذا مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على ضد هذا لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين الجواب يقال له اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما خبر عن المشية التي ينضم اليها الاجبار ولم يعن المشية على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على ما اراده منهم فاما لفظة ذلك في الاية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه فاما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب فاما ما تعلق به السائل من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كنى عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك وقال تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

اراد الرزء ومنه قول القيسي

برهرهة رؤدة رخصة ... كخرعوبة البانة المنفطر

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال آخر

هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي ... بناقة سعد والعشية بارد

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذل من ليس له ناصر

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم

ان السماحة والمروءة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تانيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر وقال الفرزدق

تجوب بنا الفلاة الى سعيد ... اذا ما الشاة في الارطاة قالا

فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهي شجر ينبت في الرمل يستظل بظلها الظباء من الحر وتاوي اليه قال

اذا الارطى توسد ابرديه ... خدود جوازئ بالرمل عين

وقوله قال لا من القبول لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على انه تريد فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه الاية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ان معناه انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة فاجرى هذه الاية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هدايتها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل ايضا يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها واما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم

ويروى ان السماحة والشجاعة

وهكذا كان في الاملاء

محمد بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان
خلف هؤلاء الكافرين يخالف سلفهم في الكفر لانه سواء قوله خلف
بعضهم بعضا وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا
واقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي
جاء كل واحد منهما بعد الآخر والرحمة ليست رقة القلب كما ظنه السائل
لكنها فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم
عليه يوصف بانه رحيم وان لم تعلم منه رقة قلبه ويوصف من وصفهم
الرقيق القلب بذلك لان منفعة النعم والاحسان على من لا رقة
عنده اكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع
من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك
فرجحان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة
في الاصل ما ذكره ثم نقل بالتعارف الى ما ذكرناه كنظائره وقد وصف
الله تعالى القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأتى في
القرآن ما ظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما تجاوره
الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصفها الشهوة
بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة
بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف
المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا كالجواد
لم عن نكره وانما يجري العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث
كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر يجري مجرى النعم بايصال النفع
فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ما ظنه السائل سواء كان
قيل اذا كانت الرحمة النعمة وعندكم ان نعم الله تعالى شاملة للخلق اجمعين
فاي معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي
الرحمة فيصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة قلنا لا
فان نعم الله تعالى شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها

قلب رحيم
ذكر تفسيره
وكيف
عنك

بعض العباد اما لاستحقاق او سبب يقتضي الاختصاص فاذا حملنا
قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة
بالثواب لا تكون الا مستحقة لمن استحق الثواب باعماله ووصل الى هذه النعمة ومن لم
يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للايمان
واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه
تعالى انما ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى ان لهم
توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم
ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخرهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع
من اختصاص هذه **تأويل خبر** روى ابو مسعود البدري عن النبي
انه قال مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلثة احدها ان يكون معناه اذا عملت
العمل لله جل وعز وانت لا تستحيي من الناظرين اليك ولا تخوفهم ان يطلعوا
فيه الى الرياء فاصنع ما شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك
عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا
طرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من
المعاير والمخازي والقبائح صنع ما شاء والظاهر ظاهر امر والمعنى تغليظ
وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن و
من شاء فليكفر هذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب
في اطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد ان فعل فلان كذا فليفعل ما شاء
بعد ان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في عظم ما
ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر اذا لم تفعل
فيما تفعل ما تستحيي لانه لا ضرب من ضروب القبائح الا والحياء
يصاحبه ومن شأن فاعله اذا قبح سرا ان يستحيي منه فتقدير الكلام
ما يستحيي منه من افعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال
فهو حسن ويجري هذا الخبر مجرى خبر عن نبينا عليه السلام فيما اظن ان رجلا جاءه

ثوابه
صلى الله عليه وآله وسلم
عز وجل
معنى
ما تستحيي منه فافعل ما شئت
معنى الخبر اذا لم تفعل
يروى فيما اظن

ما ستره الحضارة يكون فيها جماع الخير فقال عليه السلام اشترط عليه
ان لا تكذبني ولن أسألك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك
الكذب خاصة بالمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط
على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول ان رأيت
لو سألني هذا النبي عليه السلام ما كنت فاعلا الا انني ان صدقته افتضحت
وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه سائر
القبائح فهكذا معنى الخبر الذي اولناه لان في اجتناب ما يستحيي منه
اجتنابا لسائر القبائح خبر اخر روي محمد بن الحنفية عن امير المؤمنين ابيه
عليه السلام قال كان قد كثر على مارية القبطية ام ابرهيم في ابن عم لها قبطي
كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه السلام خذ هذا السيف
وانطلق فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله اكون في امرك كالسكة المحماة
امضي لما امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال لي النبي عليه السلام بل الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها
فاخترطت السيف فلما اقبلت نحوه علم اني اريده فاتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه
على قفاه وشغر برجليه فاذا انه اجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير
فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبرته فقال الحمد
لله الذي يصرف عنا الرجس اهل البيت قال المرتضى رضي الله عنه في هذا الخبر احكام
وغريب ونحن نبدأ باحكامه ثم نتلوه بغريبه فاول ما فيه ان لقائل
ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول صلى الله عليه وآله بقتل رجل على
التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها والجواب عن ذلك ان القبطي جاز
ان يكون من اهل العهد الذين أخذ عليهم ان يجري فيهم احكام المسلمين
وان يكون الرسول عليه السلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية
فخالف واقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد من اهل الكفر
مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل فاما قوله بل الشاهد يرى ما لا يرى
الغائب فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع لرؤية

صلى الله عليه وآله وسلم

ثم اورد خبرا اخر

صلى الله عليه وآله وسلم

اذا ارسلتني اكون كالسكة المحماة

امضي لما امرتني

نخلة

برجليه

التهمة بالكبيرة

الصحيح

يجري عليهم

العهد

العهود

البصر فكانه عليه السلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من الرأي والتدبير بحضوره ما لا يصح للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل
على كل حال وانما جاز منه عليه السلام ان يخيره بين قتله والكف عنه
ويفوض الامر في ذلك الى امير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله
من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان ناقض
العهد ممن الى الامام القائم بامر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة ان
يقتله او يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد
امر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت
مراجعته ولا استفهامه ومن حسنها ووقوعها موقعهما دلالة على انه لا يقتضي
ذلك ومما فيه ايضا من الاحكام دلالته على انه لا باس بالنظر الى عورة الرجل
عند الامر ينزل فلا يوجد من النظر اليها بد اما لحد يقام او لعقوبة تسقط
لان العلم بانه اجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وانما جاز النظر
والتأمل ليتبين هل هو ممن يكون منه ما قرف به او لا والواجب
على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب ان يأمر بالنظر اليه
ويتحقق امره ومثله لما امر النبي عليه السلام في قتل مقاتلة بني قريظة
لانه امر ان ينظروا الى كل مؤتزر اشكل عليهم امره فمن وجدوه قد
انبت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت
شهادة الزنا لان من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يشاهد
امرهما حق التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي لسعد بن عبادة
وقد سأله عمن يجد مع امرأته رجلا أيقتله فقال لا حتى يأتي باربعة
شهداء فلو لم يكن للشهداء اذا حضروا ان يتعمدوا النظر الى العورة لما تهيا
لاقامة الشهادة وكان حضورهم كغيبتهم ولو تعذرت شهادة الزنا لان
من شرطها مشاهدة العضو كالميل في المكحلة فان قيل كيف
جاز لامير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن اي جهة
آثره لما وجده اجب واي تأثير لكونه اجب فيما استحق به القتل وهو

صلوات الله عليه

وقت الرجل بعينه

صلى الله عليه وآله وسلم

كل من

صلى الله عليه وآله وسلم

صلى الله عليه وآله وسلم

في العضو

نقض العهد فلما رآه عليه السلم لما فوّض اليه الأمر في القتل والكف
كان له ان يقتله على كل حال وان وجده اجب لان كونه بهذه الصفة
لا يخرجه عن نقض العهد واما الكف الذي كان اليه ومفوضا الى رأيه
لان زال التهمة والشك الواقعين في امر مارية ولانه اشفق من ان يقتله
فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار فرأى امير المؤمنين عليه السلم ان
الكف اولى لما ذكرناه وكانت العرب تقول شغر برجليه يريد رفعهما
واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول فاما نكاح الشغار بالكسر وقد
قيل بالفتح فهو ان يزوج الرجل من هو وليها من بنت او اخت غيره على ان
يزوجه بنته او اخته بغير مهر وكان احدهم في الجاهلية يقول للآخر
شاغرني اي زوجني حتى ازوجك والظاهر انه ماخوذ من الشغر الذي هو رفع
الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا ومشاغرة
لاقتضائه في كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر فصار اسما لهذا النكاح
كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء اي يتسكبانه والماء
هو النطفة ويمكن ان يكون ايضا الماء الذي يغتسلان به فكني بذلك
عن الزنا ثم صار اسما له ويحمل على معنى الشغر الذي هو رفع الرجل قول
زياد لابنه معوية وكانت عند ابنه فافتخرت عليه يوما وتطاولت فشكاها
الى ابيه زياد فدخل عليها بالدرة فضربها وهو يقول لها اشغرا وفخرا انا

قول الفرزدق

شغارة تقذ الفصيل برجلها	فطارة لقوادم الابكار

فانه من تعرب بشعره وفسره قال معنى شغارة فيها رفع رجلها بالبول
وقوله تقذ الفصيل برجلها اي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع
ليتوفر اللبن على الحلب واراد بتقذ اي بتابع في الايلام وضربه ومنه الموقوذة
فاما قوله فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث اصابع والقوادم
هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر اخلافها يمنع من حلبها
ضبا والضب هو الحلب بالاصابع الاربع كلها فكانه لا يمكن فيها الا الفطر

الحالبة

برجليه يريد رفعهما

الشغار

المتزوجين

غرب شعره اي فسره

الا الفطر

الا الفطر ومعنى البيت تعييره لنساء جرير بانهن راعيات وذلك
مما تعيّر به العرب لنساء الأشراف الا ترى الى قول الاول هذا البيت

كم عمة لك يا جرير وخالة	فدعاء قد حلبت علي عشاري
كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا	ولهى اذا سمعت دعاء يسار

نزلا وذلك بقوله شغارة قال المرتضى رضي الله عنه وعندي ان قوله شغارة كناية
عن رفع رجلها للزنا وهو اشبه بان يكون مراده في هذا الموضع الا
ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار
ويسار اسم راع وكأنه قد وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك
حفظ ما استحفظته من اللقاح فالاشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه
عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما قولهم ذهبوا شغر بغر
فليس من هذا في شيء وانما يراد انهم ذهبوا متفرقين متشتتين ومثله
ذهبوا عباديد وعبابيد وشعارير وايادي سبا كل ذلك بمعنى
واحد فاما قوله فاذا لنا اجب فيعني به المقطوع الذكر لان الجب هو القطع
ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تأول هذا
الخبر ان الاصح ههنا هو قليل لحم الالية كالارسح والاريح والازل
وهذا غلط لان الوصف لم يأت بالجب والمبالغة فيه لان قوله اصح يفيد
انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى اجب زيادة ظاهرة اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني القسم بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان
بن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن الاصمعي قال
دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت تقول العرب اذا كان
ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل
له ما انت ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب ومين قيل له ما انت
ابن ثلاث قال قليل اللباث وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات
قيل له فما انت ابن اربع قال عتمة ام ربع وقيل عتمة ام الربع غير جائع ولا مرضع
قيل له فما انت ابن خمس قال عشاء خلفات قعس وقيل حديث وانس

قيل له ما انت مرد

ويقال سمر وانس قيل ما انت ابن ست قال سر وبت ويقال حديث وبت
قيل ما انت ابن سبع قال دلجة ضبع ويقال هدي لانس ذي الجميع
ويقال حديث جمع ويقال يقعر في النسع ويقال يلتقط في الجزع قيل ما انت ابن
ثمان قال قمر اضحيان قيل ما انت ابن تسع قال انقطع الشسع ويقال يلتقط
في الودع ويقال عتمة اهل جمع قيل له ما انت ابن عشر قال ثلث الشهر
ويقال محق الفجر ويقال ادنيك الى الفجر ويقال ابادر الفجر قيل ما انت ابن
احدى عشرة قال اطلع عشاء وارى بكرة ويقال واغيب بسحرة قيل له ما انت
اثنتي عشرة قال مونق للبشر بالبدو والحضر قيل له ما انت ابن ثلاث عشرة
قال قمر باهر يعشي له الناظر قيل له ما انت ابن اربع عشرة ابن ليلة عشر
قال مقتبل الشباب اضيء مدجنات السحاب ويقال مضيء للسحاب قيل له ما
انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب قيل ما انت
ابن ست عشرة قال نقص الخلق بالشرق والغرب قيل له ما انت ابن
سبع عشرة امكنت المقتفر الفقرة قيل له ما انت ابن ثمان عشرة قال
قليل البقاء سريع الفناء قيل له ما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع
بين الخشوع قيل له ما انت عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة وقيل
ثم اهجر بالبهرة قيل له ما انت ابن احدى وعشرين قال اطلع كالقبس يرى
بالغلس قيل له ما انت ابن اثنتين وعشرين قال لا اطلع الا ريث ما
ارى قيل ما انت ابن ثلاث وعشرين قال اطلع في قتمة ولا اجلو الظلمة
قيل ما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال قيل له ما انت ابن
خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل ما انت ابن ست
وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى مني الا سنا قيل ما انت ابن سبع
وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا قيل ما انت ابن ثمان وعشرين
قال اسبق شعاع الشمس قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل فلا يرى
الا البصير قيل ما انت ابن ثلاثين قال هلال مستنير قال
الاصمعي ثم قلت للرشيد فقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الر

الاعرابي فقال خذه على قلبهات فاعاده حتى بلغ الى قوله قيل له ما انت
ابن ثمان قال قمر اضحيان اما رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى
ان القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم ثم ترضعها ثم تحلوك بقاؤه
في الافق بمقدار هذا الزمان وقوله حل اهلها برميلة الظن ان المعنى فيه
الاخبار عن قلة الكلاءة وسرعة الانتقال لان الرسل لعيش بمنزل مقام للقوم
لانهم كانوا يختارون في منازلهم حللها الارض وخصبها والاماكن
التي لا تستولي السيول عليها فخص الرميلة لهذا المعنى وقوله حديث
امتين بكذب ومين ربما ان بعا قيل بمقدار ما تلتقي الامتان فتكذب
لصاحبتها ثم تفترقان وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه
يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم افترقن غير
مؤتلفات وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت المرأة اذا تأخرت عن العشاء و
قوله ام ربع يعني الناقة وهو تأخر حلبها ريثما يعافه بمقدار ما تحلب
ناقة لها ولدته في اول الربيع وهو اول النتاج والولد في هذا الوقت يسمى
ربعا اذا كان انثى قيل ربعة فان كان في آخر النتاج قيل هبع والانثى هبعة
وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن وهي
فالجمع المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات
لانها لا تعشى الا ان تغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر
الخارجة البطن وقوله سر وبت يريد لا يبقى الا بقدر ما يبيت الانسان
ثم يصبح وقوله قمر اضحيان اي صاح بارد ويقال قمر اضحيان بالتنوين
فيهما جميعا وقمر اضحيان بالاضافة ويسير قيل ليلة اضحيانة اذا كانت
[illegible] الناس وقوله انقطع الشسع اي لا يبقى الا بقدر ما يبقى شسع من
قد تمشي حتى ينقطع وقوله يلتقط في الجزع اي مضى ابلغ لو انقطعت عقد
فتاة فيها سلك مفصل بجزع ما ضاع منها شيء لضيائه وبقائه وقوله
ابقي بالبهرة يعني بوسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله امكنت
المقتفر الفقرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار والفقرة موضع الدك

فقال
سخلة م
الامة م
من هنا سميت صلوة العتمة لانها آخر الوقت في العشاء وهو
ولدتهم
ذكرا فاذا كان انثى م
بريدانه يقال انه يبقى بقدر ما يسير الانسان ثم يبيت فقلب المعنى لانه يسير في الضوء
الخلفة بالكسر القلادة
الشذر خرز من الذهب يجعل شذرا صغار اللؤلؤ
وتقتفرا اثره مواضعه التي يقصدها مولف

نفسه مجلس آخر ان سأل سائل عن قوله تعالى ومن كان
في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا
في الآخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول بان الخلق يحشرون كما بدؤا
سالمين من الآفات والعاهات وقال الله تعالى كما بدأنا اول خلق
نعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال فبصرك اليوم حديد
الجواب يقال في هذه الآية وجوه احدها ان يكون العمى الاول
انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي اراها الله المكلفين
في انفسهم وفيما يشاهدونه ويكون العمى الثاني هو عمى الايمان بالآخرة
والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب وعقاب وقد قيل
ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك
لتبتغوا من فضله الى قوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ثم قال جل اسمه بعد ذلك ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل
سبيلا يعني في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة اعمى اي هو عما
غيب عنه من امر الآخرة اعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لا عن الدنيا
ويقال ان ابن عباس رحمه الله سأله سائل عن هذه الآية فقال اتل
ما قبلها فتنبه على التأويل الذي ذكرناه والجواب الثاني ان من كان
في هذه يعني الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما اوجب الله عليه
المعرفة به فهو في الآخرة اعمى عن الجنة والثواب بمعنى انه لا يهتدي
الى طريقهما ولا يوصل اليهما او عن الحجة اذا سئل فيقف ومعلوم
ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيمة منقطع
الحجة مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة
والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما ينال هؤلاء
الكفار الجهال بالله تعالى من الخوف والغم والحزن الذي آمن الله منه
المؤمنين العارفين بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة

العرب

العرب ان تسمي من اشتد همه وقوي حزنه بانه اعمى سخين العين
ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون والجواب الرابع
ان يكون العمى الاول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل
العقوبة كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقد
يجيب بهذا الجواب من تأول قوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده على ان
المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما انها معدومة
في الابتداء ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه ويتأول قوله فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار
عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة والعرب
تقول فلان بصير بهذا الامر وبكذا وكذا وان كانوا لا يريدون ابصار
العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا
عما انت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء وان اعلمناك وفعلنا
في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما الخبر الذي تضمن ما يشير هو خبر واحد
ولا حجة في مثله واذا صح فربما امكن تأويله على ما يطابق
هذا الجواب ومن ذهب الى الاجوبة الاول يجعل العمى الاول والثاني
معا غير العمى في العين فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى وحمله
على العمى عن الثواب او عن الحجة فقال في قوله لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا ان معناه اني كنت بصيرا في اعتقادي وظني
من حيث كنت اهتدي الى الثواب وطريق الخير والمحصل من هذه
الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الاول والثاني جميعا الآفة في العين لانه
يؤدي الى ان كل من كان مؤوف البصر في الدنيا من مؤمن و
كافر ومطيع وعاص يكون في الآخرة كذلك وهذا باطل بغير شك

روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله
يحشر الناس يوم القيمة كما ولدتهم امهاتهم
حفاة عراة وفي حديث آخر غرلا الاغرل
الاقلف رواه غيره

ان يراد بلفظ أعمى الثاني المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطل أيضا
أن العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة أفعل وانما يقال ما أشد
عماه ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول العين والثاني العمى عن الثواب والجنة
او الحجة لانا نعلم ان فمن عميت عينه في الدنيا يستحق الثواب ويوصل اليه
ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق
المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم أن الجهال بالله المعرضين في
الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلا عن أن يكونوا
أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس
فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل في الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول
إذا أريد بالعمى الثاني المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمى القلب
ضلال يتعجب منه بلفظة أفعل وان لم يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب
بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى لفظة تعجب بل يجعله
إخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله وأضل سبيلا
وتقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل
سبيلا فان قيل لم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة أفعل قلنا
قد قال النحويون في ذلك ان الألوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظة
أفعل التعجب وانما يعدل فيها الى أشد وأظهر وما جرى مجراهما
قالوا لان العيوب والألوان قد صارت نعت الأسماء وصارت خلقة
كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده وأعوره كما لا يقال ما أيداه
وأرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله واعتلوا بعلة
أخرى قالوا ان الفعل من الألوان والعيوب على افعلّ وافعالّ
نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة
أحرف من الأفعال ألا ترى انه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادتها على ثلاثة
أحرف فان قيل لهم فقد قالوا عوِرت عينه وحولت قالوا هذا منقول
من افعلّ بحذف الحكم ما زاد على ثلاثة أحرف يدلك على ذلك صحة الواو

كما صحت في أسود وأحمر ولولا أنه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت
وحالت كما قيل خاف وهاب وحكي عن الفراء في ذلك جوابان أحدهما
أن أفعل في التعجب فيه زيادة على وصف مثله اذا قال القائل أفضل وأجمل
فقد زيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيدا لئلا يسقط
الزيادة ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه بخلاف أعظم لعظيم كما
خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا فلما تمم في أبيض وأحمر علم الزيادة خلوا
عليه ما يبين الزيادة فيه فقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو ولأن
أظهر يزيد على ظاهر وأشد يزيد على شديد والجواب الآخر أن التعجب مبني
على زيادة تصلح أن تعقبها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم
زيدا ليدلوا على زيادة على علم لأنهم في قولهم عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي
مبلغ أعلم ولم يقولوا ما أبيض زيدا لأن البياض لا يأتي فيه زيادة بعد
نقص فعدلوا الى التعجب بأشد وأبين وما جرى مجراهما فهذا الجواب
ليس بسديد لأن الألوان قد تتأتى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيها
التفاضل ألا ترى أنا نحكم في قليل أجزاء البياض بكونه أنقص حالا في البياض
مما حله الكثير من الأجزاء والجواب الذي حكيناه عن الفراء أصوب وإن كان
ما قدمناه عن غيره من البصريين هو المعتمد وأنشد بعضهم معترضا
على ما ذكرناه قول الشاعر

يا ليتني مثلك في البياض	أبيض من أخت بني إباض

وأنشد أيضا قول الشاعر

أما الملوك فأنت اليوم ألأمهم	لؤما وأبيضهم سربال طباخ

فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال
إن الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه المتفق على صحته ويجوز أن يقال
في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني إن أبيض فيه ليس الذي
هو للمفاضلة وإنما هو أفعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم أبيض وبيضاء
ويجري ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجها وشرهم خلقا

مستقر بينة على الاصول ان السواد لا يكون زايدا في كونه سوادا من سواد آخر وانما يتكثر الأجزاء فيقال هذا أشد سوادا من ذلك

فكأن الشاعر قال وشيخهم لما اضافه انتصب ما بعده لتمام
الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه آخر وهو ان
ابيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية
عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه اراد بالبياض
بياض الثوب ونقاؤه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظة افعل فالذي
جوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه فاما قول المتنبي

ابعد بعدت بياضا لا بياض له ۞ لانت اسود في عيني من الظلم

فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من
جملة الظلم كما يقال حر من احرار ولئيم من لئام اي من جملتهم فالا الشاعر

يا ابيض من ماء الحديد كأنه ۞ شهاب بدا والليل داج عساكره

كأنه قال يا ابيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لابيض
وليس يتصل به كاتصال من بافعل في قولك هو افضل من زيد ولعظم
من في بيت المتنبي موضع الموضع لانها وصف لاسود واذا اريد المفاضلة
والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما يقال زيد خير منك فمنك
في موضع نصب بخير كأنه قال فضلك يخيرك اي فضلك في الخير
فهذا تاويل يمكن ان يقال في قول الشاعر ابيض من اخت بني اباض
ويحمل على انه اراد من جملتهما ومن قومهما ولم يرد التعجب وانا لم يمكن
على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي بعدت
بياضا لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس فيه انه اراد انه لا ضياء له ولا نور
ولا اشراق من حيث كان حلوله مخبرا مؤذنا بتقضي الاجل وهذا المعنى
معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى آخر وهو يريد انك بياض لا لون بعده
لان البياض آخر الالوان في الشعر فجعل قوله لا لون بعده فانما سوغ
ذلك له ان البياض هو الآن بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض
كان نفيا لان يكون بعده لونه وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها
من قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى فقرأ ابن كثير

ونافع

ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة
والكسائي بكسر الميم فيهما معا وفي رواية حفص عن عاصم لا يكسرهما
وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة ولكل وجه لما من ترك امالة الجميع
فان قوله حسن لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة واما من امال
الجميع فوجه قوله انه نحا بالالف نحو الياء ليعلم انها تنقلب الى الياء ولما
قراءة ابي عمرو في امالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل
من كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك لم تقع الالف في آخرها
انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من افعل الذي
هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا وهما مرادان في المعنى مع الحذف
وذلك نحو قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى المعنى واخفى من السر وكذلك
قوله تعالى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا اي اعمى منه في الدنيا واعمى
من عين وتقوي هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى واضل
سبيلا فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف عليه
تاويل خبر ١٩ روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال تقيء الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان من الذهب والفضة
فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء القاطع للرحم فيقول في مثل
هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه
ولا ياخذون منه شيئا معنى تقيء اي تخرج ما فيها من الذهب والفضة
وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث
كان اخراجا واظهارا وكذلك تسميته عليه السلام ما في الارض من الكنوز
كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب
معروف قال مرة بن محكان السعدي في قدر نصبها للاضياف

لها ازيز يزيل الجمر ازمله ۞ عن العظام اذا ما استحثت غضبا
ترمي الفلاذ بمثل ما اشبه ۞ فقعا اذا اكنت من تحتها لهبا

فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فاما الازيز فهو الغليان والعرب

يقول بجوهر أن يرسل إليها المرجل والأريل الصوت واستحشمت أي
غضبت يقال أحشمته أي أغضبته وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة

سألتني عن أناس هلكوا	شرب الدهر عليهم وأكل

فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيهاً واستعارة وقال قوم معنى
البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا واختلف أهل اللغة في الأفلاذ
فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون إلا للبعير وهو قطعة
من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال أعطني فلذة

الكبد فلان ساعي باهلة

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها	من الشواء ويروي شربه الغمر

الغمر القدح الصغير ويقال أعطني حزة من سنام كأس لحم وإنما
الحزة في الكبد خاصة فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطني
جذبة من لحم وهي القطعة الصغيرة وتلقيه عن الطوسي عن أبي عبيدة
عن الأصمعي قال يقال أعطني جذبة من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة
طولاً فإذا كانت القطعة مجتمعة قلت أعطني بضعة من لحم وهبرة من لحم
ووذرة من لحم ومثل هذا الحديث قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها أي
أخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم يعني به الموتى وإنما أخرجت
موتاها فسمى الله تعالى الموتى أثقالاً تشبيهاً بالحمل الذي يكون في البطن لأن
الحمل يسمى ثقلاً قال الله تعالى فلما أثقلت والعرب تقول للسيد الشجاع
ثقل على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي أخاها

أبعد ابن عمرو من آل الشريد	حلت به الأرض أثقالها

معناه أنه لما مات حل عنها بموته ثقل تسود به وتفخر وقال قوم
معنى حلت به زينت موتاها به وهو مأخوذ من الحلية وقال الشماخ
ذكر ابن موعي يبكي أخاه وحلت به أثقالها الأرض ولنهى لثوى فيها وهو معه
وحدثني أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبي سلمى
المزني حين أتاه من شعر النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أخر

قال ماذا قال

تراك الأرض إما مت خفاً	وتحيا ما حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العز منها	فماذا قال فالكري والله أنا العقر

وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجز يا بني فقال لما ذا أنشد

البيت الأول ومن الثاني

نزلت بمستقر العز منها فقال كعب	فتمنع جانبيها أن يزولا

فقال زهير أنت والله ابني وإنما خص الكبد من بين ما اشتمل عليه البطن
لأنه من أطايب الجزور والعرب تقول أطايب الجزور السنام والملحاء
والكبد قال الشريف المرتضى رضي الله عنه إني لا أستحسن قول الخنساء
وقد قيل لها إنما مدحت أخاك حتى هجوت أباك

فقالت جارى أباه فأقبلا وهما	يتعاوران ملاءة الحضر
حتى إذا نزت القلوب وقد	لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما	قال المجيب هناك لا أدري
برزت صحيفة وجه والده	ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه	لولا جلال السن والكبر
وهما وقد برزا كأنهما	صقران قد حطا إلى وكر

ويقال إن قول أبي عبيدة ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء
فقال أبو عبيدة لعلها أسقطت من بحار عليها عن مثل هذا والعرب
إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير أن تلوي على أبيها في النهاية لأنها
جعلت تقدم أبيها لفضل قديم منه عن المساواة وفضل عن تقصير
منه وإنما أوضح لفضل السبق معرفة بحقه وفضلها لكبر سنه
فكان الخنساء في هذا المعنى نظرت إلى قول زهير

فشبهها الأمانع وهي تهوي	هوي الدلو أسلمها الرشاء
فليس لحاقه كلحاق إلف	ولا كنجائها منه نجاء
يقدمه إذا اختلفت عليها	تمام السن منه والذكاء

ويشبه أن يكون الكميت أخذ قوله من قول [illegible] لخالد بن يزيد بن المهلب [illegible]

ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه	أحدٌ وسائلك طالبًا لم يلحق
تتجاريان لم يفضلكم سبقه	وتلوت بعد مصلّيًا لم تسبق
إن تنتهيا فلم يفضلكم سبقه	فبمثل ما وأبيك لم يعلق
ولئن لحقت به على ما قد مضى	من سعيه فأبيك بالأخلق

ويشبه هذا المعنى قول المؤمّل بن أُمَيل الكوفي المحاربي يمدح المهدي

في حياة المنصور

لئن فُتَّ الملوك وقد تدانوا	إليك من السهولة والوعور
لقد فات الملوك أبوك حتى	بقوا ما بين كابٍ أو حسير
وجئت وراءه تجري حثيثًا	وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان إلا	بمنزلة الخليق من الجدير
فإن سبق الكبير فأهل سبقٍ	له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبيرٍ	فقد خلق الصغير من الكبير

ومن هذا المعنى قول الشاعر

جيادٌ جرت في حلبةٍ فتقاسمت	على قدرها الأسنان والعرق [illegible]

ويتعلق بهذا المعنى بعض التشبه وإن لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما	على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ	فمثل ما قدّما من صالحٍ سبقا

ويحكى أنه عرضت على جعفر بن يحيى البرمكي جارية شاعرة فأراد أن يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بلغت أو كدت أو لحقت به	فسلّما حالنا في شأوه سبق
لكن مضى ولي المهل فات له	نال محلّ دونك البرهن بالعنق

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة بعد ما أخل به هذا المعنى

مناسب له قول عبّاد بن شبل

إذا أحرزت من قومٍ خيارهم	فكل بني عبد المدان خيار
جروا فجريان واحد فضل بينهم	بأن قيل قد فات العذار عذار

وقال الكميت

مصلٍّ أبوه لم يسابق	بأن قيل فات العذار العذارا

ومثله قول العتابي وهو حسن جدًا مليح

كانقاذف جرّدٌ في أعنتها	سبقا بآباء إذا ما [illegible] بالعذر

وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي وسفارية القطا دون السماء وفوق الأرض قد أدركهما عند الوبال فلا فرت ولا نجت وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر نعمه لأبيه في المجد والسؤدد تجري الفضل فانثنى قومًا دون مداه من غير تهيب

فسل بأناس كما ابتدربه	الغاية والفضل سابق الفوق

ومثل ذلك قول البحتري في ابن أبي سعيد الثغري

حذا بعد أبي سعيد ابنه	نزل السماك كأنه لم يشرف
فأسعته أخلاقه تزدهي الردى	للمعتفي وهي الندى للمعتفي
وإذا جرى في غاية وجرت في	أخرى على السنن ساويا كالمنتصف

ويشبهه قوله أيضا

وإذا رأيت شمائل ابني صاعد	أدّت إليك شمائل ابني مخلد
كالفرقدين إذا تأمل ناظر	لم يعل موضع فرقد عن فرقد

فأما قول الخنساء تعاون أن ملاءة [illegible] وهي تعني بالملاءة الغبار فإن عدي بن الرقاع كان نظر إليها في قوله يصف حمارًا وأتانًا

تتعاوران من الغبار ملاءة	كدراء محكمة كما نسجاها
تطوى إذا علوا مكانًا جاسيًا	وإذا السنابك أسهلت نشراها

وهذا المعنى وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من أجلها بالمعنى أحق منها وقد أتى بهذا

المعنى [illegible] بن عقيل فقال ابن قتيبة

عُمْرانِ مِنْ نَسْجِ الغُبارِ عَلَيْهِما * قَمِيصَيْنِ أَسْمالاً ويَرْتَدِيانِ

فصل آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وجاؤوا
على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون فقال كيف وصف الدم بأنه كذب والكذب
من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام وأي معنى لوصفه الصبر
بأنه جميل ومعلوم أن صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه عليه
السلام لا يكون إلا جميلا فلم أتبع الصبر وما المقتضي لرفعه الجواب
يقال له أما كذب فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا
ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله ماء غور
ورجل صوم وامرأة نوح قال الشاعر

تظل جياده نوحا عليهم * مقلدة أعنتها صفونا

أراد نائحة عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون عقلا ومثل هذا
الأمر مجلود يريدون جلدا قال الشاعر

حتى إذا لم يتركوا لعظامه * لحما ولا لفؤاده معقولا

وأنشد أبو العباس ثعلب

قد والذي سمك السماء بقدره * بلغ العزاء وأدرك المجلودا

وقال الفراء وغيره من النحويين يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر لأنه
جاؤوا به بمعنى كذبوا كذبا كما قال الله عز وجل والعاديات
ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لأن العاديات بمعنى الضابحات
وإنما كان دما مكذوبا فيه لأن إخوة يوسف نحروا سخلة ولطخوا
قميص يوسف بدمها وجاؤوا أباهم عليه السلام بالقميص وادعوا أكل
الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب
رفيقا حين أكل ابني ولم يخرق قميصه فقالوا بل قتله اللصوص فقال
عليه السلام كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله
وقد قيل إنه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد قميصه من دبر

وحين

قال الفيروزآبادي ثوب أسمال خلق

عقل مراد

صفون جمع صافن والصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر

تعالى مراد

وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤوا عليه بدم كذب
فنبه أبوه على أن الذئب لو أكله لخرق قميصه وأما وصفه الصبر بأنه
جميل فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وإنما يكون جميلا إذا قصد
به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي يجب فلما كان في هذا الموضع واقعا
على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل إنه تعالى أراد صبرا لا شكوى
فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبته الشكوى أو الجزع
فأما ارتفاع قوله فصبر جميل فقد قيل إن المعنى فشأني صبر جميل والذي
أعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه

فصبري صبر جميل وأنشد

شكا إلي جملي طول السرى * يا جملي ليس إلى المشتكى

صبر جميل فكلانا مبتلى

معناه فليكن منك صبر جميل وقد روي أن في قراءة أبي فصبرا
جميلا بالنصب وذلك يكون على الإغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبرا
جميلا قال ذو الرمة

ألا إنما مي فصبرا بلية * وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر

معناه أن حب المرأة بلية فاصبري يا نفس

وقال الآخر

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة * فصبرا على ما شاء الله لي صبرا

تأويل خبر في الحديث أن قيس بن عاصم قال أتيت رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال لي هذا سيد أهل الوبر فقلت يا رسول الله
ما المال الذي ليس علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه
السلام نعم المال الأربعون والأكثر الستون وويل لأصحاب المئين
إلا من أعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم
القانع والمعتر وفي رواية أخرى إلا من أعطى من رسلها وأطرق
فحلها وأفقر ظهرها ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمعتر فقلت
يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها إنه لا يحل بالوادي
الذي فيه إبلي من كثرتها قال فكيف تصنع في العطية قلت أعطي

١٤ العطية

في نسخة بعد قوله المشتكى الدرهمان كلاهما أو سيان

الوبر كناية عن الإبل

البكر واعطى الشاب قال فكيف تصنع في المحز قلت اني لا اسنح المائز قال
فكيف تعطي الطروقة قلت يغدو الناس بالمهر ولا يورع يجل عن جمل
مخطم فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الاخرى قال
فكيف تصنع في الطراق قلت يغدو الناس لمن شاء ان ياخذ براس
بعير ذهب به قال فكيف تصنع في الافقار قلت لا افقر الناب المدبرة
والضرع الصغير قال فكيف تصنع في المنح قلت فاني لامنح في السنة
المائة قال فذلك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالي قال
فان مالك ما اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت وفي الرواية الاخرى
او لبست فابليت وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت اليها
لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني فانكم
لن تاخذوا عن احد هو انصح لكم مني لا تنوحوا علي فان رسول الله صلى
الله عليه وآله لم ينح عليه وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في
ثيابي التي كنت اصلي فيها وسودوا اكابركم فانكم اذا سودتم
اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم
على الناس وتعهدوا ابلكم واصلحوا من عيشكم فان فيه غنى عن طلب
الى الناس واياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفنتموني فاخفوا
قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمن
سفيها منهم ان ياتي امرا يدخل عليكم عيبا في دينكم اما قوله الكثر
سوق فمعناه الكثير يقول العرب نسال الله الكثر ونعوذ بالله من
القل اي نساله الكثير ونعوذ به من القليل قال الشاعر

فان الكثر اعياني قديما ... ولم افتر لدن اني غلام

وقال الآخر

ويقتصر القل دون نفسه ... وقد كان لولا القل طلاع انجد

والكريمة يعني بها كرائم مالكم ومانح الغزيرة اي معطيها من يحلبها ويردها
ومن ذلك الحديث العارية مضمونة مؤداة والمنحة مردودة والدين

مقضي والزعيم غارم فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من
يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا
القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم وقال الشاعر

فلست بآمر فيها بسلم ... ولكني على نفسي زعيم

وقال الآخر

قلت كفى لك رهنا بالرضا ... وازعمي يا هند قالت قد وجب

معناه الكفل ويروى فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل ايضا
وقال ابو العز القانع هو الذي ياتيك فيسالك فان اعطيته قبل
والمعتر هو الذي يجلس عند الذبح ويمسك عن السؤال فكانه
يعرض بالمسئلة ولا يصرح بها فقال قنع الرجل قنوعا اذا رضي و
قنع قنوعا اذا سال فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا
في قوله لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدئ تعالى فقال جرم
ان لهم النار كسبت فعلهم ان لهم النار قال الشاعر

نصبنا راسه في راس جذع ... بما جرمت يداه وما اعتدينا

اي كسبت وقال آخرون معنى جرم حق فتاول الآية بمعنى حق فعلهم
ان لهم النار وانشد

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة ... جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

اراد حققت فزارة ويقول الفراء فزارة بالنصب على معنى كسبت الطعنة
فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم في الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم
استعملته العرب في معنى حقا فصارت بمنزلة جواب الايمان فقالوا
لا جرم لآتينك وفيها لغات يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم وتسكين
الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر

ان كلاوا والذي لا ذا جرم ... لاهدينك اليوم هديا في النعم

هذا المعنى في النعاشق للهمز ياكل الشاب النافر الهرمة وجمعها
نيب ومثلها الشارف قال الشاعر

لا أُتيا الدهرَ أبكيهم بأربعةٍ	ما اجترّت النيبُ أو حنّت إلى بلدِ

ويقال للبعير إذا كبر عَوْدٌ وللأنثى عَوْدة قال الشاعر

عَوْدٌ على عَوْدٍ من القِدَمِ الأُوَل	يموتُ بالتَّرْكِ ويحيى بالعَمَل

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعيرٌ عَوْدٌ على طريقٍ عَوْدٍ أي متقادم ويسمّى الطريق بأنه عود لتقادمه تشبيهاً بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل أراد أنه إذا سُلِكَ وتُطُرِّقَ ظهرت أعلامه ووضحت لمن قصده واهتدى سالكه ولم يضلّ عن قصده فكان هذا كالحيوة وإذا لم يُسلك طُمِسَت آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكبٌ لقصده فكان ذلك كالموت وأما الخماشات فهي الجنايات والجراحات

قال ذو الرمة يذكر الحمار والأُتن

رِباعٌ لها مذ أورقَ العودُ عنده	خُماشاتُ ذَحْلٍ ما يُرادُ امتثالُها

يريد بقوله ما يراد امتثالها أي ما يراد اقتصاصها يقال امتثلت من هذا الرجل وأقدت منه واقتصصت بمعنى واحد وأما قوله لا يُوَرَّعُ رجلٌ أي لا يُمنع ولا يُحبس يقال ورّعت الرجل توريعاً إذا منعته وكففته والورِعُ هو الرجل المتحرّج المانع نفسه مما تدعوه إليه يقال ورِعَ يرِعُ ورعاً ورِعةً قال لبيد

أكلَّ يومٍ هامتي مُقَزَّعَه	لا يمنعُ الفتيانَ من حُسْنِ الرِّعَه

ويقال ما ورّعت أن تفعل كذا وكذا أي ما كففت وأما الوَرَعُ بالفتح فهو الجبان وأما الطَّروقة فهي التي قد حان لها أن تُطرَق وهي الحِقّة وقوله في الرواية الأخرى إلّا من أعطى من رِسْلِها فالرِّسْلُ اللبن والإفقار هو أن يُركبها الناس ويحملهم على ظهورها مأخوذ من فقار الظهر والإطراق للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على إناث إبله قال المرتضى رضي الله عنه وذكر الأعرابي في هذه الرواية أحسن من الطروقة لأنه قد تقدّم من قوله ما يغني عن الناب والبكر والضرع والمائح فلا معنى لإعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب تعدّها الناس فلا يُوَرَّع رجل من جمل

يختطمه ويمسكه فإنما أراد بذلك يردّه لا يحتمل غير الإطراق ولا يليق بمعنى الطروقة وكان قيس بن عاصم شريفاً في قومه حليماً ويكنى أبا علي وكان الأحنف بن قيس يقول إنما تعلّمت الحلم من قيس بن عاصم أُتي بقاتل ابنه فقال يعقبتم الفتى ثم أقبل عليه فقال يا بنيّ لقد نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتّت في عضدك وأشمتّ عدوّك وأسأت بقومك خلّوا سبيله وما حلّ حبوته ولا تغيّر وجهه وقال رجل من الأعراب لقيس بن عاصم بماذا سُدت قال ببذل الندى وكفّ الأذى ونصر المولى وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه إياكم والبغي فما بغى قوم قطّ إلّا قلّوا وذلّوا وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى إخوته عن أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان ابن شريك الشيباني فطعنه في يوم جَدود فسمّي الحوفزان

قال سوّار بن حيّان المنقري

ونحن حفزنا الحوفزانَ بطعنةٍ	سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا
وحُمرانَ قسراً أنزلته رماحُنا	فعالجَ غُلّاً في ذراعيه مُقفَلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوءِ فعلها	إذا ذُكرت في النائبات أمورُها
ويومَ جَدودٍ قد فضحتم ذِماركم	وسالمتم والخيلُ تدمى نحورُها
ستحطمُ سعدٌ والربابُ أنوفَكم	كما حُزَّ في أنف القضيبِ جريرُها

القضيب الناقة المقتضبة الصعبة وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ	ورحمتُه ما شاء أن يترحّما
سلامَ امرئٍ جلّلته منك نعمةٌ	إذا زار عن شحطٍ بلادك سلّما
فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ	ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ذاكرني بعض الأصدقاء بقول

أبي دهبل الجمحي وهو يعني بابنه

وأبرزتها بطحاءُ مكّةَ بعدما	أصاتَ المنادي بالصلاة فأعتما

وسألني الجارية هذا البيت بأبيات تضم إليه وأجعل الكناية فيه
كأنما كانت عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال

فطيّب ريّاها المقام وضوّأت ٭ بإشراقها بين الحطيم وزمزما
فيا ربّ إن لقيت وجهاً تحيةً ٭ فحيّ وجوهاً بالمدينة سُهَّما
تجافين عن مسّ الدهان وطالما ٭ عصمن عن الحناء كفّاً ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى ٭ شنن عليه أو يجدن تيتّما
أهان لهن النفس وهي كريمة ٭ وألقى إليهن الحديث المكتّما
تسفّهت يوماً أن تميت بلابرها ٭ وتعوجلت دون الحلم أن تتحلّما
بعثت تعزّي إن رآها متنكّراً ٭ وتسأل عن صرفاً عن النطق أعجما
ونوم تقضّى للوداع وكلنا ٭ يعدّ جليداً الشوق من كان أحزما
نضرت بقلب لا يعنّف في الهوى ٭ وعين متى استمطرتها قطرت دما

وكان أبو دهبل من شعراء قريش وممن جمع إلى الطبع النحو واسمه
وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن
جمح وأمه بنت من بني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب وكان
أمّ جمح تيماً وأمّ أهيب بنت وهما ابنا عمرو بن هصيص واستعانا في
نفر ثم من الغابر فقيل جمح ثم سمي جمح فتقف عليهما بكر فقيل تيم
ثم سمي تيما فأما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل
يقال دهبل الرجل دهبلة إذا مشى مشياً ثقيلاً أخبرنا أبو عبيد الله
محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال
حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب
قال قيل لأبي عمرو بن العلاء رحمه الله ما يعجبك من شعر أبي دهبل
الجمحي فقال قوله

يا عمر حُمّ فراقكم عمرا ٭ وعزمت منا النأي والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو شرف ٭ يحمي الذمام ويكرم الصهرا
والله ما أحببت حبكم ٭ لا ثيباً خلقت ولا بكرا

إن كان هذا السحر منك فلا ٭ نزعي عليّ وجدّدي سحرا
أحذوه لي أو قد كلفت بها ٭ حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلاً إذا نطقت ٭ تركت بنات فؤاده صُعرا
كتساقط الرطب الجني من الـ ٭ أقناء لا نثراً ولا نزرا
وتقاكر بيكم عركت لها ٭ حتى أريد بها لك العذرا
وعربد شرككم محدّثه ٭ عمّا يحاول سعده لكم دهرا
قالت تقيم لنا التجربة ٭ يوماً نقيم عندها شهرا
سائل أبيكم لحاجة عرضت ٭ ألا أتى بي ركبكم غدرا
وإذا هممت برحلة جزعت ٭ وإذا أقمنا لم تفد نقرا
إني لأرضى ما قضيت به ٭ وأرى بحسن حديثكم شكرا

وذكر لي أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه ٭ حتى يذوق رجال غبّ ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم ٭ قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا

ويروى ضيقاً كضيق ووسعاً كالذي اتسعوا

وليت للناس خطّاً في وجوههم ٭ تبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشاً أبداً ٭ ووافق الحلم أهل الحلم فاتّدعوا

ولأبي دهبل في قتل الحسين بن علي عليهما السلم

تبيت النشاوى من أمية نوّماً ٭ وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيّع الإسلام إلا عصابة ٭ تأمّر نوكاها ودام نعيمها
وأضحت قناة الدين في كف ظالم ٭ إذا اعوجّ منها جانب لا يقيمها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا
أحمد بن يحيى قال روى لنا أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل ويروى أنها للمجنون

أأترك ليلى ليس بيني وبينها ٭ سوى ليلة إني إذاً لصبور
هبوني امرءاً منكم أضلّ بعيره ٭ له ذمّة إن الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة ٭ على صاحب من أن يضلّ بعير

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها	٥	إذا وليت حكماً علي تجور

وأنشد أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل وقد رواها أبو تمام لرجل في الحماسة

أقول والركب قد مالت عمائمهم	٥	وقد سقى القوم كأس النشوة السهر
بالله يا ثوبان يا حكتني	٥	عندي لأهلك طول الدهر
إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة	٥	منا ويحرمنا ما أنصف القدر

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أنشد لي

قول أبي دهبل

لو لم يكونوا لا هدى الله أمرهم	٥	ولم يلحقوا أتوا من الشر ينبح
لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا	٥	وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج

قول العجاج لابنه رؤبة لما استطال عمره وتمنى موته

لما رأى ليس طوائف	٥	استعجل الدهر وفيه كافي

تخترم الألف من الآلاف قال ومثله

علقت ابن عم لا يزال كأنه	٥	وإن لم أكن مستطيل على وتر
يعين علي الدهر والدهر مكتف	٥	وإن استعنه لا يعن على الدهر

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله

بن عبد الله بن طاهر

إلى كم يكون العتب في كل ساعة	٥	ولم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك إن الدهر فيه كفاية	٥	لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما وجه إعادة النفي لكونه عابداً ما يعبدون ولكونهم عابدين ما يعبد وهو كذلك من واحدة يغني وما وجه التكرار أيضاً في سورة الرحمن لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان الجواب يقال قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجهاً وهو أن قال إن القرآن لم ينزل دفعة واحدة وإنما كان ينزل شيئاً بعد شيء وآية فذلك ظاهر وكان المشركون أتوا رسول الله صلى الله

عليه

عليه وآله فقالوا لو استلمت بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤوه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً لنفعل مثل ذلك بإلهك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد أي إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال إنه يقتضي شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرط في قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد قال وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ما عطف عليه وهذا الطعن غير صحيح لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل وإن لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة أولها ما حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال فقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار لاختلافها ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزئون هم العاص بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكداً بلى بلى والممتنع لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وأنشد الفراء

وكاين وكم عندي لهم من صنيعة ... أيادي ثنوها علي وأوجبوا

فأنشد بيتا كم بمعنى كانت لكم كم وكم وقال آخر

تعوّل الغراب ببين ليلى غدية ... كم وكم وكم بفراق ليلى يشعق

وقال آخر أردت لنفسي بعض الأمور ... فأولى لنفسي أولى لها

والجواب الثالث وهو كلام عربينا أني لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله تعالى لكونكم لا تعبدونه إذا أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه وإنما يكون عابدا له تعالى من أخلص العبادة له دون غيره وأفرده بها وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله تعالى ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والأرض وما طحاها ونفس وما سواها أراد تعالى وطحيه إياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض وبما كنتم تمرحون يريد تعالى بفرحكم ومرحكم قال الشاعر

أيا ربع سلمى بالمنحنى ... بخيف سلع جادك الوابل

إن تمس قفرا فبما قد ترى ... وأنت معمور بها آهل

أراد فربما ترى معمورا آهلا ومعنى قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرنا. ولم يكن الكلام إلا لاختلاف المعاني وتلخيص ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم وما تدعونه من دون الله تعالى ولا أنتم عابدون إلهي فإن زعمتم أنكم عابدون إلهي فإنكم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمر بها تعبدونه فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ولا أنتم ثابتون على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي فإن قيل ما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتهما ولأنه أيضا

عبادتهما

كان يتقرب إلى معبوده تعالى بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلا أنها عبادة وقربة فإن قيل فما معنى قوله تعالى لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام يقتضي إباحتهم المقام على أديانهم قلنا في هذا الكلام وجوه أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها أنه تعالى أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه وثالثها أنه تعالى أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لأن أصل الدين هو الجزاء قال الشاعر

إذا ما لقونا لقيناهم ... ودناهم مثل ما يقرضونا

فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم

قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا طرد اليتيم عن الجزور

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا رجف العضاه من الدبور

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا خرجت مخبأة الخدور

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما أعلنت نجوى الأمور

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا خيف المخوف من الثغور

على أن ليس عدلا من كليب ... غداة بلابل الأمر الكبير

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما خار جار المستجير

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كنت فيه تحاول

ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقت ... صدور العوالي واستشال الأسافل

فنعم الفتى يا توب كنت لخائف	أتاك لكي يحمى ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا	ونعم الفتى يا توب حين تناضل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده	ويكثر تسهيدي له لا أوائل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده	ولو لام فيه ناقص الرأي جاهل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده	بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده	إذا كثرت بالملحمين التلاتل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما	ذكرت أمور محكمات كوامل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما	ذكرت سماح حين تأوي الأرامل
فلا يبعدنك الله يا توب إنما	لقيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدنك الله يا توب إنما	كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله يا توب والتقت	عليك الغوادي المدجنات الهواطل

فخرجت هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها على ما ذكرناه، وقال الحرث بن عباد وكان قاضي العرب

قربا مربط النعامة مني	لقحت حرب وائل عن حيال

ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه، وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير ترثي زوجها

وحدثني أصحابه أن مالكا	أقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني أصحابه أن مالكا	ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثني أصحابه أن مالكا	جواد بما في الرحل غير بخيل
وحدثني أصحابه أن مالكا	خفيف على الحدثان غير ثقيل
وحدثني أصحابه أن مالكا	صروم كماضي الشفرتين صقيل

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه، وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين، فإن قيل إذا كان حسن التكرار في سورة الرحمن لما عدده تعالى من الآلاء والنعم فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار

ونحاس

ونحاس فلا تنتصران وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فكيف يحسن أن يقول بعد ذلك فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس هذا من الآلاء والنعم، قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم لأن في ذلك زجرا عما يستحق به وبعثا على ما يستحق به الثواب وإنما أشار تعالى بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وكما أن كان في الجاهلية قبل الإسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غيره ويلتمسون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات والأعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن تستر بإظهار الإسلام وتحقن بإظهار شعاره والدخول في جملة أهله دمه وماله كانوا في الباطن زنادقة ملحدين وكفارا مشركين فمنعهم عز الإسلام من المظاهرة وألجأهم خوف القتل إلى المساترة وبلية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجأش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار كما حكي عن عبد الكريم بن أبي العوجاء أنه لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن بمفارقة الحياة قال لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن أبي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الأزدي وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء

ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم كثيرا فقد أقلّهم الله عزّ وجلّ
وأذلّهم وأرذلهم بما شهدت به دلائل الحق الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم
من الضعف والانهتام من الشبه ونحن نذكر من أخبارهم كل واحد
ممن ذكرناه وشيئا من شعره ونومي منها إلى الجمل والنبذ لأنا
لا نكاد نشتغل بذلك وإن كانت عادتنا بغيره أقوى مسألة من نريد
إجابته ونؤثر موافقته تكلفنا من أجل ذلك ما يرغب في حال من فائدة
تقع عليها وبنا ذئب لانتهابها وحفظها **أما الوليد بن يزيد** فكان
مشهورا بالإلحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحكاما
ولا مراقب فيه كثيرا وفي الحديث أنه ولد لأخي أم سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وآله
سميتموه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد
هو شرّ على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الأوزاعي فسألت الزهري
عنه فقال إن استخلف الوليد بن يزيد وإلا فهو الوليد بن عبد الملك
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا محمد
بن يزيد النحوي قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن
يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف
فقال بعض المجّان لقد رأيت المجوسي فوق الكعبة وهو يسقى من
الكأس العنبر لم تمس تلك الليلة حتى وأنا أحمر بقتل الوليد وأخبرنا
أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن يحيى العسكري عن أبي
إسحاق الطلحي قال حدثني إبراهيم بن إسحاق بن إسماعيل عن أبي العالية الشامي عن بعض
أهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي نشدت
الله رجلا سمع شيئا من الوليد إلا أخبرني به فقام إليه رجل فقال

أشهد لقد سمعته يقول

اسقياني وابن حرب	واسقياني بإزار
واتركا من طلب الجنة يسعى في خسار	

شاء سوس الناس حتى	يركبوا دين الحمار

وأخبرنا المرزباني قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثنا
محمد بن مكحول قال نشر الوليد يوما المصحف وكان خطه كأنه أصابع

وجعل يرميه بالسهام ويقول

تذكرني الحساب ولست أدري	أحقا ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعني طعامي	وقل لله يمنعني شرابي

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ويكفر من هذه الجرأة على الله
وسبيلا طويلا وما أقدر الله تعالى أن يمنعه طعامه وشرابه
ويحيا تردّيه أولا الليمين بأليم العقاب وشديد العذاب لولا ما تم
به المحنة ويتمحص به التكليف من تأخير المستحق من الثواب والعقاب
وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصي أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني
قال حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقا وإنه افتتح
المصحف يوما فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف

غرضا ورماه بالسهام حتى مزقه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد	فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر	فقل يا رب خرقني الوليد

ويروى فإن لاقيت **فأما حماد الراوية** فكان منسلخا من الدين
زاريا على أهله مدمنا لشرب الخمور كان يكتب المجوس قال عمرو بن بحر
الجاحظ كان سعيد بن زياد الهلالي ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحفص
ابن أبي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن فروة وحماد عجرد
بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان وقاسم بن الحجاج
وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي
وبشار بن برد المرعث وأبان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر
ويهجو بعضهم بعضا وكلهم كان متهما في دينه وعمل يونس بن أبي فروة
كتابا في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه وصار به إلى ملك الروم

ثم لا عجب بالنبوة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

فأخذ برشته مالاً وقال أحمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو حماداً الراوية

نعم الفتى لو كان يعرف ربه	ويقيم وقت صلاته حماد
بسطت مشافره الشمول فأنفه	مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه	فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنك بزه ولسانه	إن المجوس يرى لها آساد

وكان حماد الراوية مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسه في أشعارهم حتى إن كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد حماد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وإن لم يكن دالاً على الإلحاد فهو فسق وتهافت بالكذب في الرواية فأما حماد بن الزبرقان فنحو طريقته في التهتك حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال كان حماد بن الزبرقان وأبو الغول النهشلي على أمر لم يكونا يتفارقان فتنسك أبو الغول فلم يزل المفضل به حتى أجابه وانطلق معه فلما رجع إلى المفضل قال لم ما صنعت أنت وحماد قال اصطلحنا على الأمر بالصلاة ولا يدعوك إلى شرب الخمر أنشد المفضل قوله

نعم الفتى لو كان يعرف ربه … وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأولى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية فأما حماد عجرد فشهرته في الضلال أكثر من شهرة الحمادين وكان يرمى مع ذلك بالثنوية أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا علي بن عبد الله الفارسي قال حدثني أبي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني الشريك بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا أبا علي أما إني قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا يا أبا معاذ قال بقولي فيه

يا ابن نهيا رأس علي ثقيل	واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيري إلى عبادة ربين	فإني بواحد مشغول

فقلت له أنشدني أبو عمرو قلت قد بلغ حماداً هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت

فادع غيري إلى عبادة ربين	فإني عن واحد مشغول

قال بشار أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال إني لأحسبك لا تكتم أحداً هذين البيتين وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي أخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال قال بشار بلغني أن رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد على ما تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول فمقته الناس على هذا وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشاراً بالقبح لأنه كان عظيم الجسم مجدوراً طويلاً جاحظ العينين قد تغشاهما لحم أحمر فقال حماد فيه

والله ما الخنزير في نتنه	بربعه في النتن أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه	ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه	ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده	وجنسه أكرم من جنسه

قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذاك قال أما أراد الزنديق إلا قول الله سبحانه لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فأخرج الجحود به مخرج الهجاء قال المرتضى رضي الله عنه وهذا حسن من بشار وتغلغل شديد لطيف وأقول من جعل في الإلحاد تأكيداً للوصف بين أخرج ذلك مخرج المبالغة مساوياً لقول في حماد عجرد يقال [illegible] ما بي [illegible] حاكياً لك لما قلنا كان زنديقاً أنت العبادة والتوحيد منتحلاً وأما البرقي فنهج [illegible] فأما ابن المقفع فإن جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال ما وجدت كتاب زندقة قط

وأسلم ابن المقفع ويقال ان شيرة لحدثني من سمع ابن المقفع وقد
مرّ ببيت نار للمجوس بعد أن أسلم فلمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي أتعزل … حذر العدى وبه الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصدود وإنني … قسماً إليك مع الصدود لأميل

وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقال
الأخفش الصحيح أنه يرثي بها ابن أبي العوجاء

رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله … فلله ريب الحادثات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا … ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
لقد جر نفعاً فقدنا لك أننا … أمنا على كل الرزايا من الجزع

قال وهذا البيت الأخير يدل على مذهبهم في أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير وأخبرنا محمد بن علي الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن أحمد يحب أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر من علمه قال المغيرة فصدقا أدى عقل الخليل إلى أن مات أزهد الناس وجهل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أماناً لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جداً وخاصة أمر البيعة فكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبي وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع سعة علمه حسن الكلام فصيح العبارة له حكم وأمثال مستفادة من ذلك ما روي أن يحيى بن زياد الحارثي كتب إليه يلتمس معاقدة الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء فأخر جوابه فكتب إليه يحيى إن الإخاء رق فكرهت أن أملكك رقي

قبل أن أعرف حسن ملكتك وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فإن ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول إذا نزل بك أمر مهم فانظر فإن كان مما له حيلة فلا تعجز وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي إلى الغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلاً قال ولم قال لأني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار وكتب إلى بعض إخوانه أما بعد فتعلم العلم ممن هو أعلم به منك وعلّم من أنت أعلم به منه فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فإن ذلك هو العي الأكبر وقال لآخر عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد ما لا تثق بإنجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض إخوانه إذا صاحبت ملكاً فاعلم أنهم يسرعون إلى قلة الوفاء فلا يتصرفن قلبك ما استطعت فإنه لم يضمر أحد قلبه شيئاً إلا ظهر على لسانه تحيفاً وعلى وجهه إن كان حليماً وكان يقول إن مما يسخي بالمرء عن الدنيا علمه بأن الأرزاق لم تقسم فيها على قدر الأخطار

فأما ابن أبي العوجاء فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بتزوير في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأحاديث كذب بها ويكنى أبا عبد الكريم فقال لصاحبه لو كنت هذا عليه قال لأني لا أبرأ قال فقد أنشأت مصحفاً سرق ولعنت ربه

قل لعبد الكريم يا ابن أبي العوجاء … بعت الإسلام بالكفر موقا
لا تصلي ولا تصوم فإن صمت … فبعض النهار صوماً رقيقا
لا تبالي إذا أصبت من الخمر … عتيقاً ألا يكون عتيقا
ليت شعري غداة حليت في الجيد … حنيفاً حليت أو زنديقا

فأما بشار بن برد فرفعه المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب إلى أنه ثنوي فقال بشار ليس هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة قال المبرد ويروى أن بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأي إبليس في الامتناع من السجود لآدم ويروى له

النار مشرقة والأرض مظلمة	ه	والنار معبودة مذ كانت النار

وذكر بعض أصحابه قال كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم إلى الصلاة أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي قال أبو محمد ... عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد فكان يقول لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما أظن الأمر يا أبا خالد إلا كما يقال أخذ لا ولذلك أقول

طبعت على ما فيّ غير مخيّر	ه	هواي ولو خيّرت كنت المهذّبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد	ه	وقصّر علمي أن أنال المغيّبا
وأصرف عن قصدي وعلمي مقصّر	ه	فأمسي وما أعقبت إلا التعجّبا

قال الجاحظ كان بشار يتعصب لواصل بن عطاء الغزال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار يمدح واصل بن عطاء ويذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا	ه	وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلي بداهته	ه	كمرجل القين لمّا حفّ باللهب
وجانب الراء لم يشعر بها أحد	ه	قبل التصفّح والإغراق في الطلب

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء

ويجعل البرّ قمحاً في تصرّفه	ه	وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله	ه	فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال المهري بشار مذهبه هتف بواصل فقام بذكره وتكفيره ونقده فقال فيه بشار

ما لي أشايع غزّالاً له عنق	ه	كنقنق الدوّ إن ولّى وإن مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم	ه	تكفّرون رجالاً كفّروا رجلا

فلما تتابع على واصل ما شهد بإلحاده قال عند ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنّف المكنّى بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي فعدل واصل بن عطاء عن الضرير إلى الأعمى ومن الكافر إلى الملحد ومن المرعث إلى المشنف ومن بشار إلى أبي معاذ ومن الفراش إلى المضجع فعدل عن قولهم ومن أرسلت إلى ... ومن داره إلى المنزل ومن المغيرية إلى الغالية ومن يبقر إلى يبعج والأشبه أن يكون مقصوداً وما ذكرناه قد تنفق أسماؤه غير عدول عن استعمال الراء فأما قوله لا يتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي فلأن بشاراً كان مولى لهم وذكره بني سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشار بالمرعث فقيل فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه لقب بذلك لبيت قاله وهو

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر	ه	لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر

والقول الثاني أنه كان لبشار ثوب له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وكان إذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه فشبه اشتماله بالجيبين المنوطين بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعث وهذا هو القول الثالث وقال أبو عبيدة إنما سمي المرعث لأنه كان يلبس في صباه رعاثاً وكان بشار مقدماً في الشعر جداً حتى أن كثيراً من الرواة يفضّلونه على كثير ممن تقدم عصره عليه من المحدثين أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكري قال قيل لأبي حاتم من أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مبسم كغرّ الأقاحي	ه	وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبّة القلب	ه	ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقائي وعندي	ه	زفرات يأكلن صبر الجليد

بشّار بن برد فأتى بشّار وكان يقدّمه على جميع الناس وكان بشّار قال

بني أميّة هبّوا طال نومكم	۵	إنّ الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا	۵	خليفة الله بين الزقّ والعود

فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان سببا لقتله. فأما مطيع بن إياس الكناني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمّه يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب عن إياس المازني قال أخبرني أبي قال رأيت بنتا لمطيع بن إياس فأتي بها أيام الرشيد فأقرّت بالزندقة وقرأت بنا وقالت هذا شيء علّمنيه أبي فسرّ الرشيد بتوبتها وتيقّنها فردّها إلى أهلها. وقال محمد بن داود بن الجرّاح في أخبار مطيع بن إياس إنه كان يرمى بالزندقة ويقال إنه لمّا حضرته الوفاة الحاضرين من أهل بيته فجعلوا يقولون له قل يا مطيع لا إله إلا الله فلا يقول حتى إذا سارت روحه في نحره نفس نفسا ثم أفاق فقالوا له قل لا إله إلا الله فتكلّم كلاما ضعيفا فتسمّعوا فإذا هو يقول كيف نمشي على الرمان في أيّ زمان دهتني الأيمان حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الجلاء والريحان. قال المرزباني وهذا الحديث يفسّر الهيثم بن عدي. فأما يحيى بن زياد الحارثي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف بالزندقة وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحيى لأنه كان ظريفا وهذا المعنى قصده أبو نواس بقوله شيء مفرط الظرف زنديق فأما الصولي فإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يرعوي عن شيء ولا يمتنع مما يدعو إليه نفسه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء وقد قرّ حلالا وحرامه

	أنشد ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه	

قل لا إله إلا الله فقلت	۵	لم يبق إلا الغيظ والأجل
ثم أغمي عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال		وبلا زال يعلي بالمراجل

ودوو

وذكر أن حمّاد عجرد هجا يعقوب بن داود على لسان بشّار وكان يكتب على ظهور الكراريس لبشّار: بني أميّة هبّوا طال نومكم البيتين فجاء يعقوب إلى المهدي وقال إن هذا الأعمى الزنديق هجا أمير المؤمنين فقال بأيّ شيء قال فقال إني والله لا تحرج أن أتفوّه به فأحضره الخليفة وألحّ عليه فقال لا قال خليفة يزني بعمّاته يلعب بالدبوق والصولجان أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى في حرّ الخيزران فأمر بقتله وقيل إنه إنما دلّ عليه قوله في الغزل لا يؤيسنّك من مخدّرة قول مغلّظة وإن جرحا عسّر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا فذكر أنه قذف نساء المسلمين فأوجبوا عليه القتل. تفسير العلّة يلعب بالدبوق إلى البين بالدبوق كتور لعبة معروفة ودسّ موسى المراد به موسى الهادي ابن المهدي أخو الرشيد وكان خليفة قبل الرشيد والخيزران أمه وكان وليّ العهد للمهدي بعد أبيه فلمّا أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى الهادي في فرج أمّه الذي خرج منه وكان وليّ العهد للمهدي

أبو العباس السفاح أول خليفة كان من خلفاء بني العباس

الغبيط خشبة الرحل والجمع غبط وإنما سمّي غبيطا لاغتباطه على ظهر البعير أي لزومه ومنه حمّى مغبطة

ويحيى بن محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إياس يرثي يحيى بن زياد وكان أخا خاصّا

	جمّع عامريني بالخروج عن المنزل	
يا أهل بكّي لقلبي القرح	۵	وبالدموع الهوامل السفح
راحوا بيحيى إلى مغيبه	۵	في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ		أقدار لم يبتكر ولم يرح
يا خير من يحسن البكاء له	۵	اليوم ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد	۵	أديل مكروهنا من الفرح

	ولمطيع يرثيه	أي غلب المكروه على السرور

أنظر إلى الموت كيف بادهه	۵	والموت يقدم أمه على البهم
لو قد تدبّرت ما شعرت به	۵	فرعت سنا علينا من ندم
فاذهب بمن شئت إذ ذهبت به	۵	ما بعد يحيى للرزء من ألم

فأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية وتقول إن أبا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم يا صالح فقال أستخير الله وأقول بالاثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لا أم لك. وتوفي ابن لصالح فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظّام وهو غلام حدث كالمتوجّع له فرآه منحرفا فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك وجها إذا كان الناس عندك كالزرع قال يا أبا إسحاق إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك قال وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شكّ فيما كان حتى يتوهّم أنه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظنّ أنه كان قال فشكّ أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت وإن كان قد مات وشكّ أيضا في قراءته كتاب الشكوك وإن كان لم يقرأه. يقال فقد أفحم صالح ومن هذا المعنى قول أبي الهذيل يرثي صالحا إن الحزن إذا ضاق به كما توفي ابنه وصل سنة لسبكيه ذنوب. وروي أن صالحا كان يصلّي صلاة تامّة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنّة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد. وقتله المهدي على الزندقة شيخا كبيرا فلما قدّم للقتل قال له اقرأ علي كتاب الزندقة فقرأه فقال له صالح أو تعرف ذلك يا أمير المؤمنين إذا أقرّ بما قال لا قال أفتقتلني على ما لا تعرف قال فإني أعرف فقال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك أقرأه ولست بزنديق وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة أن صالحا لما نوظر فيما قرف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي ألست القائل وحفظه

قال له

يزيد بن المبرد قال

فما انت علم رب شيء كتمته فكأني	أخرس او ثنى لساني خبل
لو اني أبذيت للناس علمي	لم يكن لي في غير حبسي أكل

فقال صالح فانا اتوب وارجع فقال هيهات انّى للشيخ الغافل

والشيخ لا يترك عاداته	حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله	كذي الضنا عاد الى نكسه

ثم قدّم فقتل فصلب على الجسر بعد ذكر شعره وهو في الحبس

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها	فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا دخل السجان يوما لحاجة	عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجلّ حديثنا	اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلى وابطأت	وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى
طوى دوننا الاخبار سجن ممنع	له حارس تهدا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل	من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى
~~طوى دوننا الاخبار سجن ممنع~~	~~له حارس تهدا العيون ولا يهدا~~
الا احد يدعو لاهل محلة	مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

قال المرتضى رضي الله عنه واخذ ابن الجهم لفظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس

بيت يجدد للكريم كرامة	ويزار فيه ولا يزور ويحفد

فاما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان علي بن الخليل مولى ليزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي متهم بالزندقة فظفر به الرشيد فهمّ بقتله على الزندقة فانشده قصيدا طويلا فرقّ له الرشيد ووصله وروى الفضل بن الربيع انه لما قعد الرشيد للمظالم دخل شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب ومعه قصيدة فاشار بها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المؤمنين انا احسن قراءة لها من غيري فأذن لي في قراءتها فقال افعل فلما رأى شيخا كبيرا ولا الحرمة الاسطوانة فاذا انت فأنت رأيت ان تأذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشأ يقول

يا خير من وخدت بأرحله	نجب الركاب بمهمه جلس
تطوي السباسب في أزمتها	طي التجار عمائم البرس
لما رأتك الشمس طالعة	سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير الخلائف انت كلهم	في يومك الماضي وفي امس
وكذاك لا ينفك خيرهم	تمسي وتصبح فوق ما تمسي
من عصبة طابت ارومتها	اهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع مجدهم	ومع الحضيض منابت الغرس
اني نحلت اليك من فزع	كان المتوكل عنده ترسي
ماذاك الا انني رجل	اصبو الى بقر من الانس
بقر اوانس لا قرون لها	يقتلن بالتطويل والحبس
ولقد نهانا الغيّ بينهم	صهباء مثل مجاجة الورس
للماء فيها حين تمزجه	نظم كنظم الحلي في العرس
والله يعلم في بقيته	ما ان اضعت اقامة الخمس

فقال له الرشيد من انت قال علي بن الخليل الذي يقال له الزنديق قال انت آمن وكتب الى حمدويه ان لا يعترض له قال المرتضى رضي الله عنه ومن تركنا ذكره من هؤلاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه البلية اشهر وامره فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلالة والمعاندين للحق بحسب ما شكلنا فنحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن كلامهم ليعلم الفرق بين من ربحت تجارته وخسرت صفقته فقد كان مثل ذلك ايضا

بيان اصول التوحيد

اعلم ان اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام امير المؤمنين صلوات الله عليه وآله وسلم وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه عليه السلام علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروي عن الائمة من ابنائه عليهم السلام من

اولاده

ذلك ما لا يكاد يحصى لما يجاله كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه
من مظانه اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة
ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روي
عنهم عليهم السلم في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن امير المؤمنين
عليه السلم انه قال وهو يصف الله عز وجل بمضادته بين الاشياء علم
ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة
والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متعاديها
مفرق بين متدانيها وروي عنه عليه السلم انه سئل بم عرفت
ربك قال بما عرفني نفسه قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس
ولا يقاس بقياس الناس وقيل له عليه السلم كيف يحاسب الله الخلق
قال كما يرزقهم وقيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه
وسأله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق السماء والارض فقال عليه السلم
اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابي عبد الله الصادق
عليه السلم انه سأله بعض الملحدين فقال له هل رأى رسول الله صلى الله عليه
وآله ربه فقال رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه حدق الناظرين (ابصار)
ولا يحيط به اسماع السامعين وعن صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة
المحدث على ابي الحسن الرضا عليه السلم فسأله عن اشياء من الحلال والحرام
والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا
ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى الكلام ولمحمد عليه السلم الرؤية
فقال الرضا عليه السلم فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس
انه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله
شيء اليس محمد صلى الله عليه وآله قال بلى قال فكيف يجيء رجل الى
الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله سبحانه يدعوهم اليه بامره ويقول
لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء ثم يقول انا رأيته بعيني
واحطت به علما اما تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون

يأتي عن الله تعالى بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد
رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال عليه السلم ان بعد هذه الآية ما
يدل على ما رأى حيث يقول تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد
فيما رأت عيناه ثم اخبر تعالى بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
فآيات الله تعالى غير الله عز وجل وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما
فاذا رأته الابصار فقد احاطت به العلم فقال ابو قرة افتكذب بالرواية فقال
الرضا عليه السلم اذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها وما اجمع عليه المسلمون من انه لا يحاط
به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء وان اعرابيا سأل ابا جعفر محمد بن علي
عليهما السلم فقال له هل رأيت ربك حين عبدته فقال عليه السلم لم اكن
اعبد شيئا لم اره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بمشاهدة العيان
بل رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس
بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله
الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسالاته وروي
ان شيخا حضر صفين مع امير المؤمنين عليه السلم فقال له اخبرني
يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله وقدر فقال
له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا
ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي
عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن ان لي اجرا في سعيي
اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال عليه السلم نعم يا اخا اهل الشام ان
الله تعالى قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم
وانتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين
ولا عليها مجبرين فقال الشامي كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما
كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلم ويحك يا اخا اهل الشام لعلك
ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب
وسقط الوعد والوعيد والامر من الله تعالى والنهي وما كان المحسن اولى

بأولى الإحسان من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله تعالى أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتب إلى عباده عبثا ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان كان سيرنا بهما وعنهما كان مصيرنا فقال الأمر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان أمر الله قدرا مقدورا فقام الشيخ فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال وقال فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين وأنشأ يقول

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته	يوم الحساب من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا	جزاك ربك بالإحسان إحسانا

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فسلمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى عليه السلام في دهليزه قاعدا في مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يضع الغريب منكم إذا أراد ذلك فنظر إلي ثم قال اجتنب شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية الدور والطرق النافذة والمساجد وارفع وضع بعد ذلك حيث شئت فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر إلي ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعا فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعل وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

معرفة ايات

آمرنا

بعدها

متى يكن يشكوا بالرب ذو سفه ... ملقى له
كم نرجا وبيانا ... نفسي الفداء لخير الناس كلهم
بعد النبي علي الخير مولانا ... من اهل بيت رسول
الله كلهم ... تعطي مواهبه سرا وإعلانا

وقد نظم هذا المعنى بشعر أفضل

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم لها	إحدى ثلاث خلال حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها	فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها	ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها
سيعلمون إذا الميزان شال بهم	أهم جنوها أم الرحمن جانيها

فأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فيقال إن أم سلمة كانت تأخذ الحسن إذا بكى فتسكته بثديها فكان يدر عليه فيقال إن الحكمة التي أوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن شهير قوله بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعنا الحسن يقول من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسودا وجهه ثم قرأ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال داود بن أبي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا أو جله مأخوذ لفظا ومعنى أو معنى دون اللفظ من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام فهو القدوة والغاية فمن ذلك قوله عليه السلام شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شيء في الدنيا والآخر أقل شيء في الدنيا العبر والاعتبار وقوله عليه السلام الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من أحدهما قربا ازددت من الآخر بعدا وقوله شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر حزن وقوله في كلام له أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت إليك بل

ترجمة احوال الحسن البصري

علي بن الجعد ... الحسن ... مات سنة ... ومائتين والحسن مات سنة عشر ومائة وولد علي بن الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة ... ام المؤمنين ... ابن ... طاب ... كذا به

قوله من صح فيها أمن أي أمن من الموت ... ومن مرض ندم على فعله ما يوجب المرض باعتقاده أو على ما سلف من المعاصي ولم يزد الطاعة كذا به

متى عهدتك أمضاجع آبائك من الثرى أم منازل أمثالك من البلى كم مرضت
بكفيك كم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء مثلت
لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال المرتضى رضي الله عنه فهذا
بابان ونحناه اعترفنا من نسيج بحر زاخر أو ثوب تمام سابغ وكل قول
لقائل في هذا الباب إذا نسبت إلى هذا الباب أو قويس به كان كالحصاة في
القطرة إلى الغمرة والحصاة إلى الجمرة وإنما أشرنا إليه إشارة وأومأنا
إليه إيماء ثم نعود إلى ما كنا فيه يروى أن أعرابيا سمع كلام الحسن البصري
فقال الحوس فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ وروي أن الحسن تلا يوما
إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ثم قال إن قوما
غدوا في المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الإمارات ويضيعون
الأمانات يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم
من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة أهزلوا دينهم وأسمنوا براذينهم
ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين
يتكي أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو
بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى إذا أخذته
الكظة تجشأ من البشم ثم قال يا جارية هاتي هاضوما يهضم طعامي يا
أحيمق لا والله إن تهضم إلا دينك أين جارك أين يتيمك أين مسكينك
أين ما أوصاك الله تعالى به وذكروا الحجاج فقال أتانا أخيفش
أعيمش له جميمة يرجلها وأخرج إلينا بنانا قصارا والله ما عرق
فيها عنان في سبيل الله تعالى فقال بايعوني فبايعناه ثم رقي هذه الأعواد
ينظر إلينا بالتصغير وننظر إليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف ويجتنبه
وينهانا عن المنكر ويرتكبه قال علي بن عمر قال الحسن
إن هذه القلوب طلعة فاقدعوها فإنكم إن تطيعوها تنزع بكم إلى شر
غاية وحادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدثور قال علي بن عمر
فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته وكان يقول

في بعض كلامه ما أنكرت أن ترى أحدهم أبيض بضا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه
يقول ها أنا فاعرفوني قال البض هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على
ما يظنه قوم لأنه قد تكون الرخاصة مع الأدمة والسمرة وأما قوله يملخ في الباطل
ملخا فالملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس إذا لعب قال رؤبة يصف كلابا
معترم التجليح ملاخ الملق   والمذروان فرعا الأليتين
قال عنترة أحولي ينفض استك مذرويها   لتقتلني فها أنا ذا عمارا
قال ابن قتيبة قال ابن السكيت زاد عليه غير المذروان فرعي الأليتين
حسب بل هما الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أصدريه
ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه وذكر أنه سمع رجلا من فصحاء
العرب يقول قنع الشيب مذرويه يريد جانبي رأسه وهما فوداه وإنما
سميا بذلك لأنهما يذريان أي يشيبان والذرى الشيب قال وهذا أصل
الحرف ثم استعير للمنكبين والأليتين والطرفين من كل شيء قال أمية بن أبي
عائذ الهذلي يذكر قوسا
على عجس هتافة المذروين   زوراء مضجعة في الشمال
أراد قوسا ينبض طرفاها قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكره الحسن
بأنه يحرك أليتيه ولا من شأن من يتبختر ويتيه على نفسه ويقول ها أنا ذا
فاعرفوني أن يحرك أليتيه وإنما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف
به البذخ المختال وقد ماق لو جاءنا ينفض مذرويه إذا تهدد وتوعد
لأنه أراد أنكر وحرك رأسه ينفض قرونه وفوديه وهما مذرواه قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه وليس الذي ذكره أبو عبيد ببعيد لأن من شأن المختال
الذي يزهى بنفسه أن يهتز ويتثنى فتتحرك أعطافه وأعضاؤه ومذرواه
من جملة ما يهتز ويتحرك منه لأنهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز
وإنما خص المذروين بالذكر مع أن غيرهما يتحرك أيضا على طريق التنبيه
على هذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يتبختر
أن يحرك أليتيه ليس بشيء لأن الأغلب من شأن المختال البذخ الاهتزاز

وتحريك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل
شيء عندان يحرك رأسه وينفض يده تعبيرا فاذا قال ان ذلك في الاغلب
والاكثر قيل له مثل ذلك وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعا جمعا سرطا
سرطا جمعا في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل
مات فافضى والله الى الآخرة وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم
الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة
لبادي الضعف قريبة الحتف وكان يقول ما اطال احد الامل الا اساء العمل
وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى فناء فخذ من فنائك
الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول اذا رأيت رجلا
ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة وسأله رجل ما حالك فقال بأشد
حال فما حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به
وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان
عملك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وفي خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك
مدادهما ولسانك قلمهما وروى ابو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن
هبيرة واليا على العراق نزل واسطا فبعث الى الشعبي والى الحسن البصري
فقال لهما يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه واخذ علينا الميثاق وقد
اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا وعهود آبائنا صفقة ايدينا فوجب
علينا السمع والطاعة وانه يبعث الى عهودكم من قبلي بانه لا امر لا يزال
يبعث الينا في القوم نقتلهم او في الضياع نقبضها وفي الدور نهدمها
فتولينه من ذلك ما ترياه فاما الشعبي فقال قولا فيه
بعض اللين واما الحسن فانه قال له يا عمر اني انهاك عن الله تعالى
ان تتعرض له فان الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله تعالى
انه يوشك ان ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك
من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان
انما جعل ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم

بما فيه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل ذكره ويذكر عن الشعبي انه
قال كان والله الحسن اكرمنا علينا وحدثنا ابو بكر بن عياش قال قال
مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت
به فانه عظني قال ما اولئك قط قال نعم قال فانك تحب ان يؤتى اليك فأت الى من
وليته وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطائي ام ادعه حتى آخذ
من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس
من الحسنات يوم القيامة وولد للحسن غلام فهنأه بعض اصحابه فقال
الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا انا
هلكني وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعي له سعيا ولا بكدي له في الحياة كدا
اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من
فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن من شؤم الشراب الا انه عاد الى
احب خلق الله فأفسده لكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل وعزى جارا له
يهوديا فقال له جزاك الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احدا من اهل
ملتك فقد اخلص منه ما يلحقك لانه لم يرد به الثواب الذي لا يستحقه الكفار
واراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب
وكان الحسن يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل البدع
والاهواء غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة وقال في قوله تعالى ربنا
آتنا في الدنيا حسنة قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن
في جنازة معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا فهم الرجل
بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك
في دينك وذكرت عنده الدنيا فقال

أعلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان يتمثل

اليوم عندك دلها وحديثها ... وغدا لغيرك كفها والمعصم

وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من خضراء واسط نادى في

الناس ان يخرجوا معه الى الزابوقة فخرج الناس وخرج الحسن واجتمع
على الناس فقال يا اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا
باخبث الاخبثين وافسق الافسقين فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل
الارض فغروك ثم قال ان الله تعالى اخذ الميثاق الذي اخذه على اهل العلم ليبيننه
للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهو
حولكم الله ليقوم عبيد من عبيد اهل البصرة فيكلم فيما تكلم به ولا يكون عند
احد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذلك اصلحك الله قال انا والله لاشفينا ثم فقال
على به وامر بالسيف والنطع فاحضرا وبعث اليه فلما دنا الحسن من الباب
حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج هيهنا واجلسه
قريبا من مفرشه ثم قال له ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول
من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى لفرعون اذ قال له فما بال
القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي
وعثمان عند الله تعالى فقال له انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا بغالية
فغلف بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال له يا ابا سعيد والله
لقد دعاك لغير ما فعل بك ولقد احضر السيف والنطع فلما اقبلت ورايتك
فلما حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي
في شدتي ويا وليي في نعمتي ويا الهي واله آبائي ابرهيم واسمعيل واسحق و
يعقوب ارزقني مودته واصرف عني شره ومعرته ففعل ربي عز وجل
ذلك وكان الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة وقلد
سيفا يعني الحجاج وروى ابو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد
ان الشيعة تزعم انك تبغض عليا عليه السلم فاكب يبكي طويلا ثم رفع راسه
فقال لقد فارقكم بالامس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه
رباني هذه الامة وذو شرفها وفضلها ذو قرابة من النبي صلى الله عليه واله
قريبة لم يكن بالنومة عن امر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة
من مال الله اعطى القرآن عزائمه فيما له وعليه فاشرف منها على رياض

قريبة حول

الحجاج م

مونقة واعلام بينة ذاك علي بن ابي طالب يا لكع وكان الحسن اذا اراد ان
يحدث في زمن بني امية عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب قال قال
ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا اوله لينبغي ان يحذر
منه وان امرا هذا آخره لينبغي ان يزهد فيه وعن حميد الطويل قال خطب
رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه فاثنيت
عليه يوما وقلت وازيدك يا ابا سعيد ان له خمسين الفا قال قلت له خمسون
الفا ما اجتمعت من حلال فقلت يا ابا سعيد والله ما علمت لورع مسلم فقال
ان كان جمعها من حلال لقد ضن بها على حق الله والله لا يجري بيني وبينه
صهر ابدا وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلم قال الحسن البصري ليس
العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا فقال عليه السلم
انا اقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا وانما العجب ممن هلك كيف هلك مع
سعة رحمة الله وراى عليه السلم يوما الحسن البصري وهو يقص عند الحجر
فقال اترضى يا حسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال
لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت
قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف مجلس واصل بن عطاء ومن
تظاهر واشتهر بالقول بالعدل واصل بن عطاء الغزال ويكنى ابا حذيفة
ويقال له مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم ويروى
انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين
وقيل انه كان يجلس في الغزالين عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال
وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف النساء المتعففات
من النساء فيجري صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص
بن سليمان بالخلال وهو وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما
كان منزله بالكوفة يقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالا وكما سمي
ابو علي الجوماري وهو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل
في بني الجومار وابرهيم بن يزيد الخوزي وليس بخوزي ولكنه كان ينزل

ذلك م

في بعض النسخ القديمة ان امرا هذا اوله ... مقدم ولا تفاوت

عن حميد حول

في الجرجان وابرهيم بن يزيد الخوزي ولكنه كان بمكة
يبيع الغزل وابو سعيد المغربي الاثرم بالمقابر وكان واصل الثغ
قبيح اللثغة وكان يخلص كلامه من الراء فيعدل عنها في سائر محاوراته
وقد ذكرنا طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو الحسن البرذعي
المتكلم ان انسانا سال عمرو بن عبيد فقيه عن شيء في الغضب بحضرة واصل
بن عطاء فتكلم السائل في شيء اغضب عمرا فاجابه عمرو بجواب لم يرضه
واصل فقال له واصل اياك واخويه الغضب فانهما سببه منه والشيطان
يكون سهما وليس تصا عنهما همزة وقد امر الله عز وجل على نبيه ان
يستعيذ من همزات الشياطين وان يحضرون بقوله اعوذ بك من همزات
الشياطين الى خاتمة الاية فقلت شاهدت احدا اعجب فتعجبت في جواب
وما يطلق به لسانه فلحقه لوم كرهه لم فرغ انظر الى واصل كيف
كلم عمرا فاخرج الراء من كلامه فقال موضع قوله والشيطان همزها
يكون سهما وقال وقد وعظ الله نبيه ولم يقل امر فقال وان
يحضرون بدلا من قوله يحضرون ثم قال الى خاتمة الاية ولم يقل
الى اخر الاية قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومما لم يذكره
انه عدل عن افتتاح الاية من اجل الراء ايضا لان اولها وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها اوجب
من حيث ابتدائها لا سيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية
الدعاء والاستعاذة وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس
فقال الند الجواد وقال له اخر كيف تقول ركب فرسه فجر رمحه
فقال استوى على جواده وسحب عامله وذكر ابو الحسين الخياط انه
كان من اهل مدينة الرسول صلى الله عليه واله ومولده سنة ثمانين
ومات سنة احدى وثلثين ومائة وكان واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله
بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي ابا محمد
عليه السلم وذلك غلط لان محمدا عليه السلم توفي سنة ثمانين او احدى

وثمانين

وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين وواصل هو اول من اظهر المنزلة
بين المنزلتين فان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل الصلوة على
اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان
وكان الحسن واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق
غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن
ثم تلاسنا فجمع بينه وبين واصل ليناظره من القول بالمنزلة بين المنزلتين
فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه
الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان
في عنقه طول واعوجاج فقال ارى عنقا لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل
فلما سلم عليه قال يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي
بين الصنعة والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت
فاحسنت ولن اعود الى مثل الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسأله
ان يكلم عمرا فقال واصل لعمرو لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلوة
استحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله عز وجل والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
واولئك هم الفاسقون ثم قال في موضع اخر ان المنافقين هم الفاسقون
فكان كل فاسق منافقا اذ كانت الف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق
فقال له واصل اليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون واجمع اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق
اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا كان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة
كافرا بقوله تعالى والكافرون هم الظالمون فعرف بالف ولام التعريف
اللتين في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
كما كانتا في الفاسق واولئك هم الفاسقون فسميته منافقا لقوله
تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال واصل يا ابا عثمان
ايما اولى ان يستعمل في اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق

من أهل القبلة أو ما اختلف فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه أولى
فقال له واصل أليست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة
فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا
والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
يعني الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا فاجتمعوا على تسميته بالفسق
واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذي اتفق
عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء
التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه إنه مؤمن ولا
منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا أشبه بأهل الدين فقال له عمرو بن
عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد علي من حضر أني
تارك للمذهب الذي كنت أذهب إليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل
الصلاة قائل بقول أبي حذيفة في ذلك وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في
هذا الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو وقيل إن اسم الاعتزال إنما
اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن أبي الحسن في تسمية مرتكب
الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير ذلك وقيل إن قتادة بعد موت
الحسن البصري رحمه الله كان يجلس مجلسه فكان هو وعمرو بن عبيد جميعا
متصدرين في أصحاب الحسن فوقع بينهما فرقة فاعتزل عمرو مجلس
قتادة فاجتمع إليه جماعة من أصحاب الحسن وكان قتادة إذا
جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول ما فعل المعتزلة فسموا
بذلك قال الشريف المرتضى رضي الله عنه أما ما ألزمه واصل بن
عطاء لعمرو بن عبيد ولا تمسك لازم ولا تمسكا به إلا ما غير واجب
ولا لازم لأن الإجماع وإن لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق
أو غير ذلك من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمى
بذلك لدليل غير الإجماع ووجود الإجماع في الشيء وإن كان دليلا على صحته
فليس فقده دليلا على فساده وواصل إنما ألزم عمرا أن يعدل عن التسمية

[هامش: اتفق عليه — يعني الشيعة — والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا — اختصت بهذه — لاعتزالهم الحسن — متقدمين — أو غير ذلك]

بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه
وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزم أن يقال له قد اتفق أهل الصلاة على
استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا
على استحقاق التخليد في العقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب
أن أقول بما اتفقوا عليه وأنفي ما اختلفوا فيه فإذا أبطل استحقاقه للخلود أو
المستحق من العقاب بأن يجمعوا عليه فقد تمسكتم بدليل غير الإجماع فتمسك
لم تنكر ذلك فيما عول عليه وبعد فكل على كل حال أن يكون الاختلاف في القول
دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا ينتقض بمسائل كثيرة يطول ذكرها
على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها لأن الإجماع أولى من الاختلاف
فيما يتعارض ويتقابل والإجماع والاختلاف في الموضع الذي تكلم عليه واصل
غير متكافئين لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته
بما عداه من الأسماء فلا تقابل بينهما ولو أن يأخذ بالإجماع في موضع ويقول
فيما الاختلاف فيه على غير الإجماع لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه
وحكي أن واصلا كان يقول أراد الله تعالى من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا
ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى إني أنا ربك فعرفه نفسه ثم قال فاخلع
نعليك فبعد أن عرفه نفسه أمره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى
والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا يعني صدقوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وعلموا وذكر المبرد قال
حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فأحسوا بالخوارج وكانوا قد أشرفوا
على العطب والتلف فقال واصل لأهل الرفقة إن هذا ليس من شأنكم
فاعتزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شأنك فقالت الخوارج له ما أنت وأصحابك
قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعقلوا حدوده
فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونهم أحكامهم وجعل هو يقول
قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا قال
لهم ليس لكم ذلك قال الله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك

[هامش: أو يقول إنهم أجمعوا على استحقاقه للعقاب — استحقاق الخلود — يطول — ثم يعملوا — إني أنا الله — أحكامه]

فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فسألهما ب
حتى بلّغوهم الأمن ويحكى أن عمرا وابراهيم ابني يحيى وهو بن الحسن كانا
ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل
ودعا الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القسم البلخي ان عبد الله قال
لابنه محمد كل خصالك محمودة يا بني الا قولك بالعدل فقال له يا ابت [illegible]
على برّكم فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبك عليه ابدا قال
السيد قدس سره قال ابو القسم يقول انا ان كنت اقدر على برّكم ثم توليته وان
كنت لا اقدر فلم تعاتبني على شيء لا اقدر عليه **فأما عمرو بن عبيد**
ويكنى ابا عثمان وهو مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ
هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن
بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان ابو عبيد [illegible]
وكان عمرو [illegible] وكانا اذا اجتازا معا على الناس قالوا هذا خير الناس
ابو شر الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابراهيم وانا تارخ قال
علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان [illegible] للحكم بن ايوب قال
وكان باب مكاريا لكرد وكان معروفا فقال لكرد كان باب وكان [illegible]
وللفرزدق شعر مشهور تركنا ذكره لشهرته وللفحش فيه وذكر ابو
الحسين الخياط ان مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا في سنة ثمانين
ومات عمرو بن عبيد في سنة اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع
وستين سنة ويروى ان عمرا استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع
فقال بالباب رجل قال انه عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية
محففة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات المقص
ابيض فأتاه به فالقاه عليه ثم قال ادن مني خلفي فقطع الجبة وازرّ عليه
قال الربيع ولم اكن اتقي ان احدا يوقّره المنصور حتى رأيت عمرو بن
عبيد وقد دخل عليه رجل من ربيعة الكندي بن عتبة [illegible]
حسن الادب حسن اللسان كان يرحل مع الملوك في تدبير الخلافة

اجمعوهم جمع الجمع بالجوز [illegible] الميم [illegible] ذكره في درة الغواص في غلط الخواص

فقال يا ابت

أو لا اقدر على تركه

البلخي

ق الرضي رضي الله عنه [illegible]

اي ذو جبة كأنها [illegible] او مكة [illegible]

[illegible]

دار عظامه اباه قال فسلم فاجتذبه المنصور ليجلسه معه فأبى وطرح
نفسه بين يديه فسأله عن ولده واهله فلما اراد عمرو القيام قال له عظني يا ابا عثمان
فأوجز قال انما في يديك لست بوارث له عن احد وانما هو شيء صار
اليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لم يكن في يد الاول والسلام
من [illegible] قال فنظر [illegible] لعمرو بن عبيد [illegible] بما تقول فيك
الناس فقال عمرو انهم يقولون فيهم شيئا قال فقال فاياهم فارحم
وقال له ابن صفوان لعمرو بن عبيد رحمه الله لا تأخذني فتقضي دينا
ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس علي واما صلة
رحمي فلا تجب علي وليس عندي قال فما يمنعك ان تأخذه قال يمنعني
انه لم يأخذ من احد شيئا الا ذل له وانا اكره ان اذل لك ويقال
ان ابن لهيعة اتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس
اليه فقال له ما تقول يا ابا عثمان في قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم فقال ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها
العبد ولم يكلفها قطع فأما العدل بينهن في القسمة من النفس
والنفقة والكسوة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فلا تميلوا
كل الميل فمطيعون فتذروها كالمعلقة منزلة من ليست ايما ولا ذات
زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد عزّى
عن ابن له فقال ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك وان امرءا ذهب
اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه فقيل ان هذا من قول عبد الاعلى اخذ

هذا المعنى فقال

مسحتك قبل الروح اذ انا نطفة	٥	تصان فاشد ولعين مصونها
لكل امرئ ذنبا للمنايا وما لها	٥	يطال اذا اخلت بنفس ذنوبها
فاذا ابقاء الفرع من بعد اصله	٥	ستلقى الذي لاقى الاصول فصونها

واقدم من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله

فبعض اللوم عاذلتي فاني	٥	ستكفيني التجارب وانتسابي

واختفى امر بالغفلة السؤال

ان ماء

مضمون او عظة عمرو قول الشاعر

ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لهن

دوام

افيم عشق ذ

تعالى امر

ولا يكلفها امر

اي يونس بن عبيد

الى عرق الثرى وشجت عروقي	٥	وهذا الموت يسلبني شبابي

وأخذه لبيد في قوله

فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب	٥	لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا	٥	ودون معد فلتزعك العواذل

اي فلتعظك

وأخذه أيضا في قوله

تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما	٥	وهل انا الا من ربيعة او مضر

وتنظر ابو محمود الوراق وابرهيم بن العباس الصولي اما محمود الوراق

ففي قوله

اذا ما انتسبت الى آدم	٥	فلم يك بينك ما بين اب
وجاوزت سنوك بك الاربعين	٥	تصرمت الى الجانب الاجنب
وذهب الشباب خلال السواد	٥	فاصبحت في شيبة الاشهب
فكيف تؤمل طول الحياة	٥	وان كان جهلك لم تعزب

واما ابرهيم ففي قوله

اي اذا كان عملك موجودا فليت تؤمل طول العمر

نعى نفسي الي ابي	٥	كحسن ابن مسطلي
تو بمطيرا لها ذا بيه	٥	كما نابت آبي

وكأن ابا نواس لحظ هذا المعنى في قوله

وما الناس الا هالك وابن هالك	٥	وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت	٥	له عن عدو في ثياب صديق

تأويل خبر قال المرتضى رضي الله عنه وروي ان عمرو بن عبيد دخل على سعيد بن عمرو وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعالى تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك وقد وضع عنك في هذه الحال عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعط ربك من قلبك ما يجب له عليك وروي ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فذكروا السخاء فاكثروا في وصفه وشرف ما يكسب اهله فقال ما انصفتم السخي من جاد بما لديه وكف عن اموال الناس وذكر اسحق بن

الفضل الهاشمي قال كنت مع ابي جعفر المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار له فنزل عن حماره ونفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الي عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا باحمق بعد احمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى ارشد اليه فاتكاه ثم قال اجب امير المؤمنين جعلني الله فداك فمر متوكئا عليه فالتفت الي عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابي عثمان فما برح حتى اتي بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه وعليه سواده وسيفه ثم اذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكأه على فخذه وتحفى به ثم ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال يا ابا عثمان عظنا فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر ومر فيها الى آخرها ثم قال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد قال فبكى بكاء شديدا حتى كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك ببعضها واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى اشد من بكائه الاول حتى تحفق جنباه وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال يا امير المؤمنين ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء بابك نيرانا تتأجج من الجور ما يعمل

قوله

امرأة امرأة

فقال زدني

فيهما بكتاب الله وبسنة رسول الله فقال يا أبا عثمان إنا نكتب إليهم في
الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع
فقال له مثل أذن الفارة يجزيك من الطوامير تكتب إليهم في حاجة نفسك
فينفذونها وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها إنك والله لو لم ترض
من عمالك إلا بالعدل إذا لتقرب إليك به من لا نية له فيه قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه ثم رجعنا إلى سوق الحديث فقال له سليمان بن مجالد
يفتأ أمير المؤمنين ويقدا غضبه منذ اليوم فقال لم مثلك ضايع
الأمر ما خشيت لا أبا لك وما أحفظت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية
الله وفي خبر آخر أن سليمان بن مجالد لما قال له ذلك نفض عمرو
رأسه فقال له من أنت فقال أبو جعفر أولا تعرفه يا أبا عثمان فقال
لا ولا أبالي أن لا أعرفه قال هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال
هذا أخو الشيطان ويلك يا ابن مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين
ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته يا أمير المؤمنين إن
هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب
فاتق الله فإنك ميت وحدك ومحاسب وحدك ولن يغني عنك هؤلاء
من ربك شيئا فقال له المنصور يا أبا عثمان أعني بأصحابك أستعن بهم
فقال له أظهر الحق يتبعك أهله قال بلغني أن محمد بن عبد الله بن الحسن
كتب إليك كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه
قال فبماذا أجبته قال أوليس قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت
تختلف إلينا إني لا أراه قال أجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال
لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية قال له أنت الصادق البار ثم
قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك قال لا حاجة
لي في ذلك قال والله لتأخذنها قال لا آخذها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين
وتحلف فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال
هذا ابني محمد وهو المهدي وولي العهد فقال والله لقد سميته اسما

يكفيك
وتحاسب وحدك
والله

ما استحقها بعمل وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت
له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما تكون عنه ثم التفت إلى المهدي فقال
يا ابن أخي ثم يحلف إذا حلف أبوك حلف عمك لأن أباك أقدر على الكفارة
من عمك فقال له المنصور يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال
لا تبعث إلي حتى آتيك قال إذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه و
نهض فلما ولى أتبعه بصره وأنشأ يقول كلكم طالب صيد
كلكم ماشي رويد غير عمرو بن عبيد وروي أن هشام بن الحكم قدم
البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس
قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لأنظر بهما في ملكوت السماوات
والأرض فأعتبر قال وجعل لك فما قال بلى قال ولم قال لأذوق
الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك
قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدي إليه الحواس ما أدركته فيميز بينها قال
فأنت لم يرض لك ربك تعالى إذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها إماما ترجع
إليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه ولم يزل هشام في
حلقة البصرة فما أمسى حتى اختلفوا وروى أبو عبيدة قال دخل عمرو بن
عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان
أخبرني عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم أن عليا عليه السلام قال
إني وددت أني كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشاهدي هذه
يعني يوم صفين فقال عمرو بن عبيد لم يقل هذا لأنه ظن أن أمير المؤمنين
عليه السلام كان يقول وددت أني كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أكن لحضور الفتنة
فقال لم تقولون في عبد الله بن العباس يفتينا في الظهر والعصر وطاف
بأسوانا في ليلة فقال له كيف يقول هذا وابن عباس لم يفارق عليا
عليه السلام حتى قتل وشهد مع الحسن عليه السلام وأي مال يجمع في بيت
مال البصرة مع حاجة علي عليه السلام إلى الأموال ويفرغ بيت مال الكوفة
في كل خميس ويرشه وكانوا يقولون إنه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع

بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ تابع عمرو بن عبيد في القدر فقال كم
صرف الله تعالى في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء
والقدر قال تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون
ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو
لهم وليس بعد هذا إلا الإقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز
على الله تعالى قال خلاد الأفطس حدثني رجل من بني تميم قال
سمعته في الليالي المظلمات يقول اللهم إن كنت تعلم أني لم أعرض
لي أمران قط أحدهما لك فيه رضى والآخر فيه هوى لي إلا قدمت رضاك
على هواي فاغفر لي ورثاه أبو جعفر المنصور لما مر على قبره بمران وهو موضع على
أميال من مكة على طريق البصرة فأنشأ يقول

صلى الإله عليك من متوسد	قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا	عهد الإله ودان بالقرآن
وإذا الرجال تنازعوا في شبهة	فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو أن هذا الدهر أبقى صالحا	أبقى لنا عمرا أبا عثمان

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول
العبدي وقال أبو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس ولد سنة
أربع وثلاثين ومائة وقال أبو الحسين الخياط إحدى وثلاثين ومائة
وقيل إنه توفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكانت
سنه مائة سنة قال المرتضى لحق أبا الهذيل الخرف في آخر عمره
إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف بصره
قبل وفاته وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل
بن عطاء وقيل إن أبا الهذيل في حداثته بلغه أن رجلا يهوديا قدم البصرة
وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه امض بي إلى هذا اليهودي أكلمه
فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وأنه قطع مشايخ المتكلمين
فقال لا بد من أن تمضي بي إليه فمضى به إليه قال فوجدته يقرر الناس

على نبوة موسى عليه السلام فإذا اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا
عليه إلى أن يجمع على ما تدعونه فتقدمت فقلت أسألك أم تسألني فقال
بل أسألك فقلت ذاك إليك فقال لي أتعترف بأن موسى عليه السلام نبي صادق
أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت إن كان موسى الذي تسألني عنه
هو الذي بشر بنبيي صلى الله عليه وآله وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق
وإن كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف بنبوته فورد عليه
ما لم يكن في حسابه ثم قال لي أتقول إن التوراة حق فقلت هذه المسألة
تجري مجرى الأولى إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن
البشارة بنبيي عليه السلام فتلك حق وإن لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقر بها
فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي أحتاج أن أقول لك شيئا بيني وبينك
قال فظننت أنه يقول شيئا من الخير فتقدمت إليه فسارني فقال لي أمك
كذا وكذا وأم من علمك لا يكنى وقدر أني أثب عليه فيقول وثب وشغب علي
فأقبلت على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله ألستم قد وقفتم على
مسألته إياي وعلى جوابي إياه فقالوا نعم قلت أفليس عليه أن يرد جوابا
أيضا قالوا بلى قلت لهم فإنه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد
وشتم من علمني وإنما قدر أني أثب عليه فيدعي أنا واثبناه وشغبنا عليه
وقد عرفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصرفوا فأخذته الأيدي من
كل جهة وخرج من البصرة هاربا وعن أبي الحسن قال حكى لي أبو الهذيل
ما معنى الخسف فقلت أن تقلب الأرض أعلاها أسفلها فقال
إن لم يكن هذا اليوم بالأمس فإنه كما قلت قال أبو الهذيل قال لي المعذل
بن غيلان العبدي وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع إليه
أهل النظر يا أبا الهذيل إن في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين
لي ما يذهب بالريب عني فقال خبرني عن قول الله تعالى وسيحلفون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون
هل علموا من أن يكون أكذبهم لأنهم مستطيعون للخروج وهم تاركون

لم يستطيعوا الخروج فيهم وليس يخرجون فقال إنهم لكاذبون
أي هم يستطيعون للخروج فهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع
ولو استطعنا لخرجنا فأكذبهم الله تعالى على هذا الوجه أو يكون على وجه
آخر بقوله إنهم لكاذبون أي إن أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون
معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون فعلى كل حال قد كانت
الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل الخبر معنى إلا على
الوجهين اللذين وصفنا وحكى سليمان الرقي أن أبا الهذيل لما ورد سر
من رأى نزل في غرفة إلى أن تطلب له دار تصلح له قال فرثيت له فقلت لأبي

الهذيل أتنزل في مثل هذا المنزل فأنشدني

يقولون زين المرء بأي بجلة	ألا إن زين الرحل بأي لراكبه

وحكى ابن مجالد قال رأيت رجلاً وقد سأل أبا الهذيل وهو في طويل لونك
عقصر وصاح فقال كم من جمع بين الزانيين يا أبا الهذيل فقال كم يا ابن أخي
أما أهل البصرة فإنهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم
في هذا القول فما تقول أنت فخجل الرجل وسكت قال أبو الهذيل
قلت لرجل من بني المركز ولم يسمه وزعم قوم أنه الأمير أخبرني عن قول
الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر
القاذف فقال اجلدوهم ثمانين جلدة فأيهما أكثر قال حد الزاني
قلت بكم قال بعشرين فقلت فخبرني عن الجلد أهو بالمجالد قال
لا قلت أفهو السوط قال لا قلت أفهو ظهر المجلود فقال لا قلت أفهو الأثر
الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفثم شيء غير هذا هو الجلد
قال لا قلت فإنما تقول إن لا شيء أكثر من لا شيء بعشرين فانقطع قال
أبو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقرة
قال ملك كرمه الله فقص أجنحتها وحطها إلى الأرض يحرث عليها قلت
فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان
وفاقته قلت فمن يحمل الأرض قال بهمن الملك فقلت ما في الدنيا شر

من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها
ببنت الله ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على بهمن أعز
ملائكة الله تعالى فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه ودخل أبو الهذيل يوماً
على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل
من هذا الفتى الذي قد رفع الوزير منزلته بمعرفته فقال رجل من أهل
النجوم فقال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال
ذلك علم بطل قال فأشار قال سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه
فقال آكل هذه أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها
قال فتعيدها إلى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن
لم أخذت غيرها قال لئلا يقول لا تأكلها فآكلها خلافاً عليه فيقول
قد أصبت في المسألة الأولى وسأل ثمامة المناني(?) يوماً أبا الهذيل
دل على حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل
مثلك مثل رجل قال لخصمه أخاصمك إلى القاضي ولا تحضر بينتك وذكر محمد بن
الجهم صاحب العراق قال رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون
فسأل سهل بن هرون بن راهبون أن يكتب له كتاباً في حاجة إلى الحفصوية(?)

صاحب الجيش فنهض أبو الهذيل فأنشد في سهل بن هرون

إن الضمير إذا سألتك حاجة	لأبي الهذيل خلاف ما أبدي
فإذا أتاك بحاجة فامدد له	حبل الرجاء بمخلف الوعد
وأرن له كنفاً لنجحه	في غير منفعة ولا رفد
حتى إذا طالت شقاوته	ونحى العناء فاجبه بالرد
فإن استطعت له المعزة فاجتهد	فيما يغيظ بأبلغ الجهد
فانظر كذلك فيه فارمه به	خلف الثريا منك في البعد
وكذاك فافعل غير محتشم	إن جئت سائلاً في أبي الهندي

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا
به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا

أبو العباس قال كان لي صديق فجاءني يوماً فقال أريد الخروج إلى فلان
العامل فأحببت أن يكون معي إليه وسيلة وقد سألت من صديق بعض فضل
إلى أبي عثمان الجاحظ وهو صديقك وأحببت أن تأخذ لي إليه كتاباً بالعناية
فأتيت فصرت إلى الجاحظ فقلت له في ذلك فجاء أبو عبد الله فقلت يسأل
وقاضياً للحق وفي حاجتي لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا
تشغلنا الساعة عن المحادثة فإن يفد أبو عجزنا إليك بالكتاب فلما كان
من الغد بعثر إلي بالكتاب فقلت لابني وجه بهذا الكتاب إلى فلان ففيه
حاجتي فقال إلي إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضه تنظر ما فيه
ففعلت فإذا في الكتاب إليك مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أو
جب حقه فإن قضيت حاجته لم أحمدك وإن رددته لم أذممك فلما قرأت
الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري فقال يا أبا عبد الله قد علمت
أنك أنكرت ما في الكتاب فقلت أوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة
بيني وبين الرجل فيمن أعتني به فقلت لا والله ما رأيت بعدك أعلم بطبعك
وما جبلت عليه من هذا الرجل يعني صاحب الجاحظ علمت أنه
لما قرأ الكتاب قال أم الجاحظ عشرة آلاف أم من يسأل فقلت له
أتشتم صديقنا فقال هذا علامتي فيمن أشكره وفي بعض الأخبار
أن أبا العباس سلم الكتاب إلى صاحب الحاجة فقال له فض الكتاب فقال له
إنه مختوم فقال له أبو العباس طينه أهون من ظنك قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه وأظن أن أبا العباس نبهه على فض الكتاب وقراءته بما جرى
لطرفة بن العبد والمتلمس الضبعي المشهور وذلك أنهما وفدا على عمرو
بن هند فنادماه واختصا به ثم أفضى الأمر إلى أن هجاه كل واحد منهما
وتعرض بذكره في الشعر في الروايات ففي عليهما ولم يقابلهما ثم اشفق من
ذلك وأراد قتلهما بحيلة وكان على طرفة أحنق فعلم أن أن قتلهما
ظاهراً... المتلمس وكتب لهما كتاباً إلى البحرين وقال لهما إني قد كتبت
لكما بصلة فاخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما

فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق متكشفاً بين يديه كسرة خبز
يأكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال أحدهما لصاحبه
هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع مقالته فقال وما ترى من عجبي أدخل
طيباً وأخرج خبيثاً وأقتل عدواً وإن أعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا
يدري فأوجس المتلمس خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال
له أتقرأ يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه إلى الغلام فقرأه فإذا فيه
إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فأقبل على طرفة فقال
له تعلمن والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك إلى الغلام يقرأه
عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ على قومي بمثل هذا ولم يلتفت إلى

قول المتلمس وألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال

قذفت بها بالثني من جنب كافر	كذلك أقنو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها	يجول بها التيار في كل جدول

كافر نهر بالحيرة وأقنو أقتني والقط الكتاب والتيار معظم الماء ويكثر

وقال المتلمس أيضاً

من مبلغ الشعراء عن أخويهم	نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذي علق الصحيفة منهما	ونجا حذار حبائه المتلمس
ألق الصحيفة لا أبا لك إنه	يخشى عليك من الحباء النقرس
...	...

النقرس ههنا الداهية ومضى طرفة بكتابه إلى البحرين فأمر المعلى
بن حنش العبدي بقتله فقال المتلمس

عصاني فما لاقى الرشاد وإنما	تبين من أمر الغوي عواقبه
فأصبح محمولاً على ظهر آلة	يمج نجيع الجوف منه ترائبه
...	...

ويعني المتلمس بلاد الشام وكان هجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه فقال

آليتَ حَبَّ العراقِ الدهرَ آكُلُه	٥	والحَبُّ يأكلُه في القريةِ السوسُ

ويُضرب المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين [illegible] أشعارهم

وهَبَ القصائدَ لي النوابغُ إذ مضوا	٥	وأبو يزيد وذو القروح وجرولُ
وأخو بني قيسٍ وهُنَّ قتلنَه	٥	ومهلهلُ الشعراءِ ذاك الأوَّلُ

يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان وعنى بأبي يزيد المخبّل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس وأخو بني قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن قتلنه يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند فيقال إن صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر وفي ذلك يقول طرفة

أبا منذرٍ كانت غرورا صحيفتي	٥	ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا	٥	حنانيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ويشبه أن تكون القصة مع النعمان **مجلس آخر** وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال إن جميع معتزلة بغداد من مستجيبيه وكان أبو القاسم البلخي يقول إنه من أهل بغداد وقيل من أهل الكوفة وذكر الجاحظ أنه كان أبرص ويحكى أنه كان يوما في مجلسه وعنده أصحابه ومعهم مجبر يسألهم ويقول أتحمدون الله على إيمانكم فهم يقولون نعم فيقول فكأنه يحب أن يحمد على ما لم يفعله وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون كما ذم من أحب أن يحمد على ما لم يفعل مما لم يمن عليه ولم يبلغ إليه وهو يتعجب إذ أقبل ثمامة بن أشرس فقال بشر المجبر قد سألت القوم فأجابوك فهلا أوضحت فاسألوه عن المسألة فقال له ما عجب عليك أن تحمد الله على الإيمان فقال لا بل هو يحمدني عليه لأنه أمرني

النوابغ كلهم كذا في الأصل والصواب ٥ منه

الحطيئة الرجل الذميم القصير ولقب جرول ق

ثالث عشر

ففعلته وإنما أحمده على الأمر والتقوية عليه والدعاء إليه فانقطع المجبر فقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل العلاف وينسبه إلى النفاق فقال فيه يصفه أبو الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب إليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون جميل المنظر قبيح المخبر أحب إليه من أن يكون جميل المخبر قبيح المنظر وهو بالنفاق أشد عجبا منه بالإخلاص ولباطل مقبول أحب إليه من حق مدفوع ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أهل المقالات وذكر الجاحظ أنه لم ير أحدا أقوى على المخمس والمزدوج على ما نرى عليه بشر فإنه كان أكثر في ذلك وأقدر من أبان اللاحقي

وهو القائل

إن كنت تعلم ما أقول	٥	وما تقول فأنت عالم
أو كنت تجهل ذا وذا	٥	لك فكن لأهل العلم لازم
أهل الرياسة من ينازعهم	٥	رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وأنت عن	٥	الذي قاسوه حالم

لا تطلبن رياسة بالجهل أنت لها مخاصم
لولا مقامهم رأيت الدين مضطرب الدعائم

فأما أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام فإنه كان متقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعاني وإنما أتاه الزلل من المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه لتدقيقه وتغلغله ويقال إنه مولى الزياديين من ولد العبيد وأن الرق جرى على أحد آبائه وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد وقال لرجل تعرف فلانا المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودي فقال النظام لا مجوسيّ عرفت ولا يهوديّ وصفت قال الجاحظ وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو أحلى من أمن بعد خوف وبرء بعد سقم

يكون

أصحاب أقوى على المخمس والمزدوج منه قوي

فيه

واستشنعت

لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا

لا المجوسي عرفت ولا اليهودي

وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وظفر بالمحبوب وفرج المكروب
ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه

يا تاركي جسداً بغير فؤاد	أسرفت في الهجران والإبعاد
إن كان يمنعك الزيارة أعين	فادخل إليّ بعلة العوّاد
كيما أراك وتلك أعظم نعمة	ملكت يداك بها ابتياع فؤادي
إن العيون على القلوب إذا جنت	كانت بليتها على الأجساد
ولربما توهمه طرفي فآلم خده	فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصافحه قلبي فآلم كفه	فمن صفح قلبي في أنامله عقر
ومر بقلبي خاطراً فجرحته	ولم أر خلقاً قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف	يقال به سكر وليس به سكر

ويقال إن أبا العتاهية قال أنشدنا النظام

إذا همّ النديم له بلحظ	تمشّت في محاسنه الكلوم

فقال يجب أن يكون نديم هذا أعمى قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وبيت النظام تضمن معنى بيت أبي العتاهية ولسنا ندري أيهما أخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى كثيراً في شعره فمن ذلك قوله

رق فلو بزت سرابيله	علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره	ويشتكي الإيماء بالطرف

ويحكى أن أبا النظام جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوماً يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال أبمدح أم بذم قال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل الأذى ولا تستر ما وراءها قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال فصف هذه النخلة وأومأ إلى نخلة في داره فقال أبمدح أم بذم قال بمدح قال هي حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال الخليل يا بني نحن إلى التعلم منك أحوج قال الشريف المرتضى رضي الله عنه

هذا

هذا بلاغ من النظام حسن لأن البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً بأفضل ما يقال فيه وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه البقلة التي استحسن بحاضرها وأخبر بذمها فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً والربيع بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو أم البنين وعليهم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنة وكان العامريون ثلاثين رجلاً فيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل وكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوماً بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر لأنهم كانوا أسروه فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضاباً وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم فيرعاها فإذا أمسى انصرف بها فأتاهم تلك الليلة فإذا هم يذكرون أمر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا إليك عنا فقال أخبروني فلعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال لهم هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأرجز به رجزاً ممضاً مؤلماً لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً فقالوا وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي

لا تذكرنا أراه ولا توهموا ذا كثر جاءنا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخير
ها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر
البقول فرعا وأخبثها مرعى وأشدها قلعا فتعسا لجارها وجدعا القوا بي
أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا نصبح
فنرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا غلامكم هذا فإن رأيتموه نائما
فليس أمره بشيء إنما تكلم بما جرى على لسانه وإن رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم
فرمقوه بأبصارهم فوجدوه وقد ركب رحلا يكدم واسطته حتى أصبح
فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابة
وألبسوه حلة ثم غدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه
الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوءة بالوفود فلما فرغ من الغداء أذن
للجعفريين فدخلوا عليه والربيع إلى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض
الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخى إزاره وانتعل
نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء

فمثل بين يديه ثم قال

يا رب هيجا هي خير من دعه	٥	أكل يوم هامتي مقزعه
نحن بني أم البنين الأربعه	٥	ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه	٥	والضاربون الهام تحت الخيضعه
مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه	٥	إن استه من برص ملمعه
وإنه يدخل فيها إصبعه	٥	يدخلها حتى يواري أشجعه

كأنما يطلب شيئا ضيعه فلما فرغ لبيد التفت النعمان إلى الربيع يرمقه
شزرا فقال أكذاك أنت قال لا كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال
النعمان أف لهذا الطعام لقد خبثت علي طعامي فقال الربيع أبيت اللعن
أما إني قد فعلت بأمه وكانت في حجره فقال لبيد أنت لهذا الكلام
أهل أما إنها من نسوة غير فعل وأنت المرء فعل هذا بيتيمته قالت
الرضي رضي الله عنه وحكت في خبر آخر أما إنها من نسوة فعل

خاشع ذليل

الكدم العض بأدنى الفم كما في كدم يكدم وكذلك إذا أثرت فيه بحديدة

الخيضعة المعركة وصوت القتال وبيضة الحرب

نصب بني على المدح والاختصاص وفي بعض النسخ بنو

وإنما قال ذلك لأنها كانت من قوم الربيع فنسبها إلى القبيح وصدق عليه
تهجينا له ولقومه فأمر الملك بهم جميعا فأخرجوا وأعاد على أبي البراء القبة
وانصرف الربيع إلى منزله فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه
وأمره بالانصراف إلى أهله فكتب إليه إني قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك
ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث إلي من يجردني ليعلم من حضرك من
الناس أني لست كما قال فأرسل إليه إنك لست صانعا بانتفائك مما قال
لبيد شيئا ولا قادرا على رد ما زلت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب إليه النعمان

في جملة أبيات جوابا عن أبيات كتبها إليه الربيع مشهورة

شرد برحلك عني حيث شئت ولا	٥	تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
فقد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا	٥	فما اعتذارك من شيء إذا قيلا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن
دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضا المهلبي
قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح
النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم
البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة
على الآخر ولم نأت بجميع الخبر على وجهه بل استطبنا منه ما لم نحتج إليه
واوردنا ما أوردنا منه بألفاظه لأن التشبيب المعنى أما قوله نحن
بني أم البنين الأربعة فإنه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم
جميعا وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانت
تحت مالك بن جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الأسنة
وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فرس
كانت له وربيعة بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية بن مالك

معود الحكماء وإنما سمي معود الحكماء بقوله

أعود مثلها الحكماء بعدي	٥	إذا ما الحق في الأشياع نابا

وولدت عبيدة الوضاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر

ولست برائم أي بساكن

الأبيات التي قالها الربيع مما ذكرها صاحب الأشباه هي هذه

لئن رحلت ركابي إن لي سعة ... ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
ولو جمعت بني لخم بأسرهم ... ما وازنوا ريشة من ريش شمويلا
فابرق بأرضك يا نعمن متكئا ... مع النطاسي طورا وابن توفيلا

أراد بالنطاسي روميا يقال له سرجون وابن توفيل رومي آخر وكانا نديمي النعمان وشمويل أحد أجداد الربيع وهو في الأصل اسم طائر كذا قال

البكائي ... وقد كان أدرك

لأن الشعر لم يمكنه من ذلك في ... اي لم يحكه من كثرته

لتحكيه من كثرة ذلك فاما الحفنة المدعدعة فهي المملوءة واما الخيضعة
فان الاصمعي يذكر انه للبيد ان تحت الخيضعة يعني الجلبة فوقه
الرؤوس وقيل ان الخيضعة اصوات وقع السيوف والخيضعة ايضا البيضة
التي تلبس على الرأس والخيضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك فاما
ابيت اللعن فان ابا حاتم قال سألت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت
ان تأتي من الامور ما تلعن عليه واما الاشاجع فهي العروق والعصب
الذي على ظهر الكف وتفقيعها كل يوم لها مني مقرعة والقزع هو تساقط
بعض الشعر او الصوف وبقاء بعضه يقال كبش اقزع ونعجة قزعاء فاما
الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع
الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ
والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه كان
اذا وقع في يده كتاب قرأه من اوله الى آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان
فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول والصلوة
اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع
مثل ذلك في رجوعه الى ان يأخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق فاني
ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب
كتاب ينظر فيه قال ... تفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع
وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال
انها تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم
وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند
وعارف قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته فهو
بما عنده من المعرفة بخالقه وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك
الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي دؤاد للعداوة التي كانت بين
احمد ومحمد فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت
فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد

غار دقت ... موضع كل ... وجه له

جنبذ هو

[illegible]

بن عبد الملك من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب
الناس فيه فعذب به حتى مات وقيل انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات
وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي دؤاد
قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معددا للمساوي
وما فتنني باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة
دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك
الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولأن اسيء وتحسن
احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن فتسيء وان تعفو عني في حال
قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي دؤاد قبحك الله فوالله
ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطفيت
فيه النفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت
عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة
وخف فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه وقال هات
الآن حديثك يا ابا عثمان وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من
تأمن فانك حذر ممن تخاف وقال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخريمي
الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت
فلم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق
حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى
وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة
وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرأيته كتب خطا
دقيقا في ثبت رديء متقارب السطور فقال لي ما احسبك الا تعجبت
من ذلك فقلت وكيف ذاك فقال لاني اراك تشنعه فيما تحكيه وذكر
ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل ... والله احوج
الى هوان من كرم الاكرام ومن علم الجهل منه قدرة الى عفو ومن نعم
الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما اتعرف مثل قولي

قوله وما فتنني باستصلاحي لك الظاهر ان مراده
لم ازل اعتني بشانك واستصلاحك ولكنك لست
اهلا للاستصلاح لخبث سريرتك وطينتك اي لم تفتني
لكن هو في استصلاحك بل استصلحتك فوجدتك
غير اهل الصلاح ككاتبه

من الضغينة وهي الحقد

الطويلة قلنسوة طويلة كانوا يلبسونها
وتسمى الدنية لم نجد هذا في كتب اللغة

على حذر ...

اسمعيل بن القاسم

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه	ه	على نائبات الدهر حين تنوب

فقلت نعم قول كثير وفيه أخذ

فقلت لها يا عز كل مصيبة	ه	اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

ويدل يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الحماز يهجوه

تشبه الحماز مغصوبا اليه شبهه	ه	فنهى الاحساب بالياس فلا يقعده
تحاماه ابو الحماز فيه كأنما	ه	لعنس يدري من ابو الحماز الامس

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العيناء قال انشدني الجاحظ

لنفسه في الخضاب

زففت فتاة من بني هلال	ه	فاستعجلت جلاء بالسؤال
سالت أباك فاتيها المال	ه	كأنما كرعت في جريال
ما تشتكي منك من امثال	ه	سبح فلاي ومن حلال

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قوله كأنما كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ لانه يضعف كلامه وذكر ابو العيناء قال حدث

ابرهيم بن رباح قال انشد لي الجاحظ يمدحني

بلا حين اثري اخوانه	ه	ففلل عنهم شبا العدم
وذكره الحزم غب الزمان	ه	فبادر بالعرف قبل الندم

قال ابرهيم فذاكرت بهما احمد بن ابي دؤاد فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما وذكرت محمد بن الجهم فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف

شعرا يفضل قول ابي نواس

ودار ندامى عطلوها وادلجوا	ه	بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى	ه	واضغاث ريحان جني ويابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به	ه	بشرقي ساباط الديار البسابس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا	ه	ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية	ه	حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها	ه	مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها	ه	وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال الشريف المرتضى

رضي الله عنه اخذ ابو نواس قوله

ولم ادر من هم غير ما شهدت به	ه	بشرقي ساباط الديار البسابس

من ابي خراش الهذلي في قوله

ولم ادر من القى عليه رداءه	ه	سوى انه قد سل عن ماجد محض

لان ابا خراش اول من مدح من لا يعرف وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حتى شغل القوم بقتل عروة ونجا فلما انصرف الى ابيه قال افلت مني وتعابل ناداه في الاسر رجل من بني عمرو فالقى عليه رداءه ليجيره به وقال كر النجاء

فقال ابو خراش في ذلك

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا	ه	خراش وبعض الشر اهون من بعض
فوالله لا انسى قتيلا رزئته	ه	بجانب قوسى ما مشيت على الارض
على انها تعفو الكلوم وانما	ه	نوكل بالادنى وان جل ما يمضي
ولم ادر من القى عليه رداءه	ه	سوى انه قد سل عن ماجد محض

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابرهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا ابو الحسن احمد بن محمد الزيدي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ فاول ما تدبرت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستأذنت عليه فخرج الي الجارية من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه وذكر يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة فسال الفتح ذ

العسجد الذهب ق

ابو شعيب صالح بن عبد الرحمن القلال

توجد له الا فضل فيه فقالت لمن اراد حمله وما يصنع بالرجل الجبن بجائل
ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل حائل ولون حائل وذكر
المبرد قال سمعت الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض
ما علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبي حصاة
لا ينسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون سنة وكان يتمثل
تشكو اليه علة اشتملت الاستبداد على جسمي ان اكلت بارداً اخذ
برجلي وان اكلت حاراً اخذ براسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة
وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فقال
كيف نفى كون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلوة
وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم
محض ومن اي شيء كنى بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على حبه وما المعنى
بها كانت ما فيه وقد تقدمت اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون
وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد
الكتاب في موضع وجمعها في آخر فقال من آمن وآتى المال واقام الصلوة
ثم قال والموفون والصابرين تعالى لنا قلنا اما ذكرتم اي جوابان احدهما
ان اراد تعالى ليس الصلوة هي البر كله لكنه ما عددناه في الآية من ضروب
الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات
بصلاتكم فقد احرزتم البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد
ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا الى المشرق
واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا ان في

عنده ل
وعقل حائل (نسخة)
المنقرس بالكسر ... في مفاصل ... اصابع الرجلين
رابع عشرهم
توجهتم ل

الصلوة اليهما انها بر وطاعة خلافاً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
اكذبهم الله تعالى في ذلك وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخاً بشرع
النبي صلى الله عليه وآله الذي يلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي وان
البر هو ما تضمنته الآية واما اخباره عن البر بمن ففيه وجوه ثلاثة اولها
ان يكون معنى البر هاهنا البار فقال البر ويجعل احدهما في مكان الآخر
المقدر ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ان اصبح
ماؤكم غوراً يريد غائراً ومثل قول الشاعر

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت		فانما هي اقبال وادبار

اراد انها مقبلة مدبرة ومثله

تظل جيادهم نوحاً عليهم		مقلدة اعنتها صفونا

جمع صافن

اراد نائحة عليهم ومثله

هريقي من دموعهما سجاماً		ضباع وجاوبي نوحاً قياماً

والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر
بالاسم ~~فاما اخبارهم عن المصدر والفعل عن المصدر بالاسم~~ فاما اخبا
رهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله وقول العرب انما
البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم عن الاسم
بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى		ولكنما الفتيان كل فتى ندي

فجعل ان تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتيان والوجه الثالث ان يكون
المعنى ولكن البر بر من آمن بالله فحذف البر الثاني واقيم من مقامه كقوله تعالى
واشربوا في قلوبهم العجل اراد حب العجل وكما قال الشاعر

وكيف تواصل من اصبحت		خلالته كابي مرحب

اي كخلالة ابي مرحب وقال النابغة

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي		على وعل في ذي المطارة عاقل

اراد على مخافة وعل ويقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق اي اهل الطريق

بذلك ل
وسلم م

انت خبر ان البر في اول الكلام انما اراد المصدر
دون الفاعل فحذف ... كي يكون خبراً عنه
الشعر للخنساء واوله
ما ام سقب على بو تطيف به لها حنينان اعلان واسرار
وبعده ترتع ما رتعت وبعده
يوماً باحزن مني حين فارقني صخر وللدهر احلاء وامرار
وان صخراً لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار

فلان ندي الكف ... عن ابن السكيت

واقام ل

ويحكى عن بعضهم انه قال الناس لزيد انا ارسلت ما اكل الناس الزبد و
كذلك قولهم حسبت سيابي نبذا اي صحاح نبذ ونحن اكلوا نحو ابن جا
في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفي
قوله جل وعز ورابعهم كلبهم ثالث صاحب كلبهم ونكرا انه كان راعيا
تبعهم فاما ما كني عنه بالهاء في قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى ففيه
وجوه اربعة اولها ان تكون الهاء راجعة الى المال الذي تقدم ذكره ويكون
المعنى واتى المال على حب المال واضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل
كما يقول القائل اشربت طعامي كاشتراء طعامك والمعنى كاشترائك طعامك
والوجه الثاني ان تكون الهاء راجعة على من آمن بالله فيكون المصدر مضافا
الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث
ان ترجع الهاء الى الايتاء الذي دل عليه واتى والمعنى واعطى المال على حب
الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي هم الملوك وابناء الملوك لهم
والآخذون به والسادة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك
عليه ومثله قول الشاعر

إذا نهي السفيه جرى اليه ... وخالف والسفيه الى خلاف

اراد جرى الى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع ان تكون
الهاء ترجع الى الله تعالى لان ذكره جل وعز قد تقدم فيكون المعنى واتى
المال على حب الله ذوي القربى واليتامى فان قيل واي فائدة في ذلك وقد علمنا
ان الفائدة في ايتاء المال مع محبته والضن به اوكد لان العطية تكون اشرف
وامدح قلنا الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي
الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد قلنا اما المحبة عندنا فهي الارادة
الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا وتوسعا فيقولون فلان
يحب زيدا اذا اراد منافعه ولا يقولون يريد زيدا بمعنى انه يريد منافعه لان
المتعارف في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة
وان كان المعنى واحدا ونحن نذكر في قولهم زيد يحب عمرا زيادة على قولهم يريد

منافعه

منافعه لان اللفظ الاول ينبئ عن انه لا يريد الا منافعه وانه لا يريد شيئا
من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فيجب ان يكون على هذا المعنى يوصف
الله تعالى بانه يحب اولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى انه يريد لهم منافع
الخير العظيم والاجلال والتعظيم واما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى فالمعنى
فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعاته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه
في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه ومن جوز عليه تعالى
الانتفاع لا يصح ايضا ان يكون محبا له على هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك
فيه قد خرج من ان يكون عارفا به فمحبته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه اليه
كما نقول في اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه الها فقد عبدوا
غير الله تعالى فاما الفائدة في اعطاء المال مع محبة الله تعالى لان اعطاء
المال متى تجرد عن ارادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته استحق به الثواب
ومتى لم يقترن بذلك لم يستحق الفاعل به ثوابا وكان ضائعا فتاثير
ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب للمال الضنين به
متى لم يرد باعطائه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا
من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من
قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب
له لاستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق اليه في هذه الآية وهو احسن
ما قيل فيها وقد ذكر وجه آخر وهو ان تكون الهاء راجعة الى من
آمن ايضا وينتصب ذوي القربى بالحب ولا يجعل لآتى منصوب لوضوح
المعنى ويكون تقدير الكلام واعطى المال في حال حبه ذوي القربى واليتامى
اي على محبته اياهم وهذا الوجه لم يرضه منه في باب رجوع الهاء التي وقع
منها السؤال فانما بين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب
وذلك غير ما وقع السؤال عنه والوجه الاول اقوى واولى فاما قوله والموفون
ففي رفعه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت اذا طال
وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم

ولكن ذا الرد ودى العرب حرك

قال الزجاج وهذا اجود الوجهين والوجه الآخر ان يكون معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن البر وذى البر المؤمنون والموفون بعهدهم فاما نصب الصابرين ففيه وجهان احدهما المدح لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او بالذم ليميزوا الممدوح او المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لاول الكلام من ذلك قول الخرنق

	بنت بدر بن هفان	
لا يبعدن قومي الذين هم	*	سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك	*	والطيبين معاقد الازر

فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على ان يتبع آخر الكلام اوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك

	قول الشاعر انشده الفراء	
الى الملك القرم وابن الهمام	*	وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الامور	*	بذات الصليل وذات اللجم

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح وانشد الفراء ايضا

فليت التي فيها النجوم تواضعت	*	على كل غث منهم وسمين
غيوث الحيا في كل محل ولزبة	*	اسود الشرى يحمين كل عرين

	ومما نصب على الذم قوله	
سقوني الخمر ثم تكنفوني	*	عداة الله من كذب وزور

والوجه الآخر في نصب الصابرين ان يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون والموفون رفع على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقويها الوجه الاول فاما توحيدنا الذكر في موضع وجمعه في آخر فلان من آمن لفظه لفظ الوحدة وان كان في المعنى للجمع فالذكر الذي ان بعده

يعدا

ذكرنا ذ

وحدا جرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله الموفون والصابرين فعلى المعنى وقد اختلف قراءة القراء السبعة في رفع الواو ونصبها من قوله ليس البر فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان جميعا حسنان لان كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في جواز كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تكافأ النكرتان وحجة من رفع ان يكون البر الفاعل اولى لان ليس تشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلي الفعل ويقول ضرب غلامه زيد حيث لم يجز في الفاعل تقديم التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر ان يقول كون الاسم ان ويسكتما اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكان اذا اجتمع مضمر ومظهر فالاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر حدثنا ابو الهيثم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان يوم الهباءة جاور قيس بن زهير النمر بن قاسط فقال لهم اني قد جاورتكم واخترتكم فزوجوا امرأة فأدبتها الغنى وأذلها العفر في حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكميت النمري فقال لهم ان فيّ خلالا لما ابصره فاني غيور واني فخور واني آنف ولا افخر حتى ارى ولا آنف حتى اظلم واقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل عنهم قال اني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح واجارة الجار على الدهر

فقدة

في ن٥

فيكون التقدير في الغلام التأخير فلولا ان الفاعل اخص بهذا الموضع لم يجز هذا كالم في الفاعل ضرب غلامه زيدا ٥م الاسم ٥م

قال المرتضى رضي الله عنه

آنف ود مفخر

الشامي ذد

وعليكم بمنع الحرم الا من الاكفاء ذد

وتخفير المنازل عن بيوت الاباء كخلط الضيف بالعيال وانها كنى
عن الرهان فانه يرتكب مالكا أخي يا لتبعوا ثم قتل تعدا أبي وعن الانفاق
في الفضول فيتجرؤا على الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة لزم
العار ومنع الحرم الاكفاء وقال لم تصيبوا لها الاكفاء فان خير مالكما القبر
او خير منازلها واعلموا أني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا
أخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اما
قولهم انها كنى عن الرهان فاشار الى المراهنة في سباق الخيل وذلك ان
قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي
حذيفة الخطار والحنفاء وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان
قيس كارها للرهان وانما هاجر بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل
تجعل بين عبس والحرب وشرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق و
جعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد وجعلوا القصبة في يد رجل
من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويقال رجل من بني العشراء
بن فزارة وسكوا البركة مائة وجعلوا السابق اول الخيل يكرع فيها
ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذي ارسلت الخيل
منه ينظران اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة
خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع من اجرى من مائة غلوة فارسلها
مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال
حذيفة سبقت يا قيس فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها
مثلا والمذكيات المسان من الخيل [illegible] اي كما يغالى بالنبل ثم
ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال
قيس رويدا يعلون الجدد فارسلها مثلا وروي يعدون الجدد اي
سيعلون الجدد الى الوعث وقد كان حذيفة رأيهم كمنوا بالثنية كمينا
لينظروا فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس
سابقا فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل

القصبة ذد

مزذ
يعني من مائة سهم

قوله جري المذكيات السابق من الخيل
لا تداري كما تداري الصغار و[illegible]
المسن الاصل الغالبة والمعاشرة
الجدد ذد
الوعث المكان السهل [illegible]

وهي مصلية ايذ

ينوبها ذد
يستقها

نجوى
قرينها ذد
والسبق مولد

واستهلكت من الثنية ثم ارسلوها ينتظر في اثرها فحمل يديها وترسا
ثم راحتى انتهى الى الغاية مصليا بعد تكوح الخيل عن الغبراء ولو تباعدت
الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلأوها عن البركة ثم لطموا
داحسا وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في اخر الناس وقد كفتهم
بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسيهم ولم يرضوا من الخلف في اخذ السبق بما قد
شرحته الرواة ويقال في بعض الروايات ان الرهان والسباق كان بين
حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس

كما لاقيت من حمل بن بدر	~	واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا علي بغير فخر	~	وردوا دون غايته جوادي
وكنت اذا أتيت بخصم سوء	~	دلفت له بداهية نآد
وقد لقوا الي بغير سوء	~	فالقوني لهم صعب القياد

آداد تسمات الداهية ق

ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر ثم عرض الصلح ويقال ان قيسا
قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك بان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه
السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل دية مائة عشراء
~~مثلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك فان حذيفة~~
~~كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد~~
~~حمل دية مائة عشراء~~ فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا
يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة
من بني غراب من فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا
فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحته
معاذة بنت بدر فلما قتل مالك قال

نام الخلي وما أغمض حار	~	من سيء النبأ الجليل الساري
من مثله تمشي النساء حواسرا	~	وتقوم معولة مع الاسحار
من كان مسرورا بمقتل مالك	~	فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه	~	يضربن اوجههن بالاسحار

فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزارة
فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دية
عوف بن بدر

يكن ذد
اللقاطة ذد

وهما انه يكرم ان ماجاري
الاسحار ذد
[illegible]

فقد كن يخبأن الوجوه تسترا	٭	فاليوم حين بدأن للنظار
أفبعد مقتل مالك بن زهير	٭	ترجو النساء عواقب الأطهار
ما إن أرى في قتله لذوي الحجى	٭	إلا المطي تشد بالأكوار
ومجنبات ما يذقن عذوفة	٭	يقذفن بالمهرات والأمهار
ومساعرا صدأ الحديد عليهم	٭	فكأنما طلي الوجوه بقار

فأما مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس فاختلفت الرواية في سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت تؤدي الإتاوة زهير بن جذيمة ولم تكن عامر بن صعصعة حينئذ أذل من بني ... فأتت عجوز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت إليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها أي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدت إلى ما كان في صدورها من الغيظ وكانت يومئذ قد تابعت بني عامر بن صعصعة أي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى أقتل أو يقتل

	أفيقتل وسط في ذلك يقول خالد بن جعفر	
أريغوني إراغتكم فإني	٭	وحذفة كالشجا تحت الوريد
	حذفة اسم فرس خالد	أحرضها الحلي من حطم
مقربة أواسيها بنفسي	٭	وألحفها ردائي في الجليد
لعل الله يمكنني عليها	٭	جهارا من زهير أو أسيد
وإما تثقفوني فاقتلوني	٭	فمن أثقف فليس إلى خلود

ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غنى ... قتل بابنه شاس فلما ... فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حديثا فقال يا زهير أما آن لك أن تشتفي وتكف عنا بما قتلت بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكني يدي هذا الشعر الأزرق القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه فقال زهير اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير

فقال أنتم والله الذين لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فمر أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت تماضر لأخيها الحارث إن لبني ... الأكبشان العقو والقرنب السكوت فلا يأخذك منك ما قال زهير إن ... فقال لا ثم السيارة الكثير الكلام والسيادة التي تخلق ثم حلبوا له وطبا من لبن وأخذوا منه يمينا أن لا يخبر عليهم ولا يسيء بهم أحدا فخرج الحارث حتى أتى بني عامر فقعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال القوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبر بخبر فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يترض بعد فقالوا إن زهيرا بنا إن مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان ... فرسه حذفة فلحقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا ووقعا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير بنيه فأقبل ابنه ورقاء بن زهير يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم تغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح زهيرا

	فقتله ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير	
رأيت زهيرا تحت كلكل خالد	٭	فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا	٭	ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليت أني قبل ضربة خالد	٭	ويوم زهير لم تلدني تماضر

فأما خبر الهباءة قالت بنو عبس وبنو فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا وهو شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فأين العقول والأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال

الكلكل يقال للصدر وما بين الترقوتين ... والجفر البئر الواسعة لم تطو ... الهباءة ... مستنقع ببلاد غطفان ... العود المسن من الإبل ... أي استعن على حربك بأهل السن والمعرفة

القوم ما أثورا لقول بعدا اليوم فأرسلها مثلا وقتل فرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحرث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال

قيس في ذلك

تعلم أن خير الناس ميت ... على جفر الهباءة لا يريم

ولولا ظلمه ما زلت أبكي ... عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم

أظن الحلم دل على قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني ... فمعوج علي ومستقيم

وقال قيس أيضا

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال أي تحرير لتشبيه الذين كفروا بالصائح بالغنم والكلام يدل على ذمهم وتضعيفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون ممدوحا متأملا محصلا فقال في هذه الآية خمسة أجوبة أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى كلامه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعاءه وإنذاره فيضربون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وعلى هذا الجواب يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الأسد والمعنى كخوفه الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل وقال الشاعر

الرجام

خامس عشرة

الناعق

الداعي لهم

وسلم

نفست سلمى ما ردت حتى ... على رغم بتسليم الأمير

أراد بتسليم الأمير عليه ونظائر ذلك كثيرة والجواب **الثاني** أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني إلى الناعق وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى وأنشد الفراء

إن سراجا لكريم مفخره ... تحلى به العين إذا ما تجهره

معناه تحلى بالعين فقدم وأخر وأنشد الفراء أيضا

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم

المعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وأنشد أيضا

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل في ذي المطارة عاقل

أراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله

كأن لون أرضه سماؤه ... أراد كأن لون سمائه

وتشق ... بعثنا

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ... وسائره باد إلى الشمس أجمع

أراد مدخل رأسه الظل وقال الراعي

فصبحته كلاب الغوث يوسدها ... مستوضحون يرون العين كالأثر

أراد يرون الأثر كالعين وقال أبو النجم قبل دنو الأفق من جوزائه

قلب وقال العباس بن مرداس

فديت بنفسه نفسي ومالي ... ولا آلوك إلا ما أطيق

أراد فديت نفسي بنفسه وقال ابن مقبل

ولا تهيبني الموماة أركبها ... إذا تجاوبت الأصداء بالسحر

أراد ولا أتهيب الموماة وهذا كثير جدا والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلك ومثلهم يا محمد كمثل الذي ينعق ويكلمهم في الأمر والنهي ومثلنا في الدعاء والتنبيه والإرشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف

قبله

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير

فسبحان الذي أعطاك ملكا ... علمك الجلوس على السرير

الحرباء دابة تدور كما دارت الشمس

الجهرة الطلعة وتجهره أي تبصر جهرة

قوله كانت فريضة أي كانت العقوبة اللازمة مستحقة بالكبيرة وما تجرحه لكم

ومن المقلوب قوله لي ثان مفاتحه لتنوء بالعصبة وإنما تنوء العصبة بها أي تثقل

قال صاحب الملائكة الغوث قوم من طيء

قوله مستوضحون أي يصادون ويستوضحون آثار الصيد ويستوضح الرجل إذا وقع كفه على عينه مستشرفا

والموماة ... أي لا أهاب الطريق فحذف ... المقام

الموماة واحدة الموامي وهي المفاوز

المثل الثاني اكتفاء بالاول وتمثيله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد وقال ابو ذؤيب

عصيت اليها القلب اني لامرها	ه	سميع فما ادري ارشد طلابها

اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون
المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي عبدوها من دون الله تعالى
وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء كما لا يسمع
من زجله والدعاء والنداء وعلى هذا الجواب يحسبان ينعق دعاء ويؤكد للكلام

وتحسبها الاقوام لا لفرزدق (?)

هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم	ه	وضحوا بلحم من محل ومحرم

والمعنى هم القوم حين سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى
ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترذالهم
اياها كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه وينادي بها فهي تسمع نداءه ودعاءه ولا تفهم
معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله جل
اسمه بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا تنفع عند هاتيه ولا تضر
وهذا الجواب يقاربه ما قبله وان كان بينهما يسير فرق لان الاول
يقتضي تشبيه المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة ويحسبان يكون مصروفا
الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي تشبيه
المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما فالاصنام من حيث كانت
لا تسمع الدعاء جملة يحسبان يكون ناعقها ومناديها اسوء حالا من منادي
الغنم ويصح ان يحمل قال الغنم وما اشبهها مما يشاركها في البهائم ويقال
في الغنم والبقر وقد اختلف الناس في ينعق فقال اكثرهم لا يقال
نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم وبالابل
والبقر والابل كلهن في كلام العرب قال الاخطل

فانعق بضانك يا جرير فانما	ه	منتك نفسك في الخلاء ضلالا

ويقال ايضا نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة اذا صاح من غير

البدو... لازم مرا (?) — مانا... — والاصنام

مد عنقه وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا نعب الفرس ينعب
وينعب نعبة ونعيبا ونعبانا وهو صوته ويقال فرس منعب اي جواد وناقة
نعابة اذا كانت سريعة **تأويل خبر** روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
خرج مع اصحابه الى طعام دعوا له فاذا الحسن عليه السلم وهو صبي يلعب
مع صبية في السكك فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وآله امام القوم
فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وآله
يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت قفاس رأسه
ثم اقنعه فقبله وقال انا من حسين وحسين مني احب الله من احب حسينا
حسين صلوات الله عليه سبط من الاسباط قال الشريف المرتضى يعني معنى
استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالا اذا برز امام اصحابه قال ابن الاعرابي
اذا تقدم هكذا ذكره ابو بكر الانباري ووجدت بعض المتقدمين في
علم اللغة يحكي في كتابه قال يقول استنتلت للامر استنتالا اذا استعددت له
واستنتل الرجل تفرد من القوم يقال استنتل شرف والمعاني متقاربة
والخبر يليق بكل واحد منها وحكى هذا الوجه الذي ذكرناه في كتاب ابن [illegible]
فابن دريد ايضا اكثر من الاستعداد واما السكك فهي المنازل المصطفة والنخل
المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر

طفقت تبكي واسعدها	ه	وكلانا ظاهر الكمد

فقال (?) لها ابن طرفا المحدودة المشرف على القفا ومعنى اقنعه رفعه هكذا
ذكر ابن الانباري وقال غيره يقال اقنع ظهره اقناعا اذا امدها [illegible]
لم يعوج (?) فاما الاسباط فاصلها في ولد اسحق عليه السلم كالقبائل
في ولد اسمعيل عليه السلم وقال ابن الانباري هم الصبية والعشيرة
بالياء والواو معا قال الشريف المرتضى يعني حدثنا ابو القسم عبيد الله
بن عثمان بن يحيى بن حنيفا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد الحكيمي قراءة
عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب وقال اخبرنا
ابن الاعرابي قيل لابنة الخس ما مائة من المعز قالت مال يشف الفقر من

فاذا امدها حركها — عن جاء (?) — بالمحبين — وسلم — الله عنده — ابن عثمان — قالت

وذلك مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما ترى من الضأن قالت قرية لا احمي بها قيل فما ترى من الابل قالت تلك جمال ومال ورقي الرجال قيل فما ترى من الخيل قالت كفى بها حصنا من كان ولا توجد قيل فما ترى من الحمر قالت عانة الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها ادلى وان ارسلته ولى وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخص … قالت كل ذلك … ما احسن شيء قالت غادية في اثر سارية في نجاة قاوية … النبات ذو شريف احسن … قالوا ايضا … ابيه … قال والجمع … الرابية احسن من … لان السيل يصرع الشجر فيقذفه بالاودية ثم يلتقي عليه الدمن قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومما يدل على ان … الرابية

	احسن قول الاعشى	
ما روضة من رياض الحزن معشبة		خضراء جاد عليها مسبل هطل
	وقول كثير	
فما روضة بالحزن طيبة الثرى		يمج الندى جثجاثها وعرارها
خصنا الحزن للمعنى الذي ذكرناه		وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال

قال العرب تقول جاء بطعام لا يبادى وليده اذا جاء بطعام كثير … زيادة … لا يتبادر الصبيان ولا يتنازعان الا كبار الرجال … قال الشريف المرتضى رضي الله عنه في ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اتوا الوليد بطعام … هذا الاسناد … قال الفراء وهذا القول يستعار في كل موضع … وانشد

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد		شرائع جود لا يبادى وليدها

وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل … على

ترجمة معن بن زائدة الشيباني

معن بن زائدة الشيباني فقال … اكرمك الله ان تقنعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا … من تشفع الرجال بعدك … واني قد قدمت الرجاء واحسنت الثناء … الحفاظ ثم انشأ يقول

يا معن انك لم تنعم على احد		فتاب نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر الي بطرف غير ذي مرض		فربما … من لم تره النظر
ايام … لمكرمة …		اذا … بما … تستطر
ومن هواك …		كان … وان … الذكر
فلست …		فقد تقارب … ذلك الاثر
فاجبر بفضلك …		واجمع بفضلك …
…		كفى بحبلك …
فقد …		بان …
…		فان حظك فيه الحمد والشكر

فقال وما كان احسن ما اعطيك شيئا قال لا قال اما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات … يا غلام … فادفعه اليه … فحمل عليه ابن عياش … فاعطاه … وقال … قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن … بن مطر بن شريك بن عمرو ومطر اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة

	فلما قتل رثاه فقال	
الا ان عينا لم تجد يوم واسط		عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت		جيوب بايدي مأتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما		اقام به بعد الوفود وفود
فانك لم تبعد على متعهد		بلى كل من تحت التراب بعيد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه
قال حدثني محمد بن القسم بن مهرويه قال حدثني أبو يزيد الحكم بن موسى قال
حدثني أبي قال كان معن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة وكان
مستترا حتى كان يوم الهاشمية فإنه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر إلى القوم قد
وثبوا على المنصور تقدم وأخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف فلما
أفرجوا له وتفرقوا عنه قال له من أنت ويحك قال أنا طلبتك
معن بن زائدة فلما أمن أقبل المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن
فلما قدم عليه من اليمن قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة
مائة ألف درهم على أن قال لك

معن بن زائدة الذي زيدت به	٥	شرفا على شرف بنو شيبان
إن عد أيام الفعال فإنما	٥	يوماه يوم ندى ويوم طعان

قال كلا يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلما	٥	بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه	٥	من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يا معن وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور فقال
له ما أكثر ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم
إلا حقا قال وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال بلغني أنك أعطيت شاعرا
كان يلزمك ألف دينار وهذا من السرف الذي لا مثل له فقال يا أمير المؤمنين
إنما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته
عن عرضي وقضيت الواجب من حق قصده إلي وأمله نفسه لي فأطرق
فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرض ولم يعاوده بالعتب وأخبرنا
المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعيد الوراق
عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن يحيى المعروف بعثعث
من أهل خراسان وكان من ولد الوصيد قال حدثني معن بن
زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم

وفضالات رزق

قال فقلت للربيع اجعلني آخر من يدخل عليه فقال لي لست بأشرفهم
حسبا ولا بأحدثهم سنا فتكون في آخرهم وإن منزلتك لتشبه نسبك
قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع
بنعله الأرض وعمامة قد سدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما
صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة أنكرتها فلبيته فقال لي ادن مني فدنوت منه فإذا به
قد نزل عن فراشه إلى الأرض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين
واستحال لونه ودرت أوداجه فقال إنك لصاحبي يوم واسط لا نجوت إن نجوت مني
قال قلت يا أمير المؤمنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك
قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود
إلى مستقره واستوى متربعا وأسفر لونه فقال يا معن إن باليمن هنات
قلت يا أمير المؤمنين هو وإن أرسلها سدى فقال أنت صاحبي لها
قال فقلت فأمر الربيع بإخراج كل من كان في الدار فخرج الربيع
فقال لي إن صاحب اليمن قد هم بالمعصية وأنا أريد أن آخذه أسيرا
ولا يفوتني شيء من ماله قلت ولني اليمن وأظهر أنك قد ضممتني إليه
ومر الربيع أن يزيح علتي في كل ما أحتاج إليه ويخرجني في يومه هذا لئلا ينتشر
الخبر قال فاستل عهدا من بين مرفقتين فوقع فيه باسمي وناولنيه ثم دعا
الربيع فقال يا ربيع إنا قد ضممنا معنا إلى صاحب اليمن فأزح علته فيما يحتاج
إليه من السلاح والكراع ولا يمس إلا وهو راحل قال ثم ودعته
وخرجت إلى الدهليز فلقيني أبو الوالي فقال يا معن أعزز علي
أن تضم إلى ابن أخيك قال فقلت إنه لا غضاضة على الرجل أن يضمه سلطانه
إلى ابن أخيه وخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيرا وقرأت عليه العهد
وقعدت في مجلسه وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن أبي
عائشة وابن أبي حفصة والعتبي فقال لينشدني كل رجل منكم أشرح بيت قاله

فأنشد ابن أبي حفصة

سبقت بنو شيبان بعد معن سابقا	٥	لما جرى وجرى ذوو الأحساب

فقال له معن الجواد بغير فيحج وجهه من الغبار وما لعثار بعد هذا

وانشده الضبي

أنت امرؤ همك المعالي	٥	ودلو معروفك الربيع

وتربوي وندى معروفك الربيع

كأنك الحمد تشتريه	٥	تسعر عنك ما تبيع

فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تشتمني ولم تذكرني فيما شأنه اتحكم

فانشده ابن ابي عاصية

ان زال معن بني زائدة لم يزل	٥	لبنية الكلب نعيم مسافر

تفضل عليهم ونفق اسراني معن بن زائدة يشلها جراسهم فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا شيبان نشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم فلما شربوا قالوا يا اخا بني شيبان نشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة اثنتين وخمسين ومئة وحكي ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المؤمنين اعرف بهذا مني قال على كل حال قال عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

أبا قبر معن كنت اول حفرة	٥	من الأرض خطت للسماح مضجعا
أبا قبر معن كيف واريت جوده	٥	وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت	٥	ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

والأبيات للحسين بن مطير الاسدي وهي تزيد على هذا المقدار واولها

ألما على معن وقولا لقبره	٥	سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فتى عيش في معروفه بعد موته	٥	كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى	٥	واصبح عرنين المكارم اجدعا

تعليق الحكم بوصف مشعر بالعلية ان سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع آخر

بقتلهم

ايهان ات معنا لم يحوجك طالب كرم عن موضعه ولهذا اذا لا احد يستحق انا لقصد الاحسان والكرم

بقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقوله لا يسألون الناس الحافا والسؤال عن كل هذه الآيات من نحو واحد وهو الذي تقدم الجواب ان العرب بما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهب مشهور عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتأكيده فمن ذلك قولهم فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ويشبهه قولهم قلما رأيت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره	٥	اذا سافه العود النباطي جرجرا

يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره انه لا منار له فيهتدى بها والعود المسن من الابل والنباطي منسوب الى نبات قرية بالشام هي معروفة ويزيد بما تجرجر والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا شمه عرف بعده فاستبعد

ويذكر بالصفة من المشقة فجرجر لذلك وقال ابن احمر

لا تفزع الارنب اهوالها	٥	ولا ترى الضب بها ينجحر

اراد ليست بها اهوال فتفزع الارنب وقال النابغة

تحفزه حافتاه لم ينفعه	٥	مثل الزجاج حين لم تكحل من الرمد

اراد ليس بها رمد فيكحل كما قال امرؤ القيس

نعيم حوام ما يقين من الوجى	٥	كأن مكان الردف منه على رأل

يصف حافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى انما اراد انه لا وجى بها فيتقين وينفي ان يتوقين بها ويبتغين الارض من اجله والرأل فرخ النعام وشبهه اشراف عجزه بعجز الرأل

وقال الآخر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب	٥	ولا يعض على شرسوفه الصفر

اراد ليس بساقه اين ولا وصب فتغمز من اجلها وقال سويد بن ابي كاهل

كأهل من أناس بين من أخلاقهم	ما حل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد أن في أخلاقهم فحشا آجلا ولا جزعا عاجلا وإنما أراد نفي الفحش والجزع عن أخلاقهم ومن ذلك قولهم فلان لا يرجع إلى الخنا وهو يريد أنه لا يعرف الخنا لا نفي الإسراع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب يعيرهم بقتل بنيهم أصيبوا في بعض حروبهم فحملت النساء هو القتلى حتى بين الحيهم

ولم تأت قبر أهلها كالتي أتت	به جعفر يوم الهضيبات عيرها
أتتهم بعير لم تكن هجرية	ولا حنطة الشام المريت خميرها

يعني أن العير إنما تحمل التمر أو الطعام إلى الحي فحملت عيرهم قتلى الهرم القتلى وقوله لم تكن هجرية أي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر فهو قوله ولا حنطة الشام المريت خميرها ولم يرد أن هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه أراد أنها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة ولا يجعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التي يقع السؤال عنها لأنه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به إنما هو وصف لهذا الدعاء وأنه لا يكون إلا عن غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ويجوز أيضا أن لو كان هناك عمد لرأيتموه فإذا نفي الرؤية نفي العمد بوجود العهد كما قال لا يشتكين عملا ما أنقين مثال من حيث علم أنه لا يهتدى بمنارها إذا كان لها منار لم يهتد لتحيره المنار وقوله تعالى ولا تكونوا أول كافر به تغليظ بالغ في تحذيرهم الكفر ويجري مجرى قولهم ولا تكن أول من يسرع إلى الخنا وقول ما أنت بشر إلا أراد به تأكيد نفي تغيير مثل المذكور بعد ذلك قوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن وهذا

واتبع بحمد الله وعونه **باب في ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم أحد المعمرين الحرث بن كعب**

بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد فكلد مالك إليها وإنما سميت مذحجا لأنها ولدت على أكمة تسمى مذحجا واسمها مدلة بنت ذي منجشان قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين جمع الحرث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتى علي ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام وما عليه أحد من العرب غيري وغير أسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار وتوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وإن موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جمع إلى تباين الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل لك ورجل عليك تزوجوا الأكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون ألا إنه لا راحة لقاطع القرابة وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة الدخول فيها العمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية سوء الدعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين ثم أنشأ يقول

أكلت شبابي فأفنيته	وأنضيت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم	فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام	قد ترك الدهر خطوي قصيرا

ما بيت اراعي نجوم السماء	أقلّب أمري بطونا ظهورا

فقوله لا تستوت بالقوم ولكنه العسوة هي بقرة الحب والكنة امراة اخي الرجل وامراة ابن اخيه فاما الموتسر فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تخرج عنه قناعها اي لم تبتذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون الا من امر محزن مولم فاما الافن وهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمق ومن امثالهم يحسبها الرقين تعطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة فاما قوله النصيحة بحر العصبية فيشبه ان يكون معناه ان النصيح اذا نصح من لا يقبل ولا يصغي الى موعظته بعد ان نصح عنده لان افضى اليه بسره فصار مكنون صدره واما سوء الوعظ فانه يقال فلان حسن الوعظ والتوقيع اذا كان حسن الطريقة **ومن المعمرين المستوغر** وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد مناة بن تميم بن تميم بن ادد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو

ينش الماء في الربلات منها	نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل لحم غليظ هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة في الحديث كالتمر على الرضف واللبن الوغير لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب اخذ من وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر ومنه وغر صدره يغر اذا اغتاظ من غضب او حقد قال اصحاب الاخبار عاش المستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة وادرك الاسلام او كاد وبذلك اولى قال ابن سلام كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها	وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من بعدها مائتان لي	وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا	يوم يمر وليلة تحدونا

بقاء الطيل

دهر

...	وقوله الفاسل
اذا ما المرء لم يكلم	واودى سمعه الا نداءا
ولاعب بالعشي بني بنيه	كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه	من الذيفان مترعة سلابا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا	ولا يشفى من المرض الشفايا

اراد بقوله لم يكلم فلم يكلم اي لم يستمع ما يكلم به واختصر منه لان يدعا من لم يكلم الناس من شاعر ولا معرض عن خطابه لذلك وقوله واودى سمعه الا نداءا اي ذهب سمعه هلك الا ان يسمع الصوت العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه سلاعبهم في وقت العشي بالحرم والحرم ولما قد تناهى ملاعبة الصبيان وانه يسرهم ويسبرانه يكون حظ العشي بذلك لانه وقت مملح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى حجر الضب فيضرب بكفه ليحسبه الضب افعى فيخرج اليه فيأخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب عند الامر يستعظم قال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الحجر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت هذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع بالشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة **ومن المعمرين دويد بن** زيد بن نهد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة وقال ابن دريد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا نعلم احدا من العرب عمر الا من عاش مائتي سنة الا دويد بن قضاعة قال لبنيه اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة واطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز

اي القريب قلت على لسان العرب

المفتري

ذلك من حمد بنو يدعوهم

فنحن وطأت بلا هم بالسلم

لا المحالة يا جد لا بالكد لا السلة والحيلة ولا الدينة لا تأتوا على فائت فإن ذلك عجز ولا تخعوا الى الطامح فإن الف فوت لا تطمعوا فتطبعوا
ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكون لكم المثل السائر إن الموصين بنو سهوان وإذا أمرت
فاجمعوا أمركم ولا تختلفوا على وجوهها الا نفس وما ذلك بمؤد الى نفعا ولكن
لا أمر نفس حانها الاشفاق ثم مات قال أبو حاتم وقال زهير بن جناب في
باشر او حافظ

حيث آخر عمره قال

اليوم يبنى لدويد بيته	٥	يا رب نهب صالح حويته
ورب قرن بطل أرديته	٥	ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته	٥	لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرني واحدا كفيته ومن قوله أيضا

ألوى على الدهر رجلا ويدا	٥	والدهر ما أصلح يوما أفسدا

يفسد ما أصلحه اليوم غدا قوله المعسوا مثرا واصبحوا هبرا معنى الثريا
بطلعة من احدى فاحيتيه يقال كمثل المسل حرنا اذا اتكله على الشمال
فالنظر الشزر نظر بمؤخر العين وقال الاصمعي نظر اليه شزرا اذا نظر
اليه بجانب اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك وقوله
هبرا فان ابن دريد يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا
كبارا والاسم الهبرة والهبر وسيف هبار وهابر والهبر هبين وهبور
فالمحال الحيلة وقوله بالجد لا بالكد اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد
وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود فاذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الامر
والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلد ولا تبلد وقوله فتطبعوا
اي تدنسوا والطبع الدنس يقال طبع السيف يطبع طبعا اذا ادركه
الصدا قال ثابت قطنة العتكي

لا خير في طمع يدني الى طبع	٥	وغفة من قوام العيش تكفيني

البلغة من العيش (؟)

وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه
سميت الثمرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصون

الوجه المقدم يكون الوجه الصدع من العين والمقدم ... الالف منها.

قوله بالجد بالفتح الحظ ... اي لا ... الجد ... ولا بالكد

خطاهم

وقد فسره الجاحظ ... الذي ... عليها ... السكرة ... والخرع ... الخروع ... يحوس ... ٢٥

جمع موص وبنو سهوان ضربة مثلا اي لا تكونوا ممن يتقدم اليهم فيسهوا اي
اعرضوا عن الوصية وقالوا في ضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه
ان الذين يحتاجون الى ان يوصوا بحوائج احوالهم هم الذين يسهون عن
لقاء عنايتهم وانت مجاملي لا تسهو عن حاجتي وقوله فارجعوا اي وسعوا فالسعة
السعة والروح الراحة وقوله في الشعر عبل فالعبل الساعد المملي موضع السوار
من البكر ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن
كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب
بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو
بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير قال أبو حاتم عاش زهير بن جناب
مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة وكان سيدا مطاعا شريفا في
قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه كان
سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم
والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان وفارس
قومه وله البيت فيهم والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال يا بني قد كبرت
سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة واختبار
فاحفظوا عني ما اقول وعوه اياكم والخور عند المصائب والتواكل
عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب
واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه
ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض
تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله
ثم لا بد انه مصيبه قوله حرسا من دهري يريد دهرا والحرس الدهر قال
الراجز في سنة عشنا بذاك حرسا والسنة المدة من الدهر والتواكل
ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل اذا كان لا يكفي
نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض كل ما نصبته للرمي
وتعاوره اي تداولوه قال المرتضى رضي الله عنه وقد تضمن ابن الرومي ٣

أي تجاوزه
والمقصر

تغلب بن
الحاف بن ... والحاف بن
كلاهما يقال

كان ...
قضاء ...
كان الحاف ...
انه يكون الخيار ...
انه ... لا يكون ...
والذين ...
الدهر ...

معنى ...

قول زهير بن جناب الإنسان في الدنيا غرض تعاوده الرماة فتقصر دونه وتجاوز لموضعه وتقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد أن يصيبه أيا[ت]

فأحسن كل الإحسان والأبيات

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا ... إلى من أضلته المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي ... لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ... لشخصي أخلق أن تصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ... فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

أما البيت الأخير فأبدع فيه وأغرب وما علمت أنه سبق إلى معناه لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الإنسان الحاجز بينه وبين الدواهي والشيب سببا لمعاينتها هاديا إلى إصابته بضوئه وتبيانه وهذا في نهاية حسن المعنى وأنا أقول لمعناه ما يناسب ويشاكله قول الشاعر

فلما رأى تحصى ببيت سواده ... ولا بد أن يوهي سواد الذي يرى

وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ولم يكن في العرب أنطق من زهير ولا أوجه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهنا ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لأمثاله فكلم [illegible] عندها فقالت له اسكت عني وإلا ضربتك بهذا العمود فوالله ما أراك تسمع شيئا ولا تعقل فقال في ذلك

ألا يا لقوم لا أرى النجم طالعا ... ولا الشمس إلا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها ... يكون نكيري أن أقول ذريني
أمينا على سر النساء وربما ... أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حداج موطأ ... مع الظعن لا يأتي المحل لحين

وهو القائل

أبني إن أهلك فقد ... أورثتكم مجدا بنيه
وتركتكم أرباب سادات ... زنادكم وريه
من كل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحيه

ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه

وخطبت خطبة حازم ... غير الضعيف ولا العييه
فالموت خير للفتى ... فليهلكن وبه بقيه
من أن يرى الشيخ البجال ... وقد يهادى بالعشيه

وهو القائل

ليت شعري والدهر ذو حدثان ... أي حين منيتي تلقاني
أسبات على الفراش خفات ... أم بكفي مسجع حران

وقال حين مضت له [illegible] سنة من عمره

لقد عمرت حتى ما أبالي ... أحتفي في صباحي أم مسائي
وحق لمن أتت مائتان عاما ... عليه أن يمل من الثواء

قوله معزبتي يعني امرأته يقال معزبة الرجل وقعيدته وحنته كل ذلك امرأته وقوله أمينا على سر النساء فالسر خلاف العلانية والسر أيضا النكاح

قال الحطيئة

وتحرم سر جارتهم عليهم ... ويأكل جارهم أنف القصاع

قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ... كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

فكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لأنه إذا كبر وهرم لم تحتشمه النساء أن تتحدث بحضرته بأسرارها تهاونا به وتعويلا على ثقل سمعه وكذلك لم يكره كونه أمينا على نكاح النساء لعجزه عنه وقوله حداج موطأ فالحداج مركب من مراكب النساء والجمع أحداج وحدوج والظعن والأظعان الهوادج والظعينة المرأة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ظعائن وإنما أخبر عن هرمه وأن موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم وريه الزناد جمع زند وزندة وهما عودان تقدح بهما النار ففي أحدهما فروض وفي الآخر [illegible] فالتي فيها الفروض هي الأنثى والذي تقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزند الأب والزندة [illegible]

اثم وكنى بزنادكم وبدعة عن بلوغهم كآبائهم تقول العرب وريت
بك زنادي واعجبت بك ما اجنبت البحح والنجاة ويقال للرجل الكريم وارى
الزناد فاما التحية بمعنى الملك فكثير قال ومن كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية
وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي بلغت تسع سنين وربما
بزلت قبل ذلك وانما يكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء والكوماء العظيمة السنام
والولية برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده والنجال الابل يحلبونه و
يطعمونه ويسقى بها ذوي الاشياخ والرجال فيبتدونه بسقيه والنهاد
المسن الضعيف وقوله اخبات فالخبات سكون الحركة ويجعل سوت
الخفات الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض
او جوع والمجح الذي قد فجع بولد او قرابة والجران العطشات
المتلهف وهو ههنا المحزون على قتلاه ومما يروى لزهير
بن جناب المحرق

اذا ما شئت ان تسلى حبيبا	۞	فاكثر دونه عدد الليالي
فما سلى حبيبك مثل ناي	۞	ولا بلى جديدك كابتذال

مجلس آخر سابع عشر ومن المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه
حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن
عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان
بن مضر وانما سمي الحارث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل
فقأ عينه وقيل ان اسم ذي الاصبع حرثان بن حويرث وقيل حرثان
بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب تلقيبه بذي الاصبع ان حية
نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائتي وسبعين
سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب
في الجاهلية ويذكر الجاحظ انه كان اثرم ومما يروى عنه

لا يبعدن عهد الشباب ولا	۞	لذاته ونباته النضر
لولا اولئك ما حفلت متى	۞	عوليت في حرجي الى قبري

خبت كذا كان

المتلهف

عتاب

قال وام عمرو
ام قيس عيلان الناس بالنرث

فهم بقبيلة

حرجي

فرت ابلة ابغاك هوى	۞	وان اغني لتغار ثم طهر

وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن خدمك
وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة
منا ما في نفسها فقالت الكبرى

الا هل اراها مرة وضجيعها	۞	اشم كنصل السيف عين مهند
عليم بادواء النساء واهله	۞	اذا ما انتمى في سر اهلي ومحتدي

ويروى ومن اهل ... فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته

قالت الثانية

الا ليت زوجي من اناس ذوي غنى	۞	حديث الشباب طيب الثوب والعطر
لصوق باكباد النساء كانه	۞	خليفة جان لا ينام على وتر

ويروى لا ينام على هجر فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك

قالت الثالثة

الا ليته يكسى الجمال نديه	۞	له جفنة يشقى بها المعزاء والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة	۞	تشين فلا فان ولا ضرع غمر

فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا فقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول
شيئا فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت
زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن اربعتهن فمكثن حولا
ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير زوج يكرم
الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها
جرعا ونأكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفنا معا قال يا بنية زوج كريم
ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك فقالت خير زوج
يكرم اهله وينسى فضله قال فما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ
الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم
اتى الثالثة فقال يا بنية كيف زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر

هذا لك اول

غير المهتد
ويروى غير مقتد

ويروى خير مال الابل

فضعفنا

فقلن فما لكم قالت المعزى قالت فما هي قالت لو كنا نولدها
فطما ونسلخها أدما وبودي أدما بالفنع لو نبغ بها نعما فقالت الخامسة جذوة
مغنية وبردى جذوة مغنية تواق الشعرى فقالت ابنة كيف ذلك
قالت شر نوع بجرم نفسه تنعين عرشه قالت فما لكم قالت شر مال
قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن
وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه امرؤ بعض بزه فنسيت مثلا قال
المرتضى رضي الله عنه أما قول إحدى بناته أشم فالشمم هو ارتفاع أرنبة
الأنف وتقننها يقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم قال حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة أحسابهم	شم الأنوف من الطراز الأول

فالشمم الارتفاع في كل شيء فيحتمل أن يكون أراد حسان بشمم الأنوف
ما ذكرناه من بعد الأنفة لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز
أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور وكذا
يكون جميعا وخص الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والأنفة فيها ولم يرد
بقوله أشم هذا المعنى أن يكون مراده لأنه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض
اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم
وأفعالهم كما يقول القائل جاءني فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهه
بكذا وكذا وإنما يعني ما ذكرناه وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل
الوجهين أيضا وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفعال
آبائهم وسلفهم وإنهم لم يحدثوا أخلاقا فاسدة مذمومة لا تشبه نجابتهم وأصولهم
وقولها عين مسند أي هو المسند بعينه كما يقال هذا بعينه وعين الشيء
نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مسند أي ليس هو المنسوب الملحق في
الحقيقة وإنما هو مشبه في مصاير فعلها من سراة أهل أي من أكرمهم و
أحسبهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي
أطيبه ترابا والمحتد الأصل وقول الثانية الربعة فإنما تكون كما أعلاه
لأن من لا يعد طولا أفضل أبو ذلك الذي لا خير عنده والكريم الفاضل

حذوة جذوى بلا ...

ابن أبي قحافة ذر

في الشعر م

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن / مارية الجواد المفضل يغشون حتى ما تهر كلابهم / لا يسألون عن السواد المقبل

في أول البيت م

قال أدام الله ظله بل الأولى أن يريد بشم الأنف لأن العرب تمدح بذلك والغرض أنه لم يكن لطمهم أحد فتنطس أنوفهم

السيف م

معناه أن م

من الناس هو المحسد المعادي وقولها لصوق بأكباد النساء يعني في
المضاجعة ويحتمل أن يكون أرادت في المحبة والمودة وكنت بذلك عن شغف
محبتهن له وميلهن إليه ونزاعهن إليه وقولها كأنه خليفة جان أي كأنه حية
للصورة والجان جنس من الحيات فخففت لضرورة الشعر وقول
الثانية يحمي الجمال بديه فالندي هو المجلس وقولها لم حكمات الدهر
كقول قد أحكمته التجارب وجعلته حكيما فأما الضرع فهو الضعيف
كالغمر الذي لم يجرب الأمور وقولها كريم الحليلة ومعطي الوسيلة
فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها تشرب ألبانها جزعا
فالجزع جمع جزعة وهي ملء القليل يبقى في الإناء وقولها مرعا المزعزع
من دسم ويقال ما الرجل بمرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد بالضم وجزعة وقد
عبر بكسرها فيقول جزعة فإذا كثرت فينبغي أن يكون تشرب ألبانها و
تكثر المزعة أيضا لم يزوج الكلام فيقول فيأكل لحمها مزعا ...
المزعة بالكسر هي القطعة من الشحم والمزعة أيضا بالكسر في الريش و
القطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتفريق ويقال
إن الكلب ليكاد يتمزع من الغيظ وتمزع الظبي في عدوه تمزعا إذا أسرع وقد
مال العيم أي كثير وقول الثانية تودك السقا من الودك الذي هو الدسم
وقول الثالثة نولدها فطما الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع
وقولها نسلخها أدما فالأدم جمع أديم وهو الجلد وكل فيقول لو أنا
فطمناها عند الولاد وسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعما وعلى
الرواية الأخرى أدما من الأديم وقولها جذوة مغنية فالجذوة القطعة
وقول الصغرى جوف لا يشبعن الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف
والهيم العطاش لا ينقعن أي لا يروين وقولها وأمر مغويتهن يتبعن
أي القطيع من الضأن يتبع قطرة فيتبل واحدة تقع في الماء فيقعن
كلهن اتباعا لها والضأن توصف بالبلادة أخبرنا أبو الحسن علي بن الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس

والعرب تفتخر بذلك في أشعارها قال شاعرهم / إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس / أهل الفضل قد حسدوا ... / ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا / أن تعد معايبه ... كثرة ...

قال مولانا ... علي لأن يكون من الحبيبة أحسن وأقرب إلى الصواب ... يكون من ابن ...

جن عام

بخط الشجري على الحاشية وجدت في بعض الروايات تودل السقاء باللام من الإدل وهو اللبن الحامض فقوله م ل

حذوة ذر

محله م

قال ابن دريد واخبرنا ابو ... عن ابي ... المنذر بن عدي عن
مشعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك
بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس على فرائضهم فاتيناه فقال من
القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان ... قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض	۵	بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض	۵	ارعاء وابناء ...
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي	۵	ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض

ثم اقبل على رجل كان ... فقال ... جسيم فقال ابن الحكم تقول هذا الشعر
فقال لا ادري فقلت من خلفه يقوله ذو الاصبع ... فاقبل على ذلك الجسيم فقال
وما كان اسم ذي الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه حرثان فاقبل عليه وتركني
فقال لم سمي ذا الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته حية
على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان فقال لا ادري فقلت
انا من خلفه من بني تاج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال
سبع مائة فاقبل علي فقال كم عطاؤك قلت اربعمائة فقال يا ابا
الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي
سبع مائة وعطاؤه اربع مائة وفي رواية اخرى انه لما قال لمن الحكم كان
وعطاؤه اربع مائة وفي رواية اخرى فقال لا ادري فقلت انا من خلفه

	ومن بني ناج الذي يقول فيهم الناس	
واما بنو ناج فلا تذكرنهم	۵	ولا تتبعن عينيك من كان هالكا
اذا قلت معروفا لاصلح بينهم	۵	يقول وهيب لا اسالم ذلكا
فاضحى كظهر العود جب سنامه	۵	يدب الى الاعداء احدب باركا
	ويروى	
فاضحى كظهر العود جب سنامه	۵	تحوم عليه الطير احدب باركا

وقد تروى هذه الابيات لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع
السائرة ايضا قوله

اجازه اعاده او شاركه في القعارة ... فاتته او حالته والكمل محك

اسم ...

لا اصلح ... قوله
لا اطاول قوله

الاحدب ... حراقه وبعض ...

اكاشره بالضغن المبين يشهر	۵	فاضحك حتى يبدو الناب اجمع
واهدنه بالقول هدنا ولو يرى	۵	سريرة ما اخفي لبات يفزع
	معنى اهدنه اسكنه ومن قوله ايضا	
اذا ما الدهر جر على اناس	۵	شراشره اناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا	۵	سيلقى الشامتون كما لقينا
معنى الشراشر ههنا الثقل ويقال القى عليه شراشره وجراميزه اي ثقله		
	ومن قوله	
ذهب الذين اذا رأوني مقبلا	۵	هشوا الي ورحبوا بالمقبل
وهم الذين اذا حملت حمالة	۵	ولقيتهم فكانني لم احمل
	ومن قوله وهي مشهورة	
لي ابن عم على ما كان من خلق	۵	مختلفان فاقليه ويقليني
ازرى بنا اننا شالت نعامتنا	۵	فخالني دونه بل خلته دوني
لاه ابن عمك لا افضلت في حسب	۵	عني ولا انت دياني فتخزوني
اني لعمرك ما بابي بذي غلق	۵	عن الصديق ولا خيري بممنون
ولا لساني على الادنى بمنطلق	۵	بالفاحشات ولا اغضي على الهون
ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي	۵	ان لا احبكم ان لم تحبوني
يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي	۵	اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
وانتم معشر زيد على مئة	۵	فاجمعوا امركم طرا فكيدوني
لا يخرج القسر مني غير مأبية	۵	ولا الين لمن لا يبتغي ليني

قوله شالت نعامتنا ... تفرقت ... ولا ... الى
يقال شالت نعامة القوم اذا خلوا عن الموضع وقوله لاه ابن عمك
اراد لله ابن عمك وقال ... ابن ... وقوله لاه ابن عمك وقوله
دياني الذي يلي امري ومعنى قوله فتخزوني اي تسوسني
والهون الهوان وقوله اضربك حيث تقول الهامة اسقوني قال الاصمعي
العطش في الهامة فاراد اضربك في ذلك الموضع اي على الهامة بحيث تعطش

ذلك
الخلاف الرجل ... الاشياء
... قوله
... الصديق قوله

كل امرئ صائر يوما لشيمته وان
تخلق اخلاقا الى حين

قال ... عن ... الاصمعي ... الخفيفين

وقالت العرب تقول إن الرجل إذا قُتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره وهذا باطل يجوزون تجنبه ذو الإصبع على مذهب العرب وقوله لا يخرج القتل عن هامته فالقسر القسر إياك أحدث قسما لو أرد إلا أباه ومن المعمرين معدي كرب الحميري من آل ذي رعين قال ابن سلام وقال

معدي كرب الحميري وقد طال عمره

أراني كلما أفنيت يوماً	أتاني بعده يوم جديد
يعود بياضه في كل فجر	ويأبى لي شبابي ما يعود

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية ويروى أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع أخبرني عما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية قال

أنا الذي أقول

ها أنا ذا آمل الخلود وقد	أدرك عقلي ومولدي حجرا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام أبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الإسلام قال أخبرني عن فتية من قريش متواطئي الأسماء قال سل عن أيهم شئت قال أخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء جذم ومقري ضخم قال فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فأخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال فأخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما أخبرك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري قال المرتضى رضي الله عنه إن كان هذا الخبر صحيحا فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معوية لا في ولايته لأن الربيع يقول في الخبر عشت في الإسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة

خمس وستين من الهجرة فإن كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه وقد روي أن الربيع أدرك أيام معوية ويقال إن الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

ألا أبلغ بني بني ربيع	فأشرار البنين لكم فداء
بأني قد كبرت ودق عظمي	فلا تشغلكم عني النساء
وإن كنائني لنساء صدق	وما آلى بني ولا أساؤوا
إذا كان الشتاء فأدفئوني	فإن الشيخ يهدمه الشتاء
وأما حين يذهب كل قر	فسربال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما	فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أصبح مني الشباب قد حسرا	إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل أن نودعه	لما قضى من جماعنا وطرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد	أدرك عقلي ومولدي حجرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به	هيهات هيهات طال ذا عمرا
أصبحت لا أحمل السلاح ولا	أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به	وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة أسر بها	أصبحت شيخا أعالج الكبرا

قوله عطاء جذم أي سريع بكل شيء تسرعت فيه فقد جذمته وفي الحديث إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فاحذم أي أسرع والمقري الإناء الذي يقرى فيه وقوله فما آلى بني ولا أساؤوا أي لم يقصروا والآلي المقصر مجلس ثامن عشر ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال أبو حاتم عاش مائتي سنة وقال في ذلك

حنتني حانيات الدهر حتى	كأني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني	ولست مقيدا أني بقيد

قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضا بعدهما

تعارف خطو رجليك يا دويد	٥	وقيدك الزمان بشر قيد
وإني من القوم الذين هم هم	٥	إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب	٥	بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم	٥	دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود	٥	تسير المنايا حيث سارت كتائبه

يعني البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حجر

إذا مقرم منا ذرا حد نابه	٥	تخمط فينا ناب آخر مقرم

وأطيب العنوي مثل هذا المعنى وهو قوله

كواكب دجن كلما انقض كوكب	٥	بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقد أخذ الخريمي هذا المعنى فقال

إذا قمر منا تغور أو خبا	٥	بدا قمر في جانب الأفق يلمع
خلافة أهل الأرض فينا وراثة		إذا مات منا سيد قام صاحبه

ومثله

إذا سيد منا مضى لسبيله	٥	أقام عمود الملك آخر سيد

وكان مراجع المعنى نظرا إلى قول أبي الطمحان أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم فقال

وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها	٥	صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

ويقارب ذلك قول حجية بن المضرب الكندي التغلبي

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت	٥	لنورهم الشمس المضيئة والبدر

وأنشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت أبي الطمحان

من البيض الوجوه بني سنان	٥	لو انك تستضيء بهم أضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلى	٥	ومن كرم العشيرة حيث شاءوا
فلو ان السماء دنت لمجد	٥	ومكرمة دنت لهم السماء

وهو القائل

ومثل ذلك قوله

الذي يقول

بيان المضرب

وأبو الطمحان القائل

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة	٥	فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وهو القائل

إذا شاء راعيها استقى من وقيعة	٥	كعين الغراب صفوها لم يكدر

الوقيعة والمستنقع في الصخرة للماء يقال للماء إذا نزل من صخرة فوقع في بطن أخرى هو ماء الوقائع وأنشد لذي الرمة

ونلنا سقاطا من حديث كأنه	٥	جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء المشرع وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل ماء المفاصل وأنشد لأبي ذؤيب

مطافيل أبكار حديث نتاجها	٥	تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وأنشد أبو عمرو لأبي الطمحان السعدي

بني إذا ما سامك الذل قاهر	٥	عزيز فبعض الذل أبقى وأحرز
ولا تحم من بعض الأمور تعززا	٥	فقد يورث الذل الطويل التعزز

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفري ويروى لأبي الطمحان أيضا وسل هذا المعنى

بأرض مطلوب يوما بثبت لها	٥	تمنى تخلي إذا ما غاب نصاب
حتى إذا ما انقضت عني عمايتها	٥	ونحت فيها ذنوبا لمحذر الفتن

قريع المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة ويقال الحارث وإنما سمي بقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين على قومه فقالوا له ما أنت إلا بقيلة فسمي بذلك وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الإسلام فلم يسلم وكان نصرانيا ويروى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه أهلها أرسل إليهم ابعثوا إلي رجلا من عقلائكم وذوي أسنانكم فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بقيلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال أنعم صباحا أيها الملك قال قد أغنانا الله عن تحيتك

ويروى صفوها

[illegible]

الفاصل [illegible]

ولا تحم

[illegible]

أفناكم

فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال فمن أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام أنت قال على الأرض قال ففيم أنت قال في ثيابي قال أتعقل لا عقلت قال إي والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط إني أسأله عن الشيء وينحو في غيره قال ما أنبأتك إلا عما سألت فسل عما بدا لك قال أعرب أنتم أم نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب أنتم أم سلم قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه قال كم أتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من أهل الحيرة تضع مكتلها على رأسها لا تزود إلا رغيفا واحدا حتى تأتي الشام ثم أصبحت خرابا يبابا وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال السم قال وما تصنع به قال إن كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلا وبلاء أشربه فأستريح من الدنيا فإنما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء ثم أكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق فأفاق كأنما أنشط من عقال فرجع ابن بقيلة إلى قومه فقال جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم فإن هذا أمر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف

درهم وأنشأ ابن بقيلة يقول

أبعد المنذرين أرى سواما	تروّح بالخورنق والسدير
تحاماه فوارس كل قوم	مخافة ضيغم عالي الزئير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس	كمثل الشاء في اليوم المطير
[illegible] أبا قابوس فصغر [illegible] كمثل المعز [illegible]	
تقسّمنا القبائل من معدّ	علانية كأيسار الجزور

قال م

ابن كم ... ل

لبقيه

[illegible]

اذ [illegible] السفينة [illegible] وذلك الموضع [illegible]

قد أصبحت اليوم

في كفه م

نشط

ولما بعد المنذرين [illegible] المنذر بن ماء السماء [illegible] المنذر بن امرئ القيس [illegible] الأكبر الذي بنى الخورنق [illegible]

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى	وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال	فيوم من مساءة أو سرور

ويقال إن عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر ابن بقيلة قال

لقد بنيت للحدثان حصنا	لو ان المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخرا	لأنواع الرياح به حنين

ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة

والناس أبناء علات فمن علموا	أن قد أقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لأم إن رأوا نشبا	فذاك بالغيب محفوظ ومحفود

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بني أم ذي المال الكثير يرونه	وإن كان عبدا سيد الأمر [illegible]
وهم لمقل المال أولاد علة	وإن كان محضا في العمومة [illegible]

ويذكر أن بعض مشايخ أهل الحيرة خرج إلى ظهرها يختط ديرا فلما احتفر موضع الأساس وأمعن في الاحتفار أصاب كهيئة البيت فدخله فإذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة

أنا عبد المسيح بن بقيلة

حلبت الدهر أشطره حياتي	ونلت من المنى بلغ المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني	فلم أحفل بمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا	ولكن لا سبيل إلى الخلود

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا ليلى وذكر أبو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى	ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
ندامى عند المنذر بن محرق	أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

وخرج من قريظة

مساءة ل

أبناء علات أولاد من أمهات شتى

قبله

وإني وجدت الناس إلا أقلهم خفاف العهود يكثرون التنقلا

دائما ل

البيت ل

الجحفل الجيش العظيم القدر

قوله وإذا ... المتكلم

هول وفتيان كان وجوههم ... دنانير مما شيف في أرض قيصرا

فهذا يدل على أنه كان مع المنذر بن محرق وأما النابغة الذبياني كان مع النعمان بن المنذر بن محرق قوله شيف يعني جلي والمشوف المجلو وقيل إن النابغة مكث ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة باصبهان

وكان دهريا وهو الذي يقول

فمن يك سائلا عني فإني ... من الفتيان أيام الخنان

وأيام الخنان كانت للعرب قديما هاج بها بينهم مرض في إبلهم وخيلهم

مضت مائة لعام ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك وحجتان
فأبقى الدهر والأيام مني ... كما أبقى من السيف اليماني
تفلل وهو مأثور جراز ... إذا جمعت بقائمه اليدان

وقال أيضا في طول عمره

لبست أناسا فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أناس أناسا
ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الإله هو المستآسا

وعن الشابي المستغاث وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائتي سنة وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع أخوال النابغة الجعدي أنه عاش مائتي سنة وأدرك الإسلام وروى له

قالت أمامة كم عمرت زمانة ... وذبحت من عتر على الأوثان

العتيرة شاة تذبح للأصنام في رجب في الجاهلية

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها ... فيها وكنت أعد من الفتيان
والمنذر بن محرق في ملكه ... وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى ... وقوارع تتلى من القرآن
ولبست في الإسلام ثوبا واسعا ... من سيب لا حرم ولا منان

وقال أيضا في طول عمره

المرء يهوى أن يعيش ... وطول عيش ما يضره
تبلى بشاشته ويبقى ... بعد حلو العيش مره
وتتابع الأيام حتى ... لا يرى شيئا يسره
كم شامت بي إن هلكت ... وقائل لله دره

وروي أن النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول أتيت النبي صلى الله عليه وآله فأنشدته

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال صلى الله عليه وآله إلى أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يا رسول الله قال أجل إن شاء الله ثم أنشدته

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال صلى الله عليه وآله لا يفضض الله فاك وفي رواية أخرى لا يفضض الله فوك فيقال إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس وفي رواية أخرى قال فرأيته قد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت أخرى مكانها وهو أحسن الناس ثغرا تعني بروق برق كأن الماء يقطر منها قال المرتضى رضي الله عنه ومما يشاكل قوله إلى الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله إلى أين المظهر يا أبا ليلى وإن كان بعكس العكس ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثا

من فعل الجحاف بالبشر ثم أنشده

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول
فإن لم تغيرها قريش بملكها ... يكن من قريش مستماز ومرحل

فقال له عبد الملك إلى أين يا ابن اللخناء فقال إلى النار قال لو قلت غيرها لقطعت لسانك فقول الأخطل إلى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الجنة وأقل تعسفا من الجعدي التي ذكرنا منها الأبيات

خليلي غضا ساعة وتهجرا ... ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تسألا إن الحياة قصيرة ... فطيرا لروعات الحوادث أو قرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تعلما أن الملامة نفعها ... قليل إذا ما الشيء ولى فأدبرا

لو كان لله علم الغيب عمن سواه	٥	وتعلم منه ما مضى وتأخرا
وجاهلت حتى ما أحس من شيء [illegible]	٥	سهيلا إذا ما لاح ثم تحورا

يريد أن كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا أبدع معنى وفيها يقول

ونحن أناس لا نعود خيلنا	٥	إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا	٥	من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها	٥	صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

أخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال أنشدنا محمد بن سلام معنوية للنابغة الجعدي

تلوم على هلك البعير ظعينتي	٥	وكنت على لوم العواذل زاريا
ألم تعلمي أني رزئت محاربا	٥	فما لك منه اليوم شيء ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح	٥	وكان ابن أمي والخليل المصافيا
فتى كملت خيراته غير أنه	٥	جواد فما يبقي من المال باقيا
فتى كان فيه ما يسر صديقه	٥	على أن فيه ما يسوء الأعاديا
أشم طويل الساعدين سميدع	٥	إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

السميدع السيد ومما يروى للنابغة الجعدي

عصلبة أو من هلال بن عامر	٥	بذي الرمث من [illegible]
إذا انتجمت في البحث والليل [illegible]	٥	أضاءة دجى الليل البهيم [illegible]

ذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف بألف وخمار بواف قال الأصمعي صدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أسهل من الزلال [illegible] من الصخر [illegible]

سما لك هم ولم تطرب	٥	وبت ببث ولم تنصب
وقالت سليمى أرى رأسه	٥	كناصية الفرس الأشهب
وذلك من وقعات المنون	٥	ففيئي إليك ولا تعجبي
أتين على إخوتي سبعة	٥	وعدن على ربعي الأقرب

قال ثم يقول بعدها

فأدخلك الله برد الجنان	٥	جذلان في مدخل طيب

فلان كلامه حتى كأن [illegible] قال هذا البيت كان [illegible] قال الأصمعي طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما أدخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر عليهما وغيرهما لان شعره

مجلس آخر مسألة

تعلق بما ذكرناه إن سأل سائل فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم أن كثيرا من الناس يكذب بذلك ويحيله ويقول إنه لا قدرة عليه ولا سبيل إليه ومنهم من ينزل في إنكاره درجة فيقول إن ذلك وإن كان جائزا من طريق القدرة والإمكان فإنه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات وإن العادات إذا وثق الدليل بأنها لا تنخرق إلا على سبيل الإعجاز والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم أن جميع ما يروى من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت إلى مثله الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه عن باب الإمكان فقوله ظاهر الفساد لأنه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه إذا دام وانقطاعه إذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيا وغير حي حيا وإن شئت أن تقول هو استمرار الكون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وإنما شرطنا الاستمرار لأنه يبعد أن يوصف من كان حالة واحدة حيا بأن له عمرا بل لا بد أن يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وإن قل وشرطنا جواز أن يكون غير حي أو يكون لكونه ابتداء احترازا من أن يلزم عليه القديم تعالى لأنه جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وإن استمر كونه حيا وقد علمنا أن المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل إلا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى وما يحتاج إليه من البنية

سرّ في يجوز عليه البقاء وكذلك ما نحتاج إليه فليس تخصيص
الأجسام بطعوم عليها أو ضدّ ينفي ما نحتاج إليه ولا أقوى أثر لا ضدّ
لها في الحقيقة وإنّما ادّعى قوم أنّ ما نحتاج إليه ولو كان الكلام
مبنيًّا على تحقيقه لم يخلّ بما نقصده من هذا الباب بل مهما لم يفعل الله
تعالى ضدّها أو ضدّ ما نحتاج إليه البنية تنقض بأوض ففيه الحيّ فيمتنع كون الحيّ
حيًّا ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه
صحيحًا لأنّه تعالى قادر على أن يفعلها حالًا فحالًا ويوالي بين فعلها وما نحتاج
إليه فيستمرّ كون الحيّ حيًّا فأمّا ما يعرض من الهرم باستمرار الزمان وعلوّ
السنّ وتناقص بنية الإنسان فليس ممّا لا بدّ منه وإنّما أجرى الله تعالى
العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير
للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على أن لا يفعل ما أجرى العادة
بفعله وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أنّ تطاول العمر ممكن غير مستحيل وإنّما
أتي من أحال ذلك من حيث اعتقد أنّ استمرار كون الحيّ حيًّا موجب عن
طبيعة وقوّة لها مبلغ من المادّة متى انتهت إليه انقطعت واستحال أن تدوما
ولو أضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرّف لخرج عندهم من باب الاستحالة
فأمّا الكلام في دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها فلا شكّ أنّ العادة
قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة يعدّ الزائد عليها خارقًا للعادة إلّا أنّه
قد ثبت أنّ العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضًا ويجب
أن تراعى في العادة إضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت وليس
يمتنع أن ينقص ما كانت العادة جارية به على تدريج حتّى يصير حدوثه
خارقًا للعادة بغير خلاف وإلّا أن يكثر الخارق للعادة حتّى يصير حدوثه
غير خارق لها على خلاف فيه وإذا صحّ ذلك لم يمتنع أن تكون العادات
في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثمّ تناقص
ذلك على تدريج حتّى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما يبلغ
مبلغ تلك الأعمار خارقًا للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية

وربّما ادّعى قوم أنّا نحتاج إليه وإنّا نستغني باستغناء ما نحتاج إليه

متى انتهت إليه انقطعت واستحال أن تدوما

وإن يكثر

باب في الأجوبة الحاضرة المستحسنة التي تسمّيها قوم المسكتة اعلم
أنّ أجوبة المحاورة والمناظرة إنّما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب
سرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأي وورد بعد تقاعس لم يكن له في
النفوس وقع ولا حلّ من القلوب محلّ ما حضر السريع وإن كان المتأوّل أغرق
في نسب الصواب وأخذ بأطراف الحجّة ولهذا قيل أحسن الناس جوابًا وأحضرهم
قريش لما العرب وأنّ الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وتروية وقد مدح الجواب
الحاضر بكلّ لسان فقال صحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان وقد سأله
عن البلاغة فقال أن تصيب فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ ولطول الفكرة ولا
في الروية مذهب فإنّه لا تجد فيهما التسرّع والتعجّل كما لا تجد في قارئ
السرعة التأمّل والتلدّد وإنّما تحمد السرعة في أجوبة المحاورة والمناظرة
فتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التي
على الإنسان فيما يهمّه وكر في تأمّلها فسحة ولا عيب عليه معها في طول
التأمّل ومعاودة التصفّح ولهذا قال الأحنف بن قيس أعنوا الرأي فإنّ
ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده
الخوارج على الكلام حين عقدوا له أكره الرأي الفطير والكلام القضيب
وسئل عامر بن التوأم الرقاشي فأمسك عن الجواب وقال ما أحبّ
الحزّ إلّا بإثناء فأمّا قولهم ثلاث يعرفن في الأحمق سرعة الجواب وكثرة
الالتفات والثقة بكلّ أحد فمحمول على سرعة الجواب عند الرأي
والمشاورة والأحوال التي يستحبّ فيها التأنّي والتثبّت أو على الإسراع
من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثمّ نعود إلى
ما قصدناه روي أنّ بعض أزواج النبيّ صلى سألته متى يعرف
الإنسان ربّه فقال عليه السلام إذا عرف نفسه وقال النبيّ صلّى
الله عليه وآله لرجل لِمَ أكره الموت فقال عليه السلام ألك مال قال
نعم قال قدّم مالك فإنّ قلب كلّ امرئ عند ماله وقال يهوديّ
لأمير المؤمنين عليه السلام ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فيه فقال

الجوابات

لأي قوم

ثم اختصر ذلك فقال لا تخطئ ولا تبطئ

القضيب

صلّى الله عليه وآله وسلّم

عليه السلم انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر
حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وروي
انه لما فرغ عليه السلم من دفن الرسول صلى الله عليه وآله سأل عن خبر السقيفة
فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلم هلا
ذكرتم الانصار قول النبي صلى الله عليه وآله اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا
عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له عليه السلم
ابن الكوا يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة
وقيل له عليه السلم ما طعم الماء فقال طعم الحياة وقيل له كم بين المشرق
والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال
انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلم اذا اطراه رجل
قال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي اللهم اغفر لي ما لا يعلم اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال
حدثني ابو علي احمد بن اسمعيل قال حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي قال
قدم على الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب
الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر
عليهما السلم على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل
له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال او ما تعرفه قال
لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت اعجز من
هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما لئن خرج
لأسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت قلما تعرض
لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال
وخرج موسى بن جعفر فقام اليه نفيع الانصاري فاخذ بلجام حماره ثم قال
له من انت فقال له يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله بن
اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض
الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة

فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد
اخرج الينا اكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين
امر الله تعالى بالصلوة علينا في الصلوة المفروضة تقول اللهم صل على محمد
وآل محمد فنحن آل محمد خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف بخزي فقال
له عبد العزيز الم اقل لك وقال ان معوية استشار الاحنف بن قيس في
عقد البيعة لابنه يزيد فقال انت اعلم بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف
ابن يعقوب الحريمي(?) مدحك لمحمد بن منصور يا جودس ما ابلك فيه فقال كنا
نحمل المعاير(?) واليوم للوفا نحو منهما نوب(?) ودخل سطيع بن ابي ... الحادي
الى حباب(?) المهدي فدهش فقال السلم عليك يا امير المؤمنين فقيل له سلم فقال
… يا امير المؤمنين وقال معوية بن ابي سفيان لعقيل بن ابي طالب
كان حبيبا … فاجيبه انا اخبرك من اخيك فقال عقيل ان اخي آثر دينه
على دنياه وانت آثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي
منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال
وفيكم في النساء وقال لمعوية يوما وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب
فقال عقيل هذا معوية عمته حمالة الحطب يعني بعمة معوية ام جميل بنت حرب
بن امية وكانت امرأة ابي لهب وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال
عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب
فانظر ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا
يزيد انت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم وقيل لسعيد بن المسيب
وقد كف بصره الا تقدح عينك قال حتى افتحها على من ودخل معن
بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك
لتجلد قال على اعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك وقال عبيد الله
بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة تحدث بها عنك فقال
مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولؤم الغدرة لاحد اولى بها منك وقال
رجل لعمرو بن سعيد بن العاص لا تعرض لك قال اذا وقعت في الشغل وقال

معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق الى من أوصى
بك أبوك فقال ان أبي أوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن
زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة ألا أوصي بك فلانا فقال يا أبة
إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت وقال الوليد
بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الخمر فأنشده

كميت إذا شجت وفي الكأس وردة	٥	لها في عظام الشاربين دبيب

فقال الوليد شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها رابك
لقد رابني معرفتك بها ولما أخرج معوية الحسن بن علي صلوات
الله عليهما تعشى إلى ابن عباس يقول له ألا أحزنك بخبر قال هل عندك خبر من
المدينة قال لا قال ان أبا محمد الحسن قد توفي قال ابن عباس إذا لا ينسأ الله
في أجلك ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صغارا قال كلنا
كان صغيرا فكبر قال أحسبه بلغ سنا قال مثل مولده لا يجهل
قال معوية لو قال قائل انك أصبحت سيد قومك قال أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين بن
علي عليهما السلام فلا فلما كان من غد أتى يزيد بن معوية ابن عباس
يعوده في المسجد يعزيه فجلس بين يديه جلسة المعزي وأظهر حزنا وغما
فلما انصرف أنشد ابن عباس يقول إذا ذهب آل حرب ذهب
حلم قريش وروي أن وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتى
منهم الكلام فقال عمر ليتكلم أكبركم فقال الفتى لو كان الأمر بالسن لكان فيها
من هو أسن منك فقال تكلم يا فتى وأنشد محمد بن سلام الجمحي قال

	أنشد كثير عبد الملك بن مروان	
على ابن أبي العاص دلاص حصينة	٥	أجاد المسدي نسجها فأذالها
	فقال له هلا قلت كما قال الأعشى	
وإذا تكون كتيبة ملمومة	٥	شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة	٥	بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال له لقد وصفته بالخرق ووصفتك بالحزم وقتيبة ذلك ما روي

عن أبي عمرو بن العلاء أنه ربي بالزنجية فقال أنشدني قصيدة لك
فابتدأ منها ولم يحبك فأنشده أبياتا حتى بلغ إلى قوله

تصغي إذا شدها بالكور جانحة		حتى إذا ما استوى في غرزها تثب
	فقال له أبو عمرو قول عمك الراعي أحسن مما قلت وهو	
وهي إذا قام في غرزها	٥	كمثل السفينة أو أوقر
ولا تعجل المرء عند البروك	٥	وهي بركبته أبصر

فقالوا لو كان الراعي يصف ناقة ملك وكانا تصف ناقة سوقة
وحكى الصولي ان أعرابيا سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكاه فقال
سقط والله الرجل فأما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو
شبيه مضفور وقوله تصغي يريد تميل برأسها كأنها تسمع كأنها ليست
بنفور بل مؤتنبة مطمئنة والكور الرحل وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن
غاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدحه الخصيب بن عبد الحميد

فكأنها مصغ لتسمعه	٥	بعض الحديث بأذنه وقر

فلم يرض بأن يصفها حتى يصفها بالوقر لتكون ثقيل في الأذن لأن
الثقيل السمع يكون إصغاؤه وميله إلى جهة الحديث أشد وآكد قال
المرتضى رضي الله عنه وأنا لا أستحسن القصيدة التي منها هذا البيت
الذي أنشدناه لأبي نواس لأنها دون العشر بيتا وقد نسب في أولها
ثم وصف الناقة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذي قصده مدحه وذكر
حاجته كل ذلك بطبع سليم ولفظ رقيق وسهولة مع جزالة وهو

يا شقة نفسي أسكرها	٥	ما نقص منها ان الذكر
أعطتك فوق مناك من قبل	٥	قد كن قبل بها بعشر
جئني إليك بها سوالفه	٥	نشأت ضياء عنه السحر
ظلت حميا الكأس تبسطنا	٥	حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به	٥	عن ناجذيه وحلت الخمر

أما قوله حلت الخمر فيحتمل أن يريد بذلك ما وصفه من طيب الموضع و

بتكامل السرور به وحصول المأمول فيه فصار مقتضيا لشرب الخمر وملجيا إلى استباحتها وتناولها للحرج فيها على مذهب الشعراء وفي الناس من يقول فائدة وصفها بأنها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل أن يكون عقد على نفسه ألا يشربها ولا يحلها إلا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع متعذرا كما يتعذر على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بثأرهم ويجري ذلك مجرى

قول الشنفرى

حلت لي الخمر وكانت حراما	٥	وبلأي ما ألمت تحل

ويحتمل أن يريد بحلت نزلت وأقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال وكأنه وصف بلوغ جميع آماله وحضور لذاته فأنها تكاملت بحلول الخمر التي فيها جميع اللذات وهذا الوجه وإن لم يشر إليه أحد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول محتمل له ولا مانع من أن يكون مرادا وقد قيل إنه أراد استحللنا الخمر لما سكرنا وفقدنا العقول التي كانت تمنع لها عن الحرام والوجوه المتقدمة أشبه وأقرب إلى الصواب

ولقد تحجب ربة العلاة إذا	٥	صام النهار وقالت العفر

أراد صام النهار وقف وذلك وصف له بالاستداد والطول والعفر الظباء اللواتي في ألوانهن حمرة تخالطها كدرة وقالت من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

شدنية رعت الحمى فأتت	٥	جرل الحمال كأنما قصر

شدنية منسوبة إلى شدن وهو موضع باليمن يقال إبل شدنية

تثني على الحاذين ذا خصل	٥	تعما أمر السدكان والخطر

الحاذان مؤخر الفخذ والسدكان رفع الناقة ذنبها من المرح والخطران معروف من خطر يخطر وتعما أمر أي فتل

أما إذا رفعته شامذة	٥	فتقول رنق فوقها نسر

يعني بشامذة أي شائلة الذنب في رفع ذنبها وقال رنق الطائر إذا

نشر

	نشر جناحا طائر من عرعرت	
أما إذا وضعته خافضة	٥	فتقول أرخي خلفها ستر
وكأن أحيانا تحسسها	٥	ستر تتبع عتاده أثر

يعني بيستبقها يحرك رأسها من الأرض والمتحير الذي يتبع الوحش ويتأمل ويعني عتاده آثاره وهو يعني يطلب الأثر وهو كل ما يتبعه ويقال الأثر والأثر كأنه ثلاث لغات وجعل الصولي في تفسير هذا البيت أنه قال إن أباه بالآثار جمع الأثر أثار ثم جمع الآثار آثر ثم خفف فقال أثر وليس يحتاج إلى ما ذكره لأنا سمعنا أثر وأثر على ما بيناه وإنما ذهب عليه أن يقال في الأثر وبعد هذه الأبيات

فإذا قصرت لها الزمام سما	٥	فوق المقادم ملطم حر
فكأنها صبغ لتسمعه	٥	بعض الحديث بأذنيه وقر
تبري لأنقاض أضر بها	٥	جذب البرى فخدودها صعر

يعني تبري تنبري أي تعرض لهذه الأنقاض والأنقاض جمع نقض وهو البعير الذي هزله السفر والكد والبرى جمع برة وهي الحلقة تكون في أنف البعير

	يدلك بها	
يوما أليك مما سوأل	٥	عتبوا فأعتبهم لك الدهر
أنت الحبيب وهذه شعر	٥	قد صدقنا فكذا كما تجر
لا تعدلي عمن سعدت أتى	٥	شيئا فما لك إليه عذر
وتحولي إن شئت محكما	٥	أن لا يحول بنا حتى تقر

قال رضي الله عنه نعود إلى ما كنا أخذنا فيه من ذكر محاسن الجوابات روي أن رجلا نظر إلى كتاب الشاعر راكبا وأبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام ماش فقيل له أتركب وأبو جعفر يمشي فقال هو أمرني بذلك كنا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصيانه إياه بالمشي وروي أن دعاة خراسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أرادنا ولدك محمد بن علي فقال أولئك بالسيادة ولست بصاحبكم فقالوا لو أراد الله بنا خيرا لكنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك

الفقرة مجلس آخر

أبو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

لأبي عبد الله ام أردت الخروج علينا فقال نحن نذل عليكم في دولتكم
غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم. وقال عبد الملك بن مروان
لخصيب الشاعر هل لك في الشراب فقال لم يعقب الشعر مثلثا والهوينا
ترشدانا فلما قد تجي اليك عقلي نهيبة لي. وقال مروان بن محمد الملقب
بالحمار لحاجبه وقد دنى منه ما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك
فقال كاعهم لكن لم تفعل كسوتك فقال وددت انك تقدر على ذلك. وقال
يحيى بن خالد البرمكي علمنا مما علمك الله فقال لم تنبهك اذا علمتم مما تعلمون
علمنا عقلها تجهلون. وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال
ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل. وقيل لأبي دلف الأنباري ونظر إلى
لحيته تسوس فرسه اهنتها يا أبا دلف فقال اهنتها لكرامتي كما اكرمتها بهوانها

ويبذل لك نول اعراض يحفظ بل على باب السلطان	
أهين لهم نفسي لأكرمها بهم	ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه
فقام رجل إلى المنصور فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك
قال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك
فقال عمارة ما هو لي بخصم لم كيف فإن كانت الضيعة له فلست
أنا أنازعه فيها وإن كانت لي فهي له وما أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين
لا قعد أدنى منه بسبب ضيعة. وقال هشام بن عبد الملك
لرجل في الكعبة سلني حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله. وهرب
سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ألا تسمع أن الله تعالى يقول
قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون
إلا قليلا فقال ذلك القليل نطلب. وقيل إن الجعد بن درهم
جعل في قارورة تراباً وماء فاستحال دودا وهواما فقال أنا خلقت
ذلك لأني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد
عليهما السلام فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والإناث

إن كان خلقه وكم وزن كل واحد منهن وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن
يرجع إلى غيره فانقطع وهرب. وقال المأمون للفضل بن سهل
إنما أخاف عليك أقواما يعادونك فلا تركب إلا في حشم فقال الفضل
ما أخاف غيرك فإن أشغلني من نفسك لم يضرني إنسان. وقيل لأبي عمرو
ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال إنهما
في العلم كهيئتهما بين أبويهما في العرف. فأراد المأمون تقبيل السلام
وجلس بالطوال العمال فقام إليه رجل من الدهاقين فقال يا أمير المؤمنين
إن الله عز وجل قد عيّنا بالأمر فلا تعنّنا فأضرب عن ذلك. وقال
رجل لابن عباس نذحني من ثلاثة وكانت بينهم في مجوس فقال لا أرضنا
لك إنما خشيت قال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك
لها. وشبيه هذا الخبر ما يحكيه المدائني قال كتب عمر بن
عبد العزيز رجلا من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية
المزني وبين القاسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله بن غطفان فيولي
القضاء أنفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي
أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين عن
منزلته قولي وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما
فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسل عني ولا عنه فوالله
الذي لا إله إلا هو إن إياسا أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء فإن كنت
عندك ممن يصدق فينبغي أن تقبل مني وإن كنت كاذبا فما يحل
لك أن توليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي إنك جئت برجل فأقمته
على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بأن يقذفك بيمين حلفها كاذبا
فيستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي أما إذ فطنت
فأنا أوليك فاستقضاه. ولما أمضى معاوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه
فقال يزيد لأبيه ما ندري أنخدع أم نخدعهم فقال معاوية يا بني من تخادع
لك ليتخادع فقد خدعته. ودخل عبد الملك بن مروان ليلة بعض دوره

بنفسه وقد جمع صوت قصار يقول لبنيه كونوا قصاراً لا أعيش لما أرى
يوماً يوم تبلغ أبا حازم فقال لا نحمد الله الذي جعلهم عند الموت يحسنون
ما يجبن به ولا يحسنون في الحياة ما أمر به **وقال** الواثق للجاحظ
يا أبا عثمان فقال لو كان الذي أستفتي إليه عندك ما قدرت على شيء من
كثرة عيوب فكيف أكون على دينار **وقال** ابن عباس رضي الله عنه للخوارج
فقال أسكر أمير المؤمنين علي عليه السلام اللهم أنشدكم الله أيما أعلم بالتنزيل
والتأويل علي أم أنتم قالوا علي قال فلم تنكرون لعل ذلك حكم بتحكيمه
على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم **وقال** عتبة بن أبي سفيان
لعبد الله بن عباس ما منع علي بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين فقال
أما والله لو جعلني لاعترضت مدارج أنفاسه أطير إذا أسف وأسف إذا
استطار ولعقدت له عقداً لا تنقض مريرته ولا يدرك
طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى أجل والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا
وقال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام لكثير امتدحت
عبد الملك بن مروان فقال لم أقل له يا إمام الهدى إنما قلت له يا شجاع والشجاع
حية ويا أسد والأسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم أبو جعفر
وقالت [illegible] عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت
ألأم من أصحابك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك فقال هذا
من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف
منا عنهم **ونظر** إبراهيم النخعي إلى [illegible] فقال [illegible] الحج
يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها
رياء **أخبرنا** أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر
قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم
لما فتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله وآلات لم يسمع بمثلها فأراد
أن يري الناس عظم ما فتح ويعرفهم القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت
وفي صحنها قدور يرتقى إليها بسلالم فإذا بالحضين بن المنذر بن

الحضين

الحرث

الحرث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين
شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة ائذن
لي في معاتبته قال لا ترده فإنه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان
عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على
الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسن عمك عن تسور
الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب
بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان
قال يا أبا ساسان من الذي يقول

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل	تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غني	وباهلة بن يعصر والرباب

يريد يا خيبة قال أعرف الذي يقول

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع	إذا عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

قوم قتيبة أمهم وأبوهم	لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

فقال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه
الكثير الطيب هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً
فأغضبه فقال والله لقد بلغني أن امرأة الحضين حملت إليه وهي حبلى
من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد
غلاماً على فراشي فيقال ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة
على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك **وقال** شريك الغنوي لعلوس بن تميم
فقال له التميمي أتحب من الجوارح البازي فقال شريك خاصة إذا كان يصطاد القطا

أراد التميمي بقول البازي قول جرير

أنا البازي المطل على نمير	أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد شريك بقوله إذا صاد القطا قول الطرماح

في كتاب الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي

وكان عبد الله من باهلة وكانت باهلة أرذال العرب ولهذا قال الشاعر: ولا ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة

اصطادة له

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا	ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فتقدمت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك إنها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذلك قال شريك ولا أنا أردته فمعنى شريك أن عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير

فغض الطرف إنك من نمير	فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعنى شريك بقوله مكتوبة قول الشاعر

لا تأمنن فزاريا خلوت به	على قلوصك واكتبها بأسيار

اكتبها أشددها وأنشد أبو تمام أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ إلى قوله

إقدام عمرو في سماحة حاتم	في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال له الكندي الفيلسوف ما صنعت شيئا قال وكيف قال لأنك شبهت ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب وما زادوا الممدوح من كان فيه قدرا فأطرق أبو تمام ثم رفع رأسه وأنشد فقال قول ما أنا فيه إلى قوله

يجل أمر على مجاهد عامر	بأسا وفتى في نجاحها المتحير

فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد

لا تنكروا ضربي له من دونه	مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره	مثلا من المشكاة والنبراس

وقال ابن هبيرة لأبي الأسود وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسودة بنو العباس لا تحمدن لك منهم عبدا صالحا بخدمتك فلما علت كلمتهم ونشرت دعوتهم قال أبو الأسود لا تشرك له قط فيهم مولى صالحا أخدمه وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي إن خصالك كلها مكروهة حقيق بك فقال أنا خزانة حفظ العهد ولست نقد نظر ابن الرومي إلى هذا المعنى في قوله

وما الحضارة توأم السكر في الفتى	بعض التجارب بين الحضر

يقال كتب البغلة أي جمعت بين شفريها بحلقة

الكلوب ... [illegible]

فمن تر حمدا على ذي إساءة	فثم تر شكرا على حسن العرف

إذا الأمر ذلت كل ما آن ذايع من البذل فيها فهي ناهيك من آخر وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت لي قط قال نعم ولكن قال كيف قال ما لنا بين يدي قتل الله عبدا إن سألني أصدقك ولكن خلفت حتى الملك ولئن تبرأت قال فأمر بقتله أما البين في الأرض قال ابن مقبل سو ... لا العالمين أي تسرب وهذا ذلك البيت

ويقرأ بالعناقيد كما قال

عش ما للحال تجري	وما لي خرجت من العواقب

فقال أنا أكبر من العروس وقال عبد الملك بن مروان للهيثم بن الأسود ما مالك فقال قوام من العيش وغنى من الناس فقيل له لم لا تخبره بكثرة ماله قال إن كان قليلا حسدني وإن كان كثيرا ازدراني ودخل الأحنف بعد من الحجاج فلما جلس الرجل على تلك ذلك فقال له رجل من الحجاب قل له ما تلقاه حتى أنكر عبد فقال الأول لا أنا حتى يكون تمهد وقال معاوية لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بل يوم أشرت علي بما تزوج علي بن أبي طالب وأنت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر إلى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إما أن تقتله فقد قتلت قتال الأقران وازددت شرفا إلى شرفك وخلوت بملكك وإما أن يقتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال معاوية هذه أشد علي من الأولى فقال عمرو أنت من جهادك في شك فتنوب منه الساعة قال دعني منك الآن وقيل للأحنف ما تقول في مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وروى المبرد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا فقال إن كنت تريد بي الصراع فليس عندي وإن كنت تريد عقلي ورأيي فهما أوفر ما كانا وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة وروى عن الشعبي أنه قال قاتل الله أبا الأسود

الحطيط

فالأرض ... سور مكة المكرمة

تضيق ولا أبي عبث ذلك الأعمش ...

فتكون ... يعني فتكون ...

صرف ... والحود ...

ما كان أعفّ أطرافه وأحضر جوابه دخل على معوية بالنخيلة فقال له معوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا قال كنت أجمع ألفا من المهاجرين وأبنائهم وألفا من الأنصار وأبنائهم ثم أقول يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معوية وقال الحمد لله الذي كفاناك وقد روي أن أبا الأسود طلب أن يجوز في الحكومة وقال لأمير المؤمنين عليه السلام في وقت التحكيم يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فإني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت أشطره فوجدته قريب القعر مع أنه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه فابعثني فإنه لا يحل عقدة إلا عقدت له أشد منها وإنهم قد رموك بحجر الأرض فإن قيل إنه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلا من تعقد وكان في الخلاف كالنجم فأبى عليه السلام عليه وروى محمد بن يزيد النحوي أن أبا الأسود كان نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود كان شيعيا فكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا ذلك فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما في العرب أحب إلي طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لأنكم إذا كنتم أمرا علمت أنه غي فاجتنبته وإذا اجتنبتم أمرا علمت أنه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول

يقول الأرذلون بنو قشير	طوال الدهر لا تنسى عليا
أحب محمدا حبا شديدا	وعباسا وحمزة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى	أجيء إذا بعثت على هويا
فإن يك حبهم رشدا أصبه	ولست بمخطئ إن كان غيا

فقالوا شككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالى يقول وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أفترون الله شك عز وجل أما قوله هويا فإنها لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى والعصى والفتى والقفا

قال أبو ذؤيب الهذلي

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم	فتخرموا ولكل جنب مصرع

وروي أن أبا الأسود دخل على معوية فقال له لقد أصبحت جميلا يا أبا الأسود فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال

أفنى الشباب الذي فارقت بهجته	كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما	شيئا أخاف عليه لذعة الحدق

وروي أنه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم أقاربك في هذا الثوب فقال له إن لم تقارب شيئا باعدتك فقال له بكم هو قال أعطيت به كذا وكذا قال لقد أبيت إلا ما تحتسبه عما فاتك وروي أنه كان ماشيا في طريق فقال له رجل يا ابن الطريق الطريق فقال له اعرض الطريق عدل لي وحضر أبو الأسود فقيل له هو أبرأ قال ذاك أشد له ودخل أن امرأة لأبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير إن هذا يريد أن يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وحجري له فناء وثديي له سقاء فقال أبو الأسود أبهذا تريدين أن تغلبيني على ابني والله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه فقالت كذلك إلا أنك حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه فقال رجل لأبي الأسود أنت والله ظريف لفظ ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه أعرابي يوما فقال أبو الأسود كلمة مقولة قال أتأذن لي في الدخول قال وراءك أوسع لك قال فهل عندك شيء قال نعم قال أطعمني قال عيالي أحق به قال ما رأيت ألأم منك قال نسيت نفسك قال وسأله رجل شيئا فمنعه فقال ما أصبحت حاتميا قال بلى لقد أصبحت حاتميا من حيث لا تدري أليس حاتم الذي يقول

أماوي إما مانع فمبين	وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

أخبرنا أبو عبيد محمد بن عمران المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمان بن عبد الملك أتي بيزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وكان دميما تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله من

من أجوك يسمك ودلّى مثلك فقال يا أمير المؤمنين ما ينبغي بالأمر
... ولو رأيتني ... لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت
ما استحقرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج يهوي في النار أم قد استقر
فقال يا أمير المؤمنين لا تقل كذا فإن الحجاج وطّأ لكم المنابر وذلّل لكم الأعداء ووطّد لكم الملك
وتبع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك
عبد الملك ويسار أخيك الوليد فضعه حيث شئت ودخل خالد بن
صفوان فأجلس من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبسي
من أنت فقال أنا خالد بن صفوان بن الأهتم فقال له العبسي إن خالداً
هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله عز وجل كمثل صفوان
عليه تراب وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد يا أخا
بني عبد الدار أتكلم وقد هشمتك هاشم وأمتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم
وجمحتك بنو جمح فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا فقام
العبسي محموماً وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث
أما ... بك يا ابن أم شريح لقد عهدتك وإن شأنك لشؤن فقال
له شريح إنك لتعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك وروى
أبو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص فقعد

الحطيئة فلما استقر به المجلس قال

إليك فررت منك ومن زياد	٥	ولم أحسب دمي لكما حلالا
فإن يكن الهجاء أحلّ قتلي	٥	فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغرّ الجحاجح من قريش	٥	إذا ما الأمر في الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيد	٥	كأنهم يرون به الهلالا

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لا ما كنا نعلّل به منذ اليوم
يا غلام أدركت أمك الحجاز فقال لا ولكن قد أتاها أبي فقال الحطيئة بعد ذلك لو أن
كانت قد أتت أمك الحجاز فقد نعت بما تمكنت مني وأراد الفرزدق
بقوله ولكن قد أتاها أبي فوقع بأمك فكنت ابنه ويشبه ذلك ما يروى

أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً والناس حوله إذ مرّ به الكميت بن زيد
فقال له الفرزدق كيف ترى شعري فقال الكميت حسن ... فقال له الفرزدق
أيسرك أن أكون أباك قال أما أبي فلا أبغي به بدلاً ولكن يسرني أن لو كنت أمي فقال
له الفرزدق اكتم هذه على عمك يا ابن أخي فما رُبّ مثلها وذكر أن عبد
الملك ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الرأي فقال له كيف رأيت ما أحسن غلبة الكبير
وردّك الله على عقبيك فقال له الرجل أوَمن ردّ إليك يا أمير المؤمنين فقد
ردّ على عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك
يا أبا عبد الله عزلوك عن القضاء وما رأينا قاضياً عُزل فقال شريك هم الملوك
يعزلون ويخلعون غير أن أباك ما خلع من ولاية العهد وذكر أبو عبيدة
معمر بن المثنى أن المفضل الضبي ... وهب لبعض جلسائه أيام الأضحى أضحية
فلما لقيه قال كيف وجدت أضحيتك قال ما وجدت لها دماً حين يقول

الشاعر

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد	٥	من اللؤم للضبي لحماً ولا دما

وروي عن المأمون أنه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب
ثلاثة أحدهم أم الفضل بن سهل فإني عزّيتها عن ابنها فقلت لا تحزني
على الفضل فإني ولدك فقالت كيف لا أحزن على من جعل
لي مثلك ولداً وأتاني رجل يزعم أنه نبي الله موسى عليه السلام فقلت
له إن الله تعالى أخبرنا عن موسى أنه جعل يده في جيبه فخرجت بيضاء من
غير سوء فقال إنما جعل ذلك لموسى لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى فاعمل
كما فعل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا
إليّ يشكون من عاملها فقلت رضوا بواحد منهم فرضوا برجل منهم
فقال لي العامل أكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العادل قد
أصحابه يشكون مسكنتهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فآثر
بين رعيتك في العدل فسرّ شهراً عنهم ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي
على معاوية فقال له ما فعل الطرفات حتى طريفاً وطرفاً وطرفة قال

قيل ما مع علي بن ابي طالب عليه السلم فقال ما انصفناك يا ابن ابي طالب قدم
عليك وأخر خيرك فقال عدي بل أنا ما انصفته إن قيل وبقيت وكنت رجل
الصديق لم نقترض منه شيئا فأجابه شكو بيق خالد نكت الكبراء إن كنت كاذبا
فجعلك الله صادقا وإن كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وإن كنت معذورا فجعلك
الله ملوما وإن كنت ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول
ما أحلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ووصف رجل عند الشعبي
بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل اغمد سيفه في قلبه على احد سبيه
وقال زياد لرجل حضره أين منزلك قال وسط البصرة قال فالك
من الولد قال تسعة فقيل لزياد إنه أقصى البصرة عند المقابر ولم أر
واحدا فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة
وكان لي عشرة بنين فتعلمت تسعة فهو لي وبقي واحد لا أدري هو لي
أم أنا له وقال رجل لابن سيرين إني نلت منك فاجعلني في حل
فقال ما أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك وخطب الحجاج يوم
جمعة فأطال فقال له رجل إن الصلوة لا تنتظرك وإن الله لا يعذرك
فأمر بحبسه فأتاه أهله فشهدوا أنه مجنون فقال إن أقر بالجنون أطلقته
فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا أقول إنه ابتلاني وقد عافاني
وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا أبا سعيد عمن فقال
وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل
لعبد الله بن جعفر ... أكبر ما كنت في درهم أما كنت في درهم ولك تجود
بما تجود به فقال ذلك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به وروى أن أبا
محمد بن القسم اليمامي حدثه بعض ... كل أهل فقال لهم الزبير الحطم
الثمر إلى هجر فقال أبو العيناء ثم إذا الحديث ... وكان
أبو العيناء من أحضر الناس جوابا وأجودهم بديهة وأملحهم نادرة وروى
الصولي عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن
خطابي وقال لي يا محمد بلغني أن فيك شرا فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن

الشر

بالا انصفنا

ان الحلال ما حرم

نحدث في فضائل اهل

الشر وذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم
فقال في التزكية نعم العبد إنه أواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم
مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله حتى ثلثه وقد

قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا	ولم أذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه	وشق لي الله المسامع والفما

ولكن كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا بخير فقد أمن
الله عبادك من ذلك وروي أنه قال له ربيعا إلى كم تمدح الناس وتذمهم
فقال ما أحسنوا وأساءوا وروي أنه قال له المتوكل يوما إني
لأفرق من لسانك فقال له إن الشريف فرق ذو إحجام وإن اللئيم ذو وقاحة
وإقدام وقال له يوما وقد دخل عليه اشتقنا إليك والله يا أبا العيناء
فقال له يا سيدي إنما يشتاق العبد لأنه لا يصل إلى سيده فأما السيد
فمتى أراد عبده دعاه وروي أنه قال له ما بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك
وذمك عندما جرى ذكرك عندي فقال أبو العيناء إذا رضيت عن كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل
كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين
جعل الدنيا في داره وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من
رأيت من أهل ... فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت أسخى من أحمد
ابن أبي دواد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على
بخله فقلت رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الإحسان
كما يعتذر من الإساءة فقال إنك أتيت إلى ... صحته قال لي من
أستكتبه بمحلته فقلت يا أمير المؤمنين إن الصدق ما هو في
موضع من المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه
إلى السخاء فإذا أنسب الناس للسخاء إلى البرامكة فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين
الرشيد وإذا نسب الناس الحسن بن سهل والفضل بن سهل إلى السخاء

وأنت في ... الجبس الجبان اللئيم

يعني الجبانة يكون ساقطا يحتاج الى العذر

فقال فما ذاك تسمّاه أمير المؤمنين المأمون قال إن أنشئوا أحمق أن لي ولد إلى
السماء فإنما هو سماؤك والآفاتا قال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السماء قبل سمعهم
العلماء فقال له صدقت وسرني منه وقال له المتوكل ما أشد عليك
في ذهاب البصر فقال لم فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك وقال
له يوماً إني أريدك لمجالستي فقال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا
المجلس من الشرف ولكني رجل محجوب والمحجوب تختلف إشارته ويخفى عليه إيماؤه
ويجوز علي أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك
غضبان ومتى لم أميز بين هذين هلكت قال صدقت وروي أنه قال
له يوماً لولا أنك ضرير لنادمتك فقال إن أعفيتني من رؤية الأهلة ونقش
الخواتيم فإني أصلح وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس
بن رستم فقال هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما فقال
نعيي ما تودهما فقال لعنة اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
وقال له يوماً إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال إن الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وقال أبو العيناء قال لي
المتوكل يوماً ما أحسن الجواب قال فقلت ما أسكت المبطل وحيّر المحق
وقيل لأبي العيناء إبراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ورأى زعفران وهو يصاحب
نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال
أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وأخبرنا
أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
أخبرنا أبو العيناء قال ادّعوا علي دعاوي كثيرة منها أني رافضي فاحتجت إلى
أن خرجت من البصرة إلى سر من رأى فالقيت نفسي على ابن أبي دؤاد وكنت
نازلاً في داره أغاديه في كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا إلى سر من رأى
فقلت له إن القوم قد قدموا من البصرة يداً علي فقال يد الله فوق أيديهم فقلت
إن لهم مكراً فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون

فقال

فذلك تسمّاه أمير المؤمنين المعتصم
وإذا انتسبوا التمس النسب
خاقان وعبيد الله بن يحيى
إلى السماء

فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله فقلت لله در القاسم
هو والله كما قال العتموت الكلابي

لله درك أي جنة خائف	ومتاع دنيا أنت للحدثان
متخمط يطأ الرجال بعلمه	فطأ الفنيق دوارج القردان
ويكبهم حتى كأن رؤوسهم	مأمومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه	حتى يصير كأنه بابان

فقال لابنه أبي الوليد اكتب هذه الأبيات فكتبها بين يديه قال الصولي وحفظي
عن أبي العيناء العتموت الكلابي على أنه رجل وقال لي وكيع حفظي على أنها
العتموت الكلابية على أنها امرأة ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل
فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم فقال والله ما أستكثر كثيرك لأنك
الأمير ولا أستقل قليلك لأنك أكثر من كثير غيرك وقال له عبيد الله بن
يحيى بن خاقان يوماً اعذرني فإني مشغول فقال إذا فرغت لم أحتج إليك
وقال له يوماً قد خشيت بك الغضب يا أبا عبد الله فقال له جعل الله قدرك
من غضبي إنما يغضب الرجل على من هو دونه فأما على من فوقه فلا ولكن
أمرني غضبك فجئت حرباً غضباً فقال له إن صاعد بن مخلد كان من أحسن
من أسلم ديناً وأكثرهم صلاة تصدق فقال أبو العيناء إني بأبي [illegible]
كثيرة يعقبها سلاسل [illegible] مشغول بعصاه فقال أبو العيناء لكل جديد لذة
ودخل يوماً على أبي الصقر بن بلبل في [illegible] فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك
عنا فقال سرق حماري قال وكيف سرق قال لم أكن مع اللص فأخبر
بما كان قال له هلا اكتريت أو استعرت قال قعد بي عن الشراء قلة يسري وكرهت
ذلة العواري ومنة المكاري فحمل له حماراً ووصله فأتاه أبو الصقر يوماً
ورفعه فقال [illegible] كأنك تغضب وتبعد حتى كأني منك وقال يوماً
لعبيد الله بن سليمان أيضاً وقد نظر إليكم [illegible] ولا [illegible] فقال
لم وقد ساءك [illegible] مغبوط الظاهر [illegible] الباطن فقال
إن أبا علي البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة [illegible]

تحقه كبر. غضب غلب غلبة

ولدت قالت له قبل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت سمحا ذا
سائلة لانها الوقت الذي ينتشر فيه السؤال واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابو العيناء قال ما رأيت قط احسن
شاهدا عند خلفه من ابن عائشة قلت لم كان ذلك قال كنا ابو عمرا المخزومي عنده

كرام فوجهاك وجاك

فان شئتما لا تقربنا وان خذ ٭ نجد نا على العهد الذي كنت تعلم

ثم قال لا ادري لمن هذا البيت فقلت انا انه لابن سلام يحكي عن يونس
انه لا ادري ٭ ان الفرزدق لما قال

نصرتم بني ود بكر بن وائل ٭ وما خلت دهري في ذمتهم نصرتم
نوازع بكفي وتخشعون بها ٭ وقد تملأ القطر الاناء فيفعم

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن حرقاة العجلي يجيبه

لقد بوأتك الدار بكر بن وائل ٭ وردت لك الحياة اذ انت مجرم
لبالي تمنى ان تكون حمامة ٭ بمكة يغشاها الستار المحرم
فان شئتما لا تقربنا وان تعد ٭ نجد نا على العهد الذي كنت تعلم

فقال ابن عائشة كان ابو ابيه سيصدق في العلم مما بلي وكثر عليه ذلك كلم
وقال ابو العيناء لابي الصقر بن بلبل فهو قد برأت فانه تقرب منا اذا احتجنا
اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا كالمرتضى رضي الله عنه وهذا يشبه قول

ابرهيم بن العباس الصولي

ولكن الجواد ابا هشام ٭ وفي العهد مأمون المغيب
بطي عنك ما استغنيت عنه ٭ وطلاع اليك مع الخطوب

ولعله مأخوذ منه فليس يكون ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في عصر
الافات فان ابا العيناء بقي بعد ابرهيم زمانا طويلا لان ابرهيم توفي سنة
ثلث واربعين ومائتين وابو العيناء سنة اثنين او ثلث وثمانين ومائتين وما
حكيناه عنه من الكلام لابي الصقر في وزارته وكانت وفاة ابرهيم بن
العباس بزمان طويل ونسبه بينا ابرهيم ويوشك ان يكونا ماخوذين من

الفرد وقوله: اللقم المتلي خوفا والمقنع بالقم ... تأمر ... (margin)

لئال الخ

ابو تمام

وقال ابن ...

قول اوس بن حجر ٭ ولكن اخوك الدائم العهد بالذي ٭ يصدك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي اذا كنت امنا ٭ وصاحبك الادنى اذا الخطب اعضلا

وكان ابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو

اسد ضار اذا هيجته ٭ واب بر اذا ما قدرا
يعرف الابعد ان اثرى ولا ٭ يعرف الادنى اذا ما افتقرا

ويشبه ان يكون هذا ماخوذا من قول المقنع الكندي

اذا افتقر المال لم يفتقر ٭ وان ايسرا لم ايسر صاحبه

ومما يشبه قول الراد حسنه قول ابرهيم بن العباس ايضا

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ٭ ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
راى خلتي من حيث يخفى مكانها ٭ فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ومن قول المتنخل الهذلي

ابو مالك قاصر فقره ٭ على نفسه ومشيع غناه

وهذا البيت الذي ذكرناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها اخاه

لعمرك ما ان ابو مالك ٭ بوان ولا بضعيف قواه
ولا بالدلتي نازع ٭ يغالي اخاه اذا ما نهاه

معنى ليس بنازع اي خلق سوء بشر وعادي اي بلاحي ويشار

ولكنه هين لين ٭ كعالية الرمح عرد نساه

العرد الشديد يقال وتر عرد وعرند اي قوي شديد والنسا عرق معروف

اذا سدته سدت مطواعة ٭ ومهما وكلت اليه كفاه

معنى سدته من المساودة التي هي المسارة والسواد هو السرار كانه
قال اذا ساودته طاوعك وساعدك وذلك قوم ابن مسن الغا
وكان اراد اذا كنت فوقه وسيدا له اطاعك ولم يخالفك وان وكلت اليه شيئا
كفاك وقوم يجيبون دسسته مطواعة ولم اجد ذلك في رواية

الا من ينادي ابا مالك ٭ افي امرنا هو ام في سواه
ابو مالك قاصر فقره ٭ على نفسه ومشيع غناه

الشكوى بدل

المتنخل الهذلي وقبل ابو مالك

ثمانية بيت من التسعين ابو اذا ... منها
قال كثير اذا ظلت اسلو فاظلت العين
بالبكا وغاية ومد بها ابرح حتى حل ...
ابو عبيدة ابو من فري بالنبي ...

اذا سسته

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا
بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فقال
ما تأويل هذه الآية على ما يطابق العدل فإن ظاهرها مخالف له الجواب
قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأنا به فيها ومنها ما سبقنا إليه نحن وما
أجبنا به من المطاعن وأجبنا عما لعله يعترض به من الشبه أحدها أن يكون
تعالى عنى بذلك أنني أصرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة اللذين
يستحقهما من أدى الواجب في آيات الله تعالى وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا
التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم
السلام خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى علل ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم
ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه وثانيها أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات
التي يظهرها على الأنبياء بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لأنه
تعالى إنما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات
فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرفها عن الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون
عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إما بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم
عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فإذا قيل وما الفرق بما
ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما أن المعجز
الأول يجب إظهاره لإزاحة العلة في التكليف ولأنا نعلم صدق الرسول المؤدي
إلينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فإذا كان التكليف يوجب تعريفنا المصالح
والألطاف لتنزاح العلة وكان لا سبيل إلى معرفتها على الوجه الذي تكون
عليه لطفا إلا من قبل الرسول وكان لا سبيل إلى العلم بكونه رسولا إلا من جهة
المعجز وجب إظهاره للرسول ليتحمل ما فيه مصلحتنا من الشرائع فأما إظهار المعجز
فيه لتعلق فيه الآيات بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين أن يعلم أن

المبعوث إليهم الرسول أو بعضهم يطيعون أو يعصون وبين أن لا نعلم
ذلك في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لأن تعريفنا المصالح مما يقتضيه
التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع
وليس هذا سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لأنه متى
لم ينتفع بها منتفع ولا يؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة وكانت
عبثا فافترق الأمران فإن قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقا
بذلك قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا لم يرد به تعليل قوله
تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام وهو قوله
تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا لأن من كذب بآيات الله تعالى وغفل عن تأملها
وما اهتدى بها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد وضل ضلالا بعيدا
ورجوع لفظ ذلك إلى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها إلى قوله سأصرف
لأن رجوع اللفظ والمعنى إلى أقرب المذكورين أولى ويمكن أيضا أن يكون
قوله تعالى كذبوا وإن كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال ويكون وجه
أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه واقع ووقع
الخطاب عليه ولهذا نظائر في القرآن كثيرة أو يكون جوابا لمحذوف كأنه قال
ذلك بأنه متى آتاهم آياتنا كذبوا بها وجرى ما ذكرناه أولا مجرى قوله
ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة في أنه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال وثالثها
أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي أمنعهم من إبطالها ولا أصرفهم عنها
نقدمها منهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لأحد أن يقول هلا
قال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التي تختص
بها الأنبياء فإن قيل فأي فائدة في قوله على سبيل التعليل وذلك بأنهم
كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وهو لا يخص
الآيات والمعجزات إلا الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم فإن كان ممن لا يتكبر

قلنا بخروج الكلام مخرج التعليل لهذا التأويل بعد صحيح لأن من كذّب
بآيات الله لا يؤتى آياته ومعجزاته لتكذيبه وكفره وان كان لا يكون غير مكذّب
ويمتنع من ايتاء الآيات على أخرى فالتكذيب بالبعض بغير الحق مانع من ايتاء
الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل انا لا أود فلانا لغدره و
لا يلزم اذا لم يكن غادرا ان يوده لانه ربما خلا من الغدر وحصل على امر
آخر يمنع من مودته ويجوز ايضا ان تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى
السبب وان يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات
على ايدي الكفار المتكبرين فاكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون
المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة
على الفرق بين المؤمنين والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه
من التعظيم والاستخفاف كما تأول اهل العلم الطبع والختم اللذين ذكرهما
القرآن على ان المراد بهما العلامة المميزة بين المؤمن والكافر ويكون معنى
سأصرفهم عنها اي اعدل بهم عنها واخص بها المؤمنين المصدقين بآياتي
وانبيائي وهذا التأويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم
عن آياته تعالى وخامسها ان يريد الله تعالى اني اصرف من رام المنع من اداء
آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك
وبينه ولا يمكّنه منه لانه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
والله يعصمك من الناس فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب
الله تعالى التي يحملها الرسل عليهم السلام والصرف وان كان متعلقا في الآية بنفس
الآيات فقد يجوز ان يكون المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها فاذا ساغ
ان يتعلق بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ ان يتعلق
بما يمنع من تبليغها وادائها واقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله
تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى سأصرف بل يرده الى ما هو قبله بلا
فصل من قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا على ما بيناه

فالوجه

في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية وسادسها ان يكون الصرف ههنا
الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن
شيء جاز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره واكذبه وفسّقه وكما قال جل من
قائل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى
وكما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم بما ذكرناه وان
نسبتهم من موجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها وسابعها انه
تعالى لما علم ان الذين يتكبرون في الارض بغير الحق سينصرفون عن النظر
في آياته والايمان بها اذا اظهرها على ايدي رسله عليهم السلام جاز ان يقول سأصرف
عن آياتي ويريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى
قولهم سأبخّل فلانا وسأخطّئه اي اسأله ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطئ فيه و
لا يكون المعنى اني افعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه يجوز ان تكون
المعجزات دون سائر الادلة التي جعلها الله سبحانه ويجوز ان تكون جميع
الادلة ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا غير راجع
الى قوله سأصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة وثامنها ان يكون الصرف
ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان
تكون ادلة وحججا ويكون تقدير الكلام اني بما اؤيده من حججي واحكمه من آياتي
وبيناتي صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح في الآيات والدلالات
بالشبهات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الاحكام والتأييد يفعلونه
ويعتمدونه من تمويه الحق ولبسه بالباطل وهذا يجري مجرى قول احدنا قد منع
فلان اعداءه بافعاله الكريمة واخلاقه المهذبة من ذمه وقطع السنتهم عن
عيبه وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى
الذي ذكرناه فان قيل اليس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى و
اورد الشبهة فيها مع ذلك قلنا لم يرد عز وجل الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر
ولا شبهة على من احسن النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون النهي في نفسه

مطعونا عليه وإن لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريئا من الطعن وإن
طعن فيه بما لا يؤثر ألا ترى أنه لو قيل فلان قد أخرس أعداءه عن ذمه لكان المراد
أنه منعهم عن التلفظ بالذم وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقا
فكأنه لا يعاب شيئا على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
يرجع إلى ما قبله بلا فصل ولا يرجع إلى قوله سأصرف وثانيها أن الله تعالى
لما وعد موسى عليه السلام وأمته بإهلاك عدوهم قال سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الأرض بغير الحق وأراد عز وجل أنه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم
عن طريق العقوبة لهم بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والرد
لحججه والمروق عن طاعته وتبين بعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء
بما تقدم قوله تعالى إنا أهلك هؤلاء الجبارين واصطلمهم فقد صرفتهم عن
آياتي من حيث قطعتهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم
وخروجهم من صفات أهله وهذا الوجه وثالثها أنه تعالى أراد أن العقوبة لا تجوز
إلا مضامة للاستخفاف والإهانة كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا
بالتعظيم والتبجيل فكأنه أخبر تعالى أنه إنما يفعل بهم من عقاب ولا هلاك
لا تقترن إليه ما لا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف والهوان
ما يفعله تعالى ذلك على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه
ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنه تعالى لا يمتنع أن يضم الله تعالى إلى ما يفعله
بهم ولا إلى الكفار المتكبرين من الإهلاك والبوار للعبرة والذم والاستخفاف
والإهانة ويأمر أن يفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة
بشروطها ولا يمنع أيضا أن يكون الله تعالى يتعبد ويأمر بإهلاكهم وقتلهم على
وجه الاستخفاف والنكال والإهانة فيضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث
وقع بأمره وعن إذنه فإن قيل فما معنى قوله تعالى يتكبرون في الأرض بغير الحق
كأن في التكبر ما يكون بالحق قيل في هذا وجهان أحدهما أن يكون ذلك
على سبيل التأكيد والتغليظ والثاني أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق
كان فيه صفة لا تفترق عن معارفه ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن يدع

وقريب منه قوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون وبعض الآيات جند الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك قد غلبوا والجواب أنهم وإن غلبوا صورة فإنهم الغالبون حقيقة

وأراد عز وجل

أقطعهم
يمكن

للطعن

للكفار المتكبرين الطعن في الطعن

مع الله إلها آخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه
ويشبه ذلك قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولم يرد النهي عن الثمن القليل
دون الكثير بل أراد تأكيد القول بأن كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالإضافة
إليها ويكون المتعوض عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة والوجه الآخر
أن في التكبر ما يكون ممدوحا لأن من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا
وتباعد من فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق وإنما
التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف
والتفخر عليهم والمباهاة لهم فمن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي
ندب الله تعالى إليه وأرشد إلى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك المقت والذم
فلهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق وقوله تعالى في هذه السورة قل إنما
حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق يحتمل هذين
الوجهين اللذين ذكرناهما فإن أريد بالبغي المكروه الذي هو الظلم وما
أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيدا وإخبارا عن أن هذه صفته وإن أريد بالبغي
الطلب وذلك هو أصله في اللغة كان الشرط في موضعه لأن الطلب قد يكون
بالحق وبغير الحق فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الرؤية ههنا العلم أو الإدراك
بالبصر فكيف يمكن أن تكون في قوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها
محمولة على رؤية البصر لأن الآيات والأدلة مما لا يشاهد فكيف تحمل الرؤية
على غير العلم وسبل الرشد إنما هي طرقه ولا يصح أن يرجع بها إلى المسالك
والأعيان التي لا يصح تعلقها برؤية البصر فلا بد من أن يراد برؤيتها
العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغي لأن العقلاء
لا يختارون سلوك ذلك قلنا الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن المراد
بالرؤية الثانية رؤية البصر فيكون السبيل المذكورة في الآية هي الأدلة
لأنها مما يدرك بالبصر ويسمى بها سبيل الرشد من حيث كانت توصل إلى

مغبونا

يروا

الإدراك

من أن يكون المراد برؤية

وتسمى سبيل الرشد

وتسمى بها سبيل الرشد

الرشيد ويبعثه الى حصوله ويكون سبيل الغى هى الشبهات والمعارف التى نصبها المبطلون والمدخلون فى الدين ليوقعوا بها الشبهة على اهل الايمان ويسمى بانها سبيل الغى وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغى من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واعتمد اهلها انه يصير الى الغى والوجه الثانى ان يكون المراد بالرؤية العلم الا ان العلم لاجل انا وان كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغى تجنبا هذا الوجه الاخرى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاداتهم وحججهم الا انهم يجهلون كونها مفضية الى الحق فيجتنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون اليها فعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى وصفهم بالعنود وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغى ومميزين بينهما غير انهم للميل الى الاعراض من الدنيا والانطباع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد الى الغى ويجحدون ما يعلمون كما اخبر الله تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا والتكذيب لا يكون فى الحقيقة الا فى الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق فى الاخبار وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون فلان يصدق بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب هاهنا الى اخبار الله تعالى التى تضمنتها كتبه الواردة على ايدى رسله عليهم السلام جاز فتكون الايات هاهنا هى الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فان قيل فما معنى قوله تعالى بانهم كانوا عن الايات غافلين والغفلة على مذاهبكم من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما ينافى العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهى فكيف يذم على ذلك قلنا المراد هاهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال

تعالى

الرشد ويبعثه … يجهلون (بالعناد)

تعالى صم بكم عمى على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التامل والتيقظ انت ميت وراقد وما لك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وهذا تارخ بحمد الله تعالى ثم الجزء الاول من كتاب الدرر ويتلوه بمشية الله فى الجزء الثانى تاويل خبر ان سائل سائل عن الخبر المروى عن عبد الرحمن انه قال سمعت النبى يقول ما من قلب آدمى الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله

اولئك ترجمة بعض احوال مصنف هذا الكتاب قدس الله روحه ونور

هو ابو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم
بن موسى بن جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام
اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع كان اماما في علم الكلام والادب
والشعر والفقه وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في اصول الدين وله ديوان شعر كبير
وانه اذا وصف الطيف اجاد فيه وقد استعمله في كثير من المواضع وذكره ابن بسام في اواخر
كتاب الذخيرة فقال كان هذا الشريف امام ائمة العراق بين الاختلاف والاتفاق
وعنه اخذ علماؤها واصحاب مدارسها وجماع شاردها وآنسها ممن سارت اخباره و
عرفت به اشعاره وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره وتواليفه في الدين وتصانيفه
في احكام المسلمين بما يشهد انه فرع تلك الاصول ومن اهل ذلك البيت الجليل واورد له عدة مقاطيع
فمن ذلك قوله ولما تفرقنا كما شاءت النوى تبين ود خالص وتودد كاني و
قد سار الخليط عشية اخو جنة مما اقوم واقعد وحكى الخطيب ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي
اللغوي ان ابا الحسن علي بن احمد بن علي بن سلك الفالي كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن دريد
في غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها واشتراها الشريف المرتضى بستين دينارا
فتصفحها فوجد فيها ابياتا بخط بائعها وهي انست بها عشرين حولا وبعتها فقد
طال وجدي بعدها وحنيني وما كان ظني انني سابيعها ولو خلدتني في
السجون ديوني ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شؤوني
شؤونه فقلت ولم املك سوابق عبرة مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك البيع اوراق رب بهن ضنين اقول
ذكره من النقل على سبيل المدح فهو ذم للشريف المرتضى ره لا مدح فيه لان مروته
اعظم من ان يمدح على مثل هذا بل الذي سمعته ان الفالي المذكور باع جميع كتبه
بمبلغ ثمانين الف دينار او سبعين الف دينار وكانت الابيات المذكورة
مكتوبة في ظهر كتاب منها فلما قراها الشريف المرتضى ره ردها اليه وكذا
لم ياخذ ما اعطاه عوضها والخطيب وان لم يكن ابا عن عمد او سهو لسنة حكى
رد كتاب الجمهرة الذي شرى بستين دينارا فذكر الخطيب المذكور بعد الابيات قوله

تأويل خبر. إن سأل سائل عن الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله رواه عبد الله بن عمرو قال سمعته يقول إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الله تعالى يصرّفها كيف شاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم يا مصرّف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك وبما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله فإذا شاء أن يثبّته ثبّته وإذا شاء أن يقلّبه قلّبه وبما يرويه ابن حوشب قال قلت لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يا أم المؤمنين رضي الله عنها ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله قالت كان أكثر دعائه يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك فقال يا أم سلمة ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله تعالى ما شاء أقام وما شاء أزاغ فقال ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد ونفي التشبيه والجسم من مذهبكم أن الأخبار التي تخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول لا يجب ردّها والقطع على كذب رواتها إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل فإن كان لهذا مخرج في التأويل والتعسّف ولستم ممن يقول ذلك في هذه الأخبار فما الجواب الذي تعوّل عليه من تكلّم في تأويل هذه الأخبار وهو أن يقول إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضًا الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله إصبع حسنة أي قيام وأثر حسن قال

	الراعي ضعيف العصا بادي العروق ترى عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا	
ضعيف العصا بادي العروق ترى	٥	عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
	وقال طفيل الغنوي يصف الجار	
كمن كوكن الباب أحبابنا	٥	معا لبيتها واستحسن من لسع
	وقال لبيد بن ربيعة	
من يجعل الله عليه إصبعا	٨	بالخير والشر بأيّ أوليا
يملأ له منه ذنوبا مترعا	٥	وقال حميد بن ثور
أغر يكون البدء في كل منكب	٥	من الناس نعمى يحتذيها وإصبع

	وقال الآخر	
وأدنيت لحبسيني ابن عمه	٨	ذو إصبع في مسها قد فطر
ببني عصي الأذن	وقال الآخر	
أكرم برا وأشعر المتشعثا	٥	فإن فيه خصلات أربعا

حبا وجودا وندى وإصبعا فالإصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله تعالى جليلتين حسنتين فإن قيل هذا قد ذكر كما حكيتم إلا أنكم تفصّلوا ما المعنى في تخصيص القلب هاهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثنّاهما لأنهما كالجنسين أو النوعين وإن كان كل واحد منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرّفهم بأدلّته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرّفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والنعيم الطويل ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم الأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له سبب من متعلّقه وقال قوم في تفصيل الراعي أنهما أراد أن يقول يداه فكان الإصبع لأن اليد النعمة فلم يمكنه فعدل عن اليد إلى الإصبع لأنها من اليد وفي الإصبع التي هي الجارحة ثمان لغات أصبع بفتح الألف والباء وإصبع بفتح الألف وكسر الباء وإصبع بضم الألف وكسر الباء وأصبع بضم الألف والباء وأصبع بضم الألف وفتح الباء وأصبوع بضم الألف مع الواو وإصبع بكسر الألف والباء وإصبع بكسر الألف وفتح الباء وإصبع بكسر الألف وضم الباء وفي هذه الأخبار وجه آخر هو أشبه بما ذكرناه بمذاهب العرب في كلامهم وتصرّف كلامها وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسّر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلّت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خنصري وإصبعي وفي يدي وقبضتي

كل ذلك إنما يريد به تيسيره وتسهيله وانتفاء المشقة فيه والمؤونة عنه وعلى
هذا المعنى تأول المحققون قوله تعالى والأرض جميعا قبضته يوم القيامة وقوله
والسموات مطويات بيمينه وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد المبالغة في وصفه
بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وإن كان عزه تعالى
يجوز عن ذلك كلا يمكن منه فتأتيهما بين أصابعه كما تجوز عن هذا المعنى واختصار
اللفظ الطويل تجريا على مذاهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل
هذا اللفظ وهذا الوجه يحتمل أن يكون معتمدا ~~على الوجه الأول~~ متقدما فإنه لا يمتنع
على ممكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون من أن
الأصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم أسقطهما الله في المحرز فإنه لها
على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين
يحركه الله تعالى بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالأصابع
من حيث كانا على شكلهما والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى وإن كان جميع العالم
ملكا له من حيث الملك والقدرة أنه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما
متفردين عن ما عداهما غيره تعالى فيفصل بهما إضافة إليه من حيث اختص
بالفعل فيهما على هذا الوجه لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو
مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه
منفردا بما جاوره غيره تعالى ولمن أجاز المستطيعين المتأولين لهذه الأخبار أجمعها
تضعيف الكلام أن الأصابع هاهنا إذا كانت نعما وهي مما يعين جوارحه
تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد على المتأولين يريد كل ما يحتمله
الكلام بما لا تدفعه حجة كان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح و
نحن نعود إلى تفسير ما لعله أشبه من الأبيات التي استشهدنا بها أما
قوله جلنا وجدنا ولين واسعا فمعنى لحد في مصاه والنهاد وقولها الآخر
والأرنبات ليس يهبق أي فالأرنبات المعي ذات العقد فأما قول
حميد بن ثور في كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة والمنكب أيضا
الناحية وأما معنى أبيات لبيد فإن أراد من بقي في الله تعالى إلى البر حيث آخر
علم

وعلى هذا تأول المحققون

على الوجه الأول

فاجعلناه

هاهنا

تمده شرا أيهما فعل ذلك بها أسبع له حتى ينتهي منها وأما تحصيل المعنى
فيما أن هذا الفحل الذي تضعه بأنه كما يكب وأنه كركن الباب لتمام ومده
لما ضرب في الإبل التي تضعها ما شئت أولادها التي هي بنات معك كأن
مقابة ما المقاليت اللواتي لا يعيش لهن ولد وكان هذا يشير أن جمله عليها
فأما بيت الراعي فمعنى قوله ضعيف العصا يعني أنه قليل الضرب لها إسار الأثر
لحوه حسن سداد ونادها أو لشفقته عليها ومعنى كأنه في يها من الحسن ما
شديد وقد يجوز أن يريد بكونه ضعيف العصا على الحقيقة من حيث
لا يحتاج إلى سيمها في الضرب يحماها فوية ويجوز أن يكون حذف
وأنه لا تضعيف يقل العصا وفعله بأدنى كحو وقد يحلها يطلها من الربيع
في أثر هذه الإبل وكأراد بالأصبع أن كرعلها في جدب الناس جملة الحرز
تابير ويتعاهد وقد قيل إن إنما سمي الراعي لبيت فأكره هذه القصيدة جيد

	يمين من البيت الذي أسلفناه وهو

لها أمرها حتى إذا ما تبوأت	٭	بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا

وهذا قول الأصمعي وقال السكري ما سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة

	أيضا	٭

هداناً أخو وطب وصاحب علبة	٭	يرى المجد أن يلقى خلاء وأمرعا

تذود عن حبيبه منها فال إنما سمي بذلك لقوله	

بنت ما نعيق قوق من كن	٭	لا تستطيع لها الفؤاد معاد

تعالى كحيض في بمنه لما جمع لها البيت والله ما عولا إلا راعي إبل فغضبت عليه
ثم لبد بن سلام إنما سمي الراعي لكثرة وصفه الإبل وحسن نعته
لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح تأويل
آخر آية إن سأل سائل عن قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما
في نفسك فقال ما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في
قوله تعالى ويحذركم الله نفسه أو يخالفه وتطابق معنى الاثنين والمراد
بالنفس ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال قال الله تعالى إذا أحب عبد

صلى الله عليه وآله وسلم

ابعثها

والمثلات الحجة لا يعيش لهما ولد

يعني عروق

الأفق البيت ... في البيت

هذا آخر المجلد الأول من أصل الجعفري رحمه الله

يقول الله عز وجل

لقاني احببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم واذا تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا او لا يطابق الجواب قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله والنفس الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اي لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا اي ارادته

وقال الشاعر

فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل	تجد فرجا من كل غمى تهابها
ونفس تقول اجهد نجاءك ولا تكن	كخاضبة لم يغن شيئا خضابها

ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج وامره بالحج وقال المفرق العبدي ويروى للمعقر بن حمار البارقي

الا من لعين قد نآها حميمها	وارقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها	فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال النمر بن تولب العكلي

اما خليلي فاني لست معجله	حتى يؤامر نفسيه كما زعما
نفس له من نفوس القوم سائلة	تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

اراد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه ويغشه قبل ليمه واسع

وقال كثير

فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة	من الياس ما ينفك هم يعودها

ذكرته في ملإ

ونفس ترجي وصلها بعد صرمها	تجلي لكي يزداد غيظا حسودها

والنفس العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اي عين كلاهما واحد وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرقي فيقول بسم الله اربيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عاين وحسد حاسد ونفس نافس وقال ابن الاعرابي النفوس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا وقال عبيد الله بن قيس الرقيات

يتقي اهلها النفوس عليها	فعلى نحرها الرقى والتميم

وقال مضرس بن ربعي الفقعسي

واذا توا صعدا فليس عليهم	منا الخبال ولا نفوس الحسد

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فاسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ونفيت نفس الحسد والنفس ايضا من الدباغ مقدار الكف يقول اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما ادبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذرك نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه قال يحذركم الله عقوبته ويروى ذلك عن ابن عباس والحسن البصري واخرون قالوا معنى الاية ويحذركم الله اياه وقد يحكى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء واما حسن ان يقول مخبرا عن نبيه عليه السلام ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء ان يقول لا اعلم ما في نفس

غيظا

والدوسليم

اي لا اكتمهم اذا علموا ودقتي اذ انا بت حتى صعدا الى ازداد طوقا

الله تعالى وإن حسن على الوجه الأول وهذا نظائره في الاستعمال مشهورة مذكورة فأما الخبر الذي ذكره السائل فإنا لا يلزم أيضا ظاهره وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه أن من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي فإذا تقرب إلي شبرا جازيته على تقربه إلي وكذلك الخبر إلى آخره فسمى الجزاء على الشيء باسمه اتساعا كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا	٥	فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب وإنما أراد الله تعالى المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازاة على تقربهم بالكثرة والزيادة فكنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعا وذراعا إشارة إلى المعنى وهذا من أبلغ الوجوه وأحسنها مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم أن القلب إذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه ومن أي شيء زاغت الأبصار وبأي شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره أي رئته وليس يمتنع أن تكون الرئة إذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به إلى نحو الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ومنها أن القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع قال الشاعر

كأن قلوب أدلائها	٥	معلقة بقرون الظبا

وقال الشاعر القيسي

ويظنون بالله الظنونا أي ... القلوب الحناجر

ولا مثل يوم في قدار ظللته	٥	كأني وأصحابي على قرن أعفرا

ويروى في قذار ظللته أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ونفي السكون والاستقرار وإنما خص الظبي لأن قرنه أكثر حركة واضطرابا لنشاطه وتحركه ونشاطه وقال بعض الناس إن امرأ القيس لم يصف شدة أمانه في هذا البيت فيكون قوله على قرن أعفرا تأويل المذكور بل يصف أماكن كان فيها سرورا واستمتاعا ألا تراه قال في أول هذا البيت ألا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه أنا كنا على مكان عال شريف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهذا القول لابن الأعرابي والأول للأصمعي وأما قول الآخر

ألا قل لجيران الشارب كيف تعمروا	٥	فأصبح يرمي الناس عن قرن أعفرا

فلا يحتمل إلا الشدة والحال المذمومة ونحوه أن يريد أن الناس فيه عرضة مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل أن يريد أنه يطعنهم بقرن أعفر يريد بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى من ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفر وقد يحتمل هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما اشتد وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وإن لم تبلغ في الحقيقة فألغى ذكر كادت لوضوح الأمر فيها ولفظة كادت هاهنا للمقاربة مثل قول ابن الخطيم قيس

أتعرف رسما كاطراد المذاهب	٥	لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كادت ونحن على منى	٥	تحل بنا لولا نجاء الركائب

معناه كادت أن تحل بنا لأنه لم تحل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان أحدهما أنه ليس موضع نعت فيه راكب بخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون أراد به الوحش إلا أن راكبا وقف فيه يعني نفسه

في نسخة الوزير الكامل أبي القاسم المغربي رحمه الله قذار بالذال المعجمة وفتح القاف وبعد عليه وروي قذاري ظللته قذار ظللت

طرطرة بالشام تتبع وبها نهر يقال نهر طرطر

قول ... ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... [illegible]

وقال نصيب

كذلك كنت يوم الحزن لما تزمّت   متونا للقطا نحو نجد بالترشم
اموت لشكاها اسى ان لو عشق   فوجدي بسعدى بجوه غير منجم

سمى المجير المقلع وقال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي   فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه   تكلمني احجاره وملاعبه

لكن هذا صحيح كاد غير المقاربة ومتى ادخلت العرب على كاد جحداً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان اجودهما ان قام عبد الله بعد ابطاء وكذلك يمثل قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخير لان وجدان البقرة عسر عليهم ويروى انهم اصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون اي لانهم لم يقفوا عليها او لغلاء ثمنها والوجه الآخر في قولهم ما كاد عبد الله يقوم اي ما يقوم عبد الله ويكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى حتى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يرها اصلا لانه قال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كان جنس هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر اليد وسائر المناظر فكل على هذا التاويل بدت للتوكيد والمعنى اذا اخرج يده لم يرها وقال قوم معنى الآية اذا اخرج يده ~~لم يرها الا بعد ... وقال قوم اذا اخرج يده~~ رآها بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلم وترادف الموانع من الرؤية فكذا على هذا الوجه ليست بالمحكمة وقال آخرون معنى الآية اذا اخرج يده لم يرد ان يراها لان ما شاهده من تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده وقرر في نفسه انه لا يدركها ببصره وتحكى عن العرب اولئك اصحاب الذين كادوا انزل عليهم اي ابدا ان انزل عليهم وقال الشاعر

كادت

في ديوانه بسعدى فقابلي ما علم وبعده
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة   بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا   بكاها فقلت الفضل للمتقدم

عز وجل م

الكلم

ايأسه م

كادت وكدت وتلك خير ارادة   لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

اي اردت واراد وقال الافوه الاودي

فان تجمع اوتاد واعمدة   وساكن بلغوا الامر الذي كادوا

اي ارادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اي اردنا ليوسف وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما يدل على حمل لفظة يكاد تأتي في الاثر قول الشاعر

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه   فما ان يكاد قرنه يتنفس

اي فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد وقال حسان

وتكاد تكسل ان تجيء فراشها   في جسم خرعبة وحسن قوام

معناه وتكسل ان تجيء فراشها وقال الآخر

والا الوم النفس فيما اصابني   وان لا اكاد بالذي نلت انجح

اي لا انجح بالذي نلت لو لم يكن الامر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فانشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته

الحائية التي يقول فيها

اذا غير النأي المحبين لم يكد   رسيس الهوى من حب مية يبرح

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

اذا غير النأي المحبين لم اجد   رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال فاخبرت ابي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال اخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الاول واخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله عز وجل اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يرها فاما قوله عز وجل ان الساعة آتية اكاد اخفيها فيحتمل ان يكون المعنى اريد اخفيها لكي تجزى كل نفس بما تسعى ويجوز ان تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية اخفيها لتجزى كل نفس وقد قيل فيه وجه آخر وهو ان تم الكلام عند قوله ان الساعة آتية اكاد ويكون المعنى اكاد آتيها

هو شبرمة بن الطفيل بكسر الطاء وسكون الفاء الذي يقول ويوم شديد الحر قصر طوله

يكد م

يكون م

ويقع الابتداء بقوله تعالى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ومما يشهد لهذا قول ضابئ
البرجمي هممت ولم أفعل وكدت وليتني … تركت على عثمان تبكي حلائله
أراد وكدت أفعل فحذف لفضل لسان معنا ويروى عن سعيد بن جبير أنه
كان يقرأ أكاد أخفيها بمعنى أخفيها على هذا أظهرها وقال عبدة
بن الطبيب يصف ثورا

يخفي التراب بأظلاف ثمانية … في أربع مسهن الأرض تحليل

أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه وقال امرؤ القيس

فإن تدفنوا الداء لا نخفه … وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أراد لا نظهره وروى [illegible]

تخفي بأظلافها حتى إذا بلغت … يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما

وقد روى أهل العربية أخفيت الشيء بمعنى سترته وأخفيته بمعنى أظهرته
وكانت القراءة بالضم تحتمل الأمرين جميعا الإظهار والستر والقراءة بالفتح
لا تحتمل غير الإظهار فإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في كاد واحتمالها
للوجوه الثلاثة التي ذكرناها كالكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية
فإن قيل أي معنى لقوله إني أسترها لتجزى كل نفس بما تسعى وأظهرها على الوجهين
جميعا وأي فائدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لأنه تعالى إذا ستر عنا
وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسن والقبيح مترددة وإذا عرفنا ذلك
بعينه كنا ملجئين إلى التوبة بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض
بالتكليف واستحقاق الثواب فصار ما أريد من المجازاة للمكلفين بنعيم
وإيصال ثواب أعمالهم يمنع من إعلامهم على وقت انقطاع التكليف عنهم
فأما إذا كانت لفظة أخفيها بمعنى الإظهار فوجهه أيضا واضح
لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ويقطع التكليف ليجازي كلا بما استحقه
ويوفي مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء باستحقاقه فوضح وجه قوله
تعالى أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا قال المرتضى
قدس الله روحه ونور ضريحه رأيت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على جواب من أجاب

في قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر أن معناه كادت تبلغ الحناجر
ويقول كاد لا تضمر ولا بد أن يكون منطوقا بها ولو جاز ضميرها
لجاز أن يقال قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم
عبد الله لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا الذي ذكره غير صحيح
لأن الذي حكم على الطعن في هذا الوجه حكاية لم يمكن ابن قتيبة لأن
من شأنه أن يورد كل ما في يد ابن قتيبة فإن تعسف في الطعن عليه بما لا
استعده غير بعيد لأن كاد قد تضمر في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وإن
لم يكن في صريحه ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من العتاب واللوم
والتقريع ما مات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلانا لم يبق فيه روح
وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من إضمار كاد

قال جرير

إن العيون التي في طرفها مرض … قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وإنما أراد أنهن كدن يقتلننا وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره
وليس يمتنع فأما قوله لم يحيين قتلانا فالظاهر في معناه أنهن لم يزلن
يفعلن ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك
وسمى هذه الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلا وقد قيل إن معنى
يحيين أنهن لم يدين قتلانا من الدية لأن دية القتيل عند العرب كالحياة
له وقد روي لم يحيين قتلانا أي لم يتركنه ويطلبن بثأره فأما قوله لم نسمع
من يمتنع من عالم ولا محصل ومعناه ضعيف ركيك فإذا كان الأمر على
ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى كاد أن يقوم إذا دلت الحال
على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد أن يموت فأما قوله فيكون تأويل قام عبد الله
لم يقم عبد الله فخطأ لأنه ليس معنى كاد يقوم أنه لم يقم كما ظن بل معناه أنه
قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله وهو يريد كاد يقوم فقد
أفاد معنى لا يفيده لم يقم فأما قوله تعالى إذ زاغت الأبصار فمعناه أنها عدلت عن النظر
الكلي فلم تلتفت إلا إلى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزاغت الأبصار إليه

في نسخة قديمة صحيحة لم يكن فيها لفظة إلا ولا معنى أي زاغت
حتى عن الالتفات إلى العدو وشرره من الوجد [illegible]

حادث وما كنت عن القصد في النظر كهفا وتحيرا فأما قوله تعالى وتظنون
بالله الظنونا فمعناه أنكم تظنون من أن تنصرون وتظهرون على عدوكم مرة
وأنكم تخذلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ونحو أن يريد الله تعالى أن
ظنونكم اختلفت فظن المنافقون بكم خلاف ما وعدكم الله من النصر
وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله
إلا غرورا وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم فحكى عنهم عز وجل في
قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فكل ما ذكرناه واضح
في تأويل الآية وما تعلق بها **تأويل آخر لهذه الآية** إن سأل سائل عن قوله
تعالى وجعلنا نومكم سباتا فقال إذا كان السبات هو النوم فكأنه
قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فائدة فيه الجواب قيل له في هذه الآية
وجوه **منها** أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال
قوم إن اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمي
اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة
من الأعمال قيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها إذا حلته
من العقص وأرسلته قال الشاعر

وإن سبتته مال جثلا كأنه	سدى واهلات من نواسج خثعما

أي إن أرسلته **ومنها** أن يكون المراد بذلك القطع لأن السبت القطع
والسبت أيضا الحلق يقال سبت شعره سبتا إذا حلقه فكأنه يرجع إلى معنى
القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال عنترة بطل كأن ثيابه
في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم فيقال لكل أعمى مسبت سقطعة
عما نحوها شيئا بجمعها سبات فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم
قطعا لأعمالكم وتصرفكم ومن أجاب بهذا الجواب يقول إنما سمي يوم
السبت بذلك لأن بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع
يوم السبت فيرجع التسمية إلى معنى القطع وقد اختلف الناس في ابتداء
الخلق فقال أهل التوراة إن الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد وكان الخلق في يوم

حادث فل
انكم م
ايضا م
تعالى م
كما حكى جل وعز عنهم في قوله جل
صح

الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت
وهذا قول أهل التوراة وقال آخرون إن الابتداء كان يوم الاثنين إلى
السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الإنجيل فأما قول أهل الإسلام
فهو أن ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتصل إلى الخميس وجعلت الجمعة
عيدا فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه
بعض خلق الأرض فقد روى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال إن الله
خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد **ومنها** أن يكون المراد
بذلك إنما جعلنا نومكم سباتا ليس بموت لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده
وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا
بأن جعل نومنا الذي تشابه في بعض أحواله أحوال الميت ليس بموت
على الحقيقة ولا مخرج لنا عن الحيوة والإدراك فجعل التأكيد بذكر المصدر
قائما مقام نفي الموت وسادا مسد قوله وجعلنا نومكم ليس بموت
ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السبات ليس هو كل
نوم وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم
الممتد الطويل ولهذا يقال للرجل إذا وصف بكثرة النوم إنه مسبوت وبه سبات
ولا يقال ذلك في كل نائم وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله وجعلنا
نومكم سباتا مجرى أن يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان
علينا بأن جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة
لأن التهويم والنوم الغرار القليل لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما
في الأكثر القلق والانزعاج والهموم هي التي تقلل النوم وتنزره
وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا
واضح فليتأمل وقد تعصب أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن
على الجواب الذي ذكرناه أولا ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده لأن
الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأراح و
يعتمد على الجواب الذي حكيناه ثانيا ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة

صلى الله عليه وآله وسلم
التربة صح
أن يكون
السكون
قال المرتضى رضي الله عنه

من قولهم سبتت المرأة شعرها إنّ معناه القطع لأنّ ذلك إنّما يكون
بإزالة الشداد الذي كان مجموعا ومضفورا والمقدار الذي ذكره
ابن الأنباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لأنّه أنكر أن يكون السبات
هو الراحة والاستراحة إذا كانا عن نوم فإن لم يتّصف كلّ راحة بأنّها سبات
فيكون هذا الاسم يختصّ الراحة إذا كانت على هذا الوجه وله نظائر كثيرة
في الأسماء وإذا أمكن ذلك لم يكن في استشهاد قولهم سبت الرجل بمعنى استراح
في كلّ موضع دلالة على أنّ السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم والذي
يجب على ابن قتيبة أن يبيّن أنّ السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على
ذلك بشعر أو غيره فإنّ البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون
التمدّد والاسترسال فإن قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي
ذكرتموه أخيرا قلنا الفرق بينهما أنّ ابن قتيبة جعل السبات نفسه
الراحة وجعله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدّد ونحن جعلنا
السبات من صفات النوم والراحة تقع عنه لامتداده وطول السكون فيه
فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لأنّ الشيء ليس يسمّى بما يقع عنده
حقيقة ولا شيء أحسن تقع على جوابنا هذا السبات وكون السبات إيّاها
بعينها على أنّ في الجواب الذي حكاه ابن الأنباري ضربا من الكلام لأنّ
السبت وإن كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه السبات الذي ذكره فهو مما
يحتاج في إثبات مثل هذا الاسم إلى سمع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد
من أيّ يجعل إذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى
ولم نره فعل ذلك **تأويل خبر** إن قال قائل ما تأويل الخبر الذي يروى
عن النبي صلى الله عليه وآله إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ عليه وفي بعض الأخبار
أنّ الميّت يعذّب في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة
بن شعبة أيضا فقال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول من نيح عليه
فإنّه يعذّب بما نيح عليه الجواب أنّا إذا كنّا قد علمنا بأدلّة العقل
التي لا يدخلها الاحتمال والاتّساع والمجاز قبح مؤاخذة أحد بذنب

فقد علمنا أيضا ذلك بأدلّة السمع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى
فلا بدّ من أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلّة إلى ما يطابقها فالمعنى
في الأخبار التي سئلنا عنها إن صحّت روايتها أنّ الميّت إذا أوصى بأن يناح عليه
ففعل ذلك بأمره جاز أن يعذّب بالنياحة عليه وليس معنى يعذّب بها يؤاخذ
بفعل النوائح وإنّما معناه يؤاخذ بأمره بها ووصيّته بفعلها وإنّما قال
صلى الله عليه وآله ذلك لأنّ الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون
به ويؤكّدون الوصيّة بفعله وهذا مشهور عنهم قال طرفة بن العبد

فإن متّ فانعيني بما أنا أهله	وشقّي عليّ الجيب يا أمّ معبد

وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة [illegible]

فمن يك سائلا عن بيت بشر	فإنّ له بجنب الرده بابا
ثوى في ملحد لا بدّ منه	كفى بالموت نأيا واغترابا
رهين بلى وكلّ فتى سيبلى	فأذري الدمع وانتحبي انتحابا

وقد ذهب ابن عباس في هذا الخبر إلى أنّه قال وهل ابن عمر إنّما مرّ رسول الله صلى
الله عليه وآله على يهودي فقال إنكم لتبكون عليه وإنّه ليعذّب في قبره وقد
روي أيضا هذا الخبر عينه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأنّها
قالت لمّا أخبرت برواية ابن عمر وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب
بدر إنّما قال إنّ أهل الميّت ليبكون عليه وإنّه ليعذّب بجرمه قال
قدّس الله روحه معنى وهل أي ذهب وهمه إلى غير الصواب يقال وهلت إلى
الشيء أهل وهلا إذا ذهب وهمك إليه ووهلت عنه أهل وهلا إذا نسيته
وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا إذا فزع والوهل الفزع فأمّا القليب
فهي البئر وأراد القليب الذي ألقي فيه قتلى بدر قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يناديهم رسول الله لمّا	قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا حديثي كان حقّا	وأمر الله يأخذ بالقلوب

وقالت أخرى تبكي على قتلى بدر من المشركين

فماذا بالقليب قليب بدر	من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر	٥	من الشيزى تكلل بالسنام

موضع تكلم في ذكر القليب اثر نعني ان النبي صلى الله عليه وآله وقف
على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم ليسمعون
ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلام انهم الآن ليعلمون
ان الذي كنت اقول لهم هو الحق واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى
واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة
نعرفهم فيما روي عن عبد الله بن مسعود انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله
يوما قائما يصلي بمكة وناس من قريش جلوس فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع
احدكم ان يأتي الجزور التي نحروها آنفا فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى اذا سجد
تضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه
على ظهره فقال عبد الله ~~...~~
... فلو كان لي من يمنعني ... فجاءت فاطمة عليها السلام وهي يومئذ
صبية حتى القته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت على رؤوسهم فاوسعتهم
شتما قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك حتى انه ليخرج بعضه على صاحبه
من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وآله اقبل على القوم فقال اللهم عليك
بفلان وفلان فلما رأوا النبي ... دعا عليهم سقط في ايديهم فوالله الذي لا اله غيره
ما سمى النبي صلى الله عليه وآله احدا الا وقد رأيته يوم بدر وقد اخذ برجله
يجر الى القليب مقتولا فيأخذ سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام
في بطنها والجمع الاسلاء وقال ابن حبيب الاسلاء التي فيها الاولاد قال
الاخطل يطرحن بالثغر السخال كانما يتنفسن بالاسلاء اردية العصب

	وقال الشماخ	
والعيس ... المناسم	٥	تعذفن بالاسلاء تحت الاركب

وقال الفراء سقط في ايديهم من الندامة وأسقط لغتان وهي بغير الف
أكثر واجود ويمكن ان يكون في قوله ... اهل علم ... آخر ان تكون
المعنى ان الله تعالى لما اظهر ... اهله ... عليه وما لحقهم ...

بكاء

من الحزن والهم انما نريد ذلك وكان هذا ما اراد العذاب ليس بجار مجرى
العقاب الذي يكون على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بحيث يستعمل
الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرب ... قد عذبتني
بكذا وكذا كما يقول ضربتني وآلمتني وانما لم يستعمل العقاب حقيقة في
الالم المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم
سبب لها ولنحمل هذا في العذاب **تأويل خبر** ان سأل سائل عن الخبر
الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من احد يدخله
عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته بفضل منه ... قال ... في هذا ...
على ان الله تعالى تفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف
ذلك الجواب قلنا فائدة الخبر معنى ان فقر المكلفين الى الله تعالى
وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو اخرج الى نفسه
وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من
النار فكأنه عليه السلام اراد ان احدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله
تعالى عليه ولا لطف فيه ولا ارشد اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما
الثواب فانا لا نقول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي
هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى في ابتدائه وانما يجب
عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف
وكذلك التمكين والالطاف فكلما تحمله ويوجبه التكليف ولولا ايجابه كل
على نفسه بالتكليف لما وجب فان قيل فقد سمى الرسول عليه السلام ما
يفعل به نفسه تعالى الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا
هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل
من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلام برحمة منه وفضل
على ما يفعله من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل لانه
غير واجب فاما قوله عليه السلام يتغمدني فمعناه يسترني يقال تغمدت السيف

في عشقه إياها ستزيده قال الشاعر

تقسّمنا ريّاها فوقها جدّ عامر	۞	كظلّ السماء كلّ أرض تعمّدا

فأحمد هيمنا من الرواية المشهورة الحظ وشبّهه ما يشيد لها من الغلبة والظفر بظلّ السماء الذي يستر كلّ شيء ويظهر عليه أخبرنا أبو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي [illegible] عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الأعرابي قال يقال للقوم لو دعوت عليهم بهرهم الله أي لعنهم وهو المكروب وأنشدنا

أبرزوها مثل المهاة تهادى	۞	بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا تحبّها قلت بهرا	۞	عدد القطر والحصى والتراب

قال أدام الله علوّه وقد قيل في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا القسم بن إسمعيل قال حدّثنا التوزي عن أبي عمرو الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول قول عمر بن أبي ربيعة في العربية فما أخذ عليه في الأول ثم قالوا تحبّها قلت بهرا أراد أتحبّها لأن الكلام إذا المخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت تحبّها على بحر الحساب منهم لا الاستفهام فوكّدوا إخبارهم بجواب فهذا حسن وقد يجوز أن يكون أراد ثم حسابهم [illegible] ويكون أيضا بمعنى عفرا أو تعسا دعا عليهم إذ سموه حيلوا بين حبّها [illegible] وأنشد

دعا أم أبو عمرو

لحا الله قومي إذ يبيعون مهجتي	۞	بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

قال أبو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا يريد أحبّها حبّا ظاهرا ليس من قولهم [illegible] وقد حكى بعض الرواة [illegible] فقال هل تحبّها قلت بهرا والرواية الأولى هي المشهورة ولعلّ من روى ذلك فرّ من تعديل الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة المخزومي من جملة أبيات منها

من رسولي إلى الثريا بأنّي	۞	ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
[illegible] تكون بخير منها	۞	وأديم الحديث ما للشباب

قال المرتضى

عن أبي عمرو

سلبتني مجاجة المسك عقلي	۞	فاسألوها بما يحلّ اغتصابي
أزهقت أمّ نوفل إذ دعتها	۞	مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت	۞	من دعاني قالت أبو الخطّاب
أبرزوها مثل المهاة تهادى	۞	بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا تحبّها قلت بهرا	۞	عدد القطر والحصى والتراب

والثريا التي عناها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقيل إنها الثريا بنت عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر بن عبد شمس وقيل إنها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكّار أن الثريا بنت عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدّثني محمد بن [illegible] قال حدّثني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكّار قال حدّثني موسى بن محمد بن [illegible] قال أخبرني بلال مولى ابن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريا اختزناه وأوردنا بعضه قال لما جمع ابن أبي عتيق بين عمر بن أبي ربيعة والثريا قال لي بلال [illegible] لا جرم والله لا [illegible] أبدا لأصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الديل من بكر [illegible] النجائب [illegible] فأكرى منهم راحلتين وأغلى بهما فقلت لعلك تستوضعهم شيئا أو تدفع عني ما لعلهم فقال [illegible] أما علمت أن المكاس ليس من خلق الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسرنا سيرا شديدا فقلت ابق على نفسك فإن ما تريد لا يفوتك فقال ويحك أبادر حبل الوداد أن يقضب وما ملح الدنيا إن تمّ الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا [illegible] فدق على عمر بابه فخرج إليه فسلّم عليه فقال له ما أقدمك يا ابن أبي عتيق من [illegible] فقال اركب لأصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولها الذي سألت [illegible] فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشّمني السفر من المدينة إليك فجئتك به معترفا بذنب لم يجنه كلّفني [illegible] إليه من التعذيب [illegible] والتمادي [illegible] من الشماتة

ابن أبي ربيعة

الّذين يقولون ما لا يفعلون نصًّا تحته أحسن مسلم كرّرنا بأجمعين
إلى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكّة ساعة لأجله وتبع الثريّا يقول
عمر أيضًا لمّا تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنّى بأبي الأبيض
وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أيّها المنكح الثريّا سهيلًا ٭ عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة إذا ما استقلّت ٭ وسهيل إذا استقلّ يمان

تأويل آية إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى فغشيهم من اليمّ
ما غشيهم وأضلّ فرعون قومه وما هدى فقال ما الفائدة في قوله
ما غشيهم وقوله فغشيهم يدلّ عليه ويستغنى به عنه لأنّ الّذي غشيهم
لا يكون إلّا الّذي غشيهم وما الوجه في ذلك **الجواب** قلنا قد ذكر في هذه
الآية أجوبة أحدها أن يكون المعنى فغشيهم من اليمّ البعض الّذي
غشيهم لأنّه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال تعالى ما غشيهم
ليدلّ على أنّ الّذي غرّقهم بعض الماء وأنّهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه
يحكى عن الفرّاء وقد ذكره أبو بكر الأنباريّ واعتمده وقرّره وشرح منه
واليمّ هو البحر قال الشاعر

وبنى تبّع على اليمّ قصرًا ٭ عاليًا مشرفًا على البنيان

وثانيها أن يكون المعنى فغشيهم من اليمّ ما غشي موسى وأصحابه وذلك
أنّ موسى عليه السلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعًا البحر وغشيهم
كلّهم إلّا أنّ فرعون وقومه لمّا غشيهم غرقهم وموسى عليه السلام وقومه
جعل لهم في البحر يبسًا فقال تعالى فغشي فرعون وقومه من ماء اليمّ ما غشي
موسى وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا التأويل يكون الهاء في
قوله ما غشيهم كناية عن غير من كنى عنه بقوله فغشيهم لأنّ الأولى
كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه
وثالثها أن غشيهم من عذاب الله وإهلاكه لهم ما غشي الأمم السالفة
من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على إنكارهم

والعدول

والعدول عن إرشادهم والأمم السالفة وإن لم يغشهم العذاب والإهلاك
من قبل البحر فقد غشيتهم وأهلكوا استحقّوها بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم
فشبّه بينهم وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة
على التكذيب **ورابعها** أن يكون المعنى فغشيهم من قبل اليمّ ما غشيهم
من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الأولى للبحر والثانية
للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر ويمكن في الآية وجه آخر
لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن
يكون الفائدة في قوله تعالى ما غشيهم تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول
القائل فعل فلان ما فعل وأقدم على ما أقدم إذا أراد التفخيم وكما
قال تعالى وفعلت فعلتك الّتي فعلت وبما يجري هذا المجرى وكذلك
في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت وفي القوم هم هم
قال الهذليّ

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ٭ فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

وقال أبو النجم أنا أبو النجم وشعري شعري كلّ ذلك إنّما أراد به تعظيم الأمر
وتكبيره **تأويل آية أخرى** إن سأل سائل عن قوله تعالى فخرّ عليهم السقف
من فوقهم فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يكون إلّا من
فوقهم ولا فائدة في قوله خرّ عليهم السقف لأنّ مع الاقتصار على القول الأوّل
لا يذهب وهم أحد إلى أنّ السقف يخرّ من تحتهم الجواب قيل له في ذلك
أجوبة أوّلها أن يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخرّ عليهم السقف
من فوقهم أي خرّ عن كفرهم وعن جحودهم بالله تعالى وآياته كما
يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه فيكون على
وعن بمعنى من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية فخرّ من أجل
كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر

أرمي عليها وهي فرع أجمع ٭ وهي ثلاث أذرع وإصبع

أراد أرمي عنها لأنّ كلام العرب ينبئ عن القوس فأقام على مقام عن

ولو أن قائلا قال على هذا المعنى فخرّ عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرّ وليس هم تحته وثانيها أن تكون على بمعنى اللام والمراد فخرّ لهم السقف فإن على قد تقام مقام اللام ويحكى عن العرب ما أغيظك عليّ وما أغمك عليّ يريدون ما أغيظك لي وما أغمك لي وقال

وقال الطرماح يصف ناقة

كأنّ مخواها على ثفناتها | معرّس خمس وقّعت للجناجن

أراد وقّعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على وقد يقول القائل أيضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أن ذلك نزل به فأخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاها ما فهمت وجاز أن يتوهم متوهم في قوله فخرّ عليهم السقف ما يتوهم من قولهم خربت عليه ضيعته وتعطلت عليه ذات أشباه ذلك وللعرب في هذا السقف طريق لطيف لأنهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار فيستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك الأمر لأنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بل إنما من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته لكن يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته فهذا من شأنهم إذا قالوا قال على فلان كذا على قائل غير فيما يدل على الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني كذا فمن مثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان لأنهم أضافوا الشر والكفر إلى ملك سليمان حسن أن يقال يتلون عليه ولو كان خيرا لقيل عنه ومثله يقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر

عرضت نصيحة مني ليحيى | فقال غششتني والنصح مرّ
وما بي أن أكون أعيب يحيى | ويحيى طاهر الأخلاق برّ
ولكن قد أتاني أن يحيى | يقال عليه في بقعاء شرّ
فقلت له تجنّب كل شيء | يعاب عليك إن الحرّ حرّ

يجلى ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل

وكان يجمع شعره ويخطئه ويلحّنه

لقد كان في معدان والفيل زاجر | لعنبسة الراوي عليّ القصائدا

فقال عليّ ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه ولعل ذلك الوجه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة تأويل خبر إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم وإن أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله تعالى فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المأدبة في كلام العرب هو الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس إليه فشبّه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائدته عليه إذا قرأه وحفظه بما يناله المدعوّ من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا مأدبة بفتح الدال قال طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

قال بعض هذيل

ولا يصطلي بالفرث جازرها | يختص بالنقرى المثرين داعيها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة | عند الصباح ولا تسري أفاعيها

ومعنى يصطلي بالفرث جازرها أن الجازر إذا شق الكرش أدخل يده من شدة البرد في الفرث مستدفئا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها أنه يخص بدعائه إلى الطعام الأغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافأة

وقال الآخر

قالوا ثلاثاؤه خصب ومأدبة | وكل أيامه يوم الثلاثاء

وقال الهذلي يصف عقابا

كأن قلوب الطير في جوف وكرها | نوى القسب يلقى عند بعض المآدب

ومعنى الجفلى أنه عمّ بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى أنه خص بها بعضا دون بعض ومعنى ينتقر

أنا أجمع ما أدبر وقد روي هذا الحديث بفتح الدال المأدبة وقال
الأحمر المأدبة بضم الدال مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره
المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه أن الله تعالى أنزل هذا القرآن
أدبا للخلق ونفعا لهم وإنما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة والقرآن مذكر
معنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة
والكفر مخبثة لنفس المنعم وتجري ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة
في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه
بالبهيمة ويقال لطعام الإملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام
الختان العذيرة ولطعام سلو الدار الوكيرة ولطعام الشعر العقيقة ولطعام
القادم من سفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي تطعمه النفساء
الخرسة قال الشاعر

إذا النفساء لم تخرس ببكرها	٥	غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها

الحتر القليل وقال آخر

كل الطعام تشتهي ربيعه	٥	الخرس والإعذار والنقيعة

ويروى الخرس وجمع النقيعة أيضا نقائع قال الشاعر

إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم	٥	ضرب القدار نقيعة القدام

فالقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال أبو زيد يقال لطعام الإملاك
النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الإعذار و
العذيرة وقال الفراء الشندخي طعام الإملاك والوليمة العرس وقال
أبو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها أنقعت وقال
ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغداء السلفة واللهنة يقال
لهنوا ضيفكم أي أطعموه اللهنة قال الشاعر

تجير عارضها منغل	٥	لمعانها اللهنة واقل

وقال ابن السكيت فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل أكلة في اليوم وقال
الأصمعي فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل أكلة في اليوم والليلة

قال بشار

لا تشقين بالوجبات من تعب	٥	لم يبق فيك لأيامي ذهبه

وقال ابن السكيت قال الأصمعي لرجل شرع في سفره كيف كان سيرك قال
كنت آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرس إذا أفجرت وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوضع
وأجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع قوله أنجو الوقعة معناه أقضي حاجتي مرة
في اليوم ويقوى النحو وقوله أسير الوضع والوضع سير فيه بعض الإسراع و
الملع سير أشد منه والأشد تجنب الشد من السير كما قيل إن ينيف فمن
ثم أن يبلغ الأنض التي يقصد فالثاني السير المحفد وهو السير الشديد الذي
يقطع ما جهد من طول نفس قال الشاعر

إذا ما أردت الأنض لم تنأ عليك	٥	تحلك تضع رحل المؤمن وابرار

أي تسير حتى تقوى على السير فإن جهدت نفسك لم تقطع أيضا ولم
يكن هذا من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذي قبل هذا ما ذكرناه
ويمكن أيضا أن يكون معنى البيت إذا تعديت عليك أنض فقعها فاشل
عنها كما يقال دواؤه ما هو شطله والصحة وما جرى مجرى ذلك من
ألفاظ التسلية والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور وقال
في معنى البيت الأول

تقطع ما لم تبل لا أنض منها	٥	ويعلّ الأنض يقطعه النزول

وقوله جئتكم لمسي سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير أن
يدعوه إليه الوارش والواغل وقول العامة طفيلي شيء لا يوجد
في العتيق من كلام العرب وأصل ذلك أن رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة
لا يفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها
بطفيل هذا في فعله ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى الواغل

قال امرؤ القيس

فاليوم أشرب غير مستحقب	٥	إثما من الله ولا واغل

ويقال لما يشربه الواغل الوغل قال الشاعر إن أك مسكيرا فلا أشرب

يوماً ولا يسلو من التعب، وقوله صلى الله عليه وآله: إن أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله، معناه أخلى البيوت، والصِّفر عند العرب الخالي من الآنية وغيرها، ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر، وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه وأمرهم بالاجتماع عليه فيما عليه السلام ما يشتمل، هذا الوجه أن المأدبة هي التي يدعى الناس إليها ويجتمعون عليها، فهذا الوجه مخالف للأول لأن الأول يقتضي أن وجه التشبيه من جهة النفع العاجل والحاصل للقرآن كما يجمع المدعو إلى المأدبة ما يصيبه من الطعام، وهذا الوجه الآخر يقتضي أن التشبيه وقع باجتماع الناس في الدعاء إليه والإرشاد إلى إصابته، وغير مستحيل أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معاً ولا تنافي بينهما. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال: كنا في مجلس الأصمعي إذ أقبل أعرابي فقال: أين عميدكم؟ فأشرنا إلى الأصمعي فقال: ما معنى قول الشاعر:

لا مال إلا العطاف تؤزره	٭	أم ثلاثين وابنة الجبل
لا يرتقي النزّ في ذلاذله	٭	ولا يعدّي نعليه من بلل
عُصرته نطفة تضمّنها	٭	لِصبٌ تُوقّى مواقع السُّبُل
أو وجبة من جناة أشكلة	٭	إن لم يرغها بالقوس لم تُنَل

قال فأدبر الأعرابي وهو يقول: لم أر كاليوم عضلة. قال ابن دريد: إنما وصف رجلاً خائفاً في رأس جبل يقول: لا مال له إلا العطاف وهو السيف، تؤزره أي تعينه أم ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهماً، وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبل من النبع وغيره، وقوله لا يرتقي النز في ذلاذله لأنه في رأس جبل، والنز هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه يسيل عليه منهما، والعُصرة الملجأ، والنطفة الماء المجتمع في صخرة وغيرها من [illegible] ماء المطر، واللِّصب الشق في الجبل أضيق من اللهب وأوسع من الشِّعب، والسُّبُل المطر، والوجبة الأكلة كل يوم مرة، والأشكل السدر الجبلي واحدها أشكلة، يقول هذه النطفة والوجبة من الأشكلة عصمتاه، وقوله إن لم يرغها

بالقوس يعني أنها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس. قال قدس الله روحه: وإنما جعل الأصمعي إنشاده الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه بعيد أن يعرفها ولا يعرف معناها، فالأعرابي إنما سأل عن المعنى فأقام إنشاده لها مقام تفسيرها، واستغنى الأعرابي بذلك وعلم بإنشاده الأبيات معرفته بمعناها، وكان الأصمعي كثيراً إذا أنشد شيئاً من الشعر يكتفي بالإنشاد عن التفسير كأن إنشاده في معناه في الحال، ومن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشده يوماً لنفسه:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي	٭	ودافع ضيمي خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت	٭	يداي الثريا قاعداً غير قائم

قال فلما فرغت من إنشادهما أنشد عقيب ذلك:

ألا أيها السائل جاهداً	٭	ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بنو عامر	٭	فروعي وأصلي قريش العجم

قال فعلمت أنه أراد بالشعر الذي نحوته وعلمت علمه بحسن. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: ما أنشدت الأصمعي شيئاً قط إلا أنشدني كأنه أعده لما أنشدته [illegible] فلقيتها مرضاً فعلقت [illegible] وتعلق أخرى غيرها الرجل فأنشد في سحر من وقته:

فلله أخت بني لؤي إذ رمت	٭	وأصحاب [illegible] سواها
وما عادها الحدثان [illegible]	٭	وما عادت [illegible]

وذكر أبو العباس قال: كان الأصمعي إذا سمع إنساناً ينشد شعراً في معنى أنشد في ذلك المعنى من غيره ما أراده، فأنشده رجل قول القطامي:

والناس من يلق خيراً قائلون له	٭	ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

فأنشد هو قول [illegible]:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره	٭	ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

وحدثني ميمون بن هرون قال سمعت إسحق بن إبراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعشى طلبا أن ينشد لي في مثله فكان مع تحليه بالعلم لا يعلم الأصمعي بمثل هذا

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... أو تنزلون فإنا معشر نزل

فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم أوظفة القوائم هيكل

فدعوا نزال فكنت أول نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل

وروى لنا إسحق بن إبراهيم أيضا أنه قال دخلت إلى يوم الأصمعي وعنده أخو العماني الراجز حافظا كان وشيء لم تحرجت به أخو العماني فقال له من هذا فقال ابن أخي العماني فقال أهو ابن أخي الذي يقول

فأصبحت ما دون مأواها كما ... بالطيب من نبعها ولا قط رطب

فقال له قل إن شئت الكلام هو على كل حال أصلح من قول أخيك العماني

يا رب جار بحوران يا عمر ... كأنها عوسج في جوف ما قود

قال إسحق فقلت له ألست أعددت هذا الجواب فقال لا ولكن ما تركه ثم لا كنا نعرف بيننا لهما

مجلس آخر ٢١ تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه. الجواب قلنا هذا القول يحتمل معنيين في لغة العرب أحدهما القول باللسان والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف إلى القلب هو الظن والاعتقاد وبهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أتقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى تظن قال الشاعر

أما الرحيل فدون بعد غد ... فمتى تقول الدار تجمعنا

أراد فمتى تظن الدار وقال الآخر

أجهالا تقول بني لؤي ... لعمر أبيك أم متجاهلينا

أراد أتظن بني لؤي وقال عمر بن أبي ربيعة

ألا يا سقي النفس كيف تقولها ... لو ان طبيبا حاذقا يستخبرها

مخبر ان شطت بها غربة النوى ... ستنعم ليلى أو يفك أسيرها

أراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الأمرين معا أفاد قوله تعالى بأفواههم قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر ومما يشهد لذلك قوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فلم يكذب الله تعالى قول ألسنتهم لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق وكذب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات وفيه وجه آخر وهو أن يكون الفائدة في قوله تعالى بأفواههم أن القول لا برهان عليه وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وإنما يكون قوله حقا إذا كان راجعا إلى برهان فيكون إضافة القول إلى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشكك في قوله أو يكذبه هكذا تقول ولسانك فيما تقوله وتنطق به يتقلب فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وإنما تقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى أنه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في ذلك التأكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولى لأن حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم فما معنى رد الأيدي في الأفواه وأي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون إخبارا عن القوم بأنهم ردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الأنبياء كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق أن يعض على أنامله ويفرك أنامله ويضرب بإحدى

وكذلك المضمون في افواههم والمراد باليد هنا ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكرها الله تعالى عنهم انهم جاؤا بها قومهم فان اليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد وكل ذلك شاهد من كلامهم فالذي اتى به الانبياء قومهم هو الحجج والسلطان وهو النعمة والعهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد فلما كان ما عظم به الانبياء قومهم فنبذوه وردوه بما يخرج من افواههم من ردوه وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم في افواههم اي انهم ردوا القول من حيث جاء فان قيل فلا يجوز ان يكون الضمير في ذلك للرسل اليهم كانا وقد ذكر بعض المفسرين ان معناه انهم عضوا عليهم اناملهم غيظا لأن من رفع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى بذلك رادا لليد الى فيه الا اذا كانت يده في فيه يخرجها منه ثم يردها قال قدس الله روحه وليس ما استنكره ابو مسلم من ردّ الايدي الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه بالعض كما ويجمع يفعل كما كان لو تقدم ذلك الفعل منه ولو لم يتقدم هذا القول تحقيقا لما بمعناه ولا بانساعا وليس يجب ان يؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعارتها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء ويتكرر منهم فلهذا جاز ان يقال ردوا ايديهم في افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما جاز الثاني بالرد وهذا يبطل استضعافه الجواب اذا صرنا الى ما رواه تأويل خبر روي ان سلما الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى

	الله عليه وآله وقد انشده سويد بن عامر المصطلقي	
لا تأمنن وان امسيت في حرم	٥	ان المنايا بجنبي كل انسان
واسلك طريقك تمشي غير مختشع	٥	حتى تبين ما يمني لك الماني
فكل ذي صاحب يوما يفارقه	٥	وكل زاد وان ابقيته فان
والخير والشر مقرونان في قرن		بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ادركته لاسلم فبكى مسلم فقال لانه

يدبر على الاخرى فما شاكل ذلك من الافعال ومنها ان تكون الهاء في الايدي للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه للرسل عليهم السلم فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ونفاقهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل بما يمنعهم من الكلام كما يفعل المسكت منا لصاحبه وان اراد لفظه ومنها ان تكون الهاء التي في الايدي والتي في الافواه معا للرسل انهم كانوا يأخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ومنها ان تكون الهاءان جميعا راجعتان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايدي انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى الكف عن الكلام والاسكات عنه كما يفعل من يريد منا ان يسكت غيره ويمنعه عن الكلام من وضع اصبعه على فيه ومنها ان يكون المعنى فردوا القول بايدي انفسهم الى افواه الرسل اي انهم كذبوهم ولم يصدقوهم فالهاء الاولى للقوم والثانية للرسل والايدي انما ذكرت مثلا وتأكيدا كما يقول القائل اهلك فلان نفسه بيده اي وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره ومنها ان المراد بالايدي النعم وحملها على الهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اي ححقا وعظهم وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا ان تكون الهاء التي في الايدي للقوم الكفار لانها من نعم الله عليهم فيجوز اضافتها اليهم ويحمل لفظ في على معنى الباء لجواز قيام بعض حروف الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك ويحكى ان العرب تقول ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة ويعبرون بالباء عن معنى في كذلك ايضا يصح ان يعبر بفي عن الباء

	قال الشاعر	
وارغب فيها عن لقيط ورهطه	٥	ولكنني عن سنبس لست ارغب

اراد وارغب بها فحمل في على الباء ومنها وهو جواب اختاره ابو مسلم محمد بن بحر ان نعم لزاوالدين عمرو قال المضمون في فواهم ايديهم الرسل

وكذلك

يا أبتِ ما يبكيك من شركك ماتك في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما دا مشركٌ تلقفت من شرك حبراس سويب فولد ما يمني لك المنايا معنا ما تقدّر لك القادر وقال العراقيّال منى الله عليه الموت أي قدّر الله عليه الموت قال معقوب سأل الله بما شركت أي قدّر الله لك ما شئت وما كنت

لعمرُ أبي عمرو لقد ساقه المنى ... إلى جدثٍ يوزى له بالأهاضب

قال ابن الأعرابي ساقه الحتف أي ساقه القدر وأنشد ابن الأعرابي

منت لك أن تلاقيني المنايا ... أحاد أحاد في الشهر الحلال

معناه قدّر لك وقال أبو عبيدة في قوله من نطفة إذا تمنى معناه إذا تخلق وتقدّر وقال بعض أهل اللغة إنما سُمّي مِنًى لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى أي يقدّر فيه وقيل إنما سُمّي منى لما يمنى فيه من الدم وقيل إنما سمي بذلك لأن ابراهيم عليه السلام لما انتهى إليه قال له الملك تمنّ قال أتمنى الجنة فسمّي لذلك وهو يذكّر ويؤنث والتذكير أجود قال الشاعر في التذكير

سقى منى ثم روّاه وساكنه ... ومن ثوى فيه واهي الودق منبعق

وقال الآخر في التأنيث

ليومنا بمنى إذ نحن ننزلها ... أسرّ من يومنا بالعرج أو ملل

فأما قوله الخير والشر مقرونان في قرن والقرن الحبل فأراد أنهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الإنسان في الدنيا خير يفرح به إلا وشر يحزنه فلهذا قال إنهما مقرونان ويجوز أيضا أن يريد بقرنهما تقلّب الدنيا وابتدالها الخير بالشر لأن الخير والشر مقرونان مجموعان متعاقبان بينهما فأما الجديدان فهما الليل والنهار وهما أيضا الأجدّان والملوان والعصران والردفان والعصران قال الشاعر

إنّ الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وقال الآخر

وأمطله العصرين حتى يملّني ... ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

قال أبو عبيدة ويقال لليل والنهار ابنا سبات وأنشد ابن الأعرابي

وكنا وهم كابني سبات تفرّقا ... سوًى ثم كانا منجدًا وتهاميا

ويقال للعداة والعشيّ القتّان والبردان والصرعان أخبرنا أبو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال حدثنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الأعرابي

لنقيع الوالبي لو نقيع مرة

كذبتك ما وعدتك أمّ صلاح ... وعسى يكون لما وعدت نجاح
وبوعن السقم الطويل تمائمًا ... لا يستوي سقم بكم وصحاح
أصلاح إنك قد رميت بنا فلا ... تجوابها لعنيت هن جراح
ولقد تأتي بالعقادم لمحة ... وعلى من سدفه العشي نياح

يعني نياح ههنا الحرقة من العشي مثل بعلاح نيف بالكسر يعني

ما كان أبصر بي بغرات الصبا ... فاليوم قد شفعت لي الأشباح
وتنتي بجنب الشخص شخص مثله ... والأعين بأسنة الشخوص صحاح
ولقد الحوادث لمي من بلى ... وأسابيل كأنه جمّاح

ندل بإسنا علي وقرن ذوائبي ذوائبي ... قبس المشيب كأنه مصباح

والجماح من أملس يه وجماح سهم أو قصبة يجعل عليه طين ثم يرمى به الطير يصيده الأشياد لبعضهم

أرى الناس من صعلوك يرعى فإنك ... لذي نشب أخلقه مصانيا
أرى المال يعشى ذا الوصوم فلا ترى ... ويدعى من الأشراف عن كان عاديا

الصعلوك الفقير يقول بيا العرصوب والسريعت والوصوم العيوب

الأسد الحصين بن قلعة

إني لتحمدني الخليل إذا اجتدى ... مالي وتكرهني ذوو الأضغان
وأبيت تحلجني الهموم كأنني ... دلو السقاة تمد بالأشطان
وأعيش بالبلل القليل وقد أرى ... أن الرؤوس مصارع الفتيان

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي منصور قال أخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال قال عقيل بن علّفة وذكر

الثلاثة في ناديها ولقد علمت لئن هلكت ليبدلن قومي إذا ملكن
التيمي مكاني قال سيدنا قدس الله روحه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره
جيد الكلام محكم الألفاظ ويعد من المليحين قال قال عبد الملك بن مروان
لعقيل بن علفة المري ما أحسن أموالكم فقال ما أنكر أحدنا من صاحبه
فضلاً قال فأي شيء تعرفنا قال أنا أشرف قال ما أشغل به
بعيراً حولك ثم ما فاتك عنا قال فأسلع جرمكم قال ما يطمع فينا
لقربوهم قال فما بلغ جودكم قال ما عقدنا بريقنا وأتقينا به
ذكرانا قال فأسلع حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير
به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وقد قيل
لعقيل بن علفة قد عنست بناتك أما تخشى عليهن الفساد قال
كلا إني حلفت بتدهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعري قال
أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن وقال عبد الملك يوماً
ما لك تهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم إذا صيح بها رعت وإذا
سكت عنها نعت قال إنما تقول البيت والبيتين قال حسبي من
القلادة ما أحاط بالعنق فأما معنى علفة اسم أبيه فقال ابن الأعرابي العلفة
مثل الباقلاء اليابسة تكون تحت الزهر من البقل وغيره وقال
أبو سعيد السكري العلفة ضرب من أوعية بعض النبات مثل
ثمرة الباقلاء وللوبياء وهو الغلاف الذي تجمع فيه الحب وقيل إن عقيلاً
كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة وروي أنه خرج
من العلا أنه خطب ابنته رجل يوماً فقال إن سيق إلي المهر ألف وصدا
كله ودعش أحتاج بعث إلى القصر وذكر الأصمعي أن عقيلاً كان لغيرته
إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذه وذهن أنفاقه ومقابيه ثم ربطه
تحرصه في قرية النمل ولا يعود لمحادثتهن وحكى الأصمعي قال كان
عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء

	فأنشأ يقول	

قضت وطراً من دير سعد وطالما	٥	على عجل ناطحنه بالجماجم
	ثم أقبل على أخيه فقال أجز يا علّس فقال	
فأصبحن بالموماة يحملن فتية	٥	نشاوى من الإدلاج ميل العمائم
	ثم أقبل على ابنته فقال أجيزي يا جرباء فقالت	
كأن الكرى يسقيهم صرخدية	٥	عقاراً تمشت في المطا والقوائم

قال فأقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها
فوثب عليه أخوها فقال دونها ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال

	عقيل	
إن بنيّ زملوني بالدم	٥	من يلق أبطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا أود يقوم	٥	شنشنة أعرفها من أخزم

الشنشنة الطبيعة والسجية وهذا مثل أجلبه عقيل وقد قيل قبله

الشنشنة مثل أجلبه عقيل

كن للعقيد أبواك تكن في نابسه	٥	كلعبة يوماً أحد ما خلفا
كن الغني الكفي إذا كنت فيهم	٥	وإن كنت في الحمق فكن أنت أحمقا

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور
فقال كيف يصح القول بأنها رجعت إليه وهي لم تخرج عن يده الجواب قلنا قد
ذكر في ذلك وجوه أحدها أن الناس في دار المحنة والتكليف قد يعبد بعضهم
بعضاً فيعتقدون فيهم أنهم يملكون جر المنافع إليهم وصرف المضار عنهم و
قد تدخل الشبهة لتقصيرهم في النظر وتقصيرهم عن تحصيل فيعبدون
الأصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد
آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف
كل هؤلاء أفعالاً لله عز وجل بهم إلى غيره فإذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء
واضطروا إلى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال و
اعتقاد الباطل وأيقن الكل أن لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله
تعالى فردوا أمورهم إليه وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا أن الذي كانوا

للنفع والضر ... وإلى الله

عليه من عبادة غيره وتأميل الضر والنفع من عنده وورد فقال تعالى ترجع
الأمور لهذا المعنى والوجه الثاني أن يكون معنى الآية أن الأمور كلها
لله تعالى وفي يده وقبضته من غير رجوع ورجوع حقيقي وقد تقول العرب
قد رجع علي من فلان مكروه بمعنى صار إلي منه ولم يكن سبق مكروه إلى قبل
هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد إلي من فلان كذا وكذا وإن وقع منه على
الابتداء قال الشاعر

وإن تكن الأيام أحسن مرة	إلي فقد عادت لهن ذنوب

أي صارت لهن ذنوب لم تكن قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا الوجه
سائغ جائز تشهد له اللغة والوجه الثالث أنا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك
العباد في دار التكليف أمورا تنقطع بانقطاع التكليف وانقضاء أمر الدنيا
الآخرة مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك
فيجوز أن يريد تعالى بترجع الأمور إليه أنها ما ذكرناه من الأمور التي ملكها
غيره تمليكا إلا أن يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن في الآية وجه آخر
وهو أن يكون المراد بها أن الأمور تنتهي إلى أن لا يكون موجد لها قادر غيره و
يفضي الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء لأنه قبل إنشاء الخلق هكذا
كانت الصورة وبعد إفنائهم هكذا تصير فيكون الكناية برجوع الأمور إليه
عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقي لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدما ويحتمل
أيضا أن يكون المراد بذلك أنه إلى قدرته تعود المقدورات لأن ما أفنانا من
مقدوراته الباقية كالجواهر والأعراض الباقية يرجع إلى قدرته فيصح منه تعالى
إيجاده بالعود إلى ما كان عليه وإن كان ذلك لا يصح في مقدورات البشر
وإن كانت باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر بأوقاتها لتعذر
العود إليها من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير فهذا أيضا حكم هو تعالى
المنفرد به دون سائر القادرين والله أعلم بما أراد. تأويل آية أخرى
إن سأل سائل فقال ما معنى قوله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها فقال

أي يعني لذكر البيوت وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت
المسكونة على الحقيقة أو كنى بهذا اللفظ عن غيرها فإن كان الأول فما
الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها وإن كانت كناية فبينوا وجهها
ومعناها. الجواب قيل في هذه الآية وجوه أولها ما ذكر من أن
الرجل من العرب كان إذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح بها رجع فدخل
من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فأعلمهم الله تعالى أن هذا
من فعلهم لا بر فيه وأمرهم مع التقوى بما ينفعهم ويقربهم إليه وقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله عن التطير وقال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر
لا يعدي شيء شيئا وقال عليه السلام لا يورد ذو عاهة على مصح ومعنى
هذا الكلام من لحقت إبله آفة أو مرض فلا ينبغي أن يوردها على إبل غيره و
صحاح لأنه متى فعل ذلك ولحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقا لا لأجل العدوى
لم يؤمن صاحب الصحاح أن يقول إنما لحق إبلي هذه الآفة من تلك الإبل
فيعتقد إبطال نهي النبي صلى الله عليه وآله عن هذا لمن قال مأثم بين
الفريقين والظن القبيح. وثانيها أن العرب إلا قريشا ومن ولدته قريش
كانوا إذا أحرموا في غير أشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ونقبوها
من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر وإذا كانوا من أهل المدر تسنموا في بيوتهم
سلاليم ليخرجوا منها ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فنهاهم الله
تعالى عن ذلك وأعلمهم أنه لا يغني في البر وأنه ليس من البر. وثالثها
ما روي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن معنى ليس البر بأن تطلبوا الخير من غير
أهله وتلتمسوه من غير بابه وأن تأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير
من أهله ومن وجهه. ورابعها ما روي عن أبي علي الجبائي أن يكون الغاية
بهذا الكلام ضرب المثل والمراد ليس البر أن تأتوا الأمر من غير جهته لأن
إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر إلى الإثم والخطأ
وبين أن البر التقوى وأمر بإتيان الأمور من وجوهها وأن تفعل على الوجوه
التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت من ظهورها وأبوابها مثلا كما

العادل في الأمر عن تحيير كالعادل في البحث عن نابهر تحاسها أن تكون البيوت كنايات عن النساء وتكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله فالعرب تسمي المرأة بيتا قال الشاعر

ما لي إذا انزعها صاحت صويت	ألكبر غرني أم بيت

أراد بالبيت المرأة ويمكن أن يكون شاهدا للجواب الذي حكيناه عن أبي علي الجواب عن أبي مسلمة أيضا ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال حدثنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الأعرابي

إني عجبت لأم الغمر إذ هزئت	من شيب رأسي وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالإقتار يقتره	ولا سعادته يوما بإكثار
إن الشقي الذي في النار منزله	والفوز فوز الذي ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي	شتم العشيرة أو يدني من العار
وشر ما يجتني الجاني محوبة	وسوف يبدي لي الجبار أسراري
لا أدخل البيت أحبو من مؤخره	ولا أكسر في ابن العم أظفاري

قوله لا أدخل البيت أحبو من مؤخره يحتمل أن يريد به أنني لا آتي الأمور من غير وجهها على أهل الأخبية ويحتمل أيضا أنني لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبي مسلمة ويحتمل وجها آخر وهو أن يريد أنني لا أقصد البيت للريبة والفساد كما شأن من يسعى إلى فساد الحرم ويقصد البيوت للريبة والفساد ويحيد عن أبوابها طلبا لإخفاء أمره وكأنه نفى عن نفسه بهذا القول وتنزه عنه كما نزه بقوله ولا أكسر في ابن العم أظفاري عن مثل ذلك وكنى بأظفاره عن السوء وأما من جهتي ما كونه كأنني قد جرحته بأظفاري كناية في هذه ... مشهورة للعرب ويجري مجرى هذه الأبيات وبعنا في المعنى ... قول الآخر

وإن لعفيف عن زيارة جارتي	وإني لمشنوء إلي اغتيابها
إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها	زءورا ولم تنبح علي كلابها

صابت

الحجاب

الشيخ

كنايات

وما أنا بالداري أحاديث بيتها	ولا عالم من أي حوك ثيابها
وإن قراب البطن يكفيك ملؤه	ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها

قال قدس الله روحه وقد جمعت هذه الأبيات نفرا محمية وكنايات بليغة لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لأنها أدعى إلى الريبة وأخص بالتهمة وقال لم تنبح علي كلابها أراد أني لا أطرقها ليلا مستخفيا متنكرا فينبحني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم لا أدخل البيت أحبو من مؤخره لأنه لم يرد أنه يأتيها نهارا أو يأتي إليها كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد لم أكن ليس يكثر الطروق لها فالغشيان لمنزلها فتأنس بي كلابها لأن الأنس يكون مع المواصلة والمواترة وقوله وما أنا بالداري أحاديث بيتها يحتمل أن يريد به أيضا تأكيد نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه إذا أدمن مع الزيارة عرف أحاديث بيتها وإذا لم ينفها بصاديها لم يعرف ويحتمل أن يريد أنني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من أي حوك ثيابها كناية مليحة عن أنه لم يجتمع معها فلا يعرف منها ما يعرف مباشرها وبهذا الإسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني

إذا الهم أمسى وهو داء فأمضه	فلست بممضيه وأنت تعادله
ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ	إذا هم أمرا عوقته عواذله
فما كل ما خاف الفتى المرء دونه	ولا دون ما يرضاه يغتاله
ولا الفتك ما أمرت غير تارك	تحدث من لاقيت أنك فاعله
وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظة	إذا صال لم يرعد إليه خصائله
ولا تجعلن سرا إلى غير أهله	فتقعد أن أفشى عليك تجادله
ولا تشكل المال البخيل تركته	غنى بعده الأيام وقسمه
أرى المال للأيام أطلال قائمة	تؤوب وأخرى تحمل المال

(غضب وحفظ)

معنى أمرت قيدا أي شاورت والخصائل كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني

قال الزهري مهر

ليس كثير مهر

لا أمر

كلمة مهر

سوقته مهر

ولا قال المال البخيل في تأويله

الخصائل اللحم ... اللحم

قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة قول

حارثة بن بدر الغداني

لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ … حفي ولا ذي خلة لي اواصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل … فشر الاخلاء الكثير غوائله
يقل للفؤاد ان نبا بك … … من الروع افرخ اكثر الروع باطله

معنى افرخ أي اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن كأنها ساكنها ولم تر الموت دونه

ويذكر الحسن اللذين معه ونادى

وكن انت ترعى نفسك واطمئن … باني اقل الناس … حاملة
اذا ما قتلت الشيء علما فقيم به … ولا تقبل الشيء الذي كنت جاهله

ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله

لنا نعمة كانت نفسنا نروعها … فقد ملكت الا قليلا عروقها
وانا لنستحلي المنايا نفوسنا … وتترك اخرى مرة لا تذوقها
ونشب نائي … حين … تحوم المنايا نفسنا وتروقها

قوله لنا نعمة كانت نفسنا … معها … مرمية وانما اراد عشيرته واهل بيته وقد روى … علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب

الابيات وزاد فيها

تأتي المنايا بالرجال … الى دار … الساعة طورقها
وقد قسمت نفسي … بينهما … مع المولى وعندي …
بكينا تزجي النفس … من الاكرامات … ما نعوقها

وحكى ابو العباس قال انشد الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات الثلاثة الاول فقال عبد الله لمن هذا يا شعبي فقال لحارثة بن بدر فقال نحن احق بهذا

وانشد الشعبي … سائر … بعض شعره قوله

ولقد وليت امارة فرحمتها … في المال … ولم اتموّل
ولقد سبقت النصح من لم يقبل … ولقد نصحت النصح من لم يقبل

نقل الفؤاد خ ل
ولا ادوية … وحجا
اقل الناس بالرجال خ ل
كانه من الاستقلال
اقل الناس للناس حاملة خ ل

فبأي حيلة … لم … … وبأي حيلة حائل لم احتل
يا طالب الحاجات يرجو نجحها … ليس النجاح مع الاخف الاعجل
فاصدق اذا حدثت تحك … واذا حلفت مماريا فتحلل

معنى تحلل … أي تكون عندك … وقوله فتحلل أي … استثن

واذا اتتك الباهسين … الى العلا … فدع الكهام … نائما

معنى الباهسين الممادين … الى … المتشبهين

واخلد مكان الشر … به … واذا نبا بك منزل فتحول
واذا ابن عمك … بعض … فانظر … ولا تستعجل
واذا افتقرت فلا تكن متخشعا … ترجو الفواضل عند غير المفضل
واستغن ما اغناك ربك بالغنى … واذا تكون خصاصة فتحمل

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصككني ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سألته عن علم الا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة ايها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا حدث وانما انسب الى من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن ان يظن بي فدع النبيذ وكن اول داخل علي واخر خارج فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال تولني رام هرمز فانها ارض عذاة وسرق فانّ بها شرابا وصف لي فولاه اياهما فلما شيعه الناس قال انس بن ابي انس وقيل ابن ابي

رأيت ابا الدحيل

فبأي حيلة حائل لم احتل خ ل
أي قال عالم
المتشهين خ ل
كم نصطك ركابي ركابه خ ل
عندك م

أحارِ بنَ بدرٍ قد وَلِيتَ إمارةً	ح	فكن جُرَذاً فيها تخونُ وتسرقُ
ولا تحقرنْ يا حارِ شيئاً تحوزُهُ	ح	فحظُّكَ من مُلكِ العراقينِ سُرَّقُ
وباهِ تميماً بالغِنى إنَّ للغنى	ح	لساناً به المرءُ الهيوبةُ ينطقُ
فإنَّ جميعَ الناسِ إمّا مكذِّبٌ	ح	يقولُ بما يهوى وإمّا مصدِّقُ
يقولونَ أقوالاً ولا يعلمونها	ح	فإنْ قيلَ هاتوا حقِّقوا لم يُحقِّقوا

وهذه الأبياتُ تُروى لأبي الأسودِ الدؤليِّ كتبَ بها إلى حارثةَ لمّا ولي

اكتب ... فيها

وكن حازماً في اليومِ إنَّ الذي	ح	يجيءُ غداً يومٌ على الناسِ مطرقُ
ولا تعجزنْ فالعجزُ أوطأُ مركبٍ	ح	وما كلُّ من يُدعى إلى الحزمِ يُرزَقُ
إذا ما تعالى القومُ ملّوكَ أكلا	ح	فكلْ طيّباً واجمعْ لنفسِكَ ...

ويقالُ إنَّ حارثةَ أجابَ عن هذه الأبياتِ بقوله

جزاكَ إلهُ الناسِ خيرَ جزائهِ	ح	فقد قلتَ معروفاً وأوصيتَ كافيا
أمرتَ بأمرٍ لو أمرتَ بغيرهِ	ح	لألفيتني فيه لأمرِكَ عاصيا

ويقالُ إنَّ حارثةَ بنَ بدرٍ والأحنفَ بنَ قيسٍ دخلا على ابنِ زيادٍ فقال لحارثةَ أيُّ الطعامِ أطيبُ وكان يتّهمُ فقال ... وعمّرة ... عشرين ... فقال للأحنفِ أيُّ الشرابِ أطيبُ يا أبا بحرٍ قال الخمرُ قال وما يدريكَ ولستَ من أهلِها قال رأيتُ من أحلّها لم يتجاوزْها إلى غيرِها ومن حرّمتْ عليه يحنُّ إليها فعرفتُ أنّها أطيبُ الشرابِ وحارثةُ بنُ بدرٍ يخاطبُ عبيدَ اللهِ بنَ زيادٍ لمّا تغيّر عليه بعد اختصاصِه كان به

أُهانُ وأُقصى ثمَّ تنتصحونني	ح	ومن ذا الذي يعطي نصيحتَهُ قسرا
رأيتُ أكفَّ المُصلَتينَ عليكمُ	ح	ملاءً وكفّي من عطاياكمُ صفرا
كأنّي مع الساعينَ ... بسيفِهِ	ح	إذا أحدثَ الأعداءُ في عظمِكم كسرا
متى تسألوني ما عليَّ وتمنعوا	ح	الذي لي لا أسطعْ على ذلكم صبرا

وقال ... يعاتبه

وكم من أميرٍ قد تجبّرَ بعدما	ح	مريتُ له الدنيا بخفّي فدرّتِ
إذا ذهبتْ ...	ح	دعاني ولا أدعى إذا ما أمرّتِ
إذا ما هو احلولتْ ...	ح	وتقسيمُ ليمناها إذا ما أمرّتِ

... أي ... واحتماعُ اللبنِ في الضرعِ بين الحلبتين ... وتنسب أبياتُ حارثة هذه قولَ عبدِ اللهِ بن ... مغوية ... من جملة ...

أبياتٌ ... جدّاً

عطاءٌ وكم للصابِ بين رفاقِكم	ح	تخلّى إذا ما كان ما لكرائه
أنحن أخوكم في المضيقِ وحتمُنا	ح	إذا ما نخيّم في الخطارِ الأصاغر
وتدعونا إلّا إذا ما سألتم	ح	وتلقون شديداً حين تستكلّ ...
وإن كان منّا الدهرُ الناسُ ...	ح	أخذنا من قبلِ ناهٍ وآمرٍ

يعني من قبلِ ناهٍ ... ناهي ... أو ...

وإن جلّةٌ كم ... غيوبٌ بأنفسِكم	ح	لو ... تريها جنوبُ المناخرِ
فهل يفعلُ الأعداءُ إلّا كفعلِكم	ح	هوانُ السراةِ وابتغاءُ ...
... عنكم ما فعلتم	ح	فذكرهوا أن عنكم ستطاهر
... ومن عالجَ الحربَ عنكم	ح	وأعداءكم من بين كابٍ ونافرِ
فلا تسألوني من هوى ...	ح	...

وقال ... بن ... أيضاً

لمن على الممغترِ من خائفٍ	ح	يرجو جوارَكَ حين ليس مجيرُ
أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانسٌ	ح	بجوارِ قبرِكَ والديارُ قبورُ
عمّت فواضلُهُ فعمّ مصابُهُ	ح	فالناسُ فيه كلّهم مأجورُ
ردّت صنائعُهُ إليه حياتَهُ	ح	فكأنّه من نشرِها منشورُ

قال قدّس اللهُ روحَه ونظرَ أبو تمّامٍ الطائيُّ إلى قولِ حارثة ...

... ردّت صنائعُه إليه حياتَه في قوله

الموت ما يشفي النفس منذ من ... فقال إليّ لم يمت من لم يمت كرما

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن
يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه قال مرّ حارثة بن بدر الغداني بمسجد كعب
فلما جلس مجلسا من مجالس تميم إلا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب
ما سمعت كلاما قط هو أقر لعيني ولا أذهب لغمّي مما سمعته اليوم فقال
حارثة ولكني ما سمعت كلاما قط هو أكره إليّ منه ثم قال

ذهب الرجال فسدت غير مسوّد ... ومن الشقاء تفرّدي بالسؤدد

وهذا البيت يقال للخليل الأسدي تمثّل به وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال
حدثني عبد الرحمن بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكلابي
تحدث [illegible] عند الأحنف بن قيس فقال لولا أنك تستعجل لنا وتبكّت
فقال كم أجلكم كانوا يكرهون أن يبادروا الجائع حتى يشبع والظمآن حتى
ينقع والعمل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى ينفس **تأويل
آخر آية** إن سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا
والله سريع الحساب فقال أي مدح في سرعة الحساب ولكن ظاهر وجه
المدح فيه الجواب قلنا في ذلك وجوه **أولها** أن يكون المعنى أنه سريع
المجازاة للعباد على أعمالهم وأن وقت الجزاء قريب وإن تأخر ويجري مجرى
قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وإنما جاز أن يعبر عن المجازاة
أو الجزاء بالحساب لأن ما يجازى به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب
له إذا كان مماثلا مكافئا ومما يشهد بأن الحساب يعني المكافأة قوله
تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا أي عطاء كافيا وقولهم أحسبني الطعام أي
أحسبني إذا كفاني قال الشاعر

إذ لا نرى في الناس حسنا يفوتها ... وفيهن حسن لو تأملت محسب

أي كاف **وثانيها** أن يكون المراد أنه جل وعز يحاسب الخلق جميعا في أوقات
يسيرة ويقال إنه بمقدار فواق حلب شاة لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم
عن بعض بل يحاسبهم جميعا للتمام كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد

الجود

أن يشاور الجائع
والمستعجل حتى يكرع

كط

معناه
عن محاسبة غيره

ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة لأنه لو كان
بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين
مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة
محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما أن جميع ذلك واجب
في المحاسبين الذين يتصرفون بالآلات **وثالثها** ما ذكره بعضهم أن المراد
بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب
والإحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب وإنما
سمى العلم حسابا لأن الحساب إنما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لأن العلم
بالحساب والمحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لما جاز أيضا أن يقال إنه سريع
العلم بها لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة **ورابعها** أنه
تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم وذلك أنه يسأل في وقت واحد
سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجري لكل عبد بمقدار استحقاقه
ومصلحته فيوصل إليه [illegible] ويستكثر لما يستوجبه بحد ومقدار فلو كان
الأمر محتاجا إلى ما يفعله الناس لطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى أنه سريع
الحساب أي سريع القبول للدعاء بغير إحصاء وبحث عن المقدار الذي
يستحقه الداعي كما يحتاج المخلوقون للحساب والإحصاء وهذا جواب
مبني أيضا على دعوى لأن قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع
ولقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على ذلك بما يكون حجة
فيه ولا دلالة فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد
بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وتوقيفهم عليها فيكون الفائدة
في الإخبار بسرعة ذلك قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب وكثير
من إخواننا يقول إن هذا هو الجواب الأول الذي حكيناه وذلك أن بينهما فرقا
لأن الأول مبني على أن الحساب يعبر به عن الجزاء والمكافأة على الأعمال
وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب من بابه وبقينا المحاسبة المعروفة والمقابلة
بالأعمال وترجيحها وذلك قبل الجزاء الذي يقتضي الحساب إليه وقد طعن بعضهم

في الكلام

وهذا الجواب أيضا مبني

الإخبار الخبار

في الجواب الثاني معترضا على ابي علي الجبائي في اعتماده اياه بانه قال يخرج الكلام في الآية على تحقيق الوعيد وليس فيه تحقيق الحساب وتقرير زمانه مما يقتضي تحريم ولا هو مما توعد مثله فيحتمل ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة والمجازاة على الاعمال فهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتكر له بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد ولم يكن ذلك كذلك لانه تعالى قال ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالاشبه بالظاهر ان يكون الكلام وعدا بالثواب وراجعا الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا بل انما يكون وعدا خالصا او وعدا ووعيدا على ان لو كان وعيدا خالصا على ما ذكره الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب على تأويل من تأول الحساب بالمحاسبة وقرب الزمان معنى معقول متعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد وانه حاكم بخيرها وشرها فاذا وصف الحساب مع ذلك بالسرعة كان في هذا ترغيب وترهيب لان من علم انه يحاسب باعماله ويوقف على جميلها وقبيحها انزجر من القبيح وعلم ورغب في فعل الواجب فهذا بعض الجواب على انا كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على ترتيب المحاسبة على الاعمال ترغيبا في الطاعات وتحذيرا عن المقبحات فالتأويل الاول وذلك اشبه بالظاهر واشق الا ان التأويل الآخر غير مدفوع ايضا

تأويل آية اخرى

ان سأل سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال اي مدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون

الفائدة

وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا

فهذا منصور

المجازاة او قرب

الفائدة وقوله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب يريد من المرزوق ولا احتساب منه والحساب ههنا راجع الى المرزوق لا اليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي اي لم اقدره ولم اقدر ان يكون فهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسبا كان اهنأ لموقعه وقد يحكى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية انه قال على تعريه اموال بحجة من تظرد النصيب وانما ضيعت لكم بغير حساب ولا قبل اسهل الامور واقربها وايسرها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مقتر ولا مضيق بل يزيد في السعة والكثرة على كل حاجة المخلوقين فيكون نفي الحساب نفيا للتضييق والتقتير في ضيق التعسير والعرب تسمي العطاء القليل

	محسوبا قال قيس بن الخطيم	
اني سربت وكنت غير سروب	٥	وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه	٥	في النوم غير مصرد محسوب

وثالثها ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير ان يطلب منه الحساب او العقاب لفائدة تعود الدنيا ~~بحظ لمن ليشتفعوا بعد ذلك~~ على اليه اولا ترجع عليه لان من شأن اهل الدنيا ان يعطوا لمكافأة ولينتفعوا ولهذا تعالى فهم من يقصد بالعطية الى هذه الامور فان يحاسب الناس فيما نعطيهم وننالهم فيما يوصل اليهم واشباه ذلك لما انتفت هذه الامور من عطاياه سبحانه كان له ان يقول انه يرزق بغير حساب ورابعها ما اجاب به قطرب فقال معنى الآية يعطي العدد الكثير مما لا يضبط الحساب او ياتي على العدد لان سعد ونه تعالى لا نهاية لها في خزائنه لا يحصر ولا يصح على التعداد ولعين كالمعطي منا الالف من الالفين والعشرة من المائة لان ما يعطاه مما يبيع كروح لكن منه محدود متناه وكانه اتى بذلك لانقطاع لما يعطيه سبحانه عليه وخامسها انه تعالى يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوا وابتدء ما يجب لهم بمحاسبته اياهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

وما اشبه ذلك

لا انما يقبطه الحساب

والله اذات

وكما قال عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم و
كما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وثانيها ان يكون
المعطى يعطيه بغير شيء والرازق سواه فاذا فعل ذلك فيكون بغير
استحقاق منه بلا محاسب عليه ولهذا لم يقل ذلك فيكون شبيها
لو اخذ به ويحاسب عليه فهو الله تعالى من نفسه ان يتفضل من الرزق القبيح
فما ليس له ان يفعل يعني الحساب عنده ان اعتبر الرزق والا يعطي الا
افضل الوجوه واحسنها وابعدها من الذم فيجري الامر مجرى قوله تعالى
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانما اراد انه تعالى من حيث وقعت افعاله
كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان يسئل عنها وان سئل العباد عن افعالهم
لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا ورابعها ان الله تعالى اذا رزق
العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطا من جهة الآمر
فلكثرة لا يحتاج ان يقول له لم تكلفت ولا يقول له لم لم تستكثر ولا يسئله ربه
عن الرزق وانما يسئله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فيسقط الحساب
من هذه الوجوه مما يرزقه الله تعالى فلذلك قال تعالى بغير حساب وخامسها
ان يكون المراد من يشاء ان يرزق من اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح
ان يتناوله حساب ولا العدد والانحصار من حيث لا نهاية له ولا انقطاع
للمستحق به ويطابق هذا الاثر قوله تعالى في موضع آخر فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب وسادسها ان سائلا سأل عن الخبر
الذي يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال توضؤا
مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ههنا وما حكم الخبر فقالوا
النار لا توجب وضوءا والجواب ان معنى توضؤا اي نظفوا ايديكم من الزهومة
لانه روي ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون ايديهم عن الزهومة و
يقولون ان فقدها اشد علينا من ريحها فامرهم عليه السلم بتنظيف الابدي
عن ذلك فان قيل كيف يصح ان يحمل اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي
الى الافعال المخصوصة لا ترى ان من غسل يده او وجهه لا يقول بالاطلاق

توضأت ومتى قيل لكم ان الوضوء اصل من الطاهر لم ينفعكم مع الانتقال
الذي ذكرنا فكلامه عليه السلم اخص بالعرف الشرعي وحمله عليه اولى من
حمله على اللغة قلنا ليس ينكر ان يكون اطلاق الوضوء هو المستقل من اللغة
الى عرف الشرع والمختص بالافعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث
او الصلوة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على
اصله الا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام او من الغمر وتوضأت من الطعام
لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف واذا قالوا توضأت للاطلاق او توضأت
من الحدث او للصلوة فهم منه الافعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من
اختصاص النقل لانه لا يجوز استعمال اللفظة من فائدة اللغة المختص الى
فائدة في الشرع على كل تغير كذلك يجوز ان ينتقل على تغير دون تغير ويبقى
من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من
الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن مستقل من اللغة الى عرف الدين ومختص
باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان في اللغة ويحسن ذلك
ايضا ما روي عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده
ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك كما روي عن قتادة انه قال
غسل اليد وضوء وروى عكراش ان رسول الله صلى الله عليه وآله اكل وغسل
يديه ومسح ببلل يديه وجهه وبلل ذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء
مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة مستعملة على كل حال في الافعال
الشرعية المخصوصة لصح ان تحمله في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى
اصلها بالادلة وان كان الاولى لولا الادلة ان تحمل على مقتضى الشرع
فمن الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله اكل
كتف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ وروى عطاء عن ام سلمة قالت قربت
جنبا مشويا الى النبي عليه السلم فاكل منه فصلى ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر
عن جابر انه قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما
مست النار وكل هذه الاخبار يوجب العدول عن ظاهر الخبر الاول لو كان لم

ظاهر يكيف وقد بينا امرها فيما مر فاما اشتقاق الوضوء من الوضاءة التي هي الحسن كل ما كان من غسل يد ونظفها فلحسنها تسل بعضا هاهنا وقيل الوضوء من الوحر وقوم وضاء قال الشاعر

مسابيح الفعال بعفا اثار	٥	سماحتهم واوجههم وضاء

فالوضوء بضم الواو المصدر وكذلك ايضا التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم الحطب يوقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثل التوقد فقد يجوز ان يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول يحملو القبول مصدرا وهو مفتوح الاول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم الا معنى المصدر وحده قال جرير

آهو ثمام مالك بن امتين وقودا	٥	ام بالحشيئين من متالع اودا

وقال آخر

اذا نهبل ذاح كالوقود	٥	فردا كساءة النقي المطرود

وقال آخر

ما تجمها كل يفاع ارض	٥	وقودا النار للمستوبسا

اخبرنا ابو محمد عبد العزيز الربابي قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابرهيم بن المنذر قال حدثني ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال اتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ فقلت ما لي اراك هكذا قال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان فسلمت

فلم يردا علي السلم فقلت

الا ابلغا عني عراك بن مالك	٥	فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر
فقد جعلت تبدو شواكل منكما	٥	كانكما بي موقران من الصخر
وطاوعتما بي داهيا ذا معاكة	٥	لعمري لقد اورى وما مثله يوري

فلو

فلولا اتقاء الله بقياي فيكما	٥	للمتما لو ما اخرس الجمر
فما تربا الارض منها خلقتما	٥	وفيها المعاد والمقام الى الحشر
ولو شئت ادلى فيكما غير واحد	٥	علانية او قال عندي في السر

معا لو شئت اعتابكما عندي غير واحد

فان انا لم آمر ولم انه عنكما	٥	ضحكت له حتى يلج ويستشري
وكيف يريدان ابن سبعين حجة	٥	على ما اتى يهوا بن عشرين اكثر
لقد علقت دلوا كما دلو حوال	٥	من القوم لا يهوى المراء ولا الكبر

قال ابن شهاب فقلت له اتقول الشعر في نسكك وفضلك وفقهك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برأ واما ذكره عراك بن مالك وابا بكر ابن محمد بن حزم فكانا صديقيه كانا يذكرهما عن ذكرهما فقد جاءت رواية الحرمي بان ابا بكر بن حزم وعراك بن مالك كانا يحتمان اليه من عبيد الله فلا يسلمان عليه فقال الابيات تماطيهما بها وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن

عبد الله بن عتبة وبروى لغيره

اذا كان لي سر فحدثته العدا	٥	وضاق به صدري فللناس اعذر
هو السر ما استودعته وحفظته	٥	ولكن بسر حين تفشو وتظهر

وانشد مصعب بن الزبير لعبيد الله بن عتبة

اواخي رجالا لست مطلع بعضهم	٥	على سر بعض ان صدرك لي واسع
بداهي حلت وسط عوف بن غالب	٥	فذلك ودنا اخ لا المالية
حي لي عبد الله في حومة العلى	٥	وعثمتر مجدا شايل تعالم

قال عبيد الله وهو قول مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم	٥	على سر بعض كان عندي جماعها

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي	٥	فبادية مع الحافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب	٥	ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه	٥	هواك فليم والتام الفطور

الحسن

فجعلوا القبول

اليفاع الارض المرتفعة

احمد بن المنذر

دخل علي

بن عتبة

متغيظ

ولاانهما ان تنشيا فتكلما كاخي الاقوام ثرامن الكبر

الفضرخ المذاب ... من الامر اذا لج فيه وقوله وكيف يريدان ابن كيف يريدانني على ما شعت منه وقد اسمعني ابي ان ابعد وا ابن سبعين سنة

بن عتبة

تلاقت جياذبي على اب حازم كوم لما اضت طير اعضا العبد

غيراني

أكاد إذا ذكرت العهد منها … أطير لو أن إنسانا يطير
غني النفس أن أزداد حبا … ولكني إلى وصل فقير

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أجلك من قلبي هواك محلة … فما حلها المشروب والمأكول

وأخذه المتنبي في قوله

وللسر مني موضع لا يناله … نديم ولا يفضي إليه شراب

وكان العباس بن الأحنف [illegible] في قوله

لو شق قلبي لقري وسطه … اسمك والتوحيد في سطر

وأخذ إسمعيل بن عباد هذا المعنى فقال

لو شق قلبي لقري وسطه … سطران قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب … وحب أهل البيت في جانب

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده
بيت المتنبي ولعبيد الله بن عتبة بن عبد الله

لعمر أبي المحصين أيام نلتقي … لما لا نلاقي بها من الدهر أكثر
نعد لك يوما واحدا إن لقيتها … وتحسب ما كان على الدهر أشهر
فإن يكن الواشون أغروا بهجرها … فلا تجد بد المودة أجدر

ومن مستحسن قوله

لعمري لئن شطت بعثمة دارها … لقد كنت من وشك الفراق أليح
أروح بهم ثم أغدو بمثله … ويحسب أني في الثياب صحيح

وأخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه في قوله

يصبح محزونا ويمسي به … وليس يدري سائر عندك

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما فقال أليس هذا يقتضي بظاهره أن الله تعالى يجوز أن يشاء

الكفر والقبيح لأن ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله الجواب قيل له في هذه الآية وجوه أولها أن تكون الملة التي عناها الله تعالى إنما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تتبع المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود فيها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وإن كانت ضلالا وكفرا فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيمانا وهدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فقال كيف ينجيهم منها وهم إليها على كل وجه وإنما نفى العود إليها مع كونها منسوخة منهيا عنها وأما قوله بعد إذ نجانا الله منها فمعناه أن الله تعالى من العود إليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه **وثانيها** أن يريد أن ذلك لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوما أنه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكما يقول القائل أنا لا أفعل ذلك حتى يبيض القار أو يشيب الغراب وكما قال الشاعر

وحتى يؤوب القارظان كلاهما … وينشر في القتلى كليب لوائل

والقارظان لا يؤوبان أبدا وكليب لا ينشر أبدا فكأنه علق هذا الأمر بما لا يكون أبدا **وثالثها** ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديما وتأخيرا وأن الاستثناء وقع من الكفار لا من شعيب فكأنه قال حاكيا

تبعت خ ل
كما خ ل
كليب بن وائل خ ل
من الكفار وقع خ ل

عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن
يشاء الله أن نعود في ملتنا كرة ثانية حكاية عن شعيب عليه السلام
وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال وثانيها أن نعود الحال الى
تعلم فيها الى العزيز لا الى المكر لأن ذكر العزيز قد تقدم كما تقدم ذكر
الملة ويكون لتخصيص الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا أن يشاء
الله ربنا بما يجريه لنا من الوعد في اظهارها بعلمكم ولا نظفر بكم فنعود اليها
وخامسها أن يكون المعنى الا أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعا
على ملة واحدة فان قيل كيف استثنائه بالمشية اما كان بعد قوله وما يكون
لنا أن نعود فيها فكأنه قال لسنا نعود فيها الا أن يشاء الله فكيف يصح
هذا الجواب قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير
ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول
الا أن يشاء الله أن يتفق في الملة بأن ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله
تعالى ما شاء أن يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا أنه ما شاءه على
كل حال بل من وجه دون وجه فهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين
ليستحقوا الثواب الذي اجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما كان لا
يقع منهم فكان شعيبا عليه السلم قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبدا
الا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا ويسوا فيستا
في ملتنا والغاية في ذلك ما صح أنه لو اطلق أنا لا نتفق ابدا ولا نصير
ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فانا
تعليقه بالمشية لهذا الوجه ويجري قوله الا أن يشاء مجرى قوله ولو شاء
ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وسادسها أن يكون المعنى الا أن يشاء
الله أن يمكنكم من اكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين
ويقوى هذا الوجه قوله تعالى أولو كنا كارهين وسابعها أن يكون
المعنى الا أن يشاء الله أن يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لأن اظهار
كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها

فقوله

غير مختلفة لأنه لما قال تعالى
حاكيا عنهم أو لتعودن في ملتنا
كان معناه أو لتكونن على ملتنا
غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد
الا أن يشاء الله أن يجمعكم على
ملة واحدة م شاه د م

من قوله

خالي م

الله م
تعالى م
يمكنهم ل

وقوله تعالى أولو كنا كارهين يقوي هذا الوجه أيضا فان قيل فكيف
يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع
قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه وانما اراد قومه فكأنه قال
وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها الا أن يشاء الله بأن يتعبد أمتي باظهار
ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز غير ممتنع تأويل خبر روى أبو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وآله قال خير الصدقة ما أبقت غنى واليد
العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة
ما أبقت غنى قولان أحدهما أن خير ما تصدقت به ما فضل من قوت عيالك
وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك منك الى من أعطيت خرجت من استغناء
منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال
ابن عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قال
ما فضل عن أهلك والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ما أغنيت
من أعطيت عن المسألة أي تجزل له العطية فيستغني بها وذلك مثل أن يريد
الرجل أن يتصدق بمائتي درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها
ويكف عن المسألة فذلك أفضل من أن يدفعها الى مائتي رجل لا تبين عليهم
والتأويل الأول يشهد له أول الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث
الآخر أيضا انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله واليد العليا خير من اليد السفلى
قال قوم يعني أن اليد المعطية خير من الآخذة وذهب آخرون الى أن العليا
هي الآخذة والسفلى هي المعطية فقال ابن قتيبة ولا أرى هؤلاء الا قوما
استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى
من فوق هو الذي أعتق والمولى من أسفل هو الذي أعتق والناس انما يعلون
بالعطاء لا بالسؤال قال السيد رحمه الله وعندي أن معنى قوله عليه وآله السلام
اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو أن يكون
اليد هاهنا هي العطية والنعمة لأن النعمة قد تسمى يدا في مذهب أهل اللسان
بغير شك فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أن العطية الجزيلة خير من العطية القليلة

وسلم

في م ل
بإظهاره م ل
وسلم م
تصدّق م ل
لأهل م ل
الآخذة ل
بالعطاء ل قال السيد م ل

وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه نحوًا ولشهيد هذا التأويل أحاديث أنا وبلي المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل اليد على الجارحة لأن من تعسف ذلك تجعل المعطية خيرًا من الآخذة لا يستمر قوله لأن فيمن يأخذ من خمس الله تعالى من يعطي ولعله خير من المعطي لأهل الفضل في الدين واستحقاق الثواب ولا تجعل الآخذة خيرًا من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضًا مع أنه قال قولا شنيعًا وعكس الأمر على ما قال ابن قتيبة فإن قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه السلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقي غنى إلا بسبق الإعطاء يشقص من قدرها وإن كانت العطية التي هي أجزل أفضل من تلك لا تبقي غنى والتي تبقي غنى تعتبت بالمعطي وهذا ما قضنا أما تأويلنا فمطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبقت غنى لأن من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وأن خير العطية ما أفضلت من المسألة فالمطابقة ظاهرة ومن تأول على الوجه الآخر وحمل ما أبقى الغنى على المعطى أهله وأقاربه فتأويلنا أيضًا مطابق له لأنه قد يكون في العطايا التي تبقي بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل فقال عليه السلام خير الصدقة ما أبقت غنى بعدها أخرجها والعطية الجزيلة التي تبقي بعدها غنى خير من القليل فمدح عليه السلام بعطاء الغني الجزيل العظيمة وحث على الكرم والفضل أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الأعرابي

لثابت قطنة العتكي

يا هند كيف بنصب بات يبكيني	وعائر في سواد العين يؤذيني
كأن ليلي والأصداء هاجدة	ليل السليم وأعيا من يداويني
لما حنى الدهر من قوسي وعذرني	شيبي وقاسيت أمر الغلظ واللين
إذا ذكرت أبا غسان أرقني	هم إذا عرض الساهون يشجيني
كان المفضل عزًا في ذوي يمن	وعصمة وثمالًا للمساكين

فما الذي فيه الأمن تأتيه	من الشيب وما ذي كل شكير
إن تذكرت قتلى لو شهدتهم	في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني
لا خير في العيش إن لم تجن بعدهم	حربًا تبيئهم قتلى فتشفيني
لا خير في طمع يدني لمنقصة	وغفة من قوام العيش تكفيني
وأنظر الأمر يخشيني الجواب به	ولست أنظر فيما ليس يعنيني
لا أركب الأمر تزري بي عواقبه	ولا يعاب به عرضي ولا ديني
ولا يعيب الجهل حلمي عند مسألة	ولا العضيهة من ذي الضغن تبكيني
كم من عدو رماني لو قصدت له	لم يأخذ النصف مني حين يرميني

قال قدس الله روحه هذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة وقال آخر أبياتا لم على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لقد علمت وما الإشراف من خلقي	أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلبه	ولو قعدت أتاني لا يعنيني
كم قد أفدت وكم أتلفت من نشب	ومن سعى بعض رزق عن عمو
فما أثرت على بشر وما جزعت	نفسي تطلبه عني بالمكروف
غير كريم ونفسي لا تحدثني	أن الإله بلا رزق يخليني
ولا أثرت بمال غط مكرمة	إلا تبقيت أن الله يخلفني
ولا دعيت إلى مجد ومحمدة	إلا أجبت إليه من يناديني
لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي	ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
إني لأشعر نفسي من لست أعرفه	ولو كرهت وإن تجري يعصيني
تعطي جاهلا وأجهد على ذا	لا يبت قومك فانظر هل

فقوم يحتجون بروايته قوله لقد علمت وما الإشراف بالسين غير المعجمة وذلك خطأ وإنما أراد بالإشراف الاستشراف والتطلع إلى ما في أيدي الناس من أمور الدنيا ومكاسبها ولا أتبعها نفسي قال قدس الله روحه وكان في معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة التي تقدمت قصيدة يحيى بن حكم طويلة خرجت عن سنن الأغراض عشرة من ستة والأبيات

تعاتبني نفسي الزمان وخفضه — فاقني حربا للزمان وسلمه

وقد علم المغرور بالدهر انه — وراء سرور المرء في الدهر غمه

وما المرء الا نهب يوم وليلة — تحث به شهب المطايا ودهمه

يخلد برد الحياة بمسه — ويغتر بوح النسيم نسيمه

كأن بعيدا عنه ما يقرب الردى — فالقيته ويكن المستقر امه

ألا ان خير الزاد ما سد فاقة — وخير تلادي الذي لا اجمه

فان الطوى بالعز احسن بالفتى — اذا كان من كسب المذلة طعمه

واني لأنهى النفس عن كل لذة — اذا كان يغري بها الى العرض ذمه

واعرض عن نيل الثراء اذا ابتلا — كفى بثرى سوء المقال وذمه

اعف وما العفاف رمتني بعيبه — وحسبي به ستر عن الاثم

وما العف من نطهي العفيف — ولكن عن كل عن السوء حزمه

فلينه معنى قوله وما الاشراف من خلقي

ما خاس الريف قلبي قبل خاطره — ولا بسطت لغر في الناجحات يدا

كوفد عادوا لم احفل بما دثر — ولو تجاوزني ما فات في عسد

ان ما تحط الامر اليك عن مضطر — وانا ارد لنا من مذهبا احد

ومعنى ما خاس الريف قلبي اي لم اتمنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر بالي تمنيها وتقنعا والوجه وتخصيص معنى بسط اليد للنوايب لان النوايب تضرع ضدها في الاكثر الممتنع ويطلب المتعفف لزوم الحلم مع الحاجز وشكر الصبر وترك سوا الاكثار الرتب ومعنى البيت الثاني ظاهر فاما الثالث فالمراد انني متى اذا كرهت شيئا تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تقيسه حيلته وتقصر قدرته عن اسداك ما يجب بما يكره ونغير فائدة اخرى وهي اني ممن لا تملكه العادات وتقاده الاهواء بل متى اردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علي متعذرا من حيث كان لرايي على هواي سلطان والرجحان اخبرنا ابو المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى ثعلب النحوي

قال

قال اخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن عبد الله عروة بن الزبير قال كان عروة بن اذينة نازلا مع ابي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التي زعمت فؤادك ملها — خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فيك الذي زعمت بها فكلاكما — ابدى لصاحبه الصبابة كلها

ولعمرها لو كان حبك فوقها — يوما وقد ضحيت اذا لأظلها

واذا وجدت لها وساوس سلوة — شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها — بلباقة فأدقها وأجلها

لما عرضت مسلما لي حاجة — اخشى صعوبتها وارجو ذلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبي — ما كان اكثرها لنا واقلها

فدنا فقال لعلها معذورة — في بعض رقبتها فقلت لعلها

قال عروة بن عبد الله فجاءني ابو السائب المخزومي يوما فسلم علي وجلس الي فقلت له بعد الترحيب الك حاجة يا ابا السائب فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة اذينة بلغني انك سمعتها منه قلت اي ابيات قال وهل يخفى القمر ان التي زعمت فؤادك ملها فانشدته اياها فقال ما يروي هذا الا اهل المعرفة والفضل وهذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

ان كان اهلك يمنعونك رغبة — عني فأهلي بي اضن وارغب

لقد عدا هذا عن ابي طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه طعاما فقال لا والله حتى ارفع هذه الابيات فلما رفعها وثب فقلت له كما انت يغفر الله لك حتى تاكل فقال والله ما كنت لاخلط بمحبتها واخذي لها غيرها ثم انصرف قال قدس الله روحه والهذلي الذي عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقول عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا في النعيم ولم تعرف الا المنعم وانما لم تلق بؤسا فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها وتمامها والبكور هو التقدم في كل شيء وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف

بالعفاف والتظاهر بذلك أن سكينة بنت الحسين عليهما السلام خرجت
إلى [illegible] فقالت يا أبا الملاحات الذي تقول

إذا وجدت أوار الحب في كبدي … أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره … فمن لنار على الأحشاء تتقد

وأنت القائل

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به … قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها … غطى هواك وما ألقى على بصري

قال نعم قالت هن حرائر وأشارت إلى جواريها إن كان هذا خرج من قلب سليم
وأنشدنا أبو الحسن أحمد بن يحيى لعروة [illegible] أبو الحسن أحمد [illegible]

كان [illegible] صابها الذي … [illegible] مسك منتنها [illegible]
ملئت لذكراها الطرب [illegible] … وقالت نفسا [illegible]
إذا اقتربت سعدى لججت بهجرها … فإن تغترب يوما [illegible]
فترى هجرها لا عن ذلك صدها … سواء لعمري نأيها واقترابها
وما الهوى منها كظل سحابة … ألا حبذا [illegible]

قال قدس الله روحه وهيهات هذا البيت الآخر من قول كثير

وإني وتهيامي بعزة بعدما … تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما … تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني وإياها سحابة ممحل … رجاها فلما جاوزته استهلت

وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قيلت في الحسد و[illegible]
[illegible] بالكثرة [illegible] قول الكميت بن زيد [illegible] الأسدي

إن يحسدوني فإني غير لائمهم … قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم … ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم … لا أرتقي صدرا منها ولا أرد
لا ينقص الله حسادي فإنهم … [illegible]

ولذلك عروة بن أذينة

لا يبعد الله حسادي وزادهم … حتى يموتوا بداء غير مكتوم
إني رأيتهم في كل منزلة … أجل عندي من اللائي يحبوني

وقال نصر بن سيار

إن يحسدوني على ما بي وما بهم … فمثل ما بي مما يجلب الحسدا

وقال معن بن زائدة

إني حسدت فزاد الله في حسدي … لا عاش من عاش يوما غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله … بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

قال سيدنا أدام الله علوه وقدس روحه وقد أخذ البحتري هذا المعنى في قوله

محسد بخلال فيه فاضلة … وليس تنفصل النعماء والحسد

وأخذ أبو العتاهية هذا في قوله

كم عائب لك لو أجمع مقالته … ولم يزدك لديه غير تزيين
كأن عائبكم يبدي محاسنكم … وصفا فيمدحكم عندي ويطريكم

وقال عروة بن أذينة

لا أجد سعدى [illegible] … [illegible]
إذا الوشاة [illegible] عصيتهم … وحلت [illegible] اللوم [illegible]

وأخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

ما حطك الواشون عن رتبة … عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا … عليك عندي بالذي عابوا

ولعروة بن أذينة

[illegible] … [illegible] ذاهبات
[illegible] … [illegible] راجعات

أتلك المطمع من القتال فهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال

[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]

أخذه أبو العتاهية في قوله

قال سيدنا المرتضى رضي الله عنه

إذا ما أنتم بتم جزعتم	٥	فإن عشتوا سلمتم الصبوحا
فأخذه عروة فقال		
إن الفتى مثل الهلال له	٥	نور إلى أن يمحق
بينا يتم وينقص الأهلة كما	٥	بكر ينقص الجدة الخلق
من قول شعراء بعض طرقه		
مهما تكن ريب الزمان فإني	٥	أرى قمر الليل المعذب كالفتى
يهل صغيرًا ثم يعظم ضوؤه	٥	وصورته حتى إذا ما استوى
تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه	٥	ويمصح حتى يستسر فلا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه	٥	يعود إلى الأمر الذي كان قد بدا
أي زيادة	أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال	
المرء مثل هلال حين تطلعه	٥	يبدو ضئيلًا ضعيفًا ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه	٥	كر الجديدين نقصًا ثم ينمحق

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فقال كيف ينزل الله السحر على الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك إلى أنه بإذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ثم قال لو كانوا يعلمون الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم يمعن النظر فيها أولها أن يكون ما في قوله وما أنزل على الملكين ببابل بمعنى الذي فكأنه تعالى أخبر عن طائفة

نحو الحق والحق نصر

وما كفر سليمان

من أهل الكتاب بأنهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه إليه من السحر فبرأه الله تعالى من قرفهم وأكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وأراد أنهم يعلمونهم السحر والذي أنزل على الملكين وإنما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه كما أنه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها إلا أن الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه وأقدموا على فعله وإن كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من أحد يعني الملكين ومعنى يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى

	أعلمه قال القطامي	
تعلم أن بعد الغي رشدا	٥	وأن لذلك الغي انقشاعا
	وقال كعب بن زهير	
تعلم رسول الله أنك مدركي	٥	وأن وعيدًا منك كالأخذ باليد

ومعنى تعلم في البيتين اعلم والذي يدل على أن تعلمهما الإعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر أي أنهما لا يعرفان صفات السحر وكيفيته إلا بعد أن يقولا إنما نحن محنة لأن الفتنة بمعنى المحنة وإنما كانا محنة من حيث ألقيا إلى المكلفين أمرًا لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم إذا أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك فإنه إنما ألقي إليك لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي يعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وإن كان الملكان ما ألقياه إليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لا أن يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررًا

في قوله تعالى

عليهم وثانيهما أن يكون ما أنزل موضعه موضع جر ويكون معطوفا بالواو
على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان
وعلى ما أنزل على الملكين ومعنى ما أنزل على الملكين أي معهما وعلى ألسنتهما
كما قال ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على ألسنتهم ومعهم و
ليس ينكر أن يكون ما أنزل معطوفا على ملك سليمان وإن اعترض
بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشيء على نظيره وعطفه على ما هو أولى
به هو الواجب وإن اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام
العرب كثيرة قال الله عز وجل الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما وقيما من صفات الكتاب لا من صفات عوج وإن تباعد
ما بينهما وقوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير
وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ههنا معطوف
على الشهر الحرام أي يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعن المسجد
الحرام وحكي عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال العرب تلف الخبرين المختلفين
ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره كقوله تعالى
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله و
هذا واضح في مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من
أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر والمعنى أنهما لا يعلمان أحدا بل
ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستقباحهما له أن
يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والإقدام على فعله وهذا
كما يقول الرجل ما أعرف فلانا بكذا وكذا ولقد بالغت في نهيه حتى
قلت له إنك إن فعلته أصابك كذا وكذا فهذا هو نهاية البلاغة في الكلام
والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لأنه استغنى بقوله
تعالى فما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي
ذكرناه ولذلك نظائر في القرآن قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض

تعالى م
ولا تخزنا يوم القيمة م
تعالى م ل
صفة م ل
ومثله م ل
بتفسيرهما م ل

ولعلا بعضهم على بعض ولولا
الاختصار لكان مع شرح الكلام
بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كا
ن معه من إله ولو كان معه إله إذا لذهب
كل إله بما خلق م م

تعالى م

دعى:

وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم معناه
أي فيقال للذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فأسقط [illegible]
من أن يورد ذلك تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء
وزوجه وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين وكيف
إليهما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع إلى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر
وتقدم أيضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشياطين
كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وإن كان الصريح
لم يقع بذكر الجحود ومثل ذلك قوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى
أي يتجنب الذكرى الأشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله
سيذكر وأيضا أن يكون معنى فيتعلمون منهما أي بدلا مما علمهم الملكان
ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي
عن السحر إلى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا وكذا
أي بدلا منه كما قال الشاعر

جمعت من الخيرات وطبا وعلبة	٭	وصرا لأخلاف المزممة البزل
ومن كل أخلاق الكرام نميمة	٭	وسعيا على الجار المجاور بالمحل

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الأخلاق الذ
ميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان أحدهما أن يكونوا
يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك
قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة
والملة والوجه الآخر أن يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية
والإغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول أمرهما إلى الفرقة والمباينة و
تلك الوجوه في الآية أن يحمل ما في قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنفي فكأنه
تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون م
يرجع م
الكفار د
تعالى م
ويجوز م
وكذا م
على م ل
الخصال م ل
[illegible]
وماروت م

الزجر الذي معناه المعذور ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت
رجلين من جملة الناس هذان اسماهما وانما ذكرا لاشتهارهما في الناس ويكون
الملكان المذكوران اللذان نفى عنهما السحر جبريل وميكائيل لان سحرة اليهود
فيما ذكرت كانت تدعي ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى
سليمان بن داود عليهما السلام فاكذبهم الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون قوله
هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت
كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني
حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين او
من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما
انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما
يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول
من لا ينجب والله لا يحصل الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل
النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتخالع
ويجوز ايضا على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هاروت
وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله تعالى وما انزل
على الملكين ببابل ويكون قوله وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلين
من الجن او الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا ويشهد
ويقوي هذا التأويل الاخير في حمل ما على النفي ما روي عن ابن عباس وغيره
من المفسرين وروي عنه ايضا انه كان يقرأ وما انزل على الملكين بكسر
اللام ويقول متى كان العلجان ملكين وعلى هذه القراءة لا يمكن
يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويكون على هذه القراءة في الآية
وجه آخر وهو ان لا يحمل وما انزل على الملكين على الجحد والنفي ويقوى ان يكون
هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين وكذبوا على ملك
سليمان واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال

تمييزا م — عليهما السلام — فاكذبهما ل — عليهما السلام — الشيطان م ل — هذا م — قوله م

سماويا

سماويا لانه تعالى فانه اطلق لانه عز وجل لا ينزل السحر بل يكون منزلا
اليهما بعض الضلال والعصاة ويكون معنى انزل وان كان من الارض
حمله اليهما لا من السماء انه اتى بهما من نجود البلاد واعاليها فان من
هبط من نجد الى بلاد الغور يقال هبط وما يجري هذا المجرى فاما قوله
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن
العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا استمعته

	وعليه قال الشاعر	
في سماع يأذن الشيخ له	٥	وحديث مثل ماذي مشار

ومنها ان يكون الا بتخليته فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله ويكون ذلك يجري مجرى قول احدنا لغيره لقيت نبيا الا ان اكرهته اي
لقيته فاكرهته ومنها ان يكون الاذن التخلية وترك المنع
فكأنه افاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين احدا الا باذنه
لانه تعالى لو شاء لمنعهم منه وتوكيدا لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على
منعهم بالزجر والنهي ومنها ان يكون الضرر الذي عني انه لا يكون
الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية والاغذية
التي تطعمها اياه السحرة ويدعون انها موجبة لما يقصد
به من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى
بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر
من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ومنها ان
يكون الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه
آذن بالبينونة في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين
فكفر بانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما
حسنوا له من الكفر الا ان الفرقة لم تكن الا باذن الله وحكمه لانه
تعالى هو الذي حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان فلهذا قال
تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله

الله م — كان م — الارض م ل — نجد في ل سفوح بهاء ل — نزل كذا م — لقيت م ل — وما هم بضارين احدا الا باذنه ل — تعالى م — تخلي م ل — لانه م

تعالى وإذا ثبت الفرق بين هذين الوجهين باختلاف الذين لم يكونوا
ضارّين لهذا الضرب من الضرر الحاصل منه الفرقة ويقوّي هذا
الوجه ما يروى أنه كان من دين سليمان عليه السلام أنّ من تعلّم السحر بانت منه
امرأته فأما قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق
ثم قوله لو كانوا يعلمون ففيه وجوه أولها أن يكون الذين علموا غير الذين
لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبّر عنهم بأنهم نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلّموا السحر وشروا به
أنفسهم وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم
علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه
لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه
ما يصيرون إليه من عقاب الله الذي لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها
أن يكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم
لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خير لك وأعود
عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب
إلا أنه لا يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هذا القول قال
كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

إذا حضراني قلت لو تعلمانه … ألم تعلما أني من الزاد مرمل

فنفى عنهما العلم ثم أخبر بقوله ألم تعلما وإنما المعنى في نفيه العلم
عنهما أنهما لم يعملا بما علما فكأنهما لم يعلما ورابعها أن المعنى أن
هؤلاء القوم الذين علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح
إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى ولبئس ما
شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون أن الذي آثروه وجعلوه عوضاً من
الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وأنه منقطع زائل ومضمحل باطل وأن المآل
إلى الشقاء في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله تعالى مجلس

أما الخبر روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله قال
لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النار وقد ذكر مشايخنا وكلّ أهل حديث النبي
صلى الله عليه وآله في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا ثابت ونحن
نذكر ما اعتمدوه ثم نبيّن ما فيه ثم نذكر الوجه الصحيح قال ابن
قتيبة ذهب الأصمعي إلى أن من علّم القرآن من المسلمين لو ألقي في النار
لم تحرقه النار فكنّى بالإهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتجّ على
تأويله هذا بالحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا
أمامة يقول اقرؤوا القرآن ولا تغرّنكم هذه المصاحف المعلّقة فإن الله
لا يعذّب قلباً وعى القرآن قال ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو أن
القرآن لو كتب في جلد ثم ألقي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم
تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وآله ثم انقطع
ذلك بعده قال ويجري هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك
من آياته صلى الله عليه وآله وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الإحراق إنما نفي
عن القرآن لا عن الإهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب
ثم ألقي في النار ما أحرق القرآن فكأن النار تحرق الجلد والمداد ولا
تحرق القرآن لأن الله عز وجل يرفعه من الجلد صيانة له عن الإحراق
وقال أبو بكر محمد بن القسم الأنباري لما أملى قول ابن قتيبة وعرضنا
عليه اعترضت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً
أما قوله الأول فيردّه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله يخرج
من النار قوم بعدما يحترقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله
عز وجل قال وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال الله عز وجل انظروا
من كان في قلبه حبة من خردل إيمان فأخرجوه منها قال أبو بكر محمد
بن القسم الأنباري وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه أن النار
لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين أن الخوارج وغيرهم

ممّن يلحد في دينه تعالى ويقرأ القرآن بحرفه ثم الناس بغير ذلك واحتجاجهم
بخبر أبي أمامة أنّ الله لا يعذّب قلباً وعى القرآن ومعناه قرأ القرآن وعمل
بفرائضه فأمّا من حفظ ألفاظه وضيّع حدوده فإنّه غير واعٍ له فأمّا
قوله إنّه من دلائل النبوّة التي انقطعت بعده فما نعرف هذا الحديث
أحداً ذكر أنّه كان في زمنه عليه السلام ولو كان ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه
وآله يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق قال ويقول
ابن قتيبة إنّ النار لا تحرق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح
لأنّ الذي يحرق هذا القول يوجب أنّ القرآن غير المكتوب وهذا محال
وإنّ المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى إنّه لقرآن
كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلّا المطهّرون وفي الحديث لا تسافروا
بالقرآن إلى أرض العدوّ وإنّما يريد المصحف قال أبو بكر والقول
عندنا في تأويل هذا الحديث أنّه أراد لو كان القرآن في جلد ثم ألقي في
النار ما أبطلته لأنّها وإن أحرقته فإنّها لا تدرسه إذ كان الله عزّ وجلّ
قد ضمّنه قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله تعالى
للنبي صلى الله عليه وآله فيما روي عنه إنّي منزل عليك كتاباً لا يغسله
الماء تقرؤه نائماً ويقظاناً فلم يرد الله تعالى أنّ القرآن لو كتب في شيء
ثم غسل بالماء لم ينغسل وإنّما أراد أنّ الماء لا يبطله ولا يدرسه إذ كانت
القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله عزّ وجلّ و
في لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً وهم قد كتموا الله تعالى لمّا
قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين وإنّما أراد تعالى أنّهم لا يكتمون
الله حديثاً في حقيقة الأمر لأنّهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير
مستتر عنه قال المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه والوجه الصحيح في
تأويل الخبر غير ما توهّمه ابن قتيبة وابن الأنباري جميعاً وهو أنّ هذا
من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن

والأخبار

القوم

فلا نعرف له مرله

اللهم وسلّم

إنّي منزل عليك مرله

تعالى مرله

أو لسكن أن يكون قوله ولا يكتمون
داخلاً تحت التمنّي فتدبّر

رضي الله عنه مرله

وسلّم

والأخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى أنّه لو كتب في إهاب وألقي
في النار وكانت النار ممّا لا تحرق شيئاً لعلوّ شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار
ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة لا تخفى
على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرّف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال
نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون ومعنى الكلام أنّنا لو أنزلنا القرآن على جبل
وكان الجبل ممّا يتصدّع إشفاقاً من شيء أو خشية لأمر لتصدّع مع صلابته و
قوّته فكيف بكم يا معاشر المكلّفين مع ضعفكم وقلّتكم فأنتم أولى بالخشية
والإشفاق وقد صرّح الله بأنّ الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى وتلك
الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون ومثله قوله تعالى تكاد السموات
يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً ومثله قول الشاعر

أما وجلال الله لو تذكرينني	٥	كذكريك ما نهنهت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكراً لو انّه	٥	تضمّنه صمّ الصفا لتصدّعا
	ومثله	
فلو أنّ ما بي بالحصى فلق الحصى		وبالريح لم يسمع لهنّ هبوب
	ومثله	
وقفت على ربع لميّة ناقتي	٥	فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتّى كاد ممّا أبثّه	٥	تكلّمني أحجاره وملاعبه

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر و
يهبط الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل
المعنى أنّه لحسنه وجلالة قدره وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتّت ولو كان
ممّا ينفعل ويحسّ شيء من الأشياء لانفعلت من أجله فأمّا الجواب
الأوّل المحكيّ عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائداً على ما ردّه ابن الأنباري عليه
لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي لكان النبي صلى
الله عليه وآله قد أغرانا بالذنوب لأنّه إذا أمن حافظ القرآن ومتعلّمه

هذا أنه

تعالى

ابن الأنباري

وسلّم

من دخول النار وأن العذاب بها يكون المكلفون إلى التعلم والأقدام على
القبائح آمنين غير خائفين وهذا مما لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله وسلم لعصمته وإنما
في قولها أشار إلى أن الله عز وجل لا يعذب قلباً وعى القرآن على ما ذكره ابن
الأنباري فأما جواب ابن قتيبة الثاني فمن أين لم يختص بزمانه صلى الله
عليه وآله وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه وأقوى ما يبطله أنه لو كان
هذا كما ذكر لما جاز أن يحرق على حاضر المسلمين الذي رد وجمع
عليه وآله السلام ونسخوها فيه وبعدنا شاهد من بعد ذلك وتحرقه ونحن بعد غير
عارفين بهذه الدلالة ونقض الأثر إبطال ما توهمه فأما جوابه الثالث فباطل
لأن القرآن في الحقيقة ليس بحال الجلد فيكون فيه حجة بحسبها لاحتراق
الجلد دونه وإذا كان الأمر على هذا لم يكن في قوله إن الإهاب هو المحترق
دون ما فيه القرآن لأن هذه سبيل كل كلام كتب في إهاب وغيره
إذا احترق الإهاب لم يضف الاحتراق إلى الكلام لا سيما من يجيز هذه الصفة
عليه ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباري وهذا يوجب أن القرآن
غير المكتوب لأن كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من
أن المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكاغد والجلد دون المكتوب
الذي هو القرآن وإذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح
ابن الأنباري فما المانع من قول ابن قتيبة إن الجلد يحترق دونه
لأن أحداً لا يقول إن الجلد هو القرآن وإنما يقول إنه مكتوب فيه وإذا كان
غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما دون الآخر وهذا كله تخليط
من الرجلين لأن القرآن محال أن يحل في الجلد وليست الكتابة هي المكتوب
وإنما الكتابة أمارة للحروف فأما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد
معها الكلام مكتوباً فمحال فأما استشهاده على ذلك بالأثر بقوله لا تسافروا
بالقرآن إلى أرض العدو فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن تجعل أمثال
الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمعاني وتعترض بها على
أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا في هذا الكتاب [illegible]

القبس

القيس وعلم الشافعي وعلم فلان ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام
على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بيّنّا الكلام في هذا الباب في مواضع هي
أولى به فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه
لأنه لا مزية للقرآن على كل كلام وشعر في العالم لأنا نعلم أن الشعر والكلام
المحفوظ في صدور الرجال إذا كتب في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما في
الصدور منه بل يكون ثابتاً بحاله فأي مزية للقرآن في هذا على غيره وأي
فضيلة فإن قال وجه المزية أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن
يدرس ويبطل باحتراقه في النار والقرآن إذا كان هو تعالى المتولي لحفظه في الصدور
لم يجز ذلك فيه قلنا الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب
المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذه الصفة لم
يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق
ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط
في بطلان القرآن وثباته فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من
أن النار لا تمسه وهذا الخبر لا يحتمل غير ما ذكرناه والخبر وهو أشبه بمذاهب
العرب وأليق بتفضيل القرآن وتعظيمه أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدنا عبد الرحمن
ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لكأنه

شعر العرب فكذا أنا أنشد

أأجعل بالبيت الذي أنت هاجره ... وأنت بلمّاح من الطرف زائره
فإنك من بيت لعيني معجب ... وأملح في عيني من البيت عامره
أصدّ حياءً أن يلج بي الهوى ... وفيك المنى لولا عدوّ أحاذره
وفيك حبيب النفس لو تستطيعه ... لمات الهوى والشوق حين تجاوره
فإن آته لم أنج إلا بظنّة ... وإن يأته غيري تنط بي جرائره
فكان حبيب النفس للقلب وارثاً ... وكيف يحب القلب من هو وائره
فإن تكن الأعلاق أضحوا كلامه ... علينا فلن تحمى علينا مناظره

أحبك يا سلمى على غير ريبة ... ولا بأس في حب تعف سرائره

ويا عاذلي لولا نفاسة حبها ... عليك لما باليت أنك خابره

بنفسي من لا بد أني هاجره ... ومن أنا في الميسور والعسر ذاكره

ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ... ببغضي إلا ما تجن ضمائره

أحبك حبا لو أعنف بعده ... بحبك ولكني إذا لم أعاذره

لقد مات قبلي أول الحب فانقضى ... فلو مت أضحى الحب قد مات آخره

كلامك يا سلمى وإن قل نافع ... فلا تحسبي أني وإن قل حائره

ألا لا أبالي أي حي تحملوا ... إذا أمل البرقاء لم أر حاضره

وأنشدنا الأعرابي لابن مطير

لعمرك للبيت الذي لا نطوره ... أحب إلينا من بلاد نطورها

تقلبت في الإخوان حتى عرفتهم ... ولا يعرف الإخوان إلا خبيرها

فلا أصرم الخلان حتى يصارموا ... وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها

فإنك بعد الشر ما أنت واجد ... خليلا مديما شيمة لا يديرها

يعني يديرها يقلبها مرة ههنا ومرة ههنا

فإنك في غير الأخلاء عالم ... بأن التي تخفى عليك ضميرها

فإنك معروف بقسمة ما ... من الود لا يدري علام مصيرها

وما الجود يفقر الرجال ولا الغنى ... ولكنه خيم الرجال وخيرها

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها ... فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها

فكائن ترى من حال دنيا تغيرت ... وحال صفا بعد اكدرار غديرها

ومن طامع في حاجة لا ينالها ... ومن يائس منها أتاه بشيرها

ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل ... مطيعا لها في فعل شيء يضيرها

فنفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها

قال قدس الله روحه قلت وسمعت قول ابن مطير فقد تغدر الدنيا والبيت الآخر

بعده من جملة قصيدة

وكيف أنس بالدنيا ولست أرى ... إلا امرءا قد تعوق من عواديها

قال المرتضى رضي الله عنه

تصبو إليها آمال محبته ... كأننا ما نرى عقبى أمانيها

وتحسن الدار ممن كان يسكنها ... كلا اعتبار لمن قد ظل بانيها

لا تكذبن فما تلقى لها سكنا ... وقد بانت طلولا من مغانيها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد

بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لقد كنت جلدا قبل أن يوقد الهوى ... على كبدي نارا بطيئا خمودها

ولو تركت نار الهوى لتضرمت ... ولكن شوقا كل يوم يزيدها

وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي ... إذا قدمت أيامها وعهودها

فقد جعلت في حبة القلب والحشا ... عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها

بمحمرة الأرداف هيف خصورها ... عذاب ثناياها عجاف قيودها

يعني أنها عجاف اللثات وأصول الأسنان في قيودها قال أبو العباس ثعلب عجاف بالخفض يجوز لأنه ليس من صفة الحسان ويستبعد أن يكون نصبا

لأنه حال من الثنايا

مخصرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودها

وصفر تراقيها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها

وصفها بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الحنا

يمنيننا حتى ترف قلوبنا ... رفيف الخزامى بات طل يجودها

أخذ قوله مخصرة الأوساط زانت عقودها البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وتزيدين طيب الطيب طيبا ... أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

وقد روى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات التي ذكرناها للحسين بن مطير

وذكر أنها ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وكنت أذود العين أن ترد البكا ... فقد وردت ما كنت عنه أذودها

خليلي ما بالعيش عتب لو أننا ... وجدنا لأيام الصبا من يعيدها

وروى أبو تمام أيضا لغيره وبعض الرواة يرويها لابن مطير

لو قال أبا عباد لكان أحسن

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى	كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها
هل الله عاف عن ذنوب تسلّفت	أم الله إن لم يعف عنها يعيدها

وأنشدنا أبو محلّم لابن مطير

نقض الله يا أسماء أن لست بارحا	أحبك حتى يغمض العين مغمض
فحبك بلوى غير أن لا يسرّني	وإن كان بلوى أنني لك مبغض
إذا أنا رضت النفس في حب غيرها	أتى حبها من دونها يتعرّض
فيا ليتني أقرضت جلدا صبابتي	وأقرضني صبرا على الشوق مقرض

ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا أنا رضت النفس في حب غيرها من

قول رجل من فزارة

فأقسم حتى يحسب الناس أنما	بي الهجر لا والله ما بي لك الهجر
ولكن أروض النفس أنظر هل لها	إذا فارقت يوما أحبتها صبر

ومن قول نصيب

وإني لأستحيي كثيرا وأتقي	عيونا وأستبقي المودة بالهجر
وأنذر بالهجران نفسي أروضها	لأعلم عند الهجر هل لي من صبر

ويشبه أن يكون أخذ قوله فيا ليتني أقرضت جلدا صبابتي البيت من

قول بعض العرب

دعا قلبه البرق اليماني رنّة	بجنب الحمى وهنا تكاد تهيم
فهل من معير طرف عين خلية	فإنسان عين العامري كليم

وللحسين بن مطير في هذا المعنى ما بعده المرّ

ولي كبد مقروحة من يبيعني	بها كبدا ليست بذات قروح
أباها علي الناس لا يشترونها	ومن يشتري ذا علّة بصحيح

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

من ذا يعيرك عينه تبكي بها	أرأيت عينا للبكاء تعار

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت
بن المزرّع قال حدثني محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده

بعض

ومن أبيات دعبل

أين الشباب وأيةً سلكا	لا أين يطلب ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل	ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سلم ما بالشيب منقصة	لا سوقة يبقي ولا ملكا
قصّر الغواية عن هوى قمر	وجد السبيل إليه مشتركا
يا ليت شعري كيف نومكما	يا صاحبيّ إذا دمي سفكا
لا تأخذا بظلامتي أحدا	قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال فاستحسنها كل من كان حاضرا في المجلس وأكثروا التعجب من قوله
ضحك المشيب برأسه فبكى فقال الأصمعي إنما أخذه من قول ابن مطير

الأسدي في قوله

أين أهل القباب بالدهناء	أين جيراننا على الأحساء
جاورونا والأرض ملبسة	نور الأقاحي تجاد بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد	تضحك الأرض من بكاء السماء

وقد أخذه مسلم صريع الغواني في قوله

مستعبر يبكي على دمنة	ورأسه يضحك فيه المشيب

قال المرتضى رضي الله عنه ولأبي تمام نكتة أصغر مثل هذا المعنى

في قوله وهو قوله

بكى الغمام بها فأصبح روضها	جذلا كأن تضحك بالجميم ربى

ولابن المعتز مثله

ألحّت عليه كل طخياء ديمة	إذا ما بكت أجفانها ضحك الزهر

ولابن دريد مثله

تحسّر المزن فأهملت مدامعه	فأضحك الروض جفن الضاحك الباكي
وعاد ذا الشمس تعطّل تعطّفها	عن مستعبر بالدمع ضحاك

ويحكى عن أبي العباس المبرد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك الأرض من بكاء

السماء من قول دكين الراجز

حيّ النبات في رباها وذكا	وضحك المزن به حتى بكى

فصل آخر في تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وأنهم مع علمهم به يقولون ربنا آمنا به فوقع قوله يقولون آمنا به موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذا غاية المدح لهم لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب إلى ما قلناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنا به على هذا التأويل لا ابتداء مثل قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول إلى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا إلى قوله تعالى إنك رؤوف رحيم فأتى في المهاجرين يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال في الذين تبوؤا الدار والإيمان وهم الأنصار يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان فهذه الآيات تدل على أنه لا يمكن في الراسخين في العلم أن يكون قوله يقولون آمنا به حالا لهم مع العلم بتأويل المتشابه ولو لم يكن شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في أنه مثل قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وأن الصورتين واحدة ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في صلة كان لم يتبع بردا

[illegible]

وشريت بردا ليتني	ه	من بعد برد كنت هامه
هامة تدعو صداه	ه	بين المشقر واليمامه
الريح تبكي شجوه	ه	والبرق يلمع في الغمامه

فصل

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب الجواب قلنا فائدة ذكر هذه الآية وجهان مطابقان للحق أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى فكأنه قال وما يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم

قوله تعالى فأما م ل

من م

فعطف البرق على الريح ثم أتبعه بقوله يلمع في الغمامة كأنه قال والبرق أيضا يبكيه لامعا في غمامه أي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن أيضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله يقولون آمنا به ابتداء محكيا واستغني فيه عن حرف العطف كما استغني في قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما الجملة الثانية فيه التباس بالجملة الأولى فتستغني به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا كعطف الملتبس على غير الملتبس والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفا غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا به ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لأنه قد يسمى تأويلا قال الله تعالى هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله والمراد بذلك المتأول لا محالة والمتأول الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وإن كان الله تعالى عالما به نحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتمييز الصغائر إلى غير ذلك فكأنه تعالى قال وما يعلم تأويله جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمنا به وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه وقواه وضعف الأول بأن قال قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لأنهم لا يعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم وإن ما ذكرناه من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن إذا كان داخلا في خبر الله تعالى والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنا به على الوجه الذي قدمناه فكيف يظن أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم بالمتشابه ليس في الإيمان ما يعتقد ويتحققه فأما قوله إن ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك إنما يكون تأويلا للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على التأويل لا على الفائدة والمعنى فأما إذا حملت على ما ذكرنا وما يعلم معنى المتشابه

تعالى م

يتنزل ذ ل

يأتي م — لا محالة المتأول م ل

عز وجل م ل — فكأنه ل

وتعيين م ل

تعالى م — قول الراسخين في العلم آمنا به م ل

ما ذكره م ل

قد مثلنا ذكره م ل

أن م

المتأول ذ ل

وما يعلم تأويله الا الله فلا بد من دخول العلماء فيه ولكن يمكن ان يقال ان حمل التأويل على المآل اظهر من حمله على المعنى والفائدة لان الامر بالعكس مع ذلك بل حمله على المعنى اظهر ولكن في الاستعمال فاشتهر بالحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول اقوى من الثاني لكان اقرب من قول من قبل انه لو كان المراد بالتأويل المآل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لانه في مآل المحكم كالخبر من الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما مما لا يعرف تفصيله ولا كنهه الا الله تعالى والعلماء يقولون آمنا به فاي معنى لتخصيص المتشابه بذلك والكلام يقتضي توجهه نحو المتشابه الا ترى الى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء تأويله فخص المتشابه بالذكر وايضا لا ريب ان يكون المراد بلفظه تأويله الثانية هو المراد بلفظه تأويله الاولى وقد علمنا ان الذين في قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذي هو مآله والثاني الاولى اقوى والجمع ممكن في الآية وجه ثالث لم يذكروه وهو على ان يكون قوله تعالى والراسخون في العلم مستأنفا غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله تعالى وهذا صحيح لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة العقول فيذكر المتأول جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان الذي يلزم في مثل ذلك ان يعلم في الجملة انه لم يرد من المعنى ما يخالف الادلة وانه اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا ان نعلم المراد بعينه وهذا سبيل الضلال والهدى اللذين تناول احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على انه لم يرده تعالى ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة انه اراد احدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآي المتشابه فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون في العلم يقولون آمنا به اي صدقنا بما نعلمه مفصلا ومجملا

الفتنة وابتغاء

تعالى امر

من المحكم والمتشابه وان كلا من عند ربنا وهذا ايضا وجه صحيح واضح قال قدس الله روحه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابي الازهر قال انشدنا محمد بن يزيد النحوي لابن البعيث في ابيات مختارة

تخبرك الواشون ان لا احبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم
اصد وما الصد الذي تعرفينه ... عزاء بنا الا اجتداع العلاقم
حياء وبقيا ان تشيع نميمة ... بنا وبكم اف لاهل النمائم
وان دما لو تعلمين جنيته ... على الحي جاني مثله غير سالم
اما انه لو كان غيرك ارقلت ... صعاد القنا بالراعفات اللهاذم
ولكنه والله ما حل سيلنا ... كغر الثنايا واضحات الملاغم

قال يعني بالملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض وقوله

ما حل سيلنا اي ما ابطل دمه

اذا هو لم يأخذ له حقه بعدما مضى ... سقوط حصا المرجان من سلك ناظم
يميني فاقصدن القلوب ولا ترى ... دما سائلا الا جوى في الحيازم

ويروى سا فطن الاحاديث للفتى ويروى ايضا سا فطن الحديث كأنه ويروى سا فطن الاحاديث بالضحى قال سيدنا ادام الله تمكينه ومن مستحسن

ما مضى في هذه القصيدة قوله

كان لم اروح بالعشي فاقتل ... تغشيه ابصار القصاح السفلة

معنى اقتل اي اميل

وكم الى الحدث الالف الذي لم ... تعلما ترى لم يحترس فانا للطالم
اذا اللهو يطبيني واذ استقله ... تحملوتك الفود بحقها الحام
واذا انا استفاد لكل سعود ... الى اللهو حلاف الطلالات الخم

ويروى ابن حبيب سعود ويعني حلاف الطلالات اي حلاف الطلالة

تهين المطايا سيلف عرانني ... على هلك ما اتلفته غير نادم
انحر نجى المجلس وان علا ... بيد اللوم لم اجعل مثله شراهم

الهدى — في الاصل — فاحصين — الاحاديث

معي حين يوتى الحسين ابي احتب يوتى الى الذي هو عندنا اهل الراي والعقل
وانشد ابو اسحق ابرهيم بن سفيان الزيادي لابي حية قال

وانشدنا هشيم بن الربيع

ترحل بالشباب الشيب عنا	فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا	فقد قضى مآربه الخليل
لعمر ابي الشباب لقد تولى	حميدا ما ارى به بديل
اذا الايام مقبلة علينا	وظل ابي [illegible] الدنيا ظليل

وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازني لابي حية

زمان الصبا ليت ايامنا	رجعن لنا الصالحات القصار
زمان على غراب غداف	فطيره الدهر عني فطارا
فلا يبعد الله ذاك الغراب	وان هو لم يبق الا ادكارا
كان الشباب ولذاته	وريق الصبا كان ثوبا معارا

دنا الصبا ويبعد [illegible] اولها

وها انا ذا ان رات لمتي	تلفع شيب بها فاستدارا
وقلدني منه بعد الحطام	علي اما استطيع اعتذارا
اجارتنا ان ريب الزمان	قبلي فال الرجال الخيارا
فاما تريني لبي هكذا	فاسرعت بالشيب [illegible]
فقد [illegible]	وقادوا [illegible] الحفارا

اما قوله زمان على غراب غداف فاراد به الشباب والشعر الاسود ولست [illegible] وكان [illegible]
ان يكون ماخوذا من قول الاعشى

وما طلابك شيئا لست مدركه … ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا

وقال [illegible] في قصيدة اولها

الا يا اسلمي اطلال حشا وانعمي	وخشا محاص الوشاحين مشبهما
الما يا اسلمي قبل ان تزيجا السرى	بنا وقعة بعض الفواد المتيم

تعيف عاشق لم يشو من روح نفسه	ولا عطر المسلوب عن النوم
نقول لها ان قد بناك لا بوح	صحيحا وان لم تغتلبه فالم
فالقت ثناها دون الشمس واتقت	باحسن موصول [illegible] كفه

وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه … فتناولته واتقتنا باليد

ولقوله نقول لها ان قد بناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني [illegible] قال اتصل عبيد الله بن سليمان بن وهب بامر علي بن العباس الرومي و[illegible] مجالسته لابي الحسين القسم ابنه و[illegible] شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى رويتك هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فاذا هو مضطرب العقل جاهل فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول عتب ولا يفكر في عاقبة فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه في دولتنا [illegible] فقال يا بني اني لم ارد باخراجك له [illegible] فاستعمل [illegible] حتى [illegible] البيت

نقول لها ان قد بناك لا بوح … صحيحا وان لم تغتلبه فالم

فحدث القسم ابن فراس بما جرى وكان [illegible] الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج [illegible] فقال له ابو [illegible] اعزه الله اشار بان يفال حتى [illegible] منه وانا اكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج قال قال لنا مطارف فالناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله قال ابن الرومي لما [illegible] الى داره وقد دب السم في اعضائه

اشرب الماء اذا ما التهبت	نار احشائي لاطفاء اللهب
ناره ناتكا في حزنتي	فكان الماء للنار حطب

ذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما فضل به المحدثون من التكلف وماومثرس التي [illegible] من الاستعارة قول ابي حية النميري

رمتني وستر الله بيني وبينها	۞	عشية آرام الكناس رميم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها	۞	ولكن عهدي بالنضال قديم

قال المرتضى رضي الله عنه وقد يروى هذان البيتان لمصعب بن ... المبرد قال المبرد يقول رمتني وما أصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح أما الاستعارة فيه أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه نظما أو وزنا

قال ومما يختار من قول أبي حية

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا	۞	لبسن البلى لما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة	۞	تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ويقال إن أحسن ما وصف به السواك قول أبي حية

لقد طال ما صبت واحتلت الصبا	۞	وعللت شيطان الغوي المسور
وبادرت فرح القلب منهن بالمنى	۞	وبالحظ لو يقذف لنا المقترب
وساقيني كأس الهوى وسقيتها	۞	رقاقا قالتا أعذب المتريق

ويروى عن مستقي حتى تغدو على نسق واحد لا اختلاف فيه

إذا مضغت بعدا ابتسام من الضحى	۞	سلابا من عود الأراك المحلق

الابتسام الارتفاع يقال متع النهار وامتنع إذا طال والمحلق الذي علق به الحلوق والطيب من يديها وقال بعضهم يعني بالمحلق المملس

سقت شعث المسواك ماء غمامة	۞	فضيضا بخرطوم المدام المروق

الفضيض الذي حين سال من الغمامة أي كما فض والخرطوم سلاف الخمر وهو أول ما يخرج من عصيره ولا دوس ويقال الخرطوم خرطوما لأجل السلاف وهو أول ما يخرج من العنب من غير دوس وقيل الخمر لأن

الخرطوم هو الأنف وهو مقدم الوجه

وإن ذقت فاها بعد ما سقط الندى	۞	يعطيك عشاء رداح المسطق

التمنداة والرداح العظيمة الأرداف

شممت الذرار الطالعات عشية	۞	ونور الخزامى في الندى المترقرق

الأقاحي بدل

الغوار جمع الكثير والطل الغض الطري والجهمة بطول ليس وأخرنا المرزبا

قال حدثني علي بن هارون بن علي قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرت كأني من وراء تجاهر	۞	إلى النار من فرط الصبابة أنظر
بعينين طورا تغرقان من البكا	۞	فأعشى وطورا تحسران فأبصر

فقال لو أعترض مملكه بجيب طاهر ويلزم الانقياد لأمره فقال كأن شعرا جوّ لطه بأن يستحسن ولو يفتح لي أن أسير المدح من الشعر والجاري التشبيه لما أصابه الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين فقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجازني إلى حين هذين بقوله

فما مقلة من عارض الماء تجل	۞	ولا دمعتين من شكية السوء تنظر

في الأصل ومن البيت إلى البيتين قول أبي حية بعيد

من الكنيات الحلال حتى كأنما	۞	رشيح بعشر الدموع شعيب

الشعيب المزادة من أديمين يشعب أحدهما بالآخر

لبالي أهلونا جميعا وحولنا	۞	سوائم منها رائح وعزيب
وإذ يجتنب الذنوب بسالنا	۞	إليهن إلا الود هن ذنوب

وقال أبو حية

أصد عن البيت المحبب وليتني	۞	لأسعى إلى البيت الذي أتجنب
أروح بشر ناعم وكأنه	۞	على ما عدا عنهم أحر وأقرب
وقطع أسباب المودة بيننا	۞	غضاب وهل في أحسن الود مغضب
وأن لا ترى أم عمرو ويميمة	۞	تريك بها عيني ويخفك تعصب
وما ... لو أن كان كالمنا	۞	بذلك لا ولي ولولوا ماتنى
حبيب إذا لم تحش ... كأنه	۞	إذا ما قطبة السهد يل
لولك تستشفي به بعد سكرة	۞	من الموت كادت سكرة الموت تذهب
وتلك بها ما يمرض فانتي	۞	أتقالين أنك تعد غير مذنب

قال محمد بن يحيى الصولي أحسبه في قوله لو أنك تستشفي به بعد سكرة

من الموت الأبيع قول توبة بن الحمير

وكأن ليلى الأخيلية سلمت	علي ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا	إليها صدى من جانب القبر صائح

قال السيد المرتضى رضي الله عنه وأول من سبق إلى هذا المعنى وأحسن الأعشى

في قوله

عهدي بها في الحي قد درعت	صفراء مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتا إلى نحرها	عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا	يا عجبا للميت الناشر

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر هو فهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال بعض أصحاب المعاني إن الجارية التي وصفها أيضا ميتة بمعنى أنها ستموت كما قال تعالى إنك ميت وإنهم ميتون أي ستموت فيكون المعنى أن الناس عجبوا من أن يكون من تموت مثل الموت ومن قال هذا جعل الناشر بمعنى المنشور والقول الأول أظهر وما نظن الأعشى عنى غيره مجلس آخر

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين حاكيا عن يوسف عليه السلام فقال لم خص اليوم بالقول وإنما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أربعة أولها أنه لما كان هذا الوقت الذي أشار إليه هو أوان التقرير الذي كشف فيها تقصيرهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار إلى الوقت لو أراد الانتقام لانتهزه فيه والذي تقع فيه المراجعة والانتقام وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك تبين عليهم نعمه ولا يفضح لهم بجائرة قال لهم عند تبين أمرهم لا تثريب عليكم اليوم أي قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم دالا على انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى أن الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال العتب ودوام العفو وسقوط المؤاخذة لهم على ما سلف منهم وثالثها أن ذكر اليوم المراد به الزمان كله والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل

على

على الليالي والأيام والشهور والسنين كما يقول القائل لغيره قد كنت تستحسن بين الحذر فاليوم قد وقعت لبركتها تعقبها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه يتسلى بذلك ... في الجواب نحن قوم العلم فاليوم ما تعجزك مشكلة ولا توقف عن شكر ربك اليوم أي في الزمان كله وقال

امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرأ	عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب	إثما من الله ولا واغل

وكم نقصد يوما بغير ظلم

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا	واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

وقال لبيد

وما الناس إلا كالديار وأهلها	بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

كل ذلك لا يريد بذكر اليوم أو الغد غير جميع الأوقات المستقبلة ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم اليوم ثم قال اليوم يغفر الله لكم فعلق اليوم بالغفران فكأن المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب من حيث أن الدعاء لا ينصب ما قبله فأما معنى التثريب فإن أبا عبيدة قال

معناه لا تعنيف ولا تعيير ولا إفساد قال الشاعر

فعفوت عنهم عفو غير مثرب	وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه وقال بعضهم التثريب من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي إلى أبعد غاياتهما تأويل خبر حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب الزمارة قال أبو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الآخر أنه نهى عن كسب البغي قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال ويقول حجاج أثبت عندنا لأنهم كانوا

يكرهون إماءهم على البغاء فأنزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قال فالعرض
هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه قال أبو عبيد ولا أعلم شيئا
أخذت الرمازة غير أني وجدتها مفسرة في الحديث وقال ابن قتيبة الأمر على
ما ذكر أبو عبيد إلا أنا أنكر على من زعم أنها الرمازة وهي الفاجرة سميت بذلك
لأنها ترمز أي تومئ بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفراء أكثر
الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى آيتك ألا تكلم الناس ثلثة أيام إلا رمزا
فالرمازة صفة من صفات الفاجرة فرضا لازما لها أو كالاسم
وكذلك قيل لها هلوك لأنها تتهالك على الفراش أو على الرجل فرضا لازما
لها دون غيرها من النساء وقال مما لكت على زوجها ويقال لها خريع
للينها وتثنيها فرضا ذلك لازما لها دون غيرها من النساء وإن لا تنثني
وتتثنى لزوجها ونحوه قولهم للبعير أعلم للمشقوق في مشفره الأعلى
فرضا كالاسم له وكذلك قولهم للذئب أزل وللضبع عرجا كالاسم

[illegible]

رمت إلى عما فرس بمثلها ٥ من غيران [illegible] كلاهما

وقال الأخطل

أحاديث سداها ابن حدرة قد رمت ٥ ورمازة مالت لمن يستميلها

وقال الراجز

يومين بالعينين والحواجب ٥ إيماض برق في غماء ناصب

والغماء السحاب والناصب البعيد وقال بعضهم إنما قيل للفاجرة
قحبة من القحاب وهو السعال وقال والحسبة أراد أنها تتنحنح أو تسعل ترمز
بذلك فالحكي عن المفضل أنه كان يقول في قولهم للنار أحمق من صافر
أنه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء فأما الأصمعي فإنه يقول
الصافر ما يصفر من الطير فإنما تصف بالجبن لأنه ليس من الجوارح قال
ابن قتيبة ولا أرى القول إلا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت

بن زيد الأسدي

أترجو لكم أن تكونوا في إخائكم	٥	كلابا كورهاء تقلي كل صافر
لما أجابت صفيرا كان آيتها	٥	من قابس شيط الوجعاء بالنار

يقول امرأة كان صفيرها يحل فجيبته فتمثل بوجها [illegible] فأجابته
تستطيها بميسم فلما أعاد الصفير قالت قد قلينا كل صافر تريد أنا قد عففنا والحر
كل فاجر وقال أبو بكر محمد بن القسم الأنباري أخبار عندي الرمازة بتقديم
الزاي على ما قال أبو عبيد بحجج ثلاث إحداهن إجماع أصحاب الحديث على الزاي
والحجة الثانية أن الفاجرة يجب زمارة لأنها تحسن نفسها وكلامها والزمر الغناء

الحسن قال عمرو بن أحمر الباهلي يصف ترابا وغناء

دنا بر جنان بينهما	٥	يحل أحش غناء مجلجل زمر

قال الأصمعي معناه غناء حسن كأنه من مزامير داود والحجة الثالثة أنهم
يسمون الفاجرة زمارة لصياحها وغلبة لما فيها من الخرق فول العرب
نعجة زمرة إذا كانت قليلة الصوف ويقال بحل زمر من المروة إذا كان

قليلها قال ابن أحمر

مطلنفئا لون الحصا لونه	٥	يحجز عنه الأذى ريش زمر

المطلنفئ اللاصق بالأرض والأذى النمل والزمر القليل فتسمى البغي زمارة
على تغير الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل فاجرة لميلها عن القصد وقال

لبيد فأما قال لبيد

فإن تتقدم تغش منها مقدما	٥	غليظا وإن أخرت فالكفل فاجر

أي مائل والكفل كساء يوضع على ظهر البعير يقي من العرق قال
المفضل عفا الله عنه ولا أرى لأحد من الروايتين فضل على الأخرى لأنهما لأن
كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن إلى قوله وكل منهما تخرج
في اللغة وتأويل يرجع إلى المعنى واحد لأن الرمازة بالراء غير المعجمة ترجع
~~إلى ما ذكره ابن قتيبة إلى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة~~
فالمرجع في معناها إلى ذلك أيضا على الوجهين اللذين ذكرهما

ابن الانباري والاولى ان يجتنبا معا وبيتي ويكون الراوي مخيرا بينهما
اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال انشدني محمد بن احمد
الكاتب قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابي للمضرب بن عقبة

بن كعب بن زهير بن ابي سلمى

ومالك لا تجوى نعم سلمى بكدها ... وتبعد حتى تيأس من المسابح
وحتى رأيت الشخص يزداد مثله ... إليه وحتى نصف رأسي واضح
علا حاجبي الشيب حتى كأنه ... ظباء جرت منها سنيح وبارح
وهزة اضغان عليهن نجعة ... طلبت وريعان الصبا لي جامح
فلما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ... وسالت باعناق المطي الاباطح
وشدت على حدب المهاري رحالها ... ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
قفلنا على الخوص المراسيل وارتمت ... بهن الصحارى والصفاح الصحاصح

وانشد ابن الاعرابي

تصدت بعيني شادن وتجمّلت ... بجاءة عن عرقهن غروب
حرنها الاشهل الاحوى عليهن اكرما ... عليهن من فرع الاراك قضيب

اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثنا محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعي
يقول سمعت الرشيد يقول نلبا العاشق عليه مع معشوقه فقلت له
والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن حزام العذري لعفراء

اتاني خزوفي لذكراك روعة ... لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو الا ان اراها فجاءة ... فابهت حتى لا اكاد اجيب
واصرف عن رايي الذي كنت ارتئي ... ويعزب عني علمه ويغيب
ويضمر قلبي عذرها ويعينها ... علي فما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا فهو والله اقول علما والله ذلك يا اصمعي
فاني احمد عندك ما يتصل بحجة العلماء قال فاخذه العباس

الصولي

ابن

بن الاحنف فقال

يهيم بحران الجزيرة قلبه ... وفيها غزال فاتر الطرف ساحره
يؤازره قلبي علي وليس لي ... يدان بمن قلبي علي يؤازره

وانشدنا ايضا البرقي قوله

تلبي الي ما من في ناعي ... بكثير اسقامي واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا ... كان عدوي بين اضلاعي

واخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

اعان طرفي على جسمي واعضائي ... بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غرا بما تجني على يدي ... لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي

فقال البحتري

ولست اعجب من عصيان قلبك لي ... يوما اذا كان قلبي فيك يعصيني

وحدثني ابو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال
الاصمعي يوما ما احسن ما قيل في صفر امرأة بحمراء خميصة

فانشد قول الاعشى

صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة ... اذا تاتى يكاد الخصر ينخزل

وانشد قول علقمة بن عبدة

صفر الوشاح وملء الدرع خرعبة ... كانها رشا في البيت ملزوم

وانشد قول ذي الرمة

ترى خلفها نصفا قناة قويمة ... ونصفا نقى يرتج او يتمرمس

فقال احسن ما قيل قول ابي وجزة السعدي

[illegible]

قال ابو عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي

قسمان مخط وشاحها قلق ... ريان من ادفانها المرط

واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا ابو العيناء قال
حدثنا الاصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على

أخبر جعفر بن سليمان فوجد عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلثا فأنشد لابن الأكبر الثقفي

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى	من الدهر أو ساق الحمام إلى القبر
لتستنفدن ماء الشؤون بأسره	ولو كنت تمريهن من ثبج البحر
فقلت لعبد الله إذ حن باكيا	تعز وماء العين منهمر يجري
تبين فإن كان البكا رد هالكا	على أحد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك موتى بعد موت أحبة	علي وعباس وآل أبي بكر

قال فأمر بالطعام فأكل من ساعته قوله إذ حن باكيا يعني صوته بالبكاء وقال قوم الحنين بالحاء المهملة من الأنف والخنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت التوزي يقول دخلنا مع الأصمعي إلى إسمعيل بن جعفر ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أعيناك يوم الحاجتين دوسلة	إليك وقد تحظى لديك الوسائل
تذكروا شدة الله بيننا	على الدهر لم تذهب إليه الغوائل
فأتمم لنا ما كان بادئك فادرج	ولا أكذبت فيك الرجاء القوافل
ولا رجعت ذا حاجة عنك حاجة	ولا عاقني عاجلا منك آجل
ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه	ولا أعنكت في الجود منك المناجل

لم يزد على هذه الأبيات فقضى حاجته وأجاب مسألته قال المرتضى قدس سره ونظير قول ابن هرمة ولا أكذبت فيك الرجاء القوافل من قول الحموي الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام

فلما تردى بالحمائل وانتهى	يصول بأطراف القنا الذوابل
تبينت الأعداء أن سنانه	يطيل حنين الأمهات الثواكل
تبين فيه ميسم العز والتقى	وليدا يفدى بين أيدي القوابل

وأخبرنا

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن اليشكري قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال قال لي الرشيد يا أصمعي أتعرف للعرب عذرا أو يدا مثل ما أودع النابغة فإنه يجيع ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي فإنه هجا أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك وأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذا رأي وإنه لأمحامهم لك إلا سطر أباك فعفى عنه فقال بشر

وإني على ما كان مني لنادم	وإني إلى أوس بن لأم لتائب
وإني إلى أوس ليقبل توبتي	ويعرف ودي مستحث لراغب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم	بشكرك فيها خير ما أنت واهب
سأمحو بمدح فيك إذ أنا صادق	كتاب هجاء سار إذ أنا كاذب

فقال الرشيد إن دولتي لتحسن ببقائك فيها وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم أحفل بهما ثم قلت هما على حال خير من هنهما من الكلام قال فإني يوما عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء فقال عيسى هذا بيت الحزن فاغتم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى فقال والله لتعطين الأصمعي سلفا على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين فأنشدت الرشيد

إذا شئت أن تلقى أخاك معبسا	وجداه في الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما في يديه فإنما	تكشف أخبار الرجال الدراهم

فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور أعط على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت بالبيتين ألفي دينار وما كانا عندي بسنان درهمين

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون **الجواب** قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها فأولها أن يكون معنى

حدثنا م ل
للأصمعي م
هجي ظ
مال م
وجم سكت على غضب
قال م
تأويل كو

القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال
لما يؤثره من الامور لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم
عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه
بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا
كثرة وقوع ضحى الشر منه وربما قالوا ما انت الا اكل وشرب وما اشبه
ذلك قال الشاعر يصف ناقة صرم

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ۵ فانما هي اقبال وادبار

فانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد
لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر وكان الانسان عجولا ويطابقه
ايضا قوله فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها
توبيخا لهم وتقريعا ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات
من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين
على التثبت والتأيد وثانيهما ما اجاب ابو عبيدة وقطرب بن المستنير
وغيرهما ان في الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدوا
على ذلك بقوله تعالى وقد بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر وبقوله تعالى
ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى ان العصبة لتنوء بها ويقول
العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم
اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على
العود ويقول الاعشى

لمحقوقة ان تستجيبي لصوته ۵ وان تعلمي ان المعان موفق

يريد ان الموفق معان ويقول الاخر

كما العبادات هلا جون قد بلغت ۵ نجران او بلغت سوآتهم هجر

والمعنى ان السوآت هي التي بلغت هجر ويقول خداش بن زهير

وتركب خيلا لا هوادة بينها ۵ وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

يريد تشقى الضياطرة بالرماح ويقول الآخر

تعاليم

ميم

تنوء

الحوض

تمشي به حمر عون النعاج كأنها ۵ عذارى سلوك في ثياب نياج

يريد في ثياب بياض ويقول الآخر

حسرت كفي عن السربال آخذه ۵ فردا يجر على ايدي المفدينا

يريد حسرت السربال عن كفي ويقول ابن احمر الاخر وهو جم

كعب طار بالطلها نبيذه ۵ واحدث قوها شعرا بضا

اراد طار نبيلها بالطلاء ويقول الآخر

تعلق اكتافهم في قبيتهم ۵ اذا ما مشوا لا يحجزون من القنا

اراد قبيتهم في اكتافهم ويقول الآخر وهو من الاخلاف والولعان اي
الاخلاف والولعان منهن ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التعاطي لتعسف
حمل كلامه تعالى على القلب ان يقال له فما المعنى والفائدة في قوله
تعالى خلق العجل من الانسان اتريدون بذلك ان الله تعالى خلق في الانسان
العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف تكون مخلوقة
فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال في الآية
بقوله سأريكم آياتي فلا تستعجلون لانه نهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا
لم نرد ان الله تعالى خلقها لكنه اراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال
يستعملها قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب
والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من
غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القسم البلخي هذا الجواب في
تفسيره باعيانه وقال وسأل نفسه عليه فقال كيف جاز ان
يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم
قدرة على مغالبة طباعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعا
عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت قادر على ان يجانب العجلة وذلك
كالمفقر في الشهوة النكاح نامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع منه
وهذا الذي ذكره البلخي تصريح بان المراد بالعجل غيرها وهو الطبع اللازم
السير والشهوة المتاولة كره ويجب ايضا ان يكون المراد بمن ههنا في لان

العود حديثات النتاج

أودي

اثر

لشهوة

شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان وإنما تكون فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لأن القلب أولاً مجاز ثم هو من بعيد المجاز ويكون العجل والمراد به غيره مجاز آخر وقياسه من مقام في كذلك ثم إذا نهاهم عن العجلة بقوله فلا تستعجلون أي معنى لقوله إني خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي إليها على ما عبر به الملحد وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون محجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتجاجاً فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير إضافة ذكر إليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح وثانيها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أي من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب إن كان في اللغة شاهد على أن العجل يكون عبارة عن الضعف ومعناه وثالثها ما يحكى أن أبا الحسن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد أن الإنسان خلق من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فإن قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوها أعلمهم الله تعالى أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أراده ولا يمتنع عليه وأن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مشقة بأن قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات ورابعها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين لغة قال تعالى خلق الإنسان من طين كما قال في موضع آخر وبدأ خلق الإنسان من طين واستشهد بقول الشاعر

والنبع في الصخرة الصماء منبته	٥	والنخل ينبت بين الماء والعجل

وقد وجدنا من يطعن في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف أن العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحمأة ولم يستشهد عليه إلا بالبيت الذي حكيناه وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي

تعالى م — لتقديم قوله م — عزوجل م

صاحب كتاب العين هو الخليل بن احمد رحمه الله — الحماة م

له م آخذناه ويمكن أن يكون شاهد الله م

	وفي شيء من الفاظه فوداء	
والنبع في الصخرة الصماء منبته	٥	والنخل ينبت بين الماء والعجل

وإذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو أن من خلق الإنسان مع الحكم الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى أنه لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه لأنه تعالى قال قبل هذه الآية وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وخامسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أي في سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما ابتدأه الله تعالى وأنشأه إنشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه وأنه عز وجل يريد عباده من آياته وعجائبه أولاً أولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم وسادسها ما روي عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلاً به غروب الشمس وروي عن ابن عباس أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى جسده ولم تبلغ أسافله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وسابعها ما روي عن ابن عباس والسدي أن آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب فهذا معنى قوله خلق الإنسان من عجل وهذه الأجوبة الثلاثة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره قال

المرتضى قدس الله روحه وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

وربت أمور قد بريت لحاءها	٥	وقومت من أصلابها ثم رضتها
أتيتم بدار الحزم ما لا أهنتها	٥	فإن خفت من دار هوانا تركتها
وأصلح جل المال حتى تحالني	٥	بخيلاً وإن حق عرا لي أهنتها
ولست بمطلاع البيوت لقائم	٥	ولكن إذا استغنيت عنها أتيتها

الحكمة م — المراد م اي من م — ابتداء م

رضي الله عنه حول

رايضتها

في ديوانه ثم رشتها وفي نسخة بحري رفيتها بالراء المهملة وفي الصحاح زاع بعيره اي حركه الى قدام يستزيده سيره قال ذو الرمة وخافق الرأس فوق الرحل قلت له زع بالزمام وجوز الليل مركوم ومن رواه زع بنعلة الراي فقد أخطأ لأنه يكون من وزع يزع بمعنى كف والمراد لا يأمره بالكف وعلى رواية المهملة والمعجمة يجوز أيضاً الأمر من زاغ الشعب عن الطريق أي قلب الأمر أو ظهرها لبطن كفيه

وبخت مسكينا وكانت بحاجر من حجي بأي [illegible] يا بني لمسكين إلى الله راغب
تعني قصرت يديك أي سترت منك إنها بارزة لا تحجبها الستائر والحيطان
تأسست بحبل العنكبوت والأخذ بأنه من تصغير [illegible] هذا كثير [illegible] عن سواكن
البيت وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما ينسج على ما لا تناله الأيدي ولا يكثر استعماله
والحديات جمع حدية وهي باطن [illegible] الرجل

لا أعذل الفتيان التبهم	٥	كالأمر قد تعدى ببر الأنس

يقول لا أبل الصبوة أنا أبيكا التعريض بأمره [illegible] لعين ولغيره

ولا أقر لذي الودعات سوطي	٥	الأعيره وربتة أريد

وأنشد ابن الأعرابي مثله الإلهية [illegible] وربيبة

إذا رأيت صبي القوم يلثمه	٥	منهم المناكب لا عم ولا خال
فلتعد صحبتك سيرا أن لديه	٥	ولا تغرنك يوما زينة المال

رجع إلى تمام القصيدة ٥ ولو بأي قد تركت وما تعني وبين لقائم سيفي ٥

ومخاصم فاوست في كبد	٥	مثل الدهان فكان لي العذر
ناطقني قومي بنو محدس	٥	وهم الملوك وغالبا البشر
عنتي بالة ستحيل	٥ غيرهم	وأبا الذي حدثته عمرو
في المجد نور ناسبته	٥ إلى عزا ثمال	للناظرين كأنهما البدر
لا يرها الحيران قد لنا	٥	حتى يواري ذكرنا القبر
لسنا كأقوام إذا كلحت	٥	إحدى السنين فجارهم تمر
مولاهم لحم على وضم	تحسبه إلى تسقط عليه اللحم	تنتابه العقبان والنسر
ناري ونار الجار واحدة	٥	وإليه قبلي تنزل القدر

يقال كان لامرأة يمامة فلما قال ذلك قالت لم أجل إيمانا به وقالت واحدة لأنه
أوعد ولم توعد والقدر تنزل إليه فلعلك لأن طبخ ولم تطبخ وأنت تنظمه

ما ضر جاري أن أجاوره	٥	أن لا يكون لبيته ستر

قال يقال إنها قالت لم أر في هذا البيت أجل أنه كان لم [illegible] هتكه

أعمى إذا ما جارتي خرجت	٥	حتى يواري جارتي الخدر

فاحفظه لكثرة [illegible]

في الأصل يروى الغمرة [illegible]
فيها الآن [illegible] أي لا يأجر [illegible]
العذر [illegible]
متعدي [illegible]
والعذر [illegible]
إن كان [illegible]
أي [illegible]

أبت عن الإدلاج في الحي أيما	٥	وأرض بإدلاج وهم نقطعها
ألا أيها الجاري ستيما وبايعا	٥	تعرض نفسا لو كان تسليها
تعارض قوما الفاخر بن يعصنبر	٥	ولو وضعت إلى في إناء أكلتها
فإن لنا دعيت المجد كلها	٥	موارث آباء كرام وديتها
إذا قصرت أيدي الرجال عن العلى	٥	مددت يدي باعا إليهم فنلتها
دفاع رعاني للعلى فأحبه	٥	ودعوة داع في الصديق خذلتها
ومكرمة كانت رعابتر فالذي	٥	فعلتهما والذي فعلتها
تقوبها من قيل امرئ قوي تواترت	٥	فضائحت عنها بعد ما قد جمعتها
رجاء عداه أن يعطف الرحم بيننا	٥	وقطيعة مستجيبي غير كنتها
إذا ما أمور الناس رثت وضيعت	٥	وجدت أموري كلها قد رممتها
وإني بالغني الله لدار لهم حوة	٥	ولم يأتني يوم من الدهر جئتها
ولا قائق نفس ونفسي بريئة	٥	وكيف اعتذاري بعد ما قد فعلتها

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبد الله بن
محمد بن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلا من الأوس
حدثه قال قال مسكين الدارمي

ولست إذا ما سرني الدهر ضاحكا	٥	ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلا عرضي لما لي وقاية	٥	ولكن أقي عرضي فيحرز وفري
أعف لدى عسري وأبدي تجملا	٥	ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
وإني لأستحيي إذا كنت معسرا	٥	صحابي وإخواني بأن يعلموا فقري
وأقطع إخواني وما حال عهدهم	٥	حياء وإعراضا وما بي من كبر
فإن يك عارا ما أتيت فربما	٥	أتى المرء يوم السوء من حيث لا يدري
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه	٥	ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدهر

ومن مستحسن قوله

إن ادع مسكينا فما قصرت	٥	قدري بيوت الحي والجدر

يقال إن مسكينا لقب بهذا البيت كأنما اشتهر بشعره وأتى بذلك لقوله

ربعة المجد [illegible] ربيعة [illegible]
وهو جميع رباع
علمها [illegible]
باقاعم مقام المصدر والتقدير
دون يدي مدا باعا
رجاء [illegible] أن تعطف الرحم بيننا
[illegible]
ولم [illegible]

وتعتم عما كان بينهما	منهى فمابى غيرة وقدر

فانشد عمر بن شبة لمسكين ايضا

لا تجعلني كاقوام علمتهم	لم تنطقوا لبنة يوما ولا ودجا
انى لاعلاهم باللحم قد علموا	انّا واخصمهم باللحم ان نضجا
انا ابن قاتل جوع القوم قد علموا	اذا السماء كست آفاقها رهجا
يا رب لمن قد حجبت بينهما	اذا هما نسيا والسكر خيلهما
ادم خلق لمن دامت خليقته	فانجح الحلم احيانا لمن مرجا
واقطع الخرق بالخرقاء لاهية	اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا
ما انزل الله من امر فاكرهه	الا ستجعل لي من بعده فرجا
ما سدّ قوم بايديهم الى شرف	الا اتانا فنما فوقهم درجا

وانشد ابو العباس ثعلب له

أصاحك ضيفي قبل انزال رحله	ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى	ولكنما وجه الكريم خصيب

وروى ثعلب

لحا الله جامال الضيف والبيت جامع	ولم يلهني عنه غزال مقنع
احدثه ان الحديث من القرى	وتعلم نفسي انه سوف يهجع

يعني احدثه ان الحديث من القرى اي اسامره واحدثه فاعلم انه سوف ينام ولا اقري نجما انتز فاكون قد محقت قراي فالحديث الحسن من تمام القرى وقال الاصمعي احسن

ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي

الا ايها الغائر المستشيط	فلام تغار اذا لم تغر
فما خير عرس اذا خفتها	وما خير بيت اذا لم يزر
تغار على الناس ان ينظروا	وهل يفتن الصالحات النظر
واني ساخلي لها بيتها	فتحفظ لي نفسها او تذر
اذا الله لم يعطني ودها	فلن يعطي الود سوط ممر
ومن ذا يراعي له عرسه	اذا ضمه والمطي السفر

قال المرتضى رضي الله عنه وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

ناري ونار الجار واحدة	والى تنزل قبله القدر
ما ضر جارا لي اجاوره	ان لا يكون لبابه ستر
اعمى اذا ما جارتي خرجت	حتى يواري جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما	سمعي وما بي غيره وقر

وقال يا ابن امرئ لا الفنا لبيت قاعدا | الى جنب عرسي لا افرطها شبرا

يا ابن امرؤ لا الفنا لبيت قاعدا	الى جنب عرسي لا افرطها شبرا
ولا مقسم لا ابرح الدهر بيتها	لاجعله قبل الممات لها قبرا
اذا هي لم تحصن امام فنائها	فليس يحصنها بناء لها قصرا
ولا حامل ظني ولا قول قائل	على غيرة حتى احيط بها خبرا
فهبني امرءا راعيت ما دمت شاهدا	فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا

وانشد ابو العباس عن ابي العالية لمسكين الغامدي

ما احسن الغيرة في حينها	واقبح الغيرة في غير حين
من لم يزل متهما عرسه	مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك ان يغريها بالذي	يخاف او ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها	منك الى خلق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة	فيتبع المقرون حبل القرين

تم الجزء الاول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد ويتلوه في الجزء الثاني قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه

ستر امرء

وان قالت قال

بسم الله الرحمن الرحيم بلغ هذا الجزء بحمد الله والطاهرين على نسخة قديمة هي نسخة الشيخ العالم الرباني الشيخ حسن الشهيد الثاني وكانت تلك النسخة مقابلة على نسخة السيد ضياء الدين رحمه الله تعالى وكان مكتوبا على هامشها في هذا الموضع هكذا مكتوب بخط مولانا ضياء الدين دام علوه في نسخة مكتوب تحت موضع الاشكال منه من اوله الى هاهنا على نسخة الشيخ ابي الصلاح الحلبي رحمه الله المقروءة على السيد رضي الله عنه وعليها علامته وهذه نسخة خط السيد سمع الشيخ الفاضل ابو الصلاح التقي بن نجم الحلبي ادام الله عزه هذا الكتاب بقراءة غيره علي وقد اجزت له ان يرويه عني وكتب علي بن الحسين الموسوي في رجب من سنة خمس وعشرين واربعمائة انتهى بامر النواب الاعظم الافخم الاكرم خير الامراء على الاطلاق زبدة العظماء على الاستحقاق الامير الكبير والركن الوزير اعني علي مردان خانا دام عزه وكتب

كز
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين

تأويل آخر لآية إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلم
ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه الى قوله عبادنا المخلصين
فقال أليس ظاهر هذه الآية يدل على أن يوسف عليه السلم عزم
على المعصية وأرادها وأنه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك
بأن رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه متوعداً له على مواقعة المعصية
أو بأن نودي بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث الجواب
قلنا إنا قد ثبت بأدلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويل
أن المعاصي لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف
ذلك من كتاب أو سنة الى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما
يرد ظاهره مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا
يجوز ولهذه الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضي براءة نبي الله تعالى
من العزم على الفاحشة وإرادة المعصية أولها أن الهم في ظاهر الآية
متعلق بما لا يصح أن يتعلق به العزم والإرادة على الحقيقة لأنه تعالى قال
ولقد همت به وهم بها فتعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن تراد أو يعزم
عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق
العزم به وقد يمكن أن يكون ما تعلق به همه عليه السلم إنما هو ضربها أو دفعها
عن نفسه كما يقول القائل كنت هممت بفلان أي وقد هممت بفلان أي بأن
يوقع به ضرباً أو مكروهاً فإن قيل فأي معنى لقوله تعالى لولا أن رأى برهان
ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن الوجه
في ذلك أنه لما همّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همّ
به أهلكه أهلها أو قتلوه وأنها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقذفه
بأنه دعاها اليه وأن ضربه لها كان لامتناعها منه فيظن به ذلك بعض من لا علم
له ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه فأخبر الله تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء
والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعانه به لأنهما يستحقان
الوصف بذلك من حيث القبح أو يعني بالسوء والفحشاء تهمتهم له بذلك فإن قيل

العقل

لانه تعالى قال

قلنا

عن نزاهه

ان تكون الخ

وتقذفه
تهمته

هذا

هذا الجواب يقتضي أن جواب لولا تقدمها ويكون التقدير لولا أن رأى
برهان ربه لهمّ بضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح أو مستعمل أو يقتضي
أن تكون لولا بغير جواب قلنا أما تقدم جواب لولا فجائز مستعمل وسنذكر ما فيه
عند الجواب المختص بذلك غير أنا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لأن العزم
على الضرب والهم قد وقع إلا أنه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد
همت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة
محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلككم
ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين

لم تتنافسوا في الدنيا وتتفاخروا فيها وقال امرؤ القيس	
فلو أنها نفس تموت سوية	ولكنها نفس تساقط أنفسا

أراد فلو أنها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب
على أن من تأول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله تعالى وأضاف
العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير
عنده ولقد همت بالزنا وهمّ به لولا أن رأى برهان ربه لفعله فإن قيل فقوله
وهمّ بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به متعلقاً بالقبيح وهمه بها متعلقاً
بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به
الهم والعزم منهما جميعاً وإنما أثبتنا همها به متعلقاً
بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم
يؤمن دليل من اشتباهه عليها كما أمن ذلك فيه عليه السلم والموضع الذي
يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز
تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين وقوله تعالى وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقوله الآن حصحص الحق
أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وفي موضع آخر فذلكن الذي
لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والآثار واردة بإطباق

لم تتنافسوا في الدنيا وتتفاخروا فيها

منها

من جوازه

من جواز اشتباهه

انا الذي
تعالى حاكيا عنها

قالت

مُعتبري القرآن تمثّلاً وليس على أنّها همّت بالفاحشة والمعصية والوجه
الثاني في تأويل الآية أن نحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همّت به
ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنتَ هلكتَ
لولا أن تداركتك وقُتلتَ لولا أنّي خلّصتك والمعنى لولا تداركي لهلكتَ ولولا تخليصي
لقُتلتَ وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر

فلا يدعني قومي صريحاً لحرّةٍ	لئن كنتُ مقتولاً ويسلم عامرُ

وقال آخر

فلا يدعني قومي ليوم كريهةٍ	لئن لم أُعجّل ضربةً أو أُعجّلِ

فقدّم جواب الشرط في البيتين جميعاً وقد استشهد عليه أيضاً بقوله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك فالهمّ لم يقع لمكان فضل الله ورحمته
ومما يشهد لهذا التأويل أنّ في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى لولا أن رأى برهان
ربّه فكيف يُحمل على الإطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب
لولا محذوفاً مقدّراً لأنّ جعل جوابها موجوداً أولى وقد استبعد قوم تقديم
جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر
وقد بيّنّا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا وأنّ الذي
ذكروه لا يشبه ما أجزناه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا
وقد كنتُ قصدتك لولا أن صدّني فلان وإن لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو
الذي يشبه الآية ولكن يقدّر جواب لولا بأن يُقدّر من حذف جواب لولا جملة
من الكلام وإذا جاز عندهم الحذف لأنّه لا يلزمهم تقدير الجواب إلا بغيرهم
تقدير الجواب حتى لا يلزم الحذف والجواب الثالث ما اختاره أبو علي الجبائي
وإن كان غيره قد تقدّمه إلى معناه وهو أن يكون معنى همّ بها اشتهاها
ومال طبعه إلى ما دعته إليه وقد يجوز أن نسمّي الشهوة في مجاز اللغة همّاً كما
يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّي وهذا أهمّ الأشياء إليّ ولا قبح في
الشهوة لأنّها من فعل الله تعالى فيه وإنّما يتعلّق القبح بتناول المشتهى وقد
روي هذا الجواب عن الحسن البصري قال أمّا همّها فكان أخبث الهمّ

ويكون م
الجواب م ر
منهم م
ذكره م ر
بالمشتهى م ر
التأويل م ر

وأمّا همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه أن
يكون قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربّه متعلّقاً بمحذوف كأنّه قال لولا أن رأى
برهان ربّه لعزم أو فعل والجواب الرابع أنّ من عادة العرب أن يسمّوا الشيء
باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لا ينكر أن يكون المراد بهمّ بها أنّه خطر
ببالها وما دعوه إليه الشيطان بالدعاء إليها من غير أن يكون هناك همّ
أو عزم فسمّى المخطور بالبال همّاً من حيث كان الهمّ يقع في الأكثر عنده
والعزم في الأغلب يتبعه وإنّما أنكرنا ما ادّعاه جهلة المفسّرين ومحرّفو التفسير
وقد عرّفوا بيّن أنّه عليه السلام لما في العقول من الأدلّة على أنّ مثل ذلك لا يجوز
على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفّراً عنهم وقادحاً في الغرض المجري
إليه بإرسالهم والقصّة تشهد بذلك لأنّه تعالى قال كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وليس أكبر السوء والفحشاء من العزم على الزنا والأخذ فيه والشروع في
مقدّماته وقوله تعالى أيضاً إنّه من عبادنا المخلَصين يقتضي تنزيهه عن الهمّ
بالزنا والعزم عليه وحكاية عن النسوة قولهنّ حاش لله ما علمنا عليه من سوء
يدلّ أيضاً على تبرئته من القبيح فأمّا البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً
خصّه الله تعالى به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي
والتنزّه عنها ويحتمل أيضاً ما ذكره أبو علي وأن يكون البرهان دلالة الله
تعالى له على تحريم ذلك وعلى أنّ من فعله يستحقّ العقاب وليس يجوز أن يكون
البرهان ما ظنّه الجهّال من نظره صورة أبيه يعقوب متوعّداً له ومنادياً
له ~~...~~ بالزجر والتخويف لأنّ ذلك ينافي المحنة المحضة وينقض الغرض
بالتكليف ويقتضي أنّه لا يستحقّ على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا
سوء ثناء على الأنبياء وإقدام على ما لم يكن منهم والحمد لله على
حسن التوفيق وروى أحمد بن عبيد الله بن العبّاس الصولي الملقّب بطماس
قال كنت يوماً عند عمّي إبراهيم بن العبّاس فدخل إليه رجل فرفعه حتى جلس
إلى جانبه لعظم نباهته ثمّ حادثه إلى أن قال لم تحظ يا أبا تمام وممّن تعتصم
بمن نعتصم به ونلجأ إليه فقال أنت لا عدمت وكان إبراهيم لمّا ولي

خطر بالبال م ر
ومحمد الله م ر
المعروف م ر

	أنت والله كما قيل	
يمد نجادا السيف حتى كأنه	٥	بأعلى سنامي فالج يتطوح
ويدلج في حاجات من هو نائم	٥	وريُّ بك كيما للندى حين يقدح
إذا اعتم بالبرد اليماني خلته	٥	هلالا بدا في جانب الأفق يلمح
يزيد على فضل الرجال فضيلة	٥	ويقصر عنه مدح من يتمدح

فقال له ابرهيم انت تحسن والله وانا وتتمثل فلا اخرج بمثله وقلت كذا الابيات فقال هي لابي الجويرية العبدي يمدحها من شعره وروى عن يحيى بن الحجري قال رأيت ابي يذاكر جماعة من ادباء اهل الشام بمعاني من الشعر فمر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فانشد ما انشد ابيات كثيرة فقال لهم اي بديع من هذا كان بالعراق فقال

أحسب النوم حكاكا	٥ (كاف بسم اشبعك والالف للاشباع)	إذ رأى منك جفاكا
مني الصد ومنك الهجر	٥	فأبلغ بي مداكا
تعدت همة عيني	٥	لمحت في أن تراكا
أو لحظ لعيني	٥	أن يرى من قد رآكا
ليت حظي منك أني	٥	تعلم ما بي من هواكا

فقالوا ما نعرف في معاني من الشعر في هذه الابيات قال فكتبها عنه جماعة من حضرها والابيات لابرهيم بن العباس الصولي واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا احمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وامر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علي الخزاعي وابرهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين

	لا يفترقان فانشده دعبل	
مدارس آيات خلت من تلاوة	٥	ومنزل وحي مقفر العرصات

وانشده ابرهيم بن العباس الصولي على مثلها قصيدة اولها

أزالت عزاء القلب بعد التجلد	٥	مصارع أولاد النبي محمد

فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون

امر بضربها في ذلك الوقت فاما دعبل بن علي فصار بالعشرة منها الى قم فاشترى اهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائتي الف درهم واما ابرهيم بن العباس فلم تزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولي ولم اقف على قصيدة ابرهيم على اكثر من هذا البيت قال وكان السبب في ذهاب هذا القدر من شعره ما حدثني به ابو العباس احمد بن محمد بن الفرات والحسين بن يحيى الباقطائي قالا كان ابرهيم بن العباس صديقا لاسحق بن ابرهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فانتسخ شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقت انصرف من خراسان ودفع اليه شيئا بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان ولي المتوكل وولي ابرهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين اخي زيدان فعزله عن ضياع كانت بيده وطالبه بمال وألح عليه وكشفه مطالبته فدعا بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض الى ابرهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى بخطه عندي وبغير خطه والله لئن لم يترك مطالبتي والتحامل علي لأوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابرهيم بن العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر الى الواسطة في ذلك حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه ان لم يبق عنده منه شيء فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى بن علي المنجم ان اباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولي وما عرفت من شعر ابرهيم في هذا المعنى شيئا الا ابياتا نجدتها بخط ابي قال انشدني اخي لعمي في علي بن

	موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة	
كفى بفعال امرئ عالم	٥	على أهله عادلا شاهدا
أرى لهم طارفا مونقا	٥	ولا يشبه الطارف التالدا
يمن عليكم بأموالكم	٥	وتعطون من مائة واحدا
فلا حمد الله مستبصرا	٥	يكون لأعدائكم حامدا
فضلت قسيمك في قعدد	٥	كما فضل الوالد الوالدا

قال الصولي فنظرت فوجدت علي بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين في بعدهما من النسب وهاشم التاسع من آبائهما جميعا وروى الصولي ان منشدا انشد ابرهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ربّما تكره النفوس من الأمر	٥	له فرجة كحلّ العقال

قال فكتب بقلمه ساعة ثم قال

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى	٥	ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها	٥	فرجت وكان يظنّها لا تفرج

فتعجّب من جودة بديهته اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القسم بن اسمعيل ابو ذكوان الراوية قال كنت بالأهواز ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب فامر باحضاري فلما دخلت عليه قرّب مجلسي وقال تسلّفنا انس المطاولة فان الاستماع لا يتمّ الا به فانبسطت وسألنا عن الأشعار فما رأيت احدا قطّ اعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك

في قول النابغة

ألم تر ان الله اعطاك سورة	٥	ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب	٥	اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقلت اراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خبء وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجهلك فاذا طلعت لي لم ارد غيرك كما ان من المشاهد ان الشمس لم تحتج الى ضوء الكواكب فاني تعجبت منها وتفضيلي قال فاستحسنت ذلك منه وكان ابرهيم بن العباس من اصدق الناس لأحمد ابن ابي دؤاد فعتب على ابنه ابي الوليد من بعد شرّ ومدح اباه واحسن في التخلّص كل الاحسان فقال

عفت مساوٍ تبدّت منك واضحة	٥	على محاسن بقّاها ابوك لكا
لئن تقدّمت ابناء الكرام به	٥	لقد تقدّم ابناء اللئام بكا

تقدم

المأمون اسمه عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

تسلّفنا اي نفعل سلفا يعني انك ستنبسط الى بعد المطاولة فافعل ذلك سلفا وانبسط

عفت في النسخة وهي المخطية

ولابرهيم

نمّ الصبا صبحا بساكن ذي الغضا	٥	ويصدع قلبي ان يهبّ هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانّما	٥	هوى كل نفس حيث كان حبيبها

ولابرهيم

دنت بأناس عن تناءٍ زيارة	٥	وشطّ بليلى عن دنوّ مزارها
وانّ مقيمات بمنعرج اللوى	٥	لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

واخذ ذلك من قول المرار الفقعسي

يقولون هذي امّ عمرو قريبة	٥	دنت بك ارض نحوها وسماء
الا انّما بعد الحبيب وقربه	٥	اذا هو لم يوصل اليه سواء

ووجدت بعض اهل الأدب يظنّ ان ابرهيم بن العباس سبق الى هذا

المعنى في قوله

كن كيف شئت فانّ تناءه	٥	وأرى قميصا ما أجدّ بتمّها لا
محابك لوشك منح الذبابر	٥	حمته معاذيره ان يبالا لا

حتى يأتي مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فاحسن غاية الاحسان فقال

امّا الهجاء فدقّ عرضك دونه	٥	والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضك انّه	٥	عرض عززت به وانت ذليل

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف قال ربّ السجن احبّ اليّ مما يدعونني اليه والّا تصرف عنّي كيدهنّ اصب اليهنّ واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبّة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلم بارادة المعصية لانّ حبسه في السجن وقطعه عن التصرّف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد والّا تصرف عنّي كيدهنّ يدلّ على انّه انّما عرّض من القبيح متى لطف بمنعهنّ فصرفهنّ عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانّكم تذهبون الى انّ ذلك لا يقع منه عرف

تطلّع من نفسي اليك نوازع عوارف انّ اليأس منك نصيبها واخذ هذا من قول ذي الرمّة اذا هبّت الأرواح من نحو جانب به اهل ميّ هاج شوقي هبوبها هوى تذرف العينان منه وانّما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

معاذيره

عليه السلم

الشوق عن كيدهن او لم يصبر نحن الجواب قلنا اما قوله عليه السلم رب السجن
احب الي ففيه وجهان من التاويل احدهما ان المحبة متعلقة في ظاهر
الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان تكون محبوبا مرادا لان السجن انما
هو الجسم والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريدها لفعل فيها والمتعلق
بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون
طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها واذا صح ان المراد يوسف
عليه السلم الحبس اما كراهتهم له على خلاف معصية منهم كونه نسبه وصبره
على بلائه وتصبيره لبعض المواضع والمشاق التي نالته باستيطاره للعرسية
وثوابه وقد علمنا ان ذلك لما لو كره مونا على ما يصير لبعض المواضع
وترك الحرف فيه لكان يقول المكره فيهما وهذه الجملة يثبت ان لا ظاهر

حسنا وان كان فعل
المكره م للاية

فالامر يقتضي ما ظنوه وانه لابد من تقدير محذوف متعلق بالسجن ولغيرهم
ان يقدروا ما يرجع الى الحابس من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع
الى المحبوس واذا احتمل الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبي لا يجوز
ان يريد المعاصي والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع اليه
مما ذكرنا وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز
ان يقول السجن احب الي وهو لا يحب ما دعوه اليه ومن شأن مثل هذه
اللفظة ان تدخل بين شيئين يقع فيهما اشتراك في معناها وان فضل البعض

حلالم
على البعض م

قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها
اشتراك على الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جائز
ان يقول هذا احب الي من هذا وان لم يكن محبا ان يقول من غير
تخيير هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك
على احد الوجهين دون الاخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير

ان م
كذا في النسخ قويه

بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضع التخيير يقتضي
ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته فالمجيب عن هذا متى قال كذا احب

على م ل

الي من كذا كان مجيبا على ما تقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الامران على

الحقيقة

الحقيقة مشتركان في تناول محبته وربما يقارب ذلك قوله تعالى قل اذلك

التي وعد المتقون م

خير ام جنة الخلد ونحن نعلم ان لا خير في العقاب وانما حسن ذلك
لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم

لاعتقاداتهم م ل

تاركوا المعاصي وآثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا
فقيل اذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في

الخالين م ل

قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك لاشتراك الحالتين في باب

اصحاب الجنة يومئذ

المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى خير مستقرا
واحسن مقيلا ومثل هذا قد بان في قوله رب السجن احب الي لان الامرين يعني
المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل منهما داعيا وعليه باعثا
وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا
في المحبة نفسها واجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الاية بفتح السين
فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر فيحتمل ان يريد ان سجنهم
لهم نفسي وصبري على حبسهم احب الي من مواقعة المعصية ولا يرجع بالسجن

والوجه م

الى فعلهم بل الى فعله الثاني ان يكون معنى احب الي اي اهون عندي
واسهل علي وهذا كما يقال لاحدنا في الامرين يكرههما معا ان تفعل
كذا وان تفعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا احب الي بمعنى

وعلى م

اسهل واخف وان كان لا يريد واحدا منهما هذا الجواب لا يمتنع ان

اخف واهون م ل

تكون انما علق بفعلهم به دون فعله لانه لم يخص نفسه بالمحبة
التي هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اهون
واخف من امر في فاما قوله تعالى والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن
فليس المعنى فيه على ما ظنه السائل بل المراد متى لم تلطف لي بما يدعوني الى
مجانبة المعصية ويثبتني على تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلم

عليه السلم م

على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا معونته و
لطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي انما يكون معصوما من
القبائح بعصمة الله تعالى له ولطفه وتوفيقه فان قيل الظاهر خلاف

بعصمته م ل

ذلك لأنه قال والانصراف عن كيدهن يجب ان يكون المراد بها من الكيد ويد نعم والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والمعصية عنه قلنا معنى الكلام وان لا تصرف عني شر كيدهن والغرض بدلالتهن انما جرى بكيدهن الى ما عدنه لهن على المعصية فاذا اعتصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ما يريده وما اجرى اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئا ولمن فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئا ولهذا بين بحمد الله ومنه

مجلس آخر تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع المسمعة يسمع الله به الجواب انا المسمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال سمع الرجل يسمع تسميعا وتمريا اذا كان كثير الضحك والمزاح قال ابو ذؤيب يصف الحمير

فتراوح يقلن سقاها وابلي	لديه فانهم برهن لا تعلق
فلبثن حينا يعتلجن بروضة	فيجد حينا في العلاج ويسمع

اراد ان هذا الحمار الذي وصف حال مربع الاتن وانه معهن في بعض الفضاء نعاركه هذه الاتن وبعضهن مثيلهن بغاش بعضهن بعضا وهذا معنى

العتال فيجدا لفحل معهن مرة ويأخذ معهن في اللعب فيسمع يقال لعنان يجد ويجد والمفتوح لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللعب سعا وقيل ان معنى يسمع في الحمار تستمع اذا مرح نشاط يكسر من اعراسه

فعلك ان سبايا المنهك قال الطماح	
ولو ان اشياء كفيت نعيمي	الى لبنات بمكة يسموع
وقال المتنخل الهذلي	
ولا والله نادى الحي ضيفي	هدوا بالمساءة والعلاط
سابدؤهم بمشعرة واثني	بجهدي من طعام او بساط

اراد بقوله نادى الحي ضيفي اي نادمه من النداء بالسوء والمكروه ولا تلقوه

فقد قيل البشاشة اول خير من القرى فاول فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي هذا الكلام بابيات

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ٭ قراك وارمت لديك المسالك ٭ فكن باسما في وجهه متهللا ٭ وقل مرحبا اهلا ويوم مبارك ٭ وقدم له ما تستطيع من القرى ٭ عجولا ولا تبخل بما هو هالك ٭ فقد قيل بيت سالف متقدم ٭ تداوله زيد وعمرو ومالك ٭ بشاشة وجه المرء خير من القرى ٭ فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك ٭

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند اول وهلة واطالة الحديث عند المواكلة ولله در القائل

السعيم انه ما ترى نحى الطارق الضيف انزل ٭ ما زلت بالترحيب حتى خلتني ضيفا له والضيف رب المنزل

بما لا يؤثر والعلاط من علطه واعتلط به اذا خاصمه وشاغبه ورماه بالشر وأصله من علاط البعير يقول ثم في عنقه وقيل ان معنى نادى من النادي والحي صيغي من النادي اي لا يجالسونه بالمكروه والسوء ومعنى سابدؤهم بمشعرة اي بلعب وتضحك لان ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى تأنيسه وبسط رقبته وقال الآخر

وقد تخفف طرق الحي بيني	٥ ضاف اذا تحدثنا الشهر

ان الحديث طرف من القرى ورويا لاصمعي من خلف الاحمر قال سنة الاعراب انهم اذا حدثوا للرجل الغريب يحسوا اليه وما زحوه ايقنوا بالقرى فاذا اعرضوا عنه عرفوا الحرمان ومعنى انه يحدث من طعام او شراب اي اتبع ذلك بهما ومعنى الخبر محملا هذا ان من كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم لصارة الله تعالى الى حال يعبث به فيها ويشبه فضيحة ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من كيتبع الناس بحمله تسمع الله به والمعنى من تولى وينطبها بغرائع الى الناس وليخاذ المنازل عندهم ليتهم الله بالرياء وتفضحه وتيسك ويكون ايضا في الخبر الاول وجه آخر لم يذكر فيه وهو انه من عادة العرب ان يسموا الجزاء على الشي باسمه ولذلك نظائر في القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر ان يكون المعنى من تتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم عاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه بمن سمى الجزاء على الفعل باسمه ولهذا الوجه ايضا يمكن في الخبر الثاني اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال اني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان سنة قحطا بالبصرة وكان له ابن يصير اذ اقبلت عجوز على ناقة لها حسنة الشارة فيها باقي جمال وانا اخت وتعلك ناقتها واقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي ايحضرك شي قال لا فانشدتها

شعر البيمن بن عبد الرحمن الانصاري

ومن أحسن ما قيل في المزاح ما قاله الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي
شب عاشقان بیدل چه شبی دراز باشد * تو بیا کز اول شب در صبح باز باشد

خفرت الجارية خفرا وخفارة استحيت اشد الحياء
الرداع النكس ... الوجع
الجلادة ... الأعوجاج
الرقراق الدمع الذي يتحرك في العين ولا يسيل

وقصيرة الأيام ودّ جليسها	٥	لو باع مجلسها بفقد حميم
من مجذيات أخي الهوى عصّ الهوى	٥	تبدال ساعته وشكر نعيم
صفراء من بقر الجواء كأنما	٥	خفر الحياء بها رداع سقيم

قال يحيى على كبدتها وأقبلت تحوش الأرض بجمعها وكانت تقول

فقي يا أميم القلب نقرأ تحية	٥	ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك
فلو قلت طأ في النار أعلم أنه	٥	هوى منك لي أو مدن لنا من نوالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها	٥	هدى منك لي أو ضلة من ضلالك
سلي البانة الغيناء بالأجرع الذي	٥	به البان هل حييت أطلال دارك
وهل قمت في أطلالهن عشية	٥	مقام أخي البأساء واخترت ذلك
ليهنئك إمساكي بكفي على الحشا		ورقراق عيني خشية من زيالك

قال أبو محمد فملكت والله على اليسا الجلادة سكبتها وضاحكتها فلما فعلت أنشدك الله لما أخرجتني من هذا فرأيت الضحاك في عينيها

وأنشدت

ومستخفيات ليس يخفين زرنا	٥	يجرّرن أذيال الصبا بزرود
جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه	٥	نزعن وقد أكثرن فينا من القتل
يرعين بحسن الطرف من عرصاتنا	٥	بالقين أهواء القلوب بلا نبل
موارق من خيل الحبّ غوانيًا	٥	بحبل بوثيا الألباب بالجد والهزل
يمنين العذال فيهن والهوى	٥	يحدّثك من أن أطيع ذوي العذل

قال المرتضى رضي الله عنه أما قول الأنصاري وقصيرة الأيام فأراد بذلك أن الدهر تكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فقصرت أيام جليسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حداثة سنها وقرب عهد مولدها وإن كان الأول أشبه بما أتى في هذه الأبيات ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم أي اشترى وهذا اللفظ من الأضداد يستعمل في البائع والمشتري معا قال الفراء سمعت أعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم أي اشتر لي تمرا

بدرهم

قال أبو تمام أو دالم جميلنا
تحوش أي تضرب بيديها ...
أي تحبّ أي يجذب العقلين ذوي الألباب
أن يكون أراد مولدها
كثير

فيا عزّ كنّا ... إذ حبالنا	٥	وبينك باع الوصل بيني أبا عمر

أي مجامع. وقوله من مجذيات أخي الهوى أي معطيات يقال أجذيت الرجل من الغنيمة أجذيه إجذاء إذا أعطيته والاسم الجذوة والجذيا والجذية كل ذلك العطية. وقوله كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم فالرداع هو الوجع في الجسد كله يريد أنها مستضعفة متكسرة من الحياء كما يعتري ذو السقم ويجري ذلك مجرى قول ليلى الأخيلية

ويخرق عنه القميص تخاله	٥	بين البيوت من الحياء سقيما

أخبرنا المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون الكاتب قال حدثني ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت أعرابيا بالبادية فاسترشدته إلى المكان فأرشدني وأنشدني

ولكنما العمى طول السؤال وإنما	٥	تمام العمى طول السكوت على الجهل

ثم رجعت إلى البصرة فمكثت بها حينا ثم قدمت البادية فإذا بالأعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقص عليهم فما رأيت قصصا أخطأ ... الصالحين من قصصه فجلست إليه فقلت يرحمك الله أما من رشدة أنا ... قال أما من صلة فقال لا إذا جاء هذا ذهب لونه فشكوت إليه ما ألقى من عدل حليلتي إلى ابائي في طلب المعيشة فقال لست فيها بأوحد وإني لكذلك ولقد قلت في ذلك شعرا ثم أنشدنيه فأنشدني

بانت تعيرني الإقتار والعدما	٥	لما رأت لأخيها المال والخدما
ويف لو أنك ما الأرزاق من جلب	٥	ولا من العجز بل مقسومة قسما
يا أمّ ... الله إني لم أدع طلبا	٥	للرزق قد تعلمين الشرق والشاما
فكل ذلك بالإجمال في طلب	٥	لو أن رزقا ولم أسعك للالتدما
لو كان من جلد بالمال وأدب	٥	لكنت أكثر من نمل القرى نعما
إن غني من الغنى ما لم يجر معه	٥	أن تعتمي لسؤال الأغنياء فما
واستشعري الصبر على الله حالفنا	٥	يوما سيكشف ما الضر والعدما
لا تحوجيني إلى ما لو بذلت لم	٥	نفسي لأعقبك التنام والندما

من جل

من م العطية
الجذية
كما السقيم ...
وسفرة من الحياء
أناهم
من قصائله
المعنى ... والصواب ...
ما
العنى ... الغنى

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبر فوافقت
مكانا بأهلي فإذا فتية يريدون البصرة فأحببت صحبتهم فأقمت لكيلا
أثقل عليهم فإذا لو وصبت عمومي أعافى فأن لا أستمسك على راحلتي فلما قاموا ليرحلوا
أيقظوني فلما رأوا ما بي تحملوا لي وحملوني تدركني أيديهم وإني لممسكي فلما
أمعن السير تنادوا الأفق يحدونا أو أخبرنا فإذا منشد في سواد الليل بصوت
ندي بل ينشد

لعمرك إني يوم بانوا فلم أمت	ه	خفاتا على آثارهم لصبور
غداة المنى إذ رميت بنظرة	ه	ونحن على متن الطريق نسير
فقلت لقلبي حين خف به الهوى	ه	وكاد من الوجد المبرح يطير
فهذا ولما تمض للبين ليلة	ه	فكيف إذا مرت عليه شهور
وأصبح أعلام الأخيرة دونها	ه	من الأرض غول نازح وستير
وأسخن عيني الهوى ثم الكرى	ه	أزيدا شتيتا فادمعن تعيري
تمنى الله بعدنا النأي أن تسعف النوى	ه	بجمع لمل بعدها ويسير

قال فنكبت والله على الحي ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل برحمك الله إلي
بلحليك فإن تماسكي يعافيك الله عن العجز خيرا أخبرنا المرزباني قال
أخبرنا أحمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا أبو جعفر
أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة أعرابي من بني تميم يطفل على الناس
فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام
إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن أكون
ثقلا ثقيلا على من أراه حبيبا يحبذا أتحتر عليه شماتا وأضحك إذا
رأيته عابسا فآكل برغم بهيمة وما أخترق المهوات طعام أطيب
من طعام لم ينفق فيه درهم ولا نعني إليه خادم وأنشأ يقول

كل يوم أدور في عرصة الحي	ه	أشم العتاب والدبابا
فإذا ما رأيت آثار عرس	ه	أو ختانا أو مجمع الأصحاب

لم أرع دون التقحم لا أرهب دفعا ولكزة البواب

المعان مثل وزن فعال المباءة والمنزل

المبرح الغالب

أسعفت الرجل بحاجته قضيتها له والتقدير في البيت أن يسعفنا

ابدني بتقريب النوى فاختصر

حدثنا معا حدثني معا

أفحم معا إلى معا

وأدعه معا بنعم معا

كتم معا

بالله تدري أن الله خولني	ه	ما كان حولي من الأعراب والعجما
ما ترني خولك ذاك ولا	ه	أني لا أقول لباغي حاجتي نعما
ولا أنني لم أدع عقلا ولا أدبا	ه	ولا رأيت فالذي نجلا ولا كرما
نفسي المراحم والديه سعاتك	ه	أنى تجود عليك الهمة والآلما

قال فوالله ما أنشدتها حتى حلفت أن لا تعدلي أبدا أخبرنا علي بن محمد الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
رأيت بعبادان شابا من بني عامر ما رأيت بدويا أفصح منه ولا أظرف فوالله
كأنه سواط سلطان فاستنشدته فأنشد لي

فلو أنكم يوم اللوى إذ عرضتم	ه	لنا أم طفل حاذر قد تخلت
فقالت سأنسيك العشية ما مضى	ه	وأشرقت منك النفس عما أجنت
فما فعلت والذي أنا عبده	ه	على ما بدا من حسنها إذ تولت
أبت سابقات الحب إلا اغترارها	ه	إليك وما تخفي إذا ما استقرت
هو الداء الذي في النفس وجيبها	ه	عليها انطوت أحشاؤها واستمرت

الأصمعي وأنشد أيضا

ديار لليلى طرقتك وهنا	ه	بواد بعضنر وذكا مرند
تسائلني وأصحاب هجود	ه	ونحن عطفنا من غير سد
فقلت أن شكوت الحب قالت	ه	فأين فوق تجدك كان وجدي
ولكن حال دونك ذو شذا	ه	أسير بقلبه وتبير فقدي

معنى لكره وبهذا الإسناد قال الأصمعي قعدت إلى أعرابي يقال
له إسماعيل بن عمار وإذا هو يعذل أصابعه ويلهف فقلت لم علام تلهف

فأنشأ يقول

عيناي مشؤومتان ويحهما	ه	والقلب حران مبتلى بهما
عرفتاه الهوى بظلمهما	ه	يا ليتني قبله عدمتهما
هما إلى الحين قادتا نهما	ه	دل علينا أخي دمعهما
ساعدنا القلب في هواه فما	ه	سبب هذا البكاء غيرهما

صد

أنجى معا

كرامتي معا

حدثنا معا

مقرها قرارها وأثبتني يعني سابقات الحب

نبكي

مشتهيًا بما هجمت عليه	٥	غير مستأذنٍ ولا هيّابِ
ترا إلى أن ساقدّم القوم	٥	حلّ بهم كلفًا بالعتابِ
ذلك الدانى من الكلوم	٥	ونعيظا القتال والعتابِ

مجلس آخر ٦٥ وبه تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي إلى قوله أن تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى إنه ليس من أهلك يقتضي تكذيب قوله عليه السلام إن ابني من أهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح أن يخرج عن أن يكون من أهله الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفي النسب وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعد بنجاتهم لأنه عز وجل كان وعد نوحا عليه السلام بأن ينجي أهله في قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول فاستثنى تعالى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضا قول نوح عليه السلام إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روي هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وثانيها أن يكون المراد بقوله تعالى ليس من أهلك أي ليس على دينك وأراد تعالى أنه كان كافرا مخالفا لأبيه وكأن كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبيّن تعالى أنه إنما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين ويحكى عن ابن جريج أنه سئل عن ابن نوح فسبّح طويلا ثم قال لا إله إلا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن وروي عن عكرمة أنه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل إنه ليس من أهلك وثالثها أنه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال عليه السلام إنه ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس

في ذلك

في ذلك تكذيب لخبره لأنه إنما أخبر عن ظنه وعما يقتضيه الشرع من الحكم فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه قلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه فقال إن أهل الكتاب يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد إذ فيه منافاة للقرآن لأنه قال تعالى ونادى نوح ابنه فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضا استثناه من جملة أهله بقوله تعالى وأهلك إلا من سبق عليه القول ولأن الأنبياء عليهم السلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعرّ وتشين وتغض من القدر وقد جنّب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأول قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما على أن الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون والأخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان فأما قوله تعالى إنه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روي عن جماعة من المتقدمين أنهم قرأوا إنه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عمل غير صالح فحذف ذو وأقام المضاف إليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

ما أمّ سقبٍ على بوٍّ تطيف به	٥	قد ساعدتها على التحنان أظآرُ
ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت	٥	فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

أرادت فإنما هي ذات إقبال وإدبار وقد قوم إن المعنى أن ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة عمل غير صالح يعني الخيانة من امرأته وهذا جواب من ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي

اختيناه خلاف ذلك وقال آخرون ان الهاء في قوله تعالى انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياى ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عز وجل رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ومعنى ذلك انه غير صالح كما يجب ويجب بهذا الجواب ان يقال ان ذلك صغيرة من النبي لان الصغائر جائزة عليهم ومن يمنع ان يقع من الانبياء عليهم السلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل لهم فقد قال تعالى فلا تسئلن ما ليس لك به علم فكيف قال نوح عليه السلام من بعد رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذه عليه السلام من ذلك وان لم يوقعه الا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عليه السلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكذلك لا يمتنع ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه السلام انما سأل نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما القراءة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس وجههما بضعيف في العربية لان من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي

أيها القائل غير الصواب … أخر النصح وأقلل عتابي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يباء به دم … ومن غلق رهنا اذا ضمه منى

ومن مالئ عينيه من شيء غيره … اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من عكل

كم من ضعيف العقل منتكث القوى … ما ان له نقض ولا ابرام

نالت يداه من الدنيا ما يراها … فعليه من يلق الآلة ركام

وتشتبع حلباة من حازم … من يكن قعنا يوم هدام

اعشى عليه سكر وكابر … فيما نحاول له عليه حرام

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما بعد موت محمد وعنده عند كان لمحمد اسود تقدير الناس واقبل عليه ثناء لم يحفى به وحادثه فلما خرج لمشوار على ذلك فقلت من هذا حتى انست حمره بوسك به فقال هذا غلام ابن منصور ثم انشدني

وقالوا يا جميل اتى اخوها … فقلت اتى الحبيب اخو الحبيب

احبك والقريب بنا بعيدك … لان ناسبت نعمة من قريب

فقلت لم ذكت اهل هذا كثيرا من ارتجوكلا ثم وعلمنا ابا سعيد ذلك اخوها وهذا مولاه ثم ضحك وقال انشدنا ابو عمرو وقال غيري

افي كل ارض اوطنتها وان خلت … لها ايج يدعى بمثلك سابها

حلفت باني لو ازى نعالها … ديار العصا حتى الى بابها

قال فعلمت انه تعجب من قرب لسانه من قلبه واجابه حفظه لم سئل اداه وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرأت على الاصمعي شعر ذي الرمة حتى انتهيت الى هذا البيت

امن اجل اعرابية حل اهلها … مروض الثرى عيناك تبتدرانا

فقال لي اتعرف في هذا البيت شيئا باطنا غير ظاهره قلت لا فكيف هو قلت ان كان فيه شيء فانت به ابصر قال نعم اما بدلك البيت على انه لم يعط ملك مشتهى وقدرة على ما يريد قال اسحق وما رأيت قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر وتبوئه عن اسحق ايضا انه قال قلت للاصمعي ما معنى ابن قيس القبعين بقوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فالهيتها عن ذي تمائم محول

فقلت تخبرني فقال كان امرؤ القيس يقول الحب هؤلاء على كراهتهن للرجال فكيف عند المحبات لهم وتريني ان السبب الذي اهاج التنافر بين الاصمعي وابن الاعرابي ان الاصمعي دخل يوما على سعيد بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد ابا سعيد فانشد الغلام ابيات الرجل من بني كلاب رواه اياها ابن الاعرابي

بات تشتو اسفار السمة شاحبا ... على بنشو اسفار لحز حنوها

فقالت من اي الناس انت ومن تكن	٥	فانك راعي صرمة لا تزينها
فقلت لها ليس الشحوب على الفتى	٥	بعار ولا خير الرجال سمينها
عليك براعي ثلة مسلحبة	٥	يروح عليه محضها وحقينها
سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة	٥	وانعم ابكار الهموم وعونها

ورفع ليلة فقال له الاصمعي من رفع ليلة فقال مؤدبي فاحضره فاستنشده فانشد ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما اراد لم تؤرقه ليلة ابكار الهموم وعونها وانعم اي نادى على هذه الصفة ويقول سمين الضواحي اي ما ظهر منه وبدا سمين فقال الاصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولد الملوك واخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال ولد بشار بن برد اكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوما من اين لك هذا الذكاء قال من فقد العمى لعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المشغلة فيكثف متاع الذهن ويتحرر الذكاء وانشد لنفسه

عميت جنينا والذكاء من العمى	٥	فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعقل رافدا	٥	لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه	٥	بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا

واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العيناء

قال حدثنا الاصمعي قال انشد رجل وانا حاضر بشارا قول الشاعر

وقد جعل الاعداء ينتقصوننا	٥	وتطمع فينا ألسن وعيون
ألا انما ليلى عصا خيزرانة	٥	اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال بشار والله لو جعلها عصا مخ او زبد لما كان الا مخطئا مع ذكره العصا الا قال كما قلت

وحوراء المدامع من معد	٥	كأن حديثها قطع الجنان
اذا قامت لسبحتها تثنت	٥	كأن عظامها من خيزران
تحسدك المنتظر اليها	٥	وتصرف وجهها وجه الزمان

واخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن ابي عبد الله الفارسي قال حدثني ابي عن محمد بن شجرة قال قدم علينا بشار الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال فيه قصيدة طويلة اولها

نأتك على طول التجاور زينب ... وما علمت ان النوى سوف تشعب

وكان سليمان بخيلا فاعطاه خمسة آلاف درهم فلم يرض بها بعد ان طال مقامه فقال

ان امس منقبض اليدين عن الندى	٥	وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد اروح على اللئام مسلطا	٥	ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة	٥	تندى يدي ويخاف فرط لساني
ازمان جن الشباب مذلل	٥	واذ الامير علي من حران
ريم بأحوية العراق اذا بدا	٥	برقت عليه اكلة المرجان
فالحق بعيدة مقلتيك من الاذى	٥	فيوشك يدنيها من الهملان
فلعل من تهوى وانت متيم	٥	انس يناتك من بني مروان

فلما رجع الى العراق بر ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يعد مدحه لمدحه قيسا وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم شأنه واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي

قال فأمّا الأصمعي فما وصف أحد الثغر إلّا احتاج إلى قول بشر

ابن أبي خازم

يفلجن الشفاه عن أقحوانٍ ٥ جلاه غبّ سارية قطار

ولا وصف أحد اللون بأحسن من قول عمرو بن أبي ربيعة

وهي مكنونة تحيّر منها ٥ في أديم الخدّين ماء الشباب

ثمّ غبّها بحقو حنديّ جندله بلين فلي كالشمس من خلال السحاب

ولا وصف أحد عيني امرأة إلّا احتاج إلى قول عديّ بن الرقاع العاملي

لولا الحياء وأنّ رأسي قد عسا ٥ فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

فكأنّها وسط النساء أعارها ٥ عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنّقت ٥ في عينه سنة وليس بنائم

ولا وصف أحد تحيّاً إلّا احتاج إلى قول حميد بن ثور

تعلّ بأطراف عناقيد بينها ٥ على الضرّ بالحي الضال لو تسعون

ولا وصف أحد ظليماً إلّا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة

فوق كأنّ جناحيه وجؤجؤه ٥ بيت أطافت به خرقاء مهجوم

ولا امتدح أحد إلّا احتاج إلى قول النابغة

فإنّك كالليل الذي هو مدركي ٥ وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

قال الشريف رضي الله عنه أمّا قول حميد تعلّ بأطراف عناق فإنّه يريد أنّه علّه بحار الكرم والعتيق ضارد لأنّهما وجهاهما جليّتين حيث كان موسومان بهما وتعني بينها على الضرّ بالي بينها يعرفها هذا الراعي ويعلم أنّهم من المعروف من الضاري فأمّا قول علقمة حيّ فالحيّ ذكر النعام وتعني أطافت به خرقاء أي جملة وأخته وقيل إنّ خرقاء هاهنا هي الحاذقة وأنّ هذه اللفظة تستعمل على سبيل الأضداد في الحاذقة وغير الحاذق ويعني مهجوم أي مهدوم وقال الأصمعي معنى أطافت به جملة لخرقت فهكذا يقول كما أنّ جناحيه كأنّه خباء أمراة خرقاء كما نعت ناحيته استرخت ناحيته أخرى والوجه الثاني أشبه بالمعنى فأمّا قول ابن أبي

خازم

خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشدّ استيفاء للمعنى

قول النابغة

كالأقحوان غداة غبّ سمائه ٥ جفّت أعاليه وأسفله ندي

فإنّما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرّقاً متبدّداً غير متلبّد ولا مجتمع فيشبه غروب الأسنان التي تلمع وتبرق وتدقّ الوادي فأكثر ما تجمعنا الأمور

تقول أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ابن...

ويجلو بفرع من أراك كأنّه ٥ من العنبر الهندي والمسك يصبح

ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى ٥ إليه الندى من رامة المتروّح

هجان الثنايا مغرباً لو تبسّمت ٥ لأخرس عنه كاد بالقول يفصح

تحليل آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذّبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أنّ لهم فيها سروراً ولذّة وما تأويل قوله تعالى وهم كافرون فيها هذا المعنى أنّه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأنّ القائل إذا قال لا يبدأنّه يخاف فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فإنّما أراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا أمّا التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه أوّلها ما روي عن ابن عبّاس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمّد ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفّار والمنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثمّ تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون والمعنى فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم وأنشد في ذلك قول الشاعر

طربت وما هذا بساعة مطرب ٥ إلى الحيّ حلّ البين كلّ محلّب

وحسّنة أبلت جيداً أدماء مغزل ٥ وطرفاً يريك الإثمد الجون أحورا

يريك وطرفاً أحور يريك الإثمد الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو علي

ثمّ بعضهم فضائل أن ... بعد ... الأراد بنعت ... السجاد ... وكشف ... حينئذ الثغور ثمّ قال وأسفله ندي حتّى لا يكون قحلاً يابساً تكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه ...

قوله يجلو أي مقول يجلو ذرى أقحوان ... كأنّه من العنبر أي يعز ... قوله ... والمروّح الذي ... الثنايا ... هجان ...

يؤخذ منهم على كره وهم إذا أنفقوا أنفقوا عن غير نية ولا بصيرة فصارت
نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها أجرا قال الشريف
رحمه الله وهذا يعترض بأن يقال إن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق
من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك فمحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه
الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في
تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللطف في التكليف ويجري ذلك
مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب والغموم قد يكون الحق
محنة وبلوى من غير عقوبة لأن تلك الأمور ربما يجوز أن يكون وجه حسنها العقوبة
والمحنة جميعا ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون الوجه في وجوبها على المكلف إلا وجه
واحد وهو المصلحة في الدين [illegible] وليس لهم أن يقولوا إن
التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل
الكره والاستثقال وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكروه خرج الأمر من
أن يكون مرادا لله تعالى لأن الله تعالى ما أراد منهم إخراج المال على هذا
الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فإذا أخرجوها مستكرهين مستثقلين
لم يرد ذلك فكيف يقول إنما يريد الله ليعذبهم بها وعجبا أن يكون ما يعذب
به شيئا يصح أن يريده الله تعالى قال الشريف رحمه الله وجميع هذه
الوجوه التي حكيناها في الآية الأجوبة التقدير والتأخير مبنية على
أن الحيوة الدنيا ظرف للعذاب فتحمل كل متأول من القوم ضربا من
التأويل يطابق ما يحتاج عنده إلى جميع ما تكلفوه ولا إلى التقدير و
التأخير إذا لم يجعل الحيوة ظرفا للعقاب الواقع بالأموال والأولاد المتعلق
بها لأنا قد علمنا أن قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره
لأن الأموال والأولاد أنفسهما لا يكون عذابا والمراد على سائر وجوه
التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها سواء كان إنفاقها والمصيبة
بها والغم عليها أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها فكأن
تقدير الآية إنما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم

الكلام قوله المقام

غرامة طر

وإنما هو على سبيل الكره وإخراجهم أموالهم على وجه الكره والاستثقال نهد

الذي م

قال السيد المرتضى رضي الله عنه مولد

فيحمل مولد

ذلك م

للعذاب ن د

أو إباحة غنيمتها طر

تطرق وذكره أبو القسم البلخي والزجاج وثانيها أن يكون معنى التعذيب
بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعل للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم
وسبي أولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة إيلام لهم واستخفاف بهم وإنما
أراد تعالى بذلك إعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين أنه لم يورث
الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم
بل للمصلحة الداعية إلى ذلك وأنهم مع هذه الحال معذبون بهذه النعم
من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغتبطوا بها ويحسدوا عليها إذا كانت
هذه عاقبتها والعذاب الأليم في الآخرة آجلهم وهذا جواب أبي علي الجبائي
وقد طعن على بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع أن
كثيرا من الكفار لا تنالهم أيدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة أموالهم
ونجد أهل الكتاب أيضا خارجين عن هذا المكان إذ الذمة والعهد والجزية
فهذا الاعتراض لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة
لهم ولا عهد ممن أوجب الله محاربته فأما الذين هم بحيث لا تنالهم الأيدي
أو هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم
وهذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبى ويغنم ويجاهد ويغلب
فإن لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر رد لأثر على ما ضربناه وثالثها
أن يكون المراد تعذيبهم بذلك كل ما يدخل في الدنيا عليهم من الغموم
والمصائب بأموالهم وأولادهم التي هي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب
معجلة وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضا أن يراد به
ما ينذر الكفار قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع
أنه حي من العذاب الأليم الذي قد أعد له وإعلامه أنه صائر إليه ومنتقل
إلى قراره وهذا الجواب قد روي معنى كره عن قوم
من متقدمي المفسرين وذكره أبو علي الجبائي أيضا ورابعها جواب حكي
عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك
ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك

بعد

لهم

عليه السلام مولد

الجلاء م

مع غنيمة مولد

الكافر ن د

أبو جعفر محمد بن جرير

ويتحصل منها فإذا صح هذا جاز أن تكون الحيوة الدنيا لا تعالجهم التقدير
في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كإنفاقهم الأموال
في وجوه المعاصي وحملهم الأولاد على الكفر فأرادهم الذي تقدر لهم في الجملة
ويكون تقدير الكلام إنما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم
الواقع ذلك منهم في الدنيا وهذا وجه ظاهر يخرج عن التقديم والتأخير في
ما تقدم مما ذكرناه من الوجوه فأما قوله تعالى وتزهق أنفسهم فمعناه تبطل
وتخرج أي أنهم يموتون على الكفر وليس يجب إذا كان مريدا لأن تزهق أنفسهم وهم
على هذه الحال أن يكون مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد منا قد
يحمل عبده ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم محاربون له ولا يقاتلهم وهو مريد
ولا يكون مريدا لمحاربة أهل البغي للرئيس وإن أراد قتالهم على هذه الحال
وكذلك قد يقول لغلامه أريد أن تواظب على المسير إلي في السجن وأنا محبوس
وللطبيب إلقني وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وإن كان
قد أراد ما هو متعلق بهما من الحالين وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون
قوله وهم كافرون حالا لأن هو في أنفسهم بل يكون ذلك كسائر كلام مستأنف
والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم ثم هم مع ذلك كلهم كافرون صائرون إلى
النار وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة
ويكون معنى تزهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس
على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال قد تلفت
نفسي في حاجة كذا وتلفت نفسه وخرجت روحه وما أشبه ذلك قال
الشريف رضي الله عنه ذاكرني قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين و
طبقاتهم وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم في
تقريظه وتفضيله وأخرجوه في ذلك بعجبه وأنا أقام على شعره
وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي
الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق

ظ لزامهم

التحول

قال المرتضى رضي الله عنه
حل

هي

بينا فلذلك قلت ألفاظه في شعره وصار مكررة الألفاظ والمعاني
مقومة بالشعر قليل المعنى إلا أنه مع ذلك شاعر مجيد ويجد في شعره شعر
من كبير من أهل زمانه وطبقته وأشعر شعراء أهل زمانه بعد أن يكون دون
مسلم بن الوليد في تشبيه الألفاظ وتدبير المعاني وحسن الألفاظ ووقوع
التشبيهات ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة فكانت طبقته
بينهما ولكن تفاوت دونهما شديدا ولا منحط عنهما بعيدا وكان إسحاق
بن إبرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيباني
وكان الأصمعي يقول مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس
في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على معانيه وبحسب ما
يستنبطون منه فيه قطر انقه نسلك ونؤثر أن أذكر مختار
ما وقع إلي من شعره وأنبه على محاسن ... شعره وأن أمثل ذلك في
خلال المجالس وأنشدها فتمام المختار من شعره قوله من قصيدة يمدح

بها المهدي

أعادك من ذكر الأحبة خابل	ه	أجل ما شجتك الرسوم البوائد
تذكرت من تهوى فأبكاك ذكره	ه	فلا الذكر مسلي ولا الدمع جامد
تحن وقد بانا فيا ولك الهوى	ه	وللموت خير من هوى لا يساعد
ألا إنما أهديت وسعد طالبا	ه	تعاورت عليك الآنسات
تذكرنا أبصارها مقل المها	ه	وأعناقها أدم الظباء العواقد
تساقط منهن الأحاديث غضة	ه	تساقط در أسلمته المعاقد
إليك أمير المؤمنين تجاوبت	ه	بنا الليل خوص كالقسي خوارد
ثمانية يأتي الغريب محلة	ه	يهيج ويدنو الشاحط المتباعد
تحل الثرى عنها وللعيس أعين	ه	سوام وأعناق إليك قواصد
إلى ملك يندى إذا جف الثرى	ه	بنائله كفاه الأكف الجوامد
له فوق مجد الناس مجدان منهما	ه	طريف وعادي الجراثيم تالد
وأحواض عز حومة الموت دونها	ه	وأحواض عرف ليس عنهن ذائد

لها مرد

قليل د

ألفاظ أي كثير

قال المبرد هم المولدون بفتح اللام لا غير

يستنبطونه د

يستشرطونه مرد

يقول فيها م

الفوك

لا بعد أن تكون العواقد في قوله أدم الظباء العواقد اللاتي يأوين إلى عقدات الرمل ويكون معناها أنها عقدت أعناقها ملتفتة إلى أذنابها وذلك معهود من عاداتها وقد صح أن العاقد هو الظبي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه وقيل إنها الصغار تغفل ذكرها كثيرا قال الشاعر وكأنما وافاك يوم لقيتها من وحش وجرة عاقد متربب كمكاية

أيادي بني العباس بيض سوابغ ه على كل قوم باديات عوائد

هم يعدلون السمك من قبة الهدى ه كما عدلت بيت الحرام القواعد

سواعد من الثقلين وإنما ه ستو مبيضات الأكف السواعد

تكون على أنا نفتر من حذاره ه على قبة الإسلام والخلق راقد

كأن أمير المؤمنين محمدا ه لرأفته بالناس للناس والد

قال الشريف رضي الله عنه أما قوله تساقط بينهن الأحاديث غضة تساقط ذي حلية المعاني فكثير في الشعر والأصل فيه أبو حية

النميري في قوله

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى ه سقوط حصا المرجان من كف ناظم

كأنما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وقد قيل هذا بأن ذلك قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ

والمرجان ومثله قول البحتري

هي الدر منثورا إذا ما تكلمت ه وكالدر مجموعا إذا الكرى سكّم

ومبسم من ثغرها الدر النظيم ه ولفظها الدر النثير

ونظيره قول البحتري وأحسن غاية الإحسان

فلما التقينا والنقا موعد لنا ه تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ه ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ومثله قول الأخطل

خلوت بها وسجف الليل ملقى ه وقد أسقتنا لها الغرب النجوم

كأن كلامها در نثير ه ونتفق ثغرها در نظيم

ولغيره

تحتمت فوائد الدر مستلطا ه وصدقت فوائد الدر منظما

ولآخر

ويحفظ لا من بينه تجدده ه ولكنها من أحسن الناس تحفظه

وتلفظ درا في الحديث إذا جرى ه ولو لم يكن در لقيل ذلك يلتقط

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أظهرن وقد ازدحمن تبسما ه فأرين نظم الدر من رقاتها

فنظمن من در المباسم جامدا ه ونثرن من در المدامع ذائبا

قال

قال الشريف نعم وليس قول أبي دهبل في صغر الحديث كتساقط الرطب الجني من الأشجار لا أشعار من هذا الباب في شيء لأنه جمع ما تقدم في وصف الثغر وهذا في وصف حسن الحديث فإنه متوسط في القلة والكثرة لأنه للقصد كما يختار الرطب من الأشجار ويستحب أن يكون أيام أيضا مع ذلك تصغره بالحلاوة والغضاضة ليشبه بالرطب ثم أنه حصر طريق تشبيه بقوله تساقط لقوله الرطب الجني فجمع له أغراض الوصف لاقتصاده في القلة والكثرة وتوسطه بالحلاوة وبالغضاضة

قول أبي دهبل قول ذي الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق ه رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

فأما قول مروان

إلى ملك تندى إذا يبس الثرى ه بنائل كفيه الأكف الجوامد

فمثل قول أبي ... في يحيى بن خالد البرمكي

لا تأمن مصافي كف يحيى ه إنها كف تلف للمال سائل

لو مس البخيل راحة يحيى ه لسخت نفسه ببذل النوال

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ه ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ه أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

فقد قيل إن هذا الشاعر كأنه صرح بالهجاء لأنه زعم أن الذي لمس كفه لم يعده شيئا بل أعداه جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا المدح ولقوله وجه وهو أن ذوي الغنى هم الذين تستغرق الأموال في أيديهم وتكتب تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا لما لا يوصف بأنه ذو الغنى فأراد الشاعر أني لم أفد منه ما يبقى في يدي واستقر تحت ملكي فلهذا كأنه لم أفد ما أفاد ذوو الغنى ومن هذا المعنى قول مسلم

إلى ملك لو صافح الناس كلهم ه لما كان حي في البرية يبخل

ومثله قول أبي العكوك

لو لم تكن الناس واحسنه ٥ ما تحمل الناس بالعطاء

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحتري

من شاكرٌ عني الخليفةَ بالذي ٥ أولاهُ من طَولٍ ومن إحسانِ

ملأت يداه يدي وشرّد جودُهُ بخلي فأفقرني كما أغناني

حتى لقد أفضلتُ من إفضاله ٥ ورأيتُ نهجَ الجودِ حيث أراهُ

ووثقتُ بالخلف الجميل معجّلاً ٥ منه فأعطيتُ الذي أعطاني

ومن هذا المعنى قول الآخر

تبيت الذي في آل عوف خليقة ٥ إذا كان في قوم سواهم تعلّمت

ولو جربت في آبائهم لتعلّمت ٥ بذاك البذل منهم فأصبحت

وقال ابن الرومي من ابكائه

يجود البخيل إذا نالكم ٥ وليسطو الجبان إذا هانكم

فأما قوله والخواض غمرة الموت دونها والخواض غوث لمن عمهن ذايد

فيشبه أن يكون ابرهيم بن العباس الصولي اخذه في قوله

لن ابل كوم يضيق بها الفضا ٥ ويفتر عنها ارضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ٥ ومن دوننا أن تستذم دماؤها

حمى وقرى فالموت دون مرامها ٥ وأيسر خطب يوم حق فناؤها

وقد احسن ابرهيم في أبياته كل الاحسان فأما قوله

يكون بها نوراً يؤمّن جاره ٥ على غير الاسلام والخلق نائم

نكتب بمنزلة ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

يهم الخليفة بالرغيبة مثل إذا ٥ ركدت وطاب لها الكرى لم ترقد

ومثله

ويظل يحفظنا ونحن بغفلة ٥ ويبيت يكلؤنا ونحن نيام

ومثله للبحتري

أربعة الدنيا شكري بنعمة ٥ وذهبا الأساءة للمسيء الجاني

ردهم حاياتر فبعثم ٥ سنة مختلة الفب منزل

ومنها

لم تكر عن قاصي الرعية عينه

فنام عن وعن القريب الداني

وسيأتي بعض منها فيما بعد في قوله اربعة

ابن الرومي هذا كان شاعرا في دولة العباسيين والظاهر بحضر زمانه كان من هو الدهر وكان شيعيا متعصبا

لم تكر عن قاصي الرعية عينه ٥ فنام عن وعن القريب الداني

فأما قوله كانت أمية المؤمنين محمدا ٥ لو أنه بالناس للناس والد

ونظيره قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد بن برمك

أتى لنا يحيى بن خالد ٥ فأصبح اليوم كيحيى الحاسد

تيمّم بكل طارف وتالد ٥ على العبيد غائب وشاهد

قديم الناس في احسانه كواحد ٥ وحقّهم اجمعهم كالوالد

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها

طلت بعدنا من آل ليلى المصانع ٥ وهاجت لنا الشوق الحمام البدائع

يقول فيها

تشابه الى المهدي لو كنت مذنبا ٥ سوى حلمه الضافي على الناس رابع

كما هو عندنا التحط منه كما الرضا ٥ فعبل الذي يرضى به الله فاجع

تعصّ لما نطرنا العيون وتعرفه ٥ على غرة من خشية المتحامع

أما قوله كما هو عندنا التحط منه كما الرضا البيت فمثل من اتبع

ولست بخائف لأبي علي ٥ ومن خاف الا لم تلن يخافا

ومثله

آمنني منه ومن خوفه ٥ جنيته من خشية البارد

ولا بي نواس فلا كنت جهتك ثم آمنني من أن أخافك خوفك اللواها

ويشبه هذا المعنى ما يحكى عن أمير المؤمنين علي أنه دعا غلاماً مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال لم ما حملك على ترك اجابتي قال كنت امن اجابتك وامنت عقوبتك فقال عليه السلم الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه فأما قوله لم تعص لما نطرنا العيون فيشبه أن يكون ما خوذا من قول

الفرزدق في علي بن الحسين زين العابدين

يغضي حياء ويغضى من مهابته ٥ فما يكلم الا حين يبتسم

تحلّل آخر بابيات آية إن سأل سائل عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول

أي الامام من مهرة قريظ المزور حرشه فقم ... الذي هو النوم

يعني النبي وضي الله عنه قالع

عليه السلام

بين المرء وقلبه وهل يصحّ ما تأوّله قوم من أنه يحول بين الكافر وبين
الإيمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحيوة في إجابته
الجواب قلنا أما قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه أولها
أن يريد بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حثّ من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع
التكليف وتعذّرها بحلول المكلّف نفسه من التوبة والإقلاع فكأنه تعالى
قال بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول
بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذّر عليكم ما تسوّفون به
نفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوّي ذلك قوله تعالى وأنه إليه تحشرون
وثانيها أنه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن
كان حيّاً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه إنه بغير عقل قال
الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الشاعر
فلا أنت وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين تذهب
وهذا الوجه يقرب من الأول لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار
لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لأنه لا فرق بين تعذّر التوبة
بانقطاع التكليف بالموت وبين تعذّرها بإزالة العقل وثالثها أن
يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون و
يخفون وأن الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية
ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ونحن نعلم
أنه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه وإذا كان عز وجل
هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو
عنه ونضلّ عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول إنه يحول
بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين
شيئين فهو أقرب إليهما ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب
خاطبنا بما نعرف ونألف وإن كان القرب الذي عناه جلّت عظمته

لم يرد قرب المسافة والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة
فيقولون فلان أقرب إلى قلبي من فلان وزيد مني قريب وعمرو مني بعيد
ولا يريدون بذلك قرب المسافة ورابعها ما أجاب به بعضهم من أن
المؤمنين كانوا يفكّرون في كثرة عدوّهم وقلّة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف
فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدّلهم بالخوف أمناً ويبدّل عدوّهم
بظنّهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن في الآية وجه
خامس وهو أن المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من
القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لأنا نعلم أنه تعالى لو لم يكلّف
العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن
مواقعته رادع فكأن التكليف حائل بينه من حيث زجره عن فعله ومنعه
عن مواقعته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل
لأنا نعلم أن المشير منا على غيره في أمر كان قد همّ به وعزم على فعله
أن يجتنبه والمنبّه على أن الحظّ في الإضراب عنه يصحّ أن يقال حال بينه
وبين فعله وقال عبيد الله بن قيس الرقيات حال دون
الهوى ودون سرى الليل مصعب وسياط على أكفّ رجال تقلّب ونحن
نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فإن قيل كيف يطابق
هذا الوجه صدر الآية قلنا وجه المطابقة ظاهر لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة
لله تعالى وللرسول فيما يدعوان إليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات
وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين
ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ثم إن المآب بعد هذا كله إليه والمنقلب
إلى ما عنده فيجازي كلاً باستحقاقه فأما قوله تعالى إذا دعاكم لما يحييكم ففيه
وجوه أولها أن يريد بذلك الحيوة في النعيم والثواب لأن تلك هي الحيوة
الدائمة الطيبة التي يؤمن تغيّرها ولا يخاف زوالها فكأنه تعالى حثّ
على إجابته التي تكسب هذه الحال وثانيها أن يختصّ ذلك بالدعاء إلى
الجهاد وقتال العدو فكأنه تعالى أمر بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما

بأنهم من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام واعلمهم ان
ذلك تحسيبهم من حيث كان فيه قتل المشركين وتقليل لعددهم وفل
لحدهم وحسم لمادتهم لانهم متى كسروا وتفرقوا استراح من جانب
المؤمنين واقدموا عليهم بالقتل تصوبا لمكاره فمن هنا كانت الاستجابة
له عليه السلم في القتال تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة وثانيها ما قاله قوم ان كل طاعة حيوة ويوصف
فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في
ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعا بحياته فكانت تؤدي الى الثواب
الدائم قيل ان الطاعة حيوة ولما كان الكافر والعاصي لا ينتفع بحيوته
من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت فهذا تعالى
لمن كان ينتقص الحيوة غير منتفع بها فلان لا حياة له وصاحبها
يجري مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحيوته ويمكن في الآية وجه آخر
وهو ان يكون الكلام محمولا في الحكم لا في الفعل لانا قد علمنا انه عليه السلم
كان مكلفا مأمورا بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته ودينهم
وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن هذا اهل الدين على شروطهما فكانه
تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم
غير احياء من حيث تعبد عليه السلم بقتالكم وقتلكم واذا اطعتم كنتم
في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وانما
اراد تعالى انه يجب ان يكون آمنا وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة
واقع فاما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل
انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية لا يقتضي انه يحول بينه وبين
افعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان
ولا الكفر ذكر ولو كان للآية ظاهر يقتضي ما تقوله ولكن ذلك لا نصرفنا
عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما امره
والارادة منه وتكليفه فعله لان ذلك قبيح والعباد عنه منتفية اعيننا

الاعداء او نـ — وقوموا ل — الذنا نـ — ستكبرن نـ — المراد — وانه عليه السلم كان نـ — وهكذا نـ — والاظاهر الاثر يقتضي انه — العقول نـ

ابو عبيد

ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني احمد بن محمد الجوهري قال
حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا احمد بن محمد بن اسمعيل بن
عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني عمر بن خالد بن عبد
عن الحجاج السلمي قال لما اسند محمد بن محمد بن عمير بن سعد بن جعفر بن مطعم
كرز بن عامر اباه يوم بني عقيل فقال ولده فقال ان الموت اهون مما احاذر
تطيعني فقال لو كنا نطيعك عبدا باكبرهم فقال ثم قد سبق والمعرقة به
حب امرك ولا تحمل قال يا ابتاه ايقتل الى اباه فانه على القوم كلهم فلما
بجواب الاول حتى انتهى الى عتبة فقال يا ابتا اليس لك فيما تأمر اسوة
قبل ذلك لخاطر وهو هواك فقال بلى قال ثم بي كيف اصنع قال الق السيف
انما اردت ان اعلم اكثم امضى لما امرت به ام خليقتي قد بحث توبك من
بعدي فقال القوم انه سيقول في ذلك ثانيا فاحضروه فلما اسوا قال

فلو اعيته من بعدنا اسود كم	فاستشفعوا الى بعدي لكم حاما
انا هلكت فاني قد نجيت لكم	عن الحيوة بما قدمت قدامي
واستوثقوا للذي فيما نروثكم	تؤدوا الجياد وتضرب العوم في الهام
فالقرب من قومكم والقرب نفعكم	فالعدل ان ما عدوا والوري ظلما
ولا تعد بفرار ذلك وخلفني	يوم الهياج بكيما بين ايتام
لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكه	الفي العدو بوجه خده دامي
حتى اعتقدت لواء قومي فسمت به	لم ارتحلت الى الجعفي بالشام
لما قضى ما قضى من حقنا عمر	نجنا الحي على النعمان من لهام
اسمو لما كانت الآباء تطلبه	مثل الملوك نظر في عندهم سامي
فالدهر آخره شبه لاوله	قوم كقوم وايام كايام
فاسمعوا ولا تهدسوا فالناس كلهم	من بان الى الملا وهدام

قد تراسيع بدعا بني بذر فقال الوافي ويا بني لحيته واسمعوا اسا
أوصيكم بني لا تشكل امركم على ولكم فانما تبدلة الاحر ما ادكر الاول
والكمو الكفو والحرب فانه عزها ذات واذا حضركم امران فخذوا بخيرهما

محلهم نـ — قرابة تسخين — طعن السلمي بكسر ... — الرجل نـ — ولك طاعة نـ — والتوسيقوا ل — بني ع

الكفي الكفو نـ

فسدنا فان لكل مورد معروف واصبحوا قومكم باجمل احلامكم ولا تخالفوا فيما
اجتمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم فلا تغفلوا
ولوا الصدق فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال واطيلوا
الرماح فانها قرون الخيل وعزها الكبر للكبير فاني بذلك كنت اغلب الناس
ولا تغزوا الا بالعيون وابرحوا حتى تمسوا الصباح واعطوا على حسب المال
واعجلوا للضيف بالقرى فان خير الاعمال وانفع اصنعات البر والتلبات
المزاح ولا تمنعوا على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرزين جابر
ومات حصن فاخذ عيينة الرياسة وقال

اجمعنا يا عيينة في هواه	٥	ولم تخرج سرمق الظنون
وقد عرض الرئيس على نجبه	٥	فقال القوم هذا لا يكون
سيجزي او يموت نطاول	٥	وقبل الرم والا جنون
فلم اقبل بحمد الله حبّا	٥	فكل فتى سيدركه المنون
فلم اتكل عليه بكل باس	٥	اذا اهوت به يوم يهون
فان يك بدء ملك الامر عنا		فاخره بني بدر يمين

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته
اللقوة فجحظت عينه فقال لكنه سمي لذلك عيينة وكذا عظمت عين الانسان
لقبوه العيينة وانا حكى عدي بن ابي حازم ان عيينة بن حصن
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا الحمق المطاع وكذا كان ابدلع لسانه
للحسين بن علي عليه السلام وهو صبي فرأى لسانه فبهش له فقال له عيينة الا اراك
تصنع هذا بهذا والله انه ليكون لي الابن قد خرج وجهه ما قبلته
قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من لا يرحم لا يرحم فنعود الى
ما كنا بصدده من الكلام على شعر من قال انما تمتاز من شعره

قوله من قصيدة اولها

تمنى بعد جهل ما استراحت فواده	٥	واقصر عنه حين اقصر باطل
ومن مد في ايامه فتاخرت	٥	منيته فالشيب لا شك شامله

هو المرء اما دينه فهو سابغ	٥	صوون واما ما لديه فباذل
امر واحلى ما بل الناس طعمه	٥	عفافا بامر المومنين وما تكل
ابى لنا يا ابن ذو الحرم والتقى	٥	فقولا لنا ما جد بالامر فاعل
ترود الهوينا لا السخط يستر ولا الرضا	٥	الذي هو طين الاعلى الحق جاهل
يكاد ترى الحق امل بغية	٥	وانجي ولو كانت دما فاسائله
كان طلق الله من هو مطلق	٥	كان قبل الله من هو قاتله
فانك بعد الله للحكم الذي	٥	يصاب به من كل حق مقاتله

اما قوله ومن مد في ايامه فتاخرت منيته فالشيب لا شك شامله فماخوذ من

قول الحريج بن اسمعيل الثقفي

والشيب حائر من تاخرت منيته	٥	لا يستطيع دفاعه من يجزع

والاصل في هذا قول امية بن ابي الصلت

من لم يمت عبطة يمت هرما	٥	الموت كاس والمرء ذائقها

ويشبه ذلك قول الآخر

قل لمن يبكي لموت شيء يحبه	٥	من يعش يا ام عمار يشب

ومثله قول ابي العتاهية

من عاش كبر ومن يكبر يمت	٥	فالمنايا لا تبالي من اتت

ويشبهه قول البحتري

ولابد من ترك احدى اثنتين	٥	اما الشباب واما العمر
فالشيب يهرب من جاري منيته	٥	ولا نجاة لمن في ذلك الهرب

وقريب منه قول ابن المعتز

وقالت كبرت وانشغيت من الصبا	٥	فقلت لها ما عشت الا لاكبرا
ومن لم يمت من قبل فاما شبيبة	٥	فلابد من شيب والشيبة اسلم

لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر الحزن عليه والاسف لمفارقته واذا اسن تبرم
به اهله فكان ظلمهم فقده فاما قوله

هو المرء اما دينه فهو سابغ	٥	صوون واما ما لديه فباذل

فهذا مشكور في الشعر كثير جداً وأحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بجميع ما يجب مدحه به وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري

يذكرنيك الجود والبخل والنهى	ه	وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزهاً	ه	وألقاك في محمودها ولك الفضل
وأحمد من أخلاقك البخل إنه	ه	بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل

وقد أحسن البحتري في قوله

ملوك فما بك من دونهم		ه	فإن تجد لنعيم مذهبا
تنقل في خلقي سؤدد	سلفي	ه	سماحاً مرجى وبأساً مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخاً		ه	وكالبحر إن جئته مستثيبا

وأما قوله نزّه الهوى لا الحظ سنّه ولا الرضا البحت فمعنى مشنابك مطروف في الشعر وقد ذكره هو في قوله

إذا هزّ القنى الرجال كتائبه	ه	تخطّطن بالأعلاء وأدركن مغنما
إلى الطاهر الأخلاق فيما نال	ه	ولا غضب ما أهرأ مادما

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

نعم الخطاب إذا اشتكت بظلمه	ه	في نحل الكتب الأقوام كالكتب
لا المنطق اللهو يكونه في سعاتيه	ه	يوماً ولا حجة الملهوف تستلب
كأنما هو في نادي تيكته	ه	لا القلب بمعوه الأحشاء تضطرب
وتحت ذاك قضاء حز شفرته	ه	كما تعض بطرفيها الغاربة القتب
لا سورة تتقى منه ولا بله	ه	ولا يحاف ومن سورة غضب

ومثله قول البحتري في ابن الزيات أيضاً

ونحن الحق بين اعتقاد عطائه		ونقصد بالجمع والتبديد
واستوى الناس فالقريب قريب	ه	منه والبعيد غير بعيد

لا يميل الهوى به حيث يمضي الأمر بين المقلي والمودود

وسواء لديه أبناء إبراهيم	ه	في حكمه وأبناء هود
مستريح الأحكام من كل شغل	ه	بابة الصد ومن غليل الحقود

فأما قوله فإن تسل الطرس هو قائل فسبيبه أن يكون مأخوذاً من قول مزيد بن مسلمة يعزي في عبد الله بن ... لعنهما الله لعناً وبيلا

إن الذي بالمرهفات المشرفية	ه	فما غيبنا فيئل الله بالثواب

وأما قوله فأنك جدا له للحكم الذي تصاب به من كل حق مقاصله فيشبه قول أبي تمام في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات وأجمع العلماء أن هذه الأبيات أحسن ما قيل في جميع ما قيل في القلم

لك القلم الأعلى الذي بشباته	ه	يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها	ه	لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه	ه	وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها	ه	بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب	ه	وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت	ه	عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت	ه	لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت	ه	أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت	ه	ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف	ه	ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

مطلب آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين إلى آخر الآية فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضي أنا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر وطاعة من معصية الجواب قلنا الوجه المذكور في هذه الآية أن الكلام متعلق بما تقدم من ذكر الاستقامة لأنه تعالى قال لمن شاء منكم أن يستقيم ثم قال وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين أي لا تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وإنما أنكرنا إرادته المعاصي وليس لهم أن يقولوا إن تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما أن السبب لا يوجب قصر ما يخرج عن

لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين سورة التكوير

الكلام عليه حتى تعدّاه وذلك ان الذي ذكروه انما يجب فيما تستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله لا يذكر المراد فيه لو استقل بنفسه واذا علّق بما تقدم من ذكر الاستقبال
استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضي ما ذكروه وكان لها ذلك لوجب الانصراف
عنه بالادلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصي ولا القبائح على ان مخالفينا
في هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لان العباد قد يشاؤون عندهم
ما لا يشاؤه الله تعالى لانه يريد ان يعبدوا ويقدروا فلا يقع الجميع اعني وكذلك
فقد يريد النبي عليه السلم من الكفار الايمان وقد تعبّدنا بان نريد من المعتدم
على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذ كان المعلوم انه لا يقع فلا
بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وقد
تجري هذه الآية مجرى قوله تعالى انّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
وما تشاؤون الا ان يشاء الله وقوله تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل
الكلام بما قبله فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم
من وجه آخر وهو ان عزّ وجلّ قال وما تشاؤون الا ان يشاء الله وذلك
يقتضي انه يشاء الاستقامة في حال مشيتنا لها لان ان الخفيفة اذا دخلت على
الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه شاء افعال العباد
في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات في حال
الامر قلنا ليس في ظاهر الآية انه لا ما شاء الله تعالى في حال مشيتنا كما ظننتم
وانما يقتضي حصول مشيته لما تشاؤون من الاستقامة من غير ذكر لتقدم
او تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار الا
ان يدخلها عمرو ونحن نعلم ان ظاهر هذا الكلام ان يكون دخولهما
في حالة واحدة بل لا يمتنع ان يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وان
الخفيفة وان كانت للاستقبال على ما ذكروه فلم يبطل على تأويلنا معنى
الاستقبال فيها لان تقدير الكلام وما تشاؤون الطاعات الا بعد ان شاءها
الله تعالى مشيئة تعالى قد كانت حالا لا استقبال وقد ذهب ابو علي الجبائي

الى انه لا يمتنع ان يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان كان قد اراد لها
في حال الامر كما يصح ان يأمر بها امرا بعد امر وقد يصح ان تتعلق بارادة
ذلك منا تعبدا الاحراز في حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى انا نكون متى علمنا
ذلك كنا الى فعل الطاعات اقرب وعلى هذا المذهب لا معترض بما ذكروه و
الجواب الاول اوضح اذا لم نذهب الى مذهب ابي علي في هذا الباب على ان انصراف
الآية للاستقبال من اوضح دليل على فساد قولهم لان الكلام اذا اقتضى حدوث
المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد بارادة
قديمة وصح ما نقوله من حدوث ارادته سبحانه ثم قال وقد يمكن في تأويل الآية
وجه آخر مع حملها على العموم ومن غير ان نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة
ويكون المعنى وما تشاؤون شيئا من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيته
واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ويكون الفائدة في ذلك الاخبار
عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله عز وجل
وليس يجب ان يستبعد هذا الوجه لان ما يتعلق به المشيئة في الآية محذوف
غير مذكور وليس لهم ان يعلقوا قوله تعالى الا ان يشاء الله بالافعال
دون تعلقه بالقدرة لان كل واحد من الامرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان بن ابي حفصة انشدنا ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي للاعشى ...

من قصيدة اولها

طرقتك زائرة فحي خيالها	بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها	قاد القلوب الى الصبا فامالها
وكانما طرقت بنشوة قهوة	تحت بنادم الربيع طلالها
باتت تسائل في المنام معرسا	بالبيد اشعث لا يمل كلالها
في فتية جعلوا الزمام تعلة	عجنوا من اعدة الكرى ...

قال المرتضى رضي الله عنه معنى المراسة هي تحريك الراحلة في السير من النوم

فكانّ حشوتها بهم هندية	حملت فاعملت القيون صقالها

كانما ذكره في ابيات العصبة طوق الحيف فانه لو اتانا به بمعنى غريب و

لنا مستعذب وقد وصف الناس في الطيف والخيال فأكثروا
وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى كل الناس فيه عيال
عليه وهو قوله

أنّى سربت وكنت غير سروب	وتقرّب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه	في النوم غير مصرّد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها	فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد أحسن جرير في قوله

أتنسى إذ تودّعنا سليمى	بفرع بشامة سقي البشام
بنفسي من تجنّبه عزيز	عليّ ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه	ويطرقني إذا هجع النيام

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ولأبي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فإنه تغلغل في أوصافه وافتنّ في معانيه إلى ما لا يوجد لغيره فكان مستوفيًا بتكرار القول فيه لحجّة الشاعر وإجادته ولأبي تمام في ذلك مواضع لا تجهل فضلها ومحاسن لا يسلم ما فيها فمن ذلك أبي تمام قوله

زار الخيال لها لا بل أزاركه	فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنّصته لمّا نصبت له	في آخر الليل أشراكًا من الحلم
ثم انثنى وبنا من ذكره سقم	باق وإن كان معسولًا من السقم

وقوله

طافة الرقيد لكم إذ الرسل من رسله بين الجوانح المطال [illegible]

نزر فما أتاك الخيال وكيف	بالعكر زرت لمسبع الخيال
الليالي أحمى بعلوى إذا ما	هرّجته النوى من الأيام
بأبي الحلة تنعقت الأرواح	فيما بين سرّنا من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب	غير أنّا في دعوة الأحلام

فأما البحتري فقوله وهذا المعنى أكثر من أن نذكر جميعه ههنا فقد أتيت ببعضه
نادرة من ذلك قوله

بأبيات لـه

شعوا الخيال بالسقم لـه
وما معنوا الألفاظ بالمعنى المعجب
ومعناه واضح

أذكر لـه

فلا وصل إلّا أن يُطيف خيالها	بنا تحت جوشوش من الليل أسفع
ألمّت بنا بعد الهدوّ فسامحت	بوصل متى نطلبه في الجدّ تمنع
وما برحت حتى مضى الليل فانقضى	وأعجلها داعي الصباح الملمّع
فولّت كأنّ البين يخلج شخصها	أوان تولّت من حشاي وأضلعي
ووصل لقاء لم يؤمّل وفرقة	كأسماء لم تحذر ولم تتوقّع
أرى أنه أنعك في كل ليلة	تعاوده منها الكرى ويجعجع
أسرّ بقرب من ملمّ مسلّم	وأعلم أن ليس من حبيب مودّع
مكاين لنا تعدو النوى من تفرّق	تحيّيه أحلام الكرى وتجمّع

وقوله

وإنّي وإن ضنّت عليّ بودّها	لأرتاح منها للخيال المؤرّق
يعزّ على الواشين لو يعلمونها	ليال لنا نزداد فيها ونلتقي
فكم غلّة للشوق أطفأت حرّها	بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق
أضمّ عليه جفن عينيّ تعلّقًا	به حين يجلوه النعاس المرنّق

وقوله

بلى وخيال من أثيلة كلّما	تأوّهت من وجد تعرّض يطمع
إذا زورة منه تقضّت مع الكرى	تنبّهت من وجد له أتفجّع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه	وتسمع أذني رجع ما ليس تسمع
ويكفيك من حقّ تخيّل باطل	تردّد نفس اللهيف فترجع

وقوله

إذا ما الكرى أهدى إليّ خياله	شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
إذا انتزعته من يديّ انتباهة	عددت حبيبًا راح منّي أو اغتدى
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا	نعذّب أيقاظًا وننعم هجّدا

وقوله

فما يبتغي الآمال حلم هاجد	ويحلّ لنا جدواه وهي حرام
إذا ما تبارزنا التقائف خلسًا	من الجدّ أيقاظًا ونحن نيام

الجوشوش الصدر من الليل وكذلك الجوش والجوش

يشوك كأنّ البين يخلجها من حشاي ومن ضلعي

الواشين لـه

دجى لـه

بعث الأحلام التي من النسيان [illegible]

قوله ... [illegible]

راح مني أو اغتدى لـه

قال [illegible]

في النوم أي في نومي ولا أسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنا
ولم يقل في الوسن قال الشريف وقد يمكن في التأويل للبحتري مثل ما أمكن
مثله في قيس لكن الآمدي ذهب عن ذلك لأن البحتري إنما قال وسنا دل
على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها النوم بالعادة
كما أن الحال المعهودة للمستيقظ حال مشتركة بالعادة فقوله وسنا يغني عن كونه
هو أيضا نائما وإنما أراد المقابلة في رتبة اللفظ بين يقظى ووسنا وقوله يقظى
متى لم يحمل أيضا على هذا المعنى لم يصح لأنه لا يريد بذلك هجعتنا في حال
اليقظة تكون معنى يقظى تعدى إليه ألا ترى أن الآمدي يحمل قول
قيس يقظى على معنى وأنا يقظان وإن تبين الوجه فكيف ذهب عليه
مثل ذلك في البحتري وقوله وسنا ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو أنكر
فيما دون الشعر من أن يقول وسنا في مقابلة يقظى لعلمنا ما عدل عن ذكر
النوم لأنه لو كان عليه في وسنا ما عليه في يقظى وما تأول له في أحدهما الأمر
تأول له في الآخر قال الشريف رضي الله عنه وكتب في الخيال وطروقه معنى ما علمت

أنشد أبو الحسن حمزة فضيلة

ونوم تخطى جوب الملا	فأدنت أهلا بذا الزائر
أتان زهدا ومن الريب	سطرو فنا بالكرى الغائر
فأعجب بسعف الحاجبين	وتحرمه معلنا الساهر
وعمدي به عونه من المحب	يتم على قلبه الطائر
لما العقبا بعزم الرقاد	سوى تلى على ناظري

ومعنى البيت الأخير أن الأحلام إنما هي اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لها
لكن لأن الإنسان يعتقد أنه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويصدق لما يعتبر
بعد ذلك على الحقيقة فالقلب يتخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما أن العين
تتخيل في كثير من الأحوال للقلب ما لا حقيقة له فأما قوله من عيان
فكأنما طرقت بشعر روضة البيت فيشبه أن يكون مأخوذا من قول

تمثل بن حزن

قال المرتضى رضي الله عنه من حول حول
في م
لأنه ثم
كم
ولو لم يكن ثم بد
في قول م
الأمر
قال المرتضى حول
بزعم نسخة الشجري

وقوله

وليلة هومنا على العيس أرسلت	بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي	بعطفي غزال بت وهنا أغازله

وقوله

أسنك تأوب الطيف الطروب	حبيب جاء يهدى من حبيب
تخطى رقبة الواشين كرها	فبعد مسافة الخرق المجوب
يكاد بني فاسد قرودا	ومن كلف مصادمة الكثيب

أي من حب

وقوله

ما تقضى لبانة عند لبنى	والمعنى لغانيات معنى

فهم بنا يقظى وكادت على عمد في الصدود تهجر وسنا

بعد نأي وقد تعرض منها	طائف هومت على الركب وهنا

قال الشريف رضي الله عنه وجدت أبا القسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله إلى البحتري
وانحطاطه في شقه واعتماده في تأويل ما أخذ عليه من خطاء وزلل يزعم
أن البحتري أخطأ في قوله

فهم بنا يقظى وكادت على عمد في الصدود تهجر وسنا

قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنا قال لكن الجيد
في هذا المعنى قول

أيحبك يقظانا وتأذن لي	على سكر الهوى أن جئت وسنانا

قال وإن وقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه	في النوم غير مصرد محسوب

وكان الآمدي يقول إنما تمنعي في اليقظة فقد تؤتينه في النوم أي ما تمنعينه في
يقظتك فقد تؤتينه في حال نومي حتى كأنك النوم والمستيقظ منسوبين إليه لأن
خيالك المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الآمدي أنه يتبع في التأويل
وهذا التفسير ما لا يتبع البحتري لأن قيسا قال فقد تؤتينه في النوم فلم
يؤتينه ما تمنعه وقد يجوز أن يحمل على أن أراد ما تمنعي يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه

في النوم

قال دام علوه وقرأت على استاذه كذا
قال المرتضى رضي الله عنه حول
يقظان كان أو وسنانا حول
من حول

طرقت أسيماء الرحال ودوننا	رجبان من ليل التمام الأسود
كسفا يفصل للعداة جنوبها	بجنوب أخرى قرنان لو تعقد
ريا إذا ابتدها الركاب تطعنه	تربت مناسمها بخف قردد
فكأن ريح لطيمة هندية	وذكي جادي بنضح مجسد
وندى خزامى الحجو حو سويقة	طرقا بها لك بعيدا المرقد

أو من قول آخر

طرقتك زينب والمزار بعيد	بمنى ونحن معرسون هجود
فكأنما طرقت بريا روضة	أنف تسحسح مزنها وتجود

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جدا فأما قوله باتت تسايل في المنام معرسا البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم وقوة السرى والإدلاج فأكثروا فمن أحسن ما قيل

فمن ذلك قول لبيد

ومجود من صبابات الكرى	عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجدنا فقد طال السرى	وقدرنا إن خنا الدهر غفل
قلما عرس حتى هجته	بالتباشير من الصبح الأول
يلمس الأحلاس في منزله	بيديه كاليهودي المصل
يتمارى في الذي قلت له	ولقد يسمع قولي حيهل

ومن قول ذي الرمة

وليل كأثناء الرويزي جبته	بأربعة والشخص في العين واحد

والرويزي هو الطيلسان وقد قيل ثياب العروس وإذا نعته فكل ذلك تصفه بالسواد لأن الطيلسان أسود وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أحم علافي وأبيض صارم	وأعيس مهري وأشعث ماجد
أخو شقة جاب الفلاة بنفسه	على الهول حتى لوحته المطارد
وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه	وجيف المهاري والهموم الأباعد

نقبان من ليل التمام خ ل

القف المرتفع من الأرض والقردد الغليظ من الأرض المرتفع [illegible] الطيب [illegible] والجد الشبع اللون [illegible] اسم بلد وهو اليمامة الأنف الذي لم يرع

وشعث الشادن م

سقاه الكرى كأس النعاس فرأسه	لدين الكرى من آخر الليل ساجد
أقمت له صدر المطي فما درى	أجائرة أعناقها أم قواصد
ترى لنا انما [illegible] كأنه	على الرحل مما منه السير عاصد

ومن ذلك قول أبي حية النميري

وأشعث من طول السرى متحير	أقام بنعماس على الكسل مجرم
سرت برحل أناسا ثم عرست	توالى الدجاجن ولاح الصبح اللوذ معلم
إنخاف قلنا أن جرت بدينا غمر	وغشيته كأس النوم قلت له قم
فقام إلا بن أيد نفيسة	كما عطفت ريح الصبا خوط ساسم
حطا الكرى مغلوبا كأن لسانه	لما ردمن تعجيع لسان المبرسم
وقد نوسطي الخير منه لوانما	تحل وقلنا في المنام له نم

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال أي معنى لاختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والأبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب فكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم ومانع من عذابه وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجزهم ولا يمنع منها ما يريد إيقاعه بهم لأنها تحجز عن كثير من أحوال البشر من المكاره ولأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره ويلجؤون بها إلى الاعتصام بها عند التخاوف فأما نفي تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فلما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من أولياء فمعناه أن الله ولي لهم ولا ناصر

العاصد من الإبل الذي يلوي عنقه إلى حاركه عند الموت [illegible] والحارك الكاهل

المسلم خ ل

المتاخ خ ل

تعالى م

الذكر بالأرض خ ل

منهم

كأنها تحجز عن كثير من أفعال البشر خ ل

من عذاب الله ومعاقبته لهم في الآخرة ولا مما يبتليهم به إيقاعه بهم في
الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه العذاب وينصرهم ممن أراد سوءا
وقد يجوز أن يكون ذلك أيضا نفيا للأولياء وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون
المقصود ولكن لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه
في دفع ضررهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره فأما قوله عز وجل ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون ففيه وجوه أحدها أن يكون المعنى يضاعف
لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون
الإبصار فلا يبصرون عنادا للحق وذهابا عن سبيله فأسقطت الباء من
الكلام وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك
ما عملت ولأحدثنك بما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللحم للأضياف نيا	٥	ونبذله إذا نضج القدور

فأراد نغالي باللحم والوجه الثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى
وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول
القائل ما أستطيع النظر إلى فلان وما أقدر على أن
أكلمه وكما تقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع
الحجج والبينات ما تستطيع أن تسمع الحق وما تطيق أن يذكر لك وكما
قال الأعشى

ودع هريرة إن الركب مرتحل	٥	وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة
والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون أي أن إبصارهم لم يكن نافعا
لهم ولا مجديا عليهم مع الإعراض عن تأمل آيات الله وتدبرها فلما
انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى عنهم الإبصار نفسه كما
يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ما لك لا تسمع ولا تبصر ولا
تعقل وما أشبه ذلك والوجه الثالث أن يكون معنى نفي السمع والبصر
راجعا إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا

تعالى م
هم م
ما عملت ولأحدثنك م
وكراهتهم م
إلى فلان م
هذه م ل
كذلك م ل

معجزين

معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروي عن ابن عباس
ثم وفيه أدنى بعد ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون ما في قوله تعالى ما كانوا
يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح
نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى أن العذاب يضاعف
لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع والإبصار أي أنهم يعذبون ما كانوا أحياء وفارق
بل كنى عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد
يحيا من لا يكون كذلك وللعرب في هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمت
فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي يريدون ما بقيت وحييت لأن
الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب

ومن ذلك قول الشاعر

وما أنس من شيء تقادم عهده	٥	فلست بناس ما هديت وبكى
عشية قالت والدموع بعينها	٥	هنيئا لقلب عنك لم يتسل

وأما الآية التي أتبعنا ذلك بها ما حييت وكذلك لا يمتنع أن نعلق على هذا المذهب
دوام العذاب لكونهم مستطيعين للسمع والأبصار وتعود المعنى إلى
تعليق بقائهم وكونهم أحياء والمرجع في ذلك إلى التأبيد لأنه إذا
علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها ولا خروج
من الحياة علمنا تأبيد العذاب ونعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على
شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التي قد مضى أبيات منها

	وكمنا مليك	
وضعوا الحلاوة على مواهم حنيج	٥	فشكو كلوم صفاحها وكلالها
حلت أمير المؤمنين فواصلت	٥	بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت إليك صواديا فتقاذفت	٥	نطوي الفلاة حزونها ورمالها
ينقص ناحية بهم ...	٥	بعد النحول تليلها وقذالها
هوجاء تذرع الربا وتنقصها	٥	شوق النفوس إذا ترام حلالها

يروى م ل
رحمة الله عليه م ل
يستطيعون السمع وما كانوا م
يكون م
مثل م
وكونهم أحياء م ل

تمور إذا ما يقع القطيع كأنها … خرجبا بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة أتتك وقد ترى … كالبرج تملأ رحلها وحبالها

فهذه الأبيات في وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ مطردة النسج وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان

نحو ذلك قول الأخطل

يخوض كأعطاف القسي تقلقلت … أجنتها من سقبة وسقوب
إذا ما شمل عادية سهرت … أنيخ بجواب الفلاة كسوب
وهن بنا عوج كأن عيونها … بقايا بلالات نكسن لغوب
مساليف تطوينا مع القيظ والكرى … تكاليف تكليف العجاز ركوب
فلم يبق إلا منسواة بها كأنما … رجال قيام عصبوا بسيوب
يحسن بنا عوم السفين إذا علت … مخاير فضاح السراب [illegible]

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

إلى الإمام تهادانا بأرحلنا … خلق من الريح في أشباح [illegible]
كأن أجلادها والنجم يأخذها … أقلات ساذجة عن قوس [illegible]

وقال بشار بن برد

إذا ادلج المطي يسحبن بالعشائر … فات المطي بجهل ونلبس
أفكار والناجيات بردنه … فرح تعلكم من قتاح يحبل

وقال [illegible] ولبعض المحدثين

تمس الحصى إن وطئها تحرجها … حتى تحد [illegible] المتطاير
حرف تناهبها النهار فلا ترى … مما تحل شدقم أو ذا عز
سبقا إذا عطفت بها البرى … جمعت لهن كناكس [illegible]
ويحلمن [illegible] النفوس وحدها … رحنا وهن إذا أحبرنه ...
كنا إذا لما أقبلت فكأنها … كدنو [illegible] البطاف صوادر
كنا إذا ما أدبرت فكأنها … صدح سبيلة وهن صوادر

قال الشريف نعم وإني لأستحسن قول بشار بن العبد في وصف

الثالث بالسرعة … عدد [illegible]

كأن يديها إذا أرقلت … وقد جرن أحدثن السبيلا
يدا سابح خر في غمرة … وقد شارف الموت إلا قليلا
إذا أقبلت قلت مشحونة … أطاعت لها الريح قلعا جفولا
وإن أدبرت قلت مذعورة … من الربد تتبع هيقا ذمولا

ومعنى قوله وقد جرن أحدثن السبيلا بغير المطايا يقول كأن نشطات [illegible] حتى ملأ كن لزم الطريق بأن أخذت يمينا وشمالا فلما عضهن الكلال اشتهرن على المحجة فكأنه وصف بأنه سقاها النشاط مع الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كأن يديها حين جد نجاؤها … يدا سابح في غمرة يتذرع

ومما يشارك هذا المعنى أو يقاربه قول الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة … بعيد السباب حاولت أن تعذرا
مجلجة الأعراق قال ابن عمها … عليها كلاما جار فيه وأهجرا

شبه ذراعيها وهي تسرع في سيرها بيدي امرأة مدلة على أهلها [illegible] وقد حكي أن [illegible] كلاما أهجر فيه [illegible] فهي ترفع يديها وتضعها [illegible] تخلف وتقضح عن نفسها وقيل إن معنى مدلة أنها ذات [illegible] فهي تدس [illegible] حسنهما وقوله بعيد السباب أي [illegible] فأنت تعتذر إلى الناس وقوم [illegible] بعيدا للشباب [illegible] نصف من النساء [illegible]

قول الآخر

كأن يديها حين يفلق ضفرها … يدا نصف غيرى تعذر من جرم

وقوله حين يفلق ضفرها [illegible] لأن الضفر هو الأنساع [illegible] تقلقل إذا أجهدها السير [illegible] بالتذرع والنشاط مع

المحدث [illegible] الكلال [illegible]

كأن ذراعيها ذراعا مدلة … [illegible]

تمعن لها واستعجلت بكلابها وكلام ... فلا شيء تقرب باليدين كما تقرب

ويقاربه قول الآخر

الا هل يبلغنيهم على النأي والظنة	قلائص ... المعزاء ليس لخفافها
اذا ما عسفت ثلث	حفاء فانحت كنة

ومما شبه سرعة ايدي الابل بايدي النوائح كعب بن زهير فقال

كأن أوب ذراعيها اذا عرقت	وقد تلفع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت	ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف	قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها	لما نعى بكرها الناعون معقول

العساقيل أوائل السراب ولا واحد لها من لفظها ... التمر ... الظهيرة ... في سيرها ... يديها ... ذراعيها بذراعي امرأة نصف ... على ابنها ... والعيطل الطويلة العنق ... لانها قد كادت تيأس من الولد ... على ابنها ... والقور جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل ... لما تلفعت القور بالعساقيل فكره

ومثله قول ...

كأنما نعت ندي ...	شمطاء قامت تعرف ...

وانما خص الشمطاء لانها تكون ايأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها	لها من تسعة الا جنينا

وقد قيل في بيت عمرو ... الشمطاء ... من اللئام ...

ما تقدم من المعاني قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع	هل اغدون يوما وأمري مجمع
وتحت رحلي زفيان ميلع	كأنها نائحة تفجع

تبكي لميت وسواها الموجع الزفيان الناقة الخفيفة والميلع السريعة ... تنجع يديها في السير ... نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة

تبين تزيد في الاشارة بيديها لترى مكانها ومثله قول ذي الرمة

كأنما ... تمشي وهي ... كأنما	... مشتاجرات نوائح

المحابس اللواتي ... بعد ... وخص المشتاجرات من النوائح للمعنى الذي

ذكرناه وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى

كأن أوب يديها حين ...	أوب المراح وقد ...
سقط الكرين على مكنوسة زلف	في ... البيت ...

يعني أوب ذراعيها ... أوب المراح القوم ... أموالهم ... بالكرين ... والمراح ... الكرة ... والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض ... الزلف ... المستوية من الارض ... الريح ... هذه الارض ... من صفات الريح ... الريح تقول الارض ... في الارض ... من سلكها ... البيت ... يديه ... ناقة بيدي ضارب بكرة في الارض ... في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ومثل ...

الشماخ قول المسيب بن علس

مرحت يداها للنجاء كأنما	تكرو بكفي ... في قاع
فعل السريعة بادرت جدادها	قبل المساء يهم بالاسراع

يعني ... كأنها لاعب بكرة والسريعة ... والجداد ... فانها ... الضرب ... قبل المساء ... يديه ... هذه الشاعر ... الاصمعي ... الثوب ... هذه الشاعر ... الثوب ...

فيعني ... المساء ... قول الاخر

كأن أيديهن بالقاع القرق	أيدي جوار ... الورق

... الذي ... الحصا ... هذه ... تلعب ... من النساء ...

المستوي من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدي الإبل إذا أسرعت في المستوي تتواحدها وإذا أبطأت في غيره تتواحد لها ومن أحسن ما قيل في الإسراع قول الراعي بن سعيد

فما ملوا اتعاب الرحال فقلصت	سود البطون كفضل المتمرس

ذكر قوما سفرا انقبوا من ركابهم الى رحالهم ليسيروا ويعني بسود البطون الإبل والمتمرس الصائل الذي أخذ ناموسا وقوما استنتهم لتخيل تشبه المطا في سرعتها خطا فلما ساد الصائل بعضها وأفلت بعضها لما نجح بطرق لم يات شيئا ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد فاما قول مروان تهوي بركبانها بعد النحول كما فقد مضى في وصف المطايا بالنشاط بعد النشاط سيرو الجهد ما مضى في من قول وأشد فصاحة بالمعنى وأعرب منه قول الهذلي

ومن سيرها العنق المسبطر	والعجرفية بعد الكلال

وإنما كان أحسن لأنه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون من غيره فاما قوله كالعيس ساهمة أنت فقد أكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالعيس وغيرها وقد أحسن كثير في قوله

تعال الشيء عنها كل يوم اقامة	فدع بدايا بالطريق رتائك
وحملت الحاجات حوصا كأنها	وقد ضمرت صفر القسي العواتك

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وكأنهن من الكلال أهلة	أو مثلهن عطائف الأوتار
قود طواها السير من نكبة	نأت الشوى وتسابح أكدار

وقال أبو تمام يصف ناقة

أنحى الفراق بسيره وهي ترنو	الا يعين شيطان رجيم
فالشمت بها عسفان حتى	رنت بلحاظ لقمان الحكيم
فلما السري بأجمها حلها	[illegible]

الفرق مهمل

قول المتخذ ... الصقيع

صفة

افضا

العجرفية ... بالسرعة في الصر ... هذا

آذاب سنانها قطع الفيافي	وفلق جلدها نفح العصيم
تلت كالبدر إلا لليل سعد	وآبت مثل عرجون قديم

وقال البحتري

يخلان القلاص حوذا إنا قابلن حولا من الخير الا مخارق يتفرقن كالسراب
ويقد خشن غثاء كلس التراب الجائب كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

وله أيضا المعطلات

وهي العيس دهرها في ارتحال	من حلول أو فرقة من جميع
رب سيرت ثم جانب فطوت حرابا	كالمنهل المشروع
وسرت تنحيه بالوحشي	تصدع الليل عن بياض الصبح

كالسري في الدجى وتحسبن أحيانا نسوعا محللة في نسوع

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أأستكبرت فقال كيف أضاف الفعل إلى نفسه اليد وهو ممن تعالى عن الجوارح الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن يكون قوله تعالى لما خلقت بيدي جاريا مجرى لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك فإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الإثبات ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها أن يكون اليد ههنا النعمة ولا إشكال في أن أحد محتملات لفظ اليد النعمة فأما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه إن المراد بنعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام وثالثها أن يكون معنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضا معروف من محتملات اللفظة يقول القائل ما لي بهذا الأمر يد ولا يدان وما جرى مجرى ذلك والمعنى أنه لا قدرة لي عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك إثبات قدرة على الحقيقة بل إثبات كون القادر قادرا ونفي كونه قادرا فكأنه قال ما منعك أن تسجد لما خلقت

ومرتبه

العصيم بقية ... والخضاب وجزؤها

حوذا لا يحملن ... جمع حامل

يتطلعن في ...

معنى

أبي

وانا قادر على خلقه فعبّر عن كونه قادرا بلفظ البد هو عبارة عن القدرة وكل ذلك داخل في تاويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان بن ابي حفصة الذي تقدم بعضه ونقطع الكلام عليها

ثم قال

اما ابن امير المؤمنين محمد … سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم … مدّ الاله على الانام ظلالها
جبل لامته تلوذ بركنه … رادى جبال عدوّها فازالها
لم تغشها مما تخاف عظيمة … الا اجال لها الامور مجالها
حتى يفرّجها اغر مباركا … الفى اباه مفرّجا امثالها
ثبت على زلل الحوادث راكب … من حد صرمته لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها … في المسلمين وفي العدو وبالها
اذهبت بعد مخافة اوجالها … وفككت عن اسرى الحديد اغلالها
ويقعت سوابقها بعفو كانفس … وجعلت مالك واقيا اموالها
انت فرعها فيعاقب طرادها … سنن النبي حرامها وحلالها
فنعت نفسك خير نفس وفضا … …

اما قوله اما ابن امير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها فقد عابه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي حرام وما ذلك بمعيب لانه اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التحريم للحرام والتحليل للحلال وانما المعنى

ومن هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

ولعلّ ما ارادوا الله اذودها … من ان يستر صلاحها وفسادها

ويشبه قول مروان قول سلم الخاسر

ملكا وليت ذكرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم … بتحليله وتحريمه

فاما قوله حتى يفرجها اغر مباركا البيت فكثير جدا للمتقدمين والمحدثين ولا

فيه قول زهير

وما كان من خير اتوه فانما … توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه … وتغرس الا في منابتها النخل

ويشبه قول الآخر

وحمزة والعباس منهم ومنهم … عقيل وماء العود من حيث يعصر

ومثله للربيع ابن ابي الحقيق اليهودي

اذا مات منا سيد قام بعده … له خلف يكفي السيادة بارع
من ابنائه والعرق يعرف فرعه … على اصله والعرق للعرق نازع

وله ايضا في مثله … وله ايضا مثله

يرجو العلاء وقد اعياك والده … كما رويته ما نبتت العود

واخذ هذا المعنى بعض اللفظ الكميت فقال

تمري بما صاغ عهد يجري كما برئهم … وفي اروسته ما نبت الشجر

ومن هذا المعنى قول عبيدالله بن قيس الرقيات

تخلفك البيض من نجلك كما … تخلف عود النضار في شعبه

ومثله قول نهشل بن حري

اتعكل عود نابتا في ارومة … ابا ثابت العيدان الا تغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن … لآباء سوء يلق حيث سيرا

ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري

اتى على الايام يقري خطوبها … على منهج الفى اباه به قبل

ولابن الشادي على اعرافها تعرف الجياد ومثله

تماريني من ضرعت فانما … نجيبة آبائي ونقل جدودي
هم القوم فرعي منهم متفرع … وعودهم عند الحوادث عودي

وللبحتري

واذا ابو الفضل استعار سجية … للمكرمات فمن ابي يعقوب
شرف تتابع كابرا عن كابر … كالرمح انبوبا على انبوب
وارى النجابة لا يكون تمامها … لنجيب قوم ليس بابن نجيب

وله ايضا

أناس غدوا يجهلون غرامهم — كل ساع منا يريد بضاعة
وما تابع في المجد نهج مكلف — كمتبع في المجد نهج أبيه

وله أيضا

وفي هذه القصيدة يقول مروان

هل تعلمون خليفة من قبله — أجرى لغايته التي أجرى لها
لملمع الدروب مشمرا عن فتح — بالخيل متصلا بجد نعالها
تود تربع الى اقمر لوجهه — تومي بأنما تخلالها
قصرت حمائله عليه فقلصت — ولقد تحفظ قينها فأطالها
حتى إذا ذهبت أوائل خيله — جثيا ركبت على العقيقة حالها
أحمي بلاد المسلمين عليهم — وأباح سهل بلادهم وجبالها
أدمت ذوابل خيله وشكيمها — فإن لهن ولا حقيقة أمالها
لم تبق بعد مغاربها وطرادها — إلا بقيتها وإلا آلها
نفع الخليفة ناظريه ولا شفي — يد شاكر شكرت نوالها
وحسدت في حومتك اسبق بابها — في المشي مترفة نحير مختالها
لقد حذوت لمن أطاع ومن عصى — نعلا وربت من البنين مثالها

في عطاء المال

فأما قوله قصرت حمائله البيت فأما مسلم فقوله صنيع

بطل كأن ثيابه في سرحة — يحذى نعال السبت ليس بتوأم

أو قول الأعشى

إلى ماجد كهلال السماء — أزكى وفاء ومجدا وخيرا
طويل النجاد رفيع العماد — يحمي المضاف ويغني الفقيرا

ومثله

طويل نجاد السيف طال جنينه — كنصل اليماني أخلصته صياقله
إذا هم بالمعروف لم يتخرطس — تحوشا ولم ينشق نجاء عوادله

وقال طريح بن اسمعيل الثقفي

وأشعث ملاح الثنايا تبارك — يقول بحاد السيف وهو طويل
الظلام بالهلاك وتبخيج معتزالهم

ولأبي الجويرية العبدي

يعني دروب الروم

ترجيا الهالا

تمن بعد مولد

يعني انه قد تبع أباه في الحذو والفعل النعل بالنعل

بطول نجاده

تمد نجاد السيف حتى كأنه — بأعلى سنامي فالج يتطوح
إذا اهتز في البرد اليماني خلته — هلالا بدا في جانب الأفق يلمح

ولأبي عطاء السندي

وأقوم بيت عمرو بن عمرو بن عمرو — حمائلهم وإن طالت قصار

ولبعضهم في آل المهلب

رأيتكم أقصر الناس جاها — ولستم إذا عدوا أناسا
حمائلكم وإن كانت طوالا — تراها من تمايلكم قصارا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

فجاءت به سبط العظام كأنما — عمامته بين الرجال لواء

ولآخر

أتم طويل الساعدين كأنما — يناط إلى جذع طويل حمائله

ولابن هرمة

يناط حمائل الهندي منه — بعاتق لا ألف ولا ضئيل
ولكن تستقل برقعا — على ناشز بعاتقه نبيل

ولسلم الخاسر

تقوم مع الرمح الرديني قامة — ويقصر عنه طول كل نجاد

وللخثعمي

يباري الرديني في طوله — ويقصر عنه نجاد الحسام
طوال وطول ترى لقه — تهلل بالطول هلال التمام
وطول رعيتا ليوم الوغى — وضرب فصل بحادي الحسام

فأما قوله ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى البيت فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال

شبيه أبيه منظرا وخليقة — كما حذيت يوما على أختها النعل

وقال في موضع آخر

أحيا لنا سنن النبي سمية — قد الشراك بقربت شراكا

وقال أيضا

ويروى الجحال المعلمة

الألف النقيم الفخذين

ثم غاية الانباع ... بغير

سمج المنية مثل جهمة الضيغم ... فيا عجبا للسماك بالسماك تقابله

وقال أيضا

تشابه حجاما علما وعدلا ونائلا ... وحزما إذا ما قام فاقعدا
تنازعتما قسمين هذي كهذه ... على أصل عرق كان للفخر متلدا
كما فاض نهلا حسن من فرعها ... على أختها كرما لأن تتعودا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ... خلقا وخلقا كما قد الشراكان

والأصل في هذا المعنى قول ابن أبي ربيعة

فلما تواقفنا عرفت الذي بها ... كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومثله قول السيد الحميري

سلوك أخلاق النبي وفعله ... كالنعل شبه في المثال لحاقها

وقد تقدم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن شعلة بن سيار العجلي بقوله يوم ذي قار يحرض قومه على القتال

من فر منكم فر عن حريمه ... وجاره وفر عن نديمه
أنا ابن سيار على شكيمه ... مثل الشراك قد من أديمه
وكلكم يجري على قديمه ... وأنا قولي وحديث حتى يقال أصبح راعنا البيت كلهم

ففي معناه قول البحتري

ألست إلى الأيام من بعد فقده ... وقد أنكرت لي دهري ما ينبغي
والبستني النعمى التي غيرت أخي ... علي فأمسى نابع الود واجما

ومما يختار لمروان قوله

بعيد الحجة

موفق لسبيل الرشد متبع ... تزينه كل ما يأتي ويجتنب
تسمو العيون إليه كلما انفرجت ... للناس عن وجهه الأبواب والحجب
له خلائق بيض لا تغيرها ... صرف الزمان كما لا تصدأ الذهب

وقد حدث بعض من شهد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة فكأن ابن مناذر أراد بقوله وقد

قوله فاعجب أي أزال عتابي شكوى منه والهمزة للسلب كما يقال أشكوته أي أزال شكايته وقوله فاجتبا أي اجتنبني بحدة ...

الأبيات

ومثل قولهما في بكر ممن يشتا ويقيل كل العباس بن الأحنف فقال

مثال لآخر ... أأشدد فيه لم فاستلذه

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي ... أملي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة ... صد الملول خلاف صد العاتب

فقال ابن مناذر يا خلق من تحت التراب أن يصيب حمزة قال رحمه الله ولا شك في ذكر الأمثال في شعر مروان ولكن ليس إلى هذا أحد فهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا قال عرمج بن إسماعيل

جواد إذا جئته راغبا ... كفاك السؤال وإن عدت عادا
حلاه الفخر كسبيك النضار ... لا يحمل الدهر فيها قساما

ومثله للخريمي وأسعد الحريمي

بأبيك يا زيد زيد الندى ... وزيد الفخار وزيد الكرم
تزيد على نائبات الخطوب ... بذلا وفي تابعات النعم
كذا المحض يا لذهب المعدني ... يجود هذا وذاك القدم

وفي قوله الذهب المعدني فائدة لأنه إذا خلص الذهب وصفا لم يفسد وإذا استخرج بغير ... لم يكن هذا حكمه ومثل الأسدي للأموي مولى

يا أيها الخلق لم تصبح طبع ... كأن جوهره من جوهر الذهب

والبعض بهم

ملك له خلق خلق بالعلى ... كسبيكة الذهب التي لا تكلف

وقد أخذ البحتري هذا المعنى في قوله

فلو نفس تحذيف تكلفه ... لصورة حسنها الأصلي يكفيها
إن الذهابة لا تجدي بان عنقت ... ولا يزاد على النقش الذي فيها

وللحظة مثله

صديق لي له أدب ... صداقة مثله حسب
رعى لي فوق ما يرعى ... وأوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه ... لبهرج عندها الذهب

من الشعراء

فقال البحتري

ابن مناذر بضم الميم ومنهم من يفتح الميم إذ ما الآن له أسم كل واحد منهم المنذر ... وقيل يا ابن مناذر فقال أنا ابن مناذر بضم الميم

الكلف معروف

التحذيف التهذيب والصنعة

مسئلة أخرى تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً فقال كيف وصفوا بأنهم نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى مسحوراً وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك بل عادتهم جارية بوصفه بالساحر **الجواب** قلنا أما قوله تعالى وإذ هم نجوى فإن نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو متمثل لفظه يجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني صائمون ومحمودة وقال قوم إن معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم أنجية فمن وحّد بنى على مذهب المصدر ومن جمع فكأنه سمعه عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة

وما أنشد في ذلك فقد قال الشاعر في التوحيد

أتاني نجي بعد هدء ورقدة	٥	ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

وأنشد الفراء في الجمع

تلك بنات القوم والقوم أنجية	٥	يعدى عليها كما يعدى على الغنم

وأما قوله تبارك وتعالى إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ففيه وجوه **أولها** أن يكون المراد إن تتبعون إلا رجلاً مسحور العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله وتضعيف أمره وتوهين رأيه فكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون والمسحور متغير العقل وربما قذفوه بأنه شاعر إلى غير ذلك وقد جرت عادة الناس أن يصفوا من يضعفونه إلى البله والغفلة والتخبيل بأنه مسحور وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع المعلل لأن ذلك أحد ما يحتمل من هذه اللفظة قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب	٥	ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال أمية بن أبي الصلت

فإن تسألينا فيم نحن فإننا	٥	عصافير من هذا الأنام المسحر

وثالثها أن السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها وفيها ثلاث لغات سَحر وسِحر وسُحر وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى الجوف وقيل الكبد فكان المعنى على هذا إن تتبعون إلا رجلاً ذا سحر خلقه الله بشراً كخلقكم ورابعها أن يكون مسحوراً أي ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً أي ساتراً والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لأنه يأتيه الفلج فأتى بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان وميمون وهم يريدون شائم ويامن لأنه من شأمهم ويمنهم قال رحمه الله ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد ويقول العرب لا تعرف فلان مشؤوم على فلان وإنما هذا من كلام أهل الأمصار وإنما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤوماً قال علقمة بن عبدة

ومن تعرض للغربان يزجرها	٥	على سلامته لا بد مشؤوم

والوجوه الثلاثة الأول أقوى وأوضح ومما يختار لمروان ابن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني وأولها

أتى القلب أسى بالأمانين حولها	٥	وإن كان من عهد الصبا قد تبتها

يقول فيها

فلما سرى الهم الغريب قريته	٥	قرى من أتاك الليل مرتادا
عزمت فحملت الرحيل ولم أكن	٥	كذي لوثة لم يطلع الهم مطلعا
فأمت بكافي أرض معن وكلفت	٥	إلى أرض معن حيث ما كان موضعا
نجائب لولا أنها سخرت لنا	٥	أبت غرة من جهلها أن تروعا
كسونا رحال الميس منها فعولا	٥	تداركه فيها سنعا وتربعا
فما بلغت سنعا حتى تآمنت	٥	ذراها وما لي أحمل عنها وأقطعا
فتى الغيث إذ عم البلاد وصوبه	٥	على الناس من معروف معن بأوسعا
تداركه معن قصيرا الذين بعده	٥	حسيبا على أنابها أن تقطعا
أقام على الثغر المخوف وهاشم	٥	تساقي حماما بالأسنة منقعا

تقام امرئ بال بسوء المحضة التي	٥	تكون لعذر عن الحادثات تقعا
وما الحجر الأحمد آل حمك عصبة	٥	فليك ولكن لم تروعا فيك نطحها
بكا مجدنا قد حركوا وتعاسوا	٥	لدى حنبل منهم نحو وعصرها
وليس بناس إذا استدان نوى	٥	لدى كحر نقعا الأسند نرعا
كر الحادثات المحتف والغيث فيهما	٥	أبى الله إلا أن نقص وتشفعا
لقد فتح الأعداء سعي فأصبحوا	٥	وأسمعهم لا يدفع الذل مدفعا
نجيب مصاحب وسيد سادة	٥	ذرى المجد من فرعي نزار تفرعا
كفيت خصال الحرب فيه وكملت	٥	وما كملت خمسا سيوفك خشعا
لقد أصبحت في كل شرق ومغرب	٥	تسعك أصنات المرسلين
وطئت خدود الحضرميين وطأة	٥	لها هد ركنا عزهم فتضعضعا
فما تفوا على الأذناب إقعاء معشر	٥	يرون لزوم السلم أبقى وأودعا
فلو عليت بالأيدي إلى الحرب كلها	٥	لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا

أما قوله فما بلغت صنعاء حتى تضعضعت البيت فقد ردده في مواضع أخر فقال

فما بلغت حتى تضاهت كلا	٥	إذا عريت سلاؤها أن تعسكا

وهذا المعنى كثير في شعر القدماء والمحدثين قول جرير

إذا بلغوا المنازل لم تقيد	٥	وفي طول الكلال لها قيود

فقيل لنصيب له بيت نازعك فيه جرير يا أبا ... أيكما أشعر فقال لما هو فقيل قوله

أقضى بها التهجير حتى كأنما	٥	يقاد بأعلى الرأس منها سلاسلها

وأشد بيت منها الذي تقدم فقال قاتل الله ابن المعلى قد فضله
قوله فما زهو تاك وأخذ هذا المعنى المؤمل بن أميل المحاربي

كانت تعيد حيث ...	٥	فاليوم صار بها الكلال قيودا
ولأي نحيك بيدها الجهل لم	٥	فهي سوام كما القنا المستند
وما لها ... من سبب	٥	منها قوى ناحيط مستبعد

ومعنى قوله سوام أي هي ناعتة رؤوسها وشبهها بالقنا لأن القنا إذا ركزت

فلذلك جمع الرمح يقول في أصابعها ما بها من الضعف كما قال الشماخ من قوله
وجبهة الريح ... كما قال حميد بن ثور

عتوق حمام والمطي كأنه	٥	قنا مسند هبت لهن حرور

والحرور ريح شديدة تحرق من كل جهة ومعنى قوله بمسك من منازل بتحترها من الأحجار ... إذا أنه لا يجري في أجوافها ... والسعدي ما ... من المعنى ما أنشده أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب

إذا بلغوا المنازل لم تقيد	٥	بلاهم ولم تشد بعقل
نفنيهم مسندات مطلقات	٥	تقسم ما تسد في الحمل

وكان الأساس في هذا قول امرئ القيس

مطوت بهم حتى تكل مطيهم	٥	وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

والعسابرين أنقا الكلب الصيد أوى

فتمشي لا أثنيها بحبل	٥	بها طول الضراوة والكلال

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل

بلانا بها من سيف رمل كهيلة	٥	وفيها أناس من رياح وعوف
فما بلغت حتى تقارب خطوها	٥	وبادت ذراها والمناسم رعف
وحتى بلينا الجهل عنها وغودرت	٥	إذا ما أنيخت والمدامع ذرف
وحتى مشى الحادي البطيء يسوقها	٥	لها بخص دام ودأي مجلف

البخص لحم الخف الذي يمشي عليه والدأي فقار الظهر والمجلف المقشور

وحتى تعشاها وما في يد لها	٥	إذا حل عنها ... وفي ... سقف

الرسغان ... المعقد والرمة الحبل وإذا دلتها يوسف كما رسغا المعقد وإن لم ...
في يدها قيد

إذا ما تركنا فأنت من ظهورها	٥	حراجيج أمثال الأهلة شسف

الحراجيج الطوال من الإبل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى قوله قاتلا للغربان لأنها إذا غربت ظهورها تقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالإبل تدفع الغربان بأفواهها عن ظهورها وذلك ...

إذا ما رنا الأرتنا فلكت أرقلت ... إلينا بحرات الخدود تقذف
فأنى يراع الدارعين حومها ... رنا الكلكل إذ نام الذنوب المثقف

ومن أحسن ما قيل في وصف الأبل بالنحول من الكلال والجهد قول

البحتري قول الشاعر

يرد ذات سامين قد قبضت جمومها ... بحيث تستمسك الأرواح بالحجر
وردت عواريها بطان الفلا ... وبمثل ما يا لين من حلبها العشر

قوله ذات سام يعني سمنا على جسم وقيل بل يعني أنها نعت كلا ما سمن
وقوله قد قبضت جمومها يعني أن أتعبها بالسير حتى ردها هزيلة بعد سمن
كأنه عوض بذلك ما محقها ويعني بحيث تستمسك الأرواح بالحجر يعني الغدو
حيث يكون الماء فيقتسم الركب الماء الذي معهم بالحجر الذي يقال له المقلة حيث
أيضا فنهم وقوله ردت عواريها بطان الفلا أي ما رعت من كلا هذا المكان
وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير فأهزلها فإنها
المحرم من الحطب اليابس وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة ... رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
فكم جزع وادٍ جب ذروة غارب ... وبالسير من قبل كما نكب مناكبه

فأما قوله فأحمم الأعلاء منك بقية البيت فمأخوذ من قول الآخر

فأبقيا على تركما بي ... ولكن خذا منها مدى البنات

وقريب منه قول الآخر

لعمرك ما الناس أثنوا عليك ... ولا عظموك ولا عظموا
ولولا أنهم وجدوا مطمعا ... إلى أن يجيبوك ما أحجموا
فلا تغترر بفضلك أنهم ... إلى أن يحلوا وأن يطعموا

ومثله

أما لو بأخذك العدو نقيصة ... الحت بتصريف العيوب وأوضعا
ولكنه لما لاك تمسرا ... من العيب حتى رأسه ونقصا

ومثله

وقد طلب العاذل عيبا فلما ... أصاب عيبا فالتقى عاذرا

وللبحتري في معنى قول مروان فأحمم الأعلاء منك بقية من قصيدة يمدح
بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غداة لقيت الليث والليث خادر ... يحدد نابا للقاء ومخلبا
شهدت لقد أنصفته يوم سرتما ... لم تعطنا عضبا من البيض مقضبا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما ... عراكا إذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغي هزبرا وأغلب ... من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
أدل بشغب ثم هالته صولة ... رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا ... وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا ... ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ... ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وأنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة أو لا تبق للسيف مضربا ومن صافي
كلام مروان قد اشعر ومما اجتمع لرقيه جودة المعنى واللفظ

والمراد النجح قوله

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل
لهاميم في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهم ... وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معنا

مليء بمد ... معنا بساحتي ... ألا يطمئن المنايا تسبق العدا
همام إذا الخيل لم تقدم فوارس ... كالليث من ... إذا ما رأى
أشم يحسب يوم الروع ذا اليد ... وقدما ويحسب فوق المنبر

ولم من قصيدة يوما حاتما

ويوم كقول(?) الآل غار كأنما	لظى شمسه مشبوب نار تلهب
نصبنا له منا الوجوه وكنها	عصائب أشمال لها تتعصب

ولعله أن يكون أخذه من بيت الشنفرى

ويوم من الشعرى يذوب لعابه	أفاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن دونه	ولا ستر إلا الأتحمي المرعبل

وللمروان من أبيات يصف فيها حلبة نعيما له المهدي يذكر فيها خيلها

ويصحوها لعابيها

نواصر عليا قد تغات ركبها	من النجب حتى ما يطير غرابها
ترى البارقات العم فيها كأنما	ظعائن مضروب عليها قبابها
ترى بابها يسهل لكل مدنع	إذا اتسعت محل تأتي بابها
تكون لنا تحمى من ثمارها	تبيعها إذا الآفاق قل سحابها
خطائر لم يخلط بأثمانها الربا	وكم ربك من أخذ الديات اكتسابها
ولكن عطاء الله من كل سدحة	جزيل من المستخلفين ثوابها
ومن ركضنا بالخيل في كل غارة	حلائل بأرض المشركين نهابها
حوت عنهما آباؤنا وجدودنا	بضم العوالي والدماء خضابها

أما قوله خطائر لم يخلط البيت فكأن ابن المعتز نظر إليه في قوله

كنا إبل سار وفينا دماؤنا	ولا ذعرتنا في الصباح الصوابح

ألم تأخذ عن دماء عوضا ومن هذا قول أبي تمام

كثرت فيهم المواهي إلا	إنها من مناكح وديات

ومثل ذلك قول حسان يهجو قوما من قريش

وما لكم لا من طراد فوارس	ولكن من التي نعم يا آل مالك

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وقوله تعالى إنما نطعمكم لوجه الله وقوله ويبقى وجه ربك وما شاكل ذلك من الآي المتضمنة لذكر الوجه الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية إلى أقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه

في اللغة العربية ينقسم

أيضا أول الشيء وصدره ومن قوله تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره أي أول النهار ومنه قول

الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك	فليأت نسوتنا بوجه نهار

أي غداة كل يوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن معناه من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه وكذلك قوله ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وقال الفرزدق

وأسلمت وجهي حين شدت ركائبي	إلى آل مروان بناة المكارم

أي جعلت قصدي وإرادتي لهم وأنشد الفراء

أستغفر الله ذنبا لست محصيه	رب العباد إليه الوجه والعمل

أي القصد ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي قصدت قصدي بصلاتي وعملي وكذلك قوله تعالى فأقم وجهك للدين [illegible] أو حيا لحي الأرض فبهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة قال الشاعر وهو حمزة بن بيض الحنفي

أي الوجوه انتجعت قلت لهم	لأي وجه إلا إلى الحكم
متى يقل صاحبا سرادقه	هذا ابن بيض بالباب يبتسم

والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أي أعظم قدرا وجاها ويقال أوجهه السلطان إذا جعل له جاها قال

امرؤ القيس

ونادمت قيصر في ملكه	فأوجهني وركبت البريدا

والوجه الرئيس المنظور إليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه [illegible]

نفسه وذاته قال أحمد بن حبلة(?) السعدي

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة	فأفلت منا وهو يهتد مهند

أراد كلمة وجاه [illegible] إنما أفعل ذلك لوجهك ويدل أيضا على أن الوجه

يعبّر به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه
يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها
راضية لان جميع ما اضيف الى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن
والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما تضاف الى الجملة ومعنى قوله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه اي كل شيء هالك الا اياه وكذلك قوله تعالى كل من عليها
فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه
قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام لما كان المراد بالوجه
نفسه ولعرفنا في الجلال كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام
لما كان اسمه غيره ويمكن في قوله كل شيء هالك الا وجهه وجه آخر
قد روي عن بعض المتقدمين كانوا يكون المراد بالوجه ما يقصد
به الى الله تعالى ويوجه نحو القربة اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك
بالله ولا تدع الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو
هالك باطل وكيف يجوز للمشبّه ان يحمل هذه الآية والتي قبلها على الظاهر
اوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا جهل وكفر من
قائله فاما قوله انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى و
قوله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمحمول على ان هذه الافعال
مفعولة له ومقصود بها ثوابه والتقرب اليه والزلفى عنده فاما قوله تعالى
فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد به فثم الله لا على معنى الحلول
لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ايضا ان يراد به فثم رضاء الله وثوابه
والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك
والخلق والانشاء والاحداث لانه تعالى قال ولله المشرق والمغرب
فاينما تولوا فثم وجه الله اي ان الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه فهذا ما حضرني
بحمد الله اخبرني ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى
الصولي قال كنا نحدث مع المكتفي بالله في آخر سفرة سافرها للصيد من
الموضع المعروف بجسر الى تكريت في حراقة وكانت تجمع كثيرا وتمتد مع شط

معه

معه من الجلساء لذلك وكنت احدهم فيها وكان في الحراقة سوى من
الجلساء يحيى بن علي المنجم وصافي بن محمود بن بزدان والقسم المعروف
بابن حبابة فكان يضحك لفزعنا ويقول لقد [illegible] الله لكم خطا جزيلا من البحار
فقلت [illegible] البحتري يقول شعرا يصف مثل حالنا وهو يمدح به احمد بن دينار
بن عبد الله ويذكر غزاة الروم في المراكب

الم تر تغليس الربيع المبكّر	وما حاك من وشي الرياض المنشّر

فقال لي انشدني في الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان حسنا لعلم بالاشعار حافظا
لها مختارا فانشدته

غدوت على الميمون صبحا وانما	غدا المركب الميمون تحت المظفر
اذا زمجر النوتي فوق علاته	رأيت خطيبا في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم	وفوق السماط للعظيم المؤمّر
اذا ما اعتلت فيه الجنوب علا بها	جناحا عقاب في السماء مهجّر
اذا ما انكفا في هبوة الماء خلته	تلفّع في اثناء برد محبّر
وحولك ركّابون للهول عاقروا	كؤوس الردى من دارعين وحسّر
تميل المنايا حيث مالت اكفهم	اذا اصلتوا حد الحديد المذكّر
اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم	ليقلع الا عن شواء مقتّر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم	ضراب كايقاد اللظى المتسعّر
يسوقون اسطولا كأن سفينه	سحائب صيف من جهام وممطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم	اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر
تقارب من زحفيهم فكأنما	تؤلف من اعناق وحش منفّر
على حين لا نقع تطوحه الصبا	ولا ارض تلقى للصريع المقطّر
فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى	مقطعة فيهم وهام مطيّر
وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده	مليا بان توهي صفاة ابن قيصر
جدحت له الموت الذعاف فعافه	وطار على الواح شطب مسمّر
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها	عليه ومن يول الصنيعة يشكر

قال فاستجاد المكتفي وذكر قول حبيب لا تنفع نطوحه الصبا فقال لي يحيى بن علي انشد

ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى يشير

وكم أمغّلم قطّعتهم ذي سباحة	٥	سوى ما الغموس والقصعون بمعزل
ولم أر دلواً لبّث فيها وسحره	٥	لو انّ تبسّما الصغر أو كل كاس
وأبيض اشفاق من المآء أتّقى	٥	الحجر في الكوز من المجانب
وأخشى ان يعتريه على كل شارب	٥	فكف بأسه على شر كابر

فقلت له إنما أخذ ابن الرومي هذا البيت الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي

وما هو فقلت حدثني يحيى بن شريح المصري قال حدثني أبو وائل المخزمي قال

حدثني إبرهيم بن الخصيب قال وقفنا أبو نواس على النيل ثم أتى بغلاء قد أخذه

التمساح فقال

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية	٥	مذ قيل لي إنما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين من كثب	٥	فما أرى النيل إلا في البواقيل

فقال الصولي والبواقيل كيزان صغار تزامرى المكتفي ذكر الشيب فقال

العرب تقول أحلم من شيب وقد شبت فطلمن الشيب وشبت بالصولي

فقلت جواب مسلك وهذا جواب معن بن زائدة الشيباني لمحمد المنصور

وقال له قد كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وإنك

لتتجلد فقال على أعدائك قال فيك بقية قال لحدّ سيك ثم نزع المكتفي

عمامته فإذا اشتبان في مقدم رأسه فقال لقد عمني طلوع هاتين الشيبتين

فقلت إنما يعيب الناس في الشيب فأمّا السواد فلا يعجب الناس حاله

أكثر من أربعين سنة إلى الخمسين وقد تعاشت في العباس الذي لا سواد

فيه ثمانون سنة فانشد يحيى بن علي بن يحيى في طول العمر والشيب قوله

	ابن الحكم	
ألا إن بعد الحلم للمرء قنوة	٥	وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وأنشد أيضا أنشدها إسحق بن إبرهيم الموصلي لبعض الغنويين

لم ينتقص مني المشيب قلامة	٥	الآن حين بدا ألبّ وأكيس

والشيب

وإن الشباب بطرف قاني ونائرٌ	٥	يحمل الكون جلاه لم يتنفس

قال رحمه الله أسا قول البحتري يمدح وهو يعلي الربيع فقد كرر معناه في قوله في قصيدة من جملة

يمدح بها أبا سعيد الثغري

أسلى عن سوقه الماء القنا	٥	متعذر لسنحها عتيق عتيقه حجر نارِ
ولو اسراها لهن هبيبة	٥	لصدرك عنه وهي غير ظماء
فلئن تعاء القضاة لوقفه	٥	فلقد عصمت حبوبه بغناء

وأظنه أخذ هذا المعنى من أبي تمام في قوله من قصيدة يمدح بها المعتصم من جملة

فتلك فتح العمورية

لولا الظلام وقلة علقوا بها	٥ وروي يحج	باتت رقابهم بغير تلاول
فلتذكروا أجنح الظلام ورده	٥	فهم لديه والظلام سوالي

ولقد أخطأ الصولي في تفسير قول أبي نواس بأن البواقيل كيزان صغار لأن البواقيل

جمع بوقال وهو الكوز على تفسير الكوز يعرف بمثل من الرجاج وغيره فهذا يشبه

قول ابن الرومي جاء به في الكوز من المجانب وإنما أراد أبي أني أشرب النيل إلا إذا درت

فعري كيد أبو قال وإنما الصولي حمله على لوهم من حمير قولها أرى

النيل وصرف ذلك إلى أنه أراد النيل على الحقيقة وإنما أراد ماء النيل وما

علمت أن السفن الصغار تسمى بواقيل إلا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره

صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه

وأليق وأدخل في معنى الشعر وكيف تدخل تشبيهاً ذلك مع قوله فمن رأى

النيل رأي العين من كثب وهو إنما النيل في السفن فقد رآه من كثب

فهو في البواطة في الأبية على بعد الكوز فإنما لم من كثب فأما سدح الشيب

وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثروا فما تقدم من ذلك

قول ورقة بن الحجاج وقال إن نعته لم تعلل من الفصد الأجود البيض

أيها الشامت المعير بالشيب	٥	أقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضا جديدا	٥	فوجدت الشباب ثوبا معارا

ولعلي بن جبلة

نكتم بودك ايها الشيب	فإن ذاك الحسام الرأي والأدب

ولابن المعتز

تجري المشيب كفي بدته	في عذاب بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب	ولكنه جلاء الشباب
فبياض النهار اصدق حسنا	ان تأملت من سواد الظلام

وله

فما هو الشيب الذي ما ابقى	فاتركيه ان كان غير شفيق
فلقد كف عن فناء المحب	وتلاه من الهوى اشتياق المشوق
قد كنت في رسمها اصعد	هل تعلم بالعاذل المعشوق
ومن انت لمن آلمها الشيب	فرعيت من طمر في شرور
ولعمري لو الأقاحي لانت	ابقى البرد من عمر اسبق
وسوانا العيون لو لم يكحل	بياض ما كان بالموصوف
وبناج الصحن آل يا مليح	بصبوح تسحبين كقطوف
اي ليل يمس بغير نجوم	او نهار تلاوه بغير شروق

ونشبه ان يكون اخذ قوله اي ليل يمس بغير نجوم من قول الشاعر

اشيب ولم اقض الشباب حقوقه	ولم تقض من عهد الشباب قديم
ارتك وضحا في مفرق الرأس لمّا	فتستان مبيض به وبهيم
تقارب شيب في الشباب	وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وللمجنون الوطني في مثل هذا المعنى قوله

ما لله مطو ما باحسن من	شيب يحلل هامة الكهل
وكأنه فيها النجوم اذا	حلّ المشيب بها على مهل
لا تبكين على الشباب اذا	يبكي المجهول عليه للجهل
واشكر لشيبك حسن صحبته	فلقد كساك جلالة الفضل

ولآخر في مدح الشيب

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله	فالشيب حلم ووقار

القينات

جفا طرب الغواني وهو طريب	وأعقبه ذوب الشباب مشيب
تجافت عيون البيض عنه وربما	سددن اليه الوصل وهو حبيب
لعمري لنعم الصاحب الشيب ذا	وان كان منه للعيون نكوب
خليط نهى عن شباب بحلم وانه	على انه مكروه الخلاط مريب

ولآخر

وشكوت شيبي فقلت لها	ليس المشيب بناقص عمري
سيان شيبي والشباب اذا	ما كنت من عمري على قدر

ولآخر

ان اكن قد رأيت اسود كالفحم	واعيضت مثل لون النعامة
فلقد اسعف الكبير واخو	اهلا بالذي داني الظلامة
غير ان الشباب كان رداء	خلنا فيه كان غمامة

ولآخر

ان المشيب رداء الحلم والادب	كما الشباب رداء اللهو واللعب
تعجبت ان رأت شيبي فقلت لها	لا تعجبي من تطيل عمرها يشب

ولابن الجهم

هزئت من ان راع القناع ظلوم	ثم ولت ودمعها مسجوم
انكرت ما رأت براسي فقلت	اتشيب ام لؤلؤ منظوم
ذاك شيب ولعيب عيبا فاما	لم يسشنها المهموم
شدما انكرت نقض عهد	لم يدم لي ولا عليها يدوم

ولابي عثمان

تعجبت درّ من شيبي فقلت لها	لا تعجبي بطلوع البدر في السدف
وزادها عجبا ان رأت حلي	وما درت درّ ان الدر في الصدف

وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان في قوله

لعبت بشيبي بالمجلس الغضب	ذات ما كان من عجب الى عجب
ست وعشرون تدعوني فاتبعها	الى المشيب ولم تظلم ولم تحب

فلا

إنما تحسن الرياض إذا ما	ضحكت في خلالها الأنوار

قال سيدنا رضي الله عنه ولي في هذا المعنى من قصيدة

حرمت لو عطفت بالشيب ما	بلغ الشباب مدى الكمال تمونا
والشباب إن تكون فيه سود	لا بد يورده الفتى إن عمرا
يبيض بعد سواده والشعر الذي	إن لم يزره الشيب واراه الثرى

ومما قلته في الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما للمرتجز بن الطفيل الشيب والشباب فقلت

والشيب للحكماء من شعر الصبا	أولى يكون لها العصيل سقنع
والشيب غاية من تأخر حتفه	لا يستطيع دفاعه من يجزع
إن الشباب لكالة جسد	والشيب فيه في المحنة انفع
لا يبعد الله الشباب ومرحبا	بالشيب حين أوانه المرجع

ومثله لآخر

وكان الشباب الغض لي فيه لذة	فوترني عنه المشيب وادبا
سقيا ونعما للشباب الذي مضى	واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون المراد بقوله أجيب دعوة الداعي أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي دعوت من لا يسمع وقد يكون أيضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يريد أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي

دعوت الله حتى خفت أن لا	يكون الله يسمع ما أقول

أراد يجيب ما أقول وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله قريب من قرب المسافة بل أراد أني قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي أو بعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيها بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله

قال المرتضى رضي الله عنه

اذ ادعاني

ولم تخف عليه ويكون قوله أجيب على هذا تأكيدا للقرب فكأنه أراد أني قريب قربا شديدا وإنني بحيث لا تخفى علي أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله إني بحيث أسمع كلامك وأجيب نداك وما جرى هذا المجرى وقد قيل إن قوما سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية وثالثها أن يكون معنى الآية أني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال لأنه إن كان صلاحا فعل لا محالة وإن لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضا مجاب إلى دعائه ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون الإجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه قال إني أثيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئا فأعطاه صلاح فعله وأجابه وإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها أنه تعالى إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاؤه وإما أن يجاب بعوض عما سأل ويدعا فيمن أحسنا بالله تعالى لم تقوم الإجابة فكأنه مجاب على كل حال وهذا الجواب ضعيف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح له ومنفعة في الدنيا وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لأمر يرجع إليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع إلى ما فيه من الصلاح اللهم إلا أن تحمل الآية على من دعا بشرط بأن يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما تقدم ومعنى فليستجيبوا لي فليجيبوني ولفظة استجاب بمعنى أجاب قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى	فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي لم يجبه قال سيدنا أدام الله علوه وإذا كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل الشيب وتفضيل الشعر عنه والتسلي

الله عليه وآله وسلم

ويحري على هذا الشرط فهو مجاب على كل حاله

مقام

لأمر

قال المرتضى رضي الله عنه

من تولّى فنحن مشيّعوه بطرفٍ ممّا يليه في دبره والتأسّف والجزع منه

ذلك قول أبي حبتر التميمي

ترحّل بالشباب الشيبُ عنّا ۝ فليت الشيب كان هو الرحيلُ
وقد كان الشباب لنا خليلاً ۝ لقد قضّى مآربه الخليلُ
لعمرُ أبي الشباب لقد تولّى ۝ حميداً ما يُراد به بديلُ
إذ الأيام تضحكنا جميعاً ۝ وظلّ لذاكر الدنيا قليلُ

اذا مر

وقال الفرزدق

أرى الدهر أيام المشيب تعودُ ۝ علينا وأيام الشباب الذاهبةْ
كفى الشيب لذّاتٍ تقرّ به العين ۝ ومن قبل عيشٍ كان كلّ جادبةْ
لو أنّ لنا الشيب الشباب فإننا ۝ نستعتبه ما فالشيب لابدّ غالبهْ
فيا خير مهجورٍ ويا شرّ لازمٍ ۝ إذا الشيب وافى للشباب كأنما
ولكنّ شباباً بعد شيبٍ سراته ۝ مداها الدهر حتى يجمع الدهر ما
وما المرء مشغوفاً بحبّ شرابه ۝ إذا المرء يعظ نفسه وتجاربهْ

بسيبها مر

وأنشد إسحاق بن إبراهيم الموصلي

لعمري لئن حُلّئتُ عن منهل الصبا ۝ لقد كنت ورّاداً لمشربه العذبِ
ليالي أمشي بين بُردَيّ لاهياً ۝ أميس كغصن البانة الناعم الرطبِ
سلامٌ على سير القلاص مع الركب ۝ ووصل الغواني والمدامة والشربِ
سلام امرئٍ لم تبق منه بقيّةٌ ۝ سوى نظر العينين أو شهوة القلبِ

وللمنصور النميري

من محاسن الخلاص

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ ۝ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ
بان الشباب وفاتتني بشرّته ۝ صروف دهرٍ وأيامٌ لها خُدعُ
ما كنت أوفي شبابي كُنه عزّته ۝ حتى انقضى فإذا الدنيا له تبعُ

عزته مر

ولمحمد بن أبي حازم

عهد الشباب لقد أبقيت لي حسراً ۝ لا جدّد الله إلا حيلة نكلا
سقياً ورعياً لأيام الشباب وإن ۝ لم يبق منك له رسمٌ ولا طللُ

قوله جادبة أي عائبة أي لم يكن عيشاً فيتحمّل يتعلّق بالطلا ومنه قول الآخر وهو ذو الرمة
فيا لك من خدّ أسيل ومنطق ۝ رخيم ومن خلق تعلّل جادبه

جز

مرّ الزمان ذنوباً في تعاقبه ۝ وللزمان على إحسانه عللُ
وربما جرّ ذيال الصبا مرحاً ۝ وبين بُردَيه غصنٌ قائمٌ خضلُ
لا تكذبنّ فما الدنيا بأجمعها ۝ من الشباب بيومٍ واحدٍ بدلُ
كفاك بالشيب عيباً عند غانيةٍ ۝ وبالشباب شفيعاً أيها الرجلُ

ذنباً مر

أي الزمان على ما ترى احسان دهو ان يكون معناه لرمع احسانه علل

وقال أبو نواس

كان الشباب مطيّة الجهلِ ۝ ومحسّن الضحكات والهزلِ
كان الجميل إذا ارتديت به ۝ ومشيت أخطر صيّت النعلِ
كان البليغ إذا نطقت به ۝ وإذا أناخ الآن بالمهلِ
كان المشفّع في مآربه ۝ عند الحسان ومدرك التبلِ
والباعثي والناس قد رقدوا ۝ حتى أتيت خليفة البعلِ
والآمري حتى إذا عزمت ۝ نفسي أعان يديّ على الفعلِ
فالآن صرت إلى مقاربةٍ ۝ وحططت عن ظهر الصبا رحلي

نطقت مر

يدي بالفعل مر

قال رحمه الله وعلى هذا الكلام طلاوة وسجة من أعرابية لجرير ولكنا حسن يوم ميته

من نزد

الشيب كرهٌ وكرهٌ أن يفارقني ۝ أعجب بشيءٍ على البغضاء مودودِ
يمضي الشباب وقد يأتي له خلفٌ ۝ والشيب يذهب مفقوداً بمفقودِ

يحتمل ان يكون معناه مفقوداً بدل مفقود هو الشيب والاصح ان يكون معناه مفقوداً بلا خلف موجود ولكن خلفه هو العدم والفناء

وهذا البيت الأخير يعدّ لمسلم بن الوليد الأنصاري وممّا أحسن به

مسلم هذا المعنى

طرقت صروف الحادثات وربما ۝ أسلو إلى الطرف كلّ جميلِ
وما الشيب إلا شعرةٌ عن آيةٍ ۝ قليلٌ قذاء العين غير قليلِ

ولكنها

وله

أهلاً بوافدةٍ للشيب واحدةٍ ۝ وإن نأت بشخصٍ غير مودودِ
لا أجمع الحلم والصبا قد كنت ۝ نفسي إلى المار عن مثوى الصبا بدلِ
لو يبقي عمرٌ ساعاً ولا سندٌ ۝ لكن تموت وتفنى غير محمودِ
أو قد أراك الحكم قامت ما الملقا ۝ شأنيك وعفت الصبا من غير تعبيدِ

ولمحاسن دمشقي في قوله يصف الشيب

كأن لم أكن أدري بما فقد صار بالشيب لعينيها قذى

ولغيره أيضاً

رأت لمتي لما الشيب أغفلت لرسو ... ولم تر منه ألفا لحواجب

فقالت أشيب ما أرى قلت شيبتي ... فقالت لقد شابت عندك الحبائب

ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن حازم

الشيب عيباً بارح الفتى ... يصاب بعض الذي في يديه

فمن يبكي بابه لم موجع ... وبين شعر يجد له السرور

ونسله الشيب ينسخ الشباب ... فلفت نحو ربه خلق ملبسه

ولأبي دلف

وكل يوم أرى بيضاء طالعة ... كأنما طلعت في أسود البصر

لكن قصصت بالمقراض من شيبي ... لما تقصصت من همي ومن فكري

وليحيى بن خالد بن برمك ويروى لغيره البرمكي

ألا لم يشب ما لنا ما ركل رهاها ... وكأني بكثرة ما تدور رحاهما

يمر بأنفاسنا ونحن ... وأعمارنا عدّاً ونحن نراهما

فإن لبست أعدى الملتين بعد ... أولاهما وباخرت أخريهما

وقد أتى المحدثون المتأخرون أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعنى بكل غريب

فمن ذلك قول أبي تمام

غدا الهم مختطاً بفودي خطة ... طريق الردى منها إلى الموت مهيع

هو الزور يجتنى والمعاشر يجتوى ... وذو الإلف والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع

ونحن نرجيه على الكره والرضا ... وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وله

شعلة في المفارق استودعتني ... في صميم الفؤاد ثكلاً صميما

يستثير الفؤاد ما اكتن منها ... صعداً وهي تستثير الهموما

عن

غرة بهمة ألا إنما كنت ... أغر أيام كنّ بهيما

دقن بالحياة تدعى جلالاً ... مثل ما يُحنى اللديغ سليما

حلمتني زعمتم وأراني ... قبل هذا التحليم كنت حليما

وله

لعب الشيب بالمفارق بل جد ... فأبكى تماضراً ولعوبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد ... دماً أن رأت شواتي خضيبا

كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبا

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى ... حسناتي عند الحسان ذنوبا

ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكراً وعبن معيبا أو تصدعن عن قلى لكفى

بالشيب بيني وبينهن حسيبا

لو رأى الله أن في الشيب فضلاً ... جاورته الأبرار في الخلد شيبا

قال رحمه الله وجدت الآمدي يذكر أن قوماً ادعوا المناقضة على أبي تمام في هذه الأبيات لقوله فأبكى تماضراً ولعوبا وقوله خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد دماً أن رأت شواتي خضيبا وقوله أيضاً ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكراً وقوله يا نسيب الثغام البيت قالوا كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعبنه قال الآمدي وليس هذا تناقضاً لأنه إنما أبكى تماضراً ولعوبا أسفاً على شبابه والحسان اللواتي عبنه غيرهما من النساء فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن تأسف على شبابه فبكى كما

قال الأخطل

لما رأت بدل الشباب بكت له ... إن المشيب لبئس الإبدال

ولم تكن هذه حال من عابه قال المرتضى هذا مستقيم صحيح واضح قال المرتضى رحمه الله ولكن يحتاج في الاعتذار لأبي تمام إلى ما تكلفه الآمدي بل لا مناقضة بالكلية عنه على كل حال وإن كان من بكى شبابه وتلهف عليه من الحسان هن اللواتي أنكرن شيبه وعبنه فربما المنكر من ذلك وكيف يجب نفوا أن يبكي على شبابه ويزول شيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكراً فهذا ...

كَمْ أَبْكِي مِنَ الْمَشِيبِ وَتَجْزَعُ مِنْ حُلُولِهِ وَعِرَاقِ الشَّبَابِ لَا مِنْ زَادِهِ مُنْكِرَا

وَمَعْنَا هُ فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ

رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا	الْمُسْتَغِيثَاتِ	يَلْبَسْنَ نَأْيًا تَارَةً وَصُدُودَا
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ	٥	تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرْيَتَيْنِ عَمِيدَا
أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِيفِ بُغْيَةً	٥	عَنْهُمْ وَكُنَّ لَهُمْ عَبِيدَا
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا	٥	مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

قَوْلُهُ أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ مِنْ قَوْلِهِمْ أَرَبَّ بِالْمَكَانِ إِذَا لَزِمَهُ وَأَقَامَ عَلَيْهِ وَيُقَالُ أَرَبَّتِ السَّحَابَةُ إِذَا لَزِمَتْ مَكَانًا بِعَيْنِهِ وَيُرْوَى هُوَ بِالْمُرْدِ وَأَقَمْنَ عَلَيْهِ وَرَوَاهُ قَوْمٌ أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ مِنَ الرِّبَا الَّذِي هُوَ الزِّيَادَةُ يُقَالُ أَرْبَى الرَّجُلُ إِرْبَاءً فَيَقُولُ أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ أَيْ زِدْنَ عَلَيْهِمْ وَيَحْصُلُ لِلْمُرْدِ زِيَادَةٌ أَخَصُّ بِهَا عَلَيْهَا وَيُقَالُ إِنَّ أَحَدَ قَوْلِهِ أَحْلَى الرِّجَالِ الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِ الْأَعْشَى وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يُوَاصِلْنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ

وَقَدْ تَصِلُهُ وَلِمَنْصُورٍ النَّمَرِيِّ مِثْلُهُ

كَيْفَ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي كُونُهُ	٥	بِهِنَّ رَأَيْنَا الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَزْوَرَا

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي	٥	بِمَوْقِعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ		
وَكَذَاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ	٥	وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِيَ الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمِّرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ		
زَارَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ	٥	عُمِّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُوَّادِ

قَالَ نَأْتِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ لَمَّا لَمْ تَنَلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْأَخِيرِ أَنَّ الثُّغْرَةَ هِيَ الْفُرْجَةُ وَالثُّلْمَةُ تَكُونُ فِي الْبَيْتِ وَلِهَذَا يُسَمَّى كُلُّ بَلَدٍ جَاوَرَ عَدُوًّا ثَغْرًا كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَكْشُوفٌ لِلْعَدُوِّ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ مِنْ ثَغْرِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَبْدُو لَكَ مِنْ أَسْنَانِهِ وَأَوَّلُ مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الْكَلَامِ وَأَوَّلُ مَا يَسْقُطُ فَيُرَى مَثْلُومًا شَبَّهَ الثَّغْرَ الَّذِي هُوَ الْبَلَدُ بِهِ وَيُقَالُ

أَثْغَرَ الصَّبِيُّ إِذَا نَبَتَ ثَغْرُهُ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ الْفُرْجَةُ فِي مَوْضِعِ السِّنِّ ثُغْرَةً وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مُنْخَفِضٍ يُسَمَّى ثُغْرَةَ النَّحْرِ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ نَأْتِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ أَيْ دَخَلَ الشَّيْبُ الْهَمَّ وَدَخَلَ عَلَيَّ مِنْ جِهَتِهِ لِأَنَّ الْهَمَّ يُشَيِّبُ لَا مَحَالَةَ وَقَوْلُهُ لَمَّا لَمْ تَنَلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ أَرَادَ بِثُغْرَةِ الْمِيلَادِ الْوَقْتَ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَيْهِ فِيهِ الشَّيْبُ مِنْ عُمُرِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ السِّنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى حُلُولِهِ بِرَأْسِهِ فَجَعَلَ الثُّغْرَةَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَأَرَادَ أَنَّ الْمَشِيبَ حَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ جِهَةِ هُمُومِهِ وَأَحْزَانِهِ لَمَّا لَمْ يَبْلُغِ السِّنَّ الَّتِي تُوجِبُ حُلُولَهُ مِنْ حَيْثُ كَبِرَ وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ رَأَيْتُ الْآمِدِيَّ يَطْعَنُ عَلَى قَوْلِهِ عُمِّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُوَّادِ وَيَقُولُ لَا حَقِيقَةَ لِذَلِكَ وَلَا مَعْنَى لِأَنَّا مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا أَحَدًا عَادَهُ الْعُوَّادُ مِنَ الْمَشِيبِ لِأَنَّ أَهْلَ الرِّيبَةِ الشَّيْبُ وَلَا تَعْرُفُهُ الْمَعْرُوفُ عَنِ الشَّبَابِ وَهَذَا مِنَ الْآمِدِيِّ قِلَّةُ تَصَفُّحٍ فِي نَقْدِ الشِّعْرِ وَضَعْفُ بَصِيرَةٍ بِدَقِيقِ مَعَانِيهِ الَّتِي يَغُوصُ عَلَيْهَا حُذَّاقُ الشُّعَرَاءِ وَلَمْ يُرِدْ أَبُو تَمَّامٍ بِقَوْلِهِ عُمِّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُوَّادِ الْعِيَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي تَغْشَى فِيهَا الْعُوَّادُ مَجَالِسَ الْمَرْضَى وَذَوِي الْأَوْجَاعِ وَإِنَّمَا هَذَا اسْتِعَارَةٌ وَتَشْبِيهٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى الْغَرَضِ خَفِيَّةٌ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ شَخْصَ الشَّيْبِ نَاكِبُ الْمُتَوَجِّعُونَ لِي وَالْمُتَأَسِّفُونَ عَلَى شَبَابِي وَالْمُتَعَجِّبُونَ عَلَى مَنْ سَعَى فَكَأَنَّهُمْ بِمَجْلِسِي عُوَّادٌ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَائِدِ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَتَوَجَّعَ وَيَتَفَجَّعَ وَكَنَّى بِقَوْلِهِ عُمِّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُوَّادِ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَتَفَجَّعُ لِي وَيَتَوَجَّعُ مِنْ مَشِيبِي وَهَذَا مِنْ أَبِي تَمَّامٍ كَلَامٌ فِي نِهَايَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْحُسْنِ وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا مَنْ عَابَهُ وَطَعَنَ عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ فِي الْمَجْلِسِ الْآتِي بِمَشِيئَةِ اللهِ مَا لِلْبُحْتُرِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

مجلس آخر ٣٦ تأويل آية

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ فَقَالَ إِذَا كَانَ الشَّجَرُ لَيْسَ بِبَعْضِ الْمَاءِ كَمَا أَنَّ الشَّرَابَ بَعْضُهُ فَكَيْفَ جَازَ أَنْ يَقُولَ وَمِنْهُ شَجَرٌ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْهُ شَرَابٌ وَمَا مَعْنَى تُسِيمُونَ وَمَا الْفَائِدَةُ فِي هَذِهِ الْعِظَةِ وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ الْجَوَابُ قُلْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ وَمِنْهُ سَقْيُ شَجَرٍ وَشُرْبُ شَجَرٍ فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ

ينعكس الشيب عرا

آذيتن لزمن

يقال أرب وألب بالمكان عرا

وأقمن عليهم ويروى قوم عرا

من النساء مواقعا

الأمرد أم

يبعض الماء عرا

ممّا قاربه مقاربة وذلك كثير في لغة العرب ويشكل قوله تعالى وأمثر بها
في قولهم العجل أي العمل بالوجه الآخر أن يكون المراد ومن جملة المأكولة
ومن شعبة وأشار بحجر لهذا الأول وخلعه الثاني كما قال كعب بن الخروع

أمن آل سلمى عرفت الديارا … بجنب الشقيق خلاء قفارا

أراد من ناحية آل سلمى وقال زهير

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم … بحومانة الدراج فالمتثلم

أراد من ناحية أم أوفى وقال أبو ذؤيب الهذلي

أمنك البرق أرقبه فهاجا … فبت إخاله دهما خلاجا
أمنك برق أبيت الليل أرقبه … كأنه في عراض الشام مصباح

وقال الجعدي

لمن الديار تحول بالمطال … عفت على حجج خلون طوال

أراد عفت على مر حجج وتكرار حجج فأما قوله تعالى فيه تسيمون فمعناه ترعون أنعامكم يقال أسام الإبل يسيمها إسامة إذا رعاها وأطلقها ترعى متى شاءت حيث شاءت وسومتها أيضا تسويما من ذلك وسامت هي إذا رعت فهي سائمة ويقال سمتها إذا قصدتها على بعض سبيلها وسمتها الخسف إذا تركتها على مرعى وبيل ... فاهتضمتها ويسيم الخسف ويسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد في الإسار ...

... في الرعي

راعيا كان مسجحا ففقدناه … وفقد المسيم هلك السوام

وقال آخر

وأسكن ما سكنت بطون فلج … وأظعن إن ظعنت فلا أسيم

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يعرض من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على أن الإبل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تخسر وتضر

الراعي

وقال أيضا ... (حاشية)

المجسنا يقال مكث فنجح السجح ... لصورة المستقيم ووجه أسجح أي مستقيم قال ووجه كمرآة الغريبة أسجح

الراعي وتمشي على أماكنها مفاسدها وحمله آخرون على أن السوم في البيع مكروه قبل طلوع الشمس في البيع مكروه لأن السلعة المبيعة تستبين عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها فأما الخيل المسومة فقد قيل إنها المعلمة بعلامات مأخوذ من السيما وهي العلامة وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى والخيل المسومة قال سوم نواصيها وأذنابها بالصوف وقيل أيضا إن المسومة هي المطهمة الحسان وقال آخرون بل هي الراعية ويروى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع إلى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتتميز لمكانها وقد قيل إن السوم من الرعي يرجع إلى هذا المعنى أيضا لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات يتميز بها من غيرها وتتميز من آثارها وكان الأصل في الكل متفق غير مختلف فقال لبيد في التسويم الذي هو التعليم

وغداة قاع القريتين أتينهم … رهوا يلوح خلالها التسويم

أراد التعليم فأما قوله تعالى في الملائكة مسومين فالمراد معلمين وكذلك قوله تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة أي معلمة وقيل إنه كان عليها كأمثال الخواتيم قال رحمه الله ونعود إلى ما كنا فيه وقد مضى من ذكرنا للحض على ذم الشيب كما أتى من مدح الشباب في ذلك قوله

وكنت أعير في الشباب شغافه … فكيف لباغي حاجة بي بعده
تشيبت لكن الترعي تجملي … تحمل أوضاق صدرا بعده
تلاحق حتى كاد يأتي بطيئه … لحث الليالي قبل أي يريده

وما أحسن هذا من كلام وأقل ما يعثر وقال أيضا

تهدي على الصبا كنت فاعلم … إن الصبا لخير من شأني كله
وحاورت حد الشباب الغض ملتفتا … إلى شباب الصبا يركض في
والشيب يهرب من جانبه … كأنما أنا من ذلك الهرب
والله لو كانت النفوس ليرد … ما هانت عليه صروف الدهر والصحب

هي الحسان وروي عن مجاهد في قوله تعالى والخيل المسومة المطهمة الحسان التام الخلق ... أو كالعلامات

القرنتان موضع معروف ...

قال المرتضى رضي الله عنه ...

من كرم ...

وَمَنْ يَطَّلِعْ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ ۞ يُحَيِّي مِنَ الشَّيْبِ شَخْصاً غَرِيبا

قال رحمه الله ولي في هذا المعنى زيادة

قُلْ لِمَا أَتَى تَعَطَّشَ مِنَ الشَّيْبِ ۞ جَانِبَيَّ فَأَقْبَلَ عَلَى عُهُودِي
كُنْتُ بَارِقاً تَحْرُسُ نَهْشاً ۞ لِي حَوَاشِي بَعْضِ اللَّيَالِي السُّودِ
أَيْنَ مَنْ تَجِدُ مِنْ سَوَادٍ ۞ كَانَ قِدْماً لَا مَرْحَباً بِالْجَدِيدِ
يَا لَحَاكِمٍ مَنْ رَمَاكُمْ بِالْحُسْنِ ۞ لِيُقْهِرَنَا بِغَيْرِ جُنُودِ
لَيْسَ يَغْضِبُنِي فَاحْزَنْ عَلَيْهِنَّ صُدُوداً وَلَيْسَ يُشْكِيَنَّ سُودِي
قَلَّمَا يَرْكُنُ مِنْ شَعَرَاتٍ ۞ كُنَّ يَوْماً عَلَى الوَقَارِ شُهُودِي

وقال البحتري أيضاً

خَلِّيَا وَجْهَةَ اللَّهْوِ مَا دَامَ بِرْدُ الشَّبَابِ غَضّاً جَدِيدَا
إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ البِيضِ بِيضٌ ۞ مَا رَأَيْنَ المَفَارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ لِلَابِسِيهِ وَبَيَّضَا ۞ وَنَضَا مِنَ السِّتِّينَ عَنْهُ مَا نَضَا
وَشَبَابُهُ أَعْيَتْهُ نَصْرَتُهُ بِخَطِيرٍ ۞ مَرَضٌ أَحَلَّ بِهِ القُلُوبَ وَأَمْرَضَا
فَكَأَنَّ وَجْهَ الصِّبَا وَجَدِيدَهُ ۞ شَيْءٌ دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يَنْقَضِي
أَسْوَانُ أَتْرَفَهُ جَوًى وَصَبَابَةٌ ۞ وَأَسَافَ مِنْ وَصْلِ الحِسَانِ فَأَنْفَضَا

وقال أيضاً

هَلْ أَنْتَ مُبَارِقُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَّسَتْ ۞ فِي الوَقْتِ أَوْ عَجِلَتْ عَنِ المِيعَادِ
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِعٍ ۞ هَذِي بِنَا وَهِيَ وَدْكَ غَادِ
وَمَا هُوَ العَشِيَّةَ تَاجُ فِي لِمَّةٍ ۞ تُثْرِي عَلَيْكَ سَنَاهَا بِسَوَادِ
لَا تُكَذِّبَنَّ فَمَا الصِّبَا بِمُخَلِّفٍ ۞ لَهْواً وَلَا زَمَنُ الصِّبَا بِمُعَادِ
وَإِذَا مَا الشَّبَابُ عَلَى مَضَاءِ حُسْنِهِ ۞ وَجَمَالِهِ عَدَداً مِنَ الأَعْدَادِ

وقال أيضاً

أَبَقِيَ الشَّبَابُ أَمْ سَاتَوَلَّى ۞ مِنْهُ فِي الدَّهْرِ وَلَمْ مَا نَعُودُ
لَا أَرَى العَيْشَ وَالْمَفَارِقَ بِيضٌ ۞ أُسْوَةَ العَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ

وقال أيضاً

لَا أَرَى مِنْ شَيْبَةٍ أَهْرَبُ ۞ وَيُبْلِغُ مِنْ شَيْبٍ آمِنٍ نَاصِحِي
وَإِذَا مَا اسْتَعْصَيْتُ مِنْ وَالِجٍ ۞ بِأَبِي عَوْنِ مِنْ ذَاكَ اسْتِعَاضَتِي
لَئِنْ يَوْمِي عَنِ الزَّمَانِ مُرَوَّعَةُ الأَعْيُنِ عَقْلَاءُ كَعَاسٍ وَالبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي
فَإِنْ هَا الغَضِّ شَيْبًا شُبُهَاتُ المَوَامِي
يَا كُرَةَ المُنَى يَا كُرَةَ مِنْهَا ۞ سُوءٌ مِنْهَا الأَبْدَالُ وَالأَحْوَالُ
شَعَرَاتٌ أَقْصِيهِنَّ [illegible] ۞ رُجُوعَ السِّهَامِ فِي الأَغْرَاضِ
وَأَبَتْ تَرْكِيَ الغُدَيَّاتِ وَالآصَالَ حَتَّى خُضِبْتُ بِالمِقْرَاضِ
غَيْرُ بِدْعٍ إِذَا تَنَقَّلَ مِنْ شَخْصٍ ۞ [illegible]
وَيُرَاهُ المَشِيبُ كَالمَحْصِ فِي شَيْبٍ ۞ نَقْلُ مِنْهُ فِي الغُصُونِ المَوَاضِي
لَيْتَ نَفْسًا عَنِ السَّوَادِ [illegible] ۞ سُوءٌ مِنْ مَشِيعٍ بُرْدِ الفَضْفَاضِ
فَمَا المَحَارِبَاتُ يَا ابْنَ عَوْفٍ ۞ بَاكِيًا وَلَكِنَّ هَذَا البَيَاضِ

وله أيضاً

تَعِيبُ الغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي ۞ وَمَنْ لِي أَنْ أُمَتَّعَ بِالمَعِيبِ
وَوَعْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى ۞ حَمِيدًا دُونَ وَعْدِي بِالمَشِيبِ

وقال أيضاً

أَبَانَهُ مِنْ بَعْدِ حَبْلٍ فَاحِمٍ ۞ خَوْنُ المَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيبَا
فَعَجِبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ مِنْهُمَا ۞ مُتَّرِبًا اللَّوْنَانِ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيبَا
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ ۞ سَنَّ المَكْرُوبَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبَا

وقال أيضاً

بَانَتْ فَلَتَاتُ الشَّيْبِ فَاجْتَمَعَتْ لَهَا ۞ وَفَاتُ نُجُومٍ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعُدٍ
أَهَابَكَ بِي مَا كَانَ الشَّبَابُ يُغْرِي بِي ۞ إِلَيْكَ فَأَيُّ الشَّبَابِ كَانَ [illegible]

وقال أيضاً

عَبَثٌ كَيْدِي قَسْوَةٌ مِنْكَ مَا إِنْ تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا ذُنُوبَا
وَجَعَلْتَ عِنْدَكَ ذَنْبَ الشَّيْبِ ۞ حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ المَشِيبَا

وَرَوَى وَجَعَلْتَ عِنْدَكَ ذَنْبَ الصَّحِيفِ وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ

وص

وأمدّ الشيء حتّى لو أعطى | عنتا حتّى يقال سعيد

من مدّة العيش فانصرفت عنه ابتغاء الرواء المحدود

وقال أيضا

فذلك منّي فاحويها السقيم إلّا | في ضلوع على حويها الحبّ تحني

لو بدت حاذت الخضاب لكنت | كوارث من احمرار البرنا

كلّما ابيضّ بالمغير فدنا | حين تكلّفن والمعصفرينا

حسنا عنّ بالغوير المسمّى | من شباب يعدّ الكبير المكنّى

يعني أنّ هذا بالعكس

أي يسمّى ولا يكنّى — الجليل

وقال أيضا

أعجبا أنّ الصبا استمرّ به | شيب الليالي فأتهمت نزوده

تصدّ عنّا الحسان مبعدة | إذا تلا الأقور قاصده

شيب على المفرقين باديه | يكبر بي أن أبيض أسوده

تطلب ودّي الشباب ظالمة | تعيد خمسين حين لا تجده

لا عجبا إن ملكت حلّتنا | فانعقدا الوصل منه منعقده

من يتطاول على تطاول العمر | تقعقع من سلكه عمده

قال رحمه الله وذكر الآمدي قد أخطأ في معنى هذا البيت الأخير ثم قال معنى تقعقع من سلكه عمده أي عظامه يحني لها صوت إذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله من سلكه أي من ملّ العيش يريد لو لم يرد وأ... تصفه ثعلب حسبك والأمر بخلاف ما توهّمه ومعنى تقعقع من سلكه عمده أي من تطاول عمره تعجّل ترحّله وانتقاله من الدنيا فكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من تجمّع تقعقع عمده يريدون أنّ التجمّع مأتى التفرّق وأنّ الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الافتراق أي تقعقع بغير العمد والآمدي على كثرة ما يدّعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فمعذور وإن كان قد سمعه وجهل أنّ معنى بيت البحتري يطابقه فهو أعذر فلمّا لم يعلمه ظنّ أنّما أراد به من مثل ومثله ثقله من الملل وكيف يكون

الرياء بالمدّ ... الحبّة

لم يكن إلّا كالأولاد دون الأحداث والأحداث يمرّون

قال المرتضى رضي الله عنه

من ملّ العيش ولم يسمع في تملّكت سلك وهذا خطأ على خطائه

وقال البحتري

أما كان شوقي بدعا يوم ذاكم | دموعي أوّل دمع في الهوى سفحا

فما أنس لا أنس عهدا للشباب | وعلوة إذ عيّرتني الكبرا

كواكب شيب علقن الصبا | فقلّلن من حسنه ما كثرا

وإن يحصلت فلا تكذبن | سواد الهوى في بياض الشعر

وكان لا بدّ من ترك إحداهما | إمّا الشباب وإمّا العمر

قال الآمدي وغلط في قوله وكان لا بدّ من ترك إحدى اثنين مفارقته وهو أن يقال لمن مات شابّا فقد فارق الشباب وفارق العمر أيضا فهو تارك لهما معا ومن شاب ثمّ مات مفارق العمر لا محالة فهو أيضا تارك لهما جميعا وقوله إمّا وإمّا لا يوجب إلّا أحدهما قال فالعذر للبحتري أن يقال لمن مات شابّا فقد فارق الشباب وحده وفارق العمر أيضا فهو تارك لهما معا ومن شاب فارق الشباب وحده لأنّه لم يمت فيكون مفارقا للعمر ألا ترى أنّهم يقولون عمّر فلان إذا أسنّ وفلان لم يعمّر إذا مات شابّا ومن شاب وعمّر ثمّ مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لأنّه قد قطع أيّام الشباب وتقدّمت مفارقته له وإنّما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده فالحمد هذا مذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدّة القصيرة التي يعمّرها الإنسان

وإنّما أراد بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب | تمته ومن تخطئ يعمّر فيهرم

قال رحمه الله فيا بالبيت شدّتنا أنّا في تخطئتهما تعجرفة يتكلّم عليهما من يتعجّب هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهّمه وهو أظهر من أن يحتاج في بيانه إلى هذا التغلغل والتعسّف وإنّما أراد البحتري أنّ الإنسان بين حالين إمّا أن يفارق الشباب بالشيب وإمّا أن يفارق العمر بالموت فمن مات شابّا وإن كان قد خرج من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فإنّه لم يفارق الشباب وحده وإنّما فارق العمر الذي فارق

فقد فارق الشباب

في نسخة قديمة مصحّحة على الشارح ... الشباب ... هكذا ... الشباب وحده لأنّه لم ... فيكون هو الصواب

بمعاشرة الشباب وعصره وقيمة الرجل تأولت أحد الأمرين إما
بمفارقة الشباب وبعده بلا واسطة ولن يكون ذلك إلا بالشيب أو بمفارقة
العمر بالموت وتلخيص الكلام أنه لا بد للحي من شباب أو موت وكأن الشيب والموت
مقترنان كالمجريين إنما جعل قوله العمر مقام الحياة والبقاء وإنما قال
العمر الفانية مع أنه يبقى من بعده ولو قال ولا بد من ترك الشباب أو ترك
الحياة لقام مقام قوله العمر أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن
محمد الكاتب قال حدثني أحمد بن عبيد الله قال [illegible] ابن الرومي التي فيها قوله
[illegible] من جعل [illegible] لم [illegible] وعاب من تعلل بالتأسي بما أنا

قلت وهو من جنس شعر [illegible]

يا شبابي وأين مني شبابي	٥	آذنتني أيامه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي	٥	تحت أفنانه اللدان الرطاب
ومعزٍّ عن الشباب مؤسٍّ	٥	بمشيب اللدات والأصحاب
قلت لما انتحى يعد أساه	٥	من مصاب شبابهم كمصابي
ليس يأسو كلوم غيري كلومي	٥	ما به ما به وما بي ما بي

قال ابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة	٥	تشفي شجا إن تلهفتها
تمتعا فيما أهلنا بها	٥	أبيح من بيضي كشفتها
وقد نعتني شباب معي	٥	وعدة للعيش أسلفتها
فكرت في حسنى [illegible]	٥	كانت أماني خلفتها
أجهلها إذ هي موفورة	٥	ثم تعرفت متى عرفتها
فصرت للموهوب أهدمتها	٥	ثم حز المسلوب ألحقتها
لو أن عمري مائة هدها	٥	تذكري أني تنصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن

[illegible]

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا	٥	لمن قد أضلته المنايا لياليا

أمن بعد إبدال المشيب مقاتلي	٥	لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه	٥	لشخصي أخلق أن يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى	٥	فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ليس لك من الأمر
شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فقال كيف جاءت أو يعذبهم والأنحو
أن يعطف عليه وما المناسب لقوله أو يتوب عليهم ولكن في الكلام ما يقتضي
نسقه **الجواب** قلنا قد ذكر في ذلك وجوه أولها أن يكون قوله أو يتوب عطفا
على قوله ليقطع طرفا من الذين والمعنى أنه تعالى جعل لكم هذا النصر وينصركم
ليقطع طرفا من الذين كفروا أي يقطع قطعة منهم وطائفة من جميعهم أو
يكبتهم أي يخذلهم ويهزمهم ويخيب سعيهم ويكذب ظنونهم أو يتوب عليهم
بأن يرى ما ترادف من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج
وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم
في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء معطوفا على
قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم أي ليس لك ولا لغيرك من
هذا النصر شيء وإنما هو من الله عز وجل والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى
حتى وإلا فكأنه قال ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم
كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه	٥	وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما	٥	نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أراد إلا أن نموت وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول
إن أمر الخلق ليس إلى أحد سواه تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد
ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم
حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء ويمكن أن ينصر ذلك
بأن يقال قد يصح الكلام إذا حمل على المعنى فذلك أن قوله ليس لك

من الأمر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما
تريده من استئصالهم وتعذيبهم على أهله بالوراثة وفي معنى الأثر وسبب
نزولها الإثابة ليقطع الله لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير
الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك وإنما يكون ذلك
بالله تعالى والجواب الثاني أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء ومن أن يتوب
عليهم فاستثنى من اكتفائه بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائها
لها تجيء مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك
من الأمر شيء ومن توبتهم ومن عذابهم قال الشريف رضي الله عنه ووجدت أبا بكر
محمد بن القاسم الأنباري يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لأن الفعل لا يكون
معطوفا على الاسم الجامد الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لأنه
ليس من كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن قيام
لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه الأفعال ثم قال وهذا إذن
إنما يستقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب
أبوك على معنى كرهت غضبك وأن يغضب أبوك فمطرد هذا في المصادر لأنها
تتأول بأن والفعل فتقول العرب يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم
قال والاسم الجامد لا يمكن هذا فيه قال الشريف رحمه الله وليس الذي ذكره
ابن الأنباري مستبعدا لأنه لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر وليس
بضعيف وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازه لأنه إنما أجاز ذلك
في المصادر وإن لم يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الأمر شيء قد دل
على الفعل لأن الأمر مصدر أمرت أمرا فكأنه تعالى قال ليس لك من أن
آمرهم أو تأمرهم شيء وليس لك أن يتوبوا فجرى ذلك مجرى قولهم كرهت
غضبك وأن يغضب أبوك في رد الفعل على المصدر والوجه الأول أقوى
الوجوه والله أعلم بما أراد. مجلس آخر تأويل خبر إن سأل
سائل عن معنى الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال
لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب

المرتضى

ومن أن يتوب مرـ

برادوه مرـ الحديث الذي رواه أبو هريرة م

قيل له أما التناجش فهو المدح والإطراء قال أبو عبيدة يقال ... بذكر الحمد ويرجي
أن لا من يشتريها ويقال كرمها فعند التناجش أي عند مدحها وتفسير التناجش في البيع
وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير إرادة لشرائها ليغتر بذلك غيره
غيره وأصل النجش استخراج الشيء والكشف عنه قال بعض الفقعسيين

أجرش لها يا ابن أبي كباش ٭ فما لها الليلة من إنفاش
غير السرى وسائق نجاش ٭ أسمر مثل الحية الخشخاش

فالنجاش المستثير لسيرها المخرج لما عندها منه ومعنى أجرش لها أي أحدها
لتجمع الحداء بكسره وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى الإنفاش أن لا
يكون لا تترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الإبل ليلا ونفشتها إذا أرسلتها بالليل
ترعى والنجاش الخفيف الحركة السريع التقلب والنجش في البيوع يرجع معناه
إلى هذا أيضا لأن الناجش يثير بزيادته في الثمن ويمدح للسلعة الزيادة في
ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أي لا يمدح أحدكم السلعة ويزيد
في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيد ويحتمل أيضا أن يريد بذلك
لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليجتلب منفعته ويستثير بالمدح نائلته
وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده لأن قوله ولا تدابروا أشد مطابقة لهذا المعنى
لا تدابروا أي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبره ويعرض عنه قال الشاعر

وأوصى أبو قيس بأن تتواصلوا ٭ وأوصى أبوكم ويحكم أن تدابروا

فكأنه قال لا تمدحوا المدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتقاطعوا
فأما قوله صلى الله عليه وآله كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه
فقد ذهب قوم إلى أن عرض الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته ومن جرى
مجراهم وذهب ابن قتيبة إلى أن عرض الرجل نفسه واحتج بحديث النبي صلى
حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو عرق يجري من أعراضهم
مثل المسك الأذفر أي من أبدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من
عرضك ليوم فقرك أي من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به
ودع ذلك قرضا لك عليهم ليوم الجزاء والقصاص واحتج أيضا بحديث

ثبات مرـ

بل يغتر بزيادته في الزيادة

رواه ابن السكيت أبو عمرو وذكره عليه

مثل الحية الخشاش رويناها

ليلا م

دبره ويعرض مرـ

وتتواصلوا م

وسلم م

الله عليه وآله م

أراد م

وقد ردّ على ابن قتيبة قوله هذا وطعن على ما احتجّ به فقال في الحديث المروي
عنه عليه السلام في صفة أهل الجنة أن المراد بالأعراض مغابن الجسد وحكي عن
الأموي أنه قال الأعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الآباط وغيرها
وقال في حديث أبي الدرداء لو معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجاره لتكون
الله تعالى هو المنتقم لك وقال قوم في قول ابن مضمضم معناه أنه أحلّ من
أوصل إليه مكروهاً بذكر آبائه فلم يحلّ إلا من أبيه وقال في قول حسان
المراد بعرضه أيضاً أسلافه كأنه قال فإن أبي ووالده وجميع أسلافي والذين أنتج
وادّم من جهتهم وقاء لعرضه وكأنّه أتى بالعموم بعد الخصوص كما قال
تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم فأتى بالعموم بعد
الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئاً وتأويل يقرب
من تأويل غيره من متقدّم لأنّ من آذى رجلاً بسبّه في نفسه أو سبّ سلفه
وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن إذا تحلّله بعد موته الإحلال من
ذلك لأنّ الأذى لم يحلّ عليهم في ذلك ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله
على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إليهم لا يصحّ على أنّ في الإحلال
من الضرر وسقوط العوض المستحقّ عليه وهل يسقط بإسقاط مستحقّه
أو لا كلاماً ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلّم لابن قتيبة
أن المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف لم
يُردّ ذلك في بيت حسان خاصة فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم
يقدح فيما ذكرناه لأنّا لم نقل إن العرض مقصور على سلف الإنسان
بل ذكرنا أنه موضع الذم والمدح من الإنسان ولا فرق بين نفسه وسلفه
فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وإنما ينفع
ابن قتيبة أن يأتي بما يدلّ على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون
السلف وكلّ شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد فيه السلف
فهو تأكيد لقولنا وأن هذه اللفظة مستعملة في موضع المدح والذم من
الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما يجري مجراه مما يدلّ على أن استعمال

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج
من منزله يقول اللهم إني قد تصدّقت بعرضي على عبادك وقالت قد تصدّقت
بنفسي وأحللت من نغتابني فلو كان العرض الأسلاف ما جاز أن يحلّ من
سبّ الموتى لأن ذلك إليهم لا إليه قال ويدلّ على ذلك أيضاً حديث سفيان
بن عيينة لو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تورّع من بعد فجاء
إلى ورثته بعد موته فأحلّوه لم يكن كفّارة لم ذكر وأصاب من ماله
شيئاً ثم ردّه على ورثته لكانوا يرون أن ذلك كفّارة قال ويدلّ على

	أن عرض الرجل نفسه قول

هجوت محمداً فأجبت عنه	٥	وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي	٥	لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولست له بكفءٍ	٥	فشرّكما لخيركما الفداء

أراد فإن أبي وجدّي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وآله وقال
آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الإنسان فإذا قيل
ذكر فلان عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع أو يسقط بذكره ويمدح أو يذمّ
به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه
لأن كلّ ذلك مما يمدح به ويذمّ والذي يدلّ على أن أهل اللغة لا يقصرون
في قولهم شتم فلان عرض فلان على أن يكون ذكره في نفسه بقبيح الأفعال
أو شتم سلفه وآباءه ويدلّ عليه قول مسكين الدارمي

ربّ مهزول سمين عرضه	٥	وسمين الجسم مهزول الحسب

لو كان العرض نفس الإنسان لكان الكلام متناقضاً لأن السمن والهزال
يرجعان إلى شيء واحد كأنما أراد ربّ مهزول كريم الآباء

	وأسلافه وقال ابن عبدل الأسدي

وإني لأستغني فما أبطر الغنى	٥	وأبذل معروفي لمن يبتغي قرضي
وأعسر أحياناً فتشتدّ عسرتي	٥	فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

فما يليق بذلك إلا ما ذكرناه قال ووجدنا أبا بكر ابن الأنباري

قال المرتضى رضي الله عنه وقال

لقطري العروض والتلف حمزة على ابن قتيبة لأنه فسر معناه على النفس والذات دون التلف وهذا واضح بيّن بحمد الله اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسين بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم الناس ذلك فانشد لي

لعمران بن حطان من الخوارج

أنكرت بعدك من قد كنت اعرفه … ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

اما شكون ذقت كاسا دارا وقتها … على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكنت اكبك حينا ثم قد بليت … نفسي فما رد عني صبحها باس

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو دريد قال حدثنا الاشناندانى قال قال التوزي كنا اذا اردنا ان ننشط ابا عبيدة سألناه عن اخبار الخوارج فاتيته يوما وهو مطرق ينكت في الارض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت عليه فلم يرد علي فتمثلت

وما للمرء خير في حياة … اذا ما عد من سقط المتاع

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الي وقال ويحك اتدري من يقوله فقلت قطري فقال اسكت فض الله فاك هلا قلت امير المؤمنين ابو نعامة ثم التفت فقال اكتبها على بابويه فقلت هي ابنة الارض فانشد لي

أقول لها اذا جاشت حياء … من الابطال ويحك لن تراعي

وقد طارت شعاعا … ل

فانك لو طلبت حياة يوم … على الاجل الذي لك لم تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا … فما نيل الخلود بمستطاع

وما طول الحياة بثوب مجد … فيطوى عن اخي الخنع اليراع

سبيل الموت منهج كل حي … وداعيه لاهل الارض داعي

ومن لم يعتبط يسأم ويهرم … وتسلمه المنون الى انقطاع

وما للمرء خير في حياة … اذا ما عد من سقط المتاع

فكتبتها وقت لانصرف فقال لا تعجل فانشد

الى كم تغارتني السيوف ولا ارى … تغاريها تدعو الي حماميا

أفارقهم من دار الخلود ولا أرى … بقاء على حال لمن ليس باقيا

ولو قربوا الموت الزؤام لقد أتى … لموعده ان يدنو الطول وانيا

أغادر جلاد المعلمين كانني … على العسل المادي اصبح غاديا

وادعو الكماة للنزال اذا القنا … تحطم فيما بيننا من طعانيا

ولست ارى نفسا تموت وان دنت … من الموت حتى يبعث الله ناعيا

قال ابن دريد فهذا الشعر اضنا لقطري بن الفجاءة اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب [illegible] قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال جئنا ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال لي ما لك حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت له ما معي غيره فانشدني لابي بلال حمار

يا رب ظل جمار قد وقفت به … يهمهم من الشمس والابطال تجتلد

ورب يوم حمار ارهبت عفرة … خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد

ويوم هول لاهل الحفظ طال به … لهوي اصطلاء الوغى اذ ناره تقد

مستهلك خوفه والحرب كاشفة … عنها القناع وبحر الموت يطرد

وشغلها جرة على رواحلها … بحر تهاليلها بالغارة تجتهد

تحاسب الخيس الافراج آسية … كأنها اسد تنقادها اسد

فان امت حتف انفي لا امت كمدا … على الطعان وقصف العاجز الكمد

ولم اقل لم اساق الفضل شاربه … بكأسه والمنايا شرع ورد

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به انفسكم من اشعار المخابث والشعر لقطري بن الفجاءة واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يانس بي في ادب ما اختلفت اليه ويسيكني من خوارج سجستان لانه كان يطعن على دينهم وكنا نوهمه انا على رأيهم منه لذلك عناية خاصة وكان كثيرا ما ينشدني اشعارهم ثم ينشدني

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا … وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

قال وانشدني ايضا لرجل من حي من الخوارج

لا كابن سلمان من شار لدى لقية … او كابن علقمة المستشهد الشاري

من صارفٍ كنتُ الحبيبة حالتي	٥	فتاع بارب بأعلى مستقر الدار
إخوانه سلّموا رحمتهم وتجدّدهم	٥	أشكو إلى الله (إلى الدنيا) إخواني وأحبار
نضرت مناصب ما لست ما لكما	٥	ورضا برضا صاحب جنات وأنهار

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال
ما الكيد التي أشار بها اليهود إلى الله تعالى فادعوا أنها مغلولة فصار من حالها
من اليهود ولا غيرهم من يزعم أن لربنا يدًا مغلولة واليهود تشبه من أن
يكون فيها فأول ذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلّ أيديهم وهو تعالى ممن
لا يصح أن يدعو على غيره لأنه قادر على أن يفعل ما يشاء وإنما يدعو الداعي
بما لا يتمكن من فعله فكيف لم الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود
وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فيقولون بأن فلان مقبضة
عن كذا ويده لا تنبسط إلى كذا إذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد
لذلك قوله تعالى في موضع آخر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير
ونحن أغنياء ثم قال تعالى مكذبًا لهم بل يداه مبسوطتان أي أنه لا يعجزه شيء
وثنى اليدين تأكيدًا للأمر وتفخيمًا له ولأن ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول
بل يده مبسوطة ويمكن أن اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤوا فضله
ورزقه وقيل إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء إن إله محمد الذي أرسله يداه إلى
عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله تعالى قولهم وأكذبهم
بقوله بل يداه مبسوطتان واليد هنا النعمة والفضل وذلك معروف في
اللغة ظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد له من الكتاب قوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط والمعنى لذلك إلا النهي عن
إمساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الإسراف إلى القصد والتوسط
ويمكن أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم
الآخرة لأن الكل وإن كانت نعم الله تعالى من حيث اختص كل واحد من الأمرين
بصفة تخالف صفة الآخر صار كأنهما جنسان أو قبيلان ويمكن أيضًا

يكون

وهو تعالى لا يصح م ر ل

يجري ذلك مجرى أن يقولوا إن يده
مغلولة لأن من عادة الناس جارية
بأن يعبروا بهذه العبارة عن هذا
المعنى أن قد م
شيء م
وتفخيما أو لأن ذلك أبلغ م ل

يكون تثنية النعمة أريد بها النعم الظاهرة والباطنة ولما قوله تعالى غلت
أيديهم ففيه وجوه أولها أن يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الإخبار
منه تعالى عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير قد قبل قوله غلت أيديهم
وموضع قد نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال
ما غلّ الله أيديهم ولعنهم وحكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ في قوله
تعالى إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وإن كان قميصه قدّ من دبر
فكذبت وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم
[?] وأضمر الواو والفاء لأن كلامهم تم واستؤنف بعده كلام
آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى
وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوًا فأضمر

الفاء لتمام كلام موسى عم ومنه قول الشاعر

لما رأيت نبطًا أنصارا	٥	شمّرت عن ركبتي الإزارا	٥	كنت لها من النصارى جارا

أراد وكنت فأضمر الواو وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلا أن معناه
التعليم من الله تعالى لنا كأنه أدب فكأنه جلت عظمته وقفنا على الدعاء
عليهم وعلّمنا ما ينبغي أن نقوله فيهم كما علّمنا الاستثناء في غير هذا الموضع
بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وكل ذلك جلي واضح
بحمد الله تعالى مجلس آخر تأويل خبر إن سأل سائل عن الخبر الذي
يروى عنه عليه السلام أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده
ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب قلنا قد تعلق
بهذا الخبر صنفان من الناس الخوارج فتعلقوا به ويدعون أن القطع في
القليل والكثير ويستشهدون على ذلك بظاهر قوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما وتعلق بهذا الخبر الملحدة والشكاك ويدعون أنه
مناقض للرواية أنه لا قطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه فأول
ما نقوله إن الخبر مطعون فيه عند أصحاب الحديث على سنده وقد حكى ابن
قتيبة في تأويله وجهًا عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر من نفسه

المراد بتثنية النعمة في ل

وهو من الكاذبين م
وهو من الصادقين والمعنى فقد صدقت وقد كذبت م

أراد فقالوا أتتخذنا هزوا م

والمنة لله م ل

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم م

أيضا م

المتضمنة م

بعينها آخرين نذكرهما ونبين ما فيهما ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة
كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرأيته يذهب الى ان البيضة في
هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وان الحبل من حبال
السفن قال وكل من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال ورأيته يعجب بهذا التأويل
ويبدئ فيه ويعيد ويرى انه قد ظفر بحجة الخصم قال ابن قتيبة وهذا انما
يجوز على من لا معرفة عنده باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير
لما يأخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر على حمله
السارق ولا من عادة العرب والعجم ان يقولوا قبح الله فلانا عرض نفسه
للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما العادة
في مثل هذا ان يقال لعنه الله تعرض للقطع في حبل رث او اداوة او خلق او كبة
شعر وكلما كان من ذلك احقر كان ابلغ قال والوجه في الحديث ان الله
تعالى لما انزل على رسوله صلى الله عليه وآله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
جزاء بما كسبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الله السارق يسرق
البيضة فتقطع يده على ظاهر ما انزل اليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله تعالى بعد ان
القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يعلم من حكم الله تعالى الا ما علمه الله وما كان الله يعرفه ذلك جملة بل ينزله
شيئا بعد شيء قال رحمه الله وقد حدثت ابا بكر بن الانباري يقول ليس الذي
طعن ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء لان البيضة من السلاح ليست علما
في كثرة الثمن ونهاية في غلو القيمة فتجري ذلك مجرى العقد من الجوهر
والجراب من المسك اللذين هما ربما ساويا الالوف من الدنانير والبيضة
من الحديد ربما اشتريت باقل مما يجب فيه القطع وانما اراد عليه السلام
انه يكتسب قطع يده بما لا غنى به لان البيضة من السلاح لا يستغني بها
احد وانما الجوهر والمسك في الجنس مما يستغنى عنه قال رحمه الله والذي
نقوله ان ما طعن به ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه والحق في ذكر البيضة
والحبل بكثير كان تشبيه العقد والجراب من المسك غير سائغ في ذلك

وكل واحد من

خلقه ... حامل ... ثم

وسلم

وسلم

نزل

عز وجل

قال المرتضى رضي الله عنه ... فيه

السلاح

قال المرتضى رضي الله عنه

ان يقال ان وجه تخصيص البيضة والحبل بالذكر ولحظهما انهما ترى في التقليل
وان كان لما ذكره ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغنى به فلعل
ذكره ذلك اولى من غيره وما ثبت من ذكر وجه في ذلك وان تأويل ابن قتيبة
باطل لان النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع
قوله تعالى والسارق والسارقة لان الآية مجملة مفتقرة الى البيان ولا يجوز
ان يصرفها الى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان اكثر من قال
ان الآية غير مجملة وان ظاهرها العموم يذهب الى ان ما اقتضى
تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف
يصح ما قاله من ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك
كما ظن لكان المتأخر ناسخا للآية على ان تأويل هذا يقتضي ان يكون كل
الخبر منسوخا واذا امكن تأويل اخباره عليه السلام على ما لا يقتضي رفع احكامها
ونسخها كان اولى والاشبه ان يكون المراد بهذا الخبر ان السارق يسرق
الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له
وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكي
اهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها والسنام معظمه
وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وان كان قد يستعمل
ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل في الذم فمعناه ان المومى
بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة وتتركها ملقاة لا يلتفت اليها
فمما جاء في ذلك من المدح قول اخت عمرو بن عبد ود ترثيه وتذكر قتل
امير المؤمنين علي عليه السلام له وقيل ان الابيات لامرأة من العرب غيرها

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	لكنت ابكي عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به	من كان يدعى قديما بيضة البلد
وقال آخر في المدح	
كانت قريش بيضة فتفلقت	فالمح خالصه لعبد مناف
وقال آخر في الذم	

يسرق ولا يستغني به ... ذكره ذلك

ان من السراق

وبيضة

لا يلتفت عليها

تأبى قضاعةُ أن تعرفْ لكم نسبًا ۞ وابنا نزارٍ فأنتم بيضةُ البلدِ

أي أنها لا تعرف فأشكّ وقال آخر في ذلك

لكنّه حوضُ من أودى بإخوته ۞ ريبُ الزمانِ فأمسى بيضةَ البلدِ

فقد صار معنى البيضة كلّ تعود إلى التحقير والتعظيم فأما الحبل فذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما أعطاني فلان عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا نسائي كما يقال كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التحقير والتقليل ولكن الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة وإذا كان هذا تأويل الحبل بطل المناقضة التي وهمت وبطلت شبهة الخوارج بأن القطع يجب في القليل والكثير أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو ثعلب علي بن ثابت قال قال الأصمعي تصرّفت في الأسباب على باب الرشيد مؤمّلا للظفر به والوصول إليه حتى أني صرت لبعض حرسه خدينا فإني في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رُبّ قيدٍ مضيقة قد حلّه التيسير فقال لي الخادم فلعلها أن تكون ليلة تعرّس في صباحها بالغنى إن فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين ثم أدخلني على الرشيد في بهو وإذا الفضل بن يحيى بن خالد إلى جانبه فوقف الخادم بحيث يسمع التسليم فسلّمت فردّ السلام ثم قال يا غلام أرحه قليلا ليفرخ روعه إن كان قد وجد للروعة حسًّا فدنوت قليلا ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذي جدّ وهزل بعد أن يكون محسنا فقال تالله ما رأيت ادعاء أعمّ فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال ما تعني بهذه الكلمة بديًّا قال فقلت فيها قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال أين رماة العرب

فقالت

فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها فقال لي الرشيد أصبت ثم قال أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيّبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من فرشه رقعة ثم قال أنشدني أرّقني طارقُ همٍّ طرقا فمضيت فيها مضيّ الجواد في سنن ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت إلى مديحه لبني أمية ثنيت لساني إلى امتداح المنصور في قوله قلت لزير لم تصله مريمه فلما رآني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده فقال الفضل أحسنت بارك الله فيك مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي كلمة عدي بن الرقاع عرف الديار توهّما فاعتادها قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى صرت إلى صفة الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به السهر في ليلتنا بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد اسكت فالإبل هي التي أخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيبا ثم قال لي امض في أمرك فأنشدته حتى إذا بلغت إلى قوله تزجي أغنّ كأن إبرة روقه استوى جالسا ثم قال أتحفظ في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة أن الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير إلى جانبي فلما ابتدأ عديّ في نشيده قلت لجرير مسرًّا إليه هلمّ نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال تزجي أغنّ كأن إبرة روقه وعديّ كالمستريح قال جرير أما تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يا لكع إنه يقول قلم أصاب من الدواة مدادها فقلت لجرير ألم يكن سمعك محتبسا في صدره فقال اسكت شغلني سبّك عن جيد الكلام

فلما استمع إلى قوله

ولقد أراد الله إذ ولّاكها ۞ من أمةٍ إصلاحها ورشادها

قال الأصمعي ما تراه قال إذ أنشده الشاعر هذا البيت قال فقلت كذا

قلم أصاب من الدواة مدادها

بصفة جمل

تزجي أغنّ

فقال الإمام

آبادك الله فقال الرشيد ما كان في حلابته ليقول هذا احسبه قال ما شاء الله
قال وكنا جلوساً بالرواية قال فلما انتهيت على آخرها قال لي اتروي لذي الرمة شيئاً
قلت الاكثر قال فما اراد بقوله

ممارسة مسنة اسدية	٨	ودراية حلابة بالمصانع

قال قلت وصف حمار وحش اسمنه بقل بعضه فاستجت اسوله وقتا كثيرا
فروه غرر من مطر سحابة كانت بنوء الاسد ثم النباع من ذلك فقال الرشيد
ارح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال احد سلاولم وبحضرتنا
الخادم يسلخ عقيب القتل وبخلد وكانت عربية فقال الرشيد عفرتم
ياغلام فقال الفضل فاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت شديدة لما احتمت
الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه بغل وبعل الا لكم عارض فلا نترك من خاص
مخض ثم قال يا غلام ثم اعطى الخادم تحمل بالوتين الف درهم على هذا
الرجل في ليلته ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين
ولا يامر فيه غيره لامرت لك بمثل ما امر لك به وقد امرت لك بالا الف درهم
فليلق الخادم صباحا قال الاصمعي فما صليت من غد الا وفي منزلي تسعة
وخمسون الف درهم **مجلس آخر تأويل آية** ان سأل سائل عن قوله
تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال المجبر ظاهر
هذه الآية يقتضي انه هو الفاعل للايمان فيهم لان النور ههنا كناية
عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك
غير ما ذكرناه واذا كان مضيفا للاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به
خارجين وهذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا اما النور والظلم المذكوران
في الآية فيجوز ان يكون المراد بهما الايمان والكفر ويجوز ان يراد بهما الجنة
والنار والثواب والعقاب وقد يصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة
بانه نور وعن العقاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار
ساغ اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لا شبهة في انه تعالى
هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر مما ذكرناه

اشبه لان يقتضي ان المؤمن الذي ثبت كونه مؤمنا يخرج من الظلمة الى
النور ولو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج
المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح واذا
كان الكلام يقتضي الاستقبال في اخراج من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله
على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق النار اشبه بالظاهر على انا لو حملنا
الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما توهموه ويكون وجه
اضافة الاخراج وان لم يكن من فعله من حيث بين ودل وارشد ولطف
وسهل وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان
فيصح اضافة الاخراج اليه لكون ما عددناه وعلى هذا يصح من احدنا اذا انبه
غيره بدخول بلد من البلدان وبعثه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح او نحوه
بعلم من الافعال ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من
كذا وكذا وكثيرا منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية
الدواعي الا ترى انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى
الطواغيت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار
بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوونهم ويدعونهم الى الكفر ويزينون
فعله لهم فصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان
وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته صح اجراء
هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله
تعالى في المؤمنين ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين
في الكفار لولا ابتلاء المخالفين وقلة تحصيلهم وبعدهم فلو كان الامر على ما ظنوه
لم صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم مما اقتضته الآية والايمان
من فعله لا من فعلهم ولو كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى
الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب
الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على احد ولا
يعرض عنه الا متعامد متغافل لنفسه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني

قال قال ابو بكر محمد بن القسم الانباري حدثنا احمد بن عبيد قال حدثنا ابو عبد الله ابن النطاح قال اخبرنا ابو عبيدة قال كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من لذة الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال ومن انت قال انا عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل ابيض الرأس واللحية جالس على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومأ الي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر الناس فقال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم ما بيني وبين عبد الملك ولم اتمالك ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل ان يسألني عن حالي فقال هذا الاخطل فقلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول

هذا غلام حسن وجهه	مستقبل الخير سريع التمام

للحارث الاكبر والحارث الاصغر والاعرج خير الانام

خمسة آباؤهم ما هم	اكرم من يشرب صوب الغمام

فقال عبد الملك رددها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين فقال هذا الشعبي فقال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما

وببابه

وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة	لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولست بمستبق اخا لا تلمه	على شعث اي الرجال المهذب

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

فانك كالليل الذي هو مدركي	وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة	تمد بها ايد اليك نوازع

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

الى ابن محرق اعملت نفسي	وراحلتي وقد هدت العيون
اتيتك عاريا خلقا ثيابي	على خوف تظن بي الظنون
فالفيت الامانة لم تخنها	كذلك كان نوح لا يخون

قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته قال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا قالها رجل منا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده

انا محيوك فاسلم ايها الطلل	وان بليت وان طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته	الا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقر به	عين ولا حال الا سوف تنتقل
ان ترجعي من ابي عثمان منجحة	فقد يهون على المستنجح العمل
والناس من يلق خيرا قائلون له	ما يشتهي ولام المخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته	وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال

طرقت جنوب رحالنا من مطرق	ما كنت احسبها قريب المعنق

حتى اتيت على آخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطامي امه هذا والله الشعر قال فالتفت الي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في الاحاديث وانما

القطامي هو عمير بن شييم بن عمرو بن عباد

وما حبنا الشول معترساً كبنا	شعثاً تغير منها النير والوبر
كانها الكلب مقروع الصقيع بها	كانها الحمر من نفاحها الحجر
ملبة لك راد القوم قد عملوا	ثم المطي اذا ما ارسلوا الجرر
قد تكظم البزل منه حين يحضرها	حتى تقطع في اعناقها الجرر
اخو رغائب يعطيها ويسلبها	يأبى الظلامة منه النوفل الزفر
لم تأت غضا ولم تجمع بنا كبنا	الا بها من نوابي وتعر اثر
ولعم فيه اذا استقوته محمل	ولحمل فيه اذا ما يسبة العسر
فان يهلك فقد كنت تعقلها	يوما فقد كنت تستعلي ومحتضر
من ليس في خيره من يكدره	على الصديق ولا في صفوه كدر
اخو شروب ومكساب اذا عدموا	وفي المخافة منه الجد والحذر
مردى حروب ونور يستضاء به	كما استضاء سواد الظلمة القمر
مهفهف اهضم الكشحين منخرق	عنه القميص لسير الليل محتقر
طاوي المصير على العزاء منجرد	بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا تصعب الامر الا رث يركبه	وكل امر سوى الفحشاء ياتمر

يعني لا يصعب الامر اي لا يجده صعبا

لا يتأرى لما في القدر يرقبه	ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب	ولا يزال امام القوم يقتفر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه	في كل فج وان لم يغز ينتظر
تكفيه حزة فلذ ان الم بها	من الشواء ويروي شربه الغمر
لا تأمن البازل الكوماء عدوته	ولا الأمون اذا ما اخروط السفر
كانه بعد صدق القوم انفسهم	باليأس تلمع من قدامه البشر

قال المبرد لا نعلم بيتا ابين في النفسية ... الطلعة ادع من هذا البيت

لا يعجل القوم ان تغلي مراجلهم	ويدلج الليل حتى يفسح البصر
عشنا بذلك حينا ثم فارقنا	كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
اصبت في حرم منا اخا ثقة	هند بن اسماء لا يهني لك الظفر

لنا ارث واحد فان رأيت ان لا تحملني على اكاف قومك فادعهم حرضا قلت
لا اعرض لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة قال ومن يتكفل بك قلت
امير المؤمنين فقال عبد الملك هو علي ان لا تعرض له ابدا ثم قال يا شعبي
اي نساء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها
على غيرها قلت لقولها

وقائلة والنعش قد فات خطوها	لتدركه يا لهف نفسي على صخر
الا ثكلت ام الذين غدوا به	الى القبر ماذا يحملون الى القبر

فقال عبد الملك اشعر منها والله ليلى الاخيلية حيث تقول

مهفهف الكشح والسربال منخرق	عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه	في كل فج وان لم يغز ينتظر

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت اي والله يا امير المؤمنين اشد
المشقة اني لمحدثك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام ثم
قال يا شعبي انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون على اهل
الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية
واهل الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق ثم ردد علي ابيات ليلى
حتى حفظتها ثم اذن لي فانصرفت فكنت اول داخل واخر خارج قال
رحمه الله والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما
الى ليلى الاخيلية هما لاعشى باهلة يرثي المنتشر وهما والابيات قبلهما القصيدة
من المراثي المفضلة المشهورة في الشعر ولا نظير لها وهي الباهلي

اني اتتني لسان لا اسر بها	من علو لا عجب منها ولا سخر
فظلت مكتئبا حران انكرها	وكنت احذره لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم	راكب جاء من تثليث معتمر
يأتي على الناس لا يلوي على احد	حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ان الذي جئت من تثليث تندبه	منه السماح ومنه النهي والغير
ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته	اذا الكواكب اخطا نوءها المطر

لولم يخبّر نقيل وهو خائنة ٭ لتتبع القوم يوماً مالم يصدر
فاقبل الخيل من سلمى مشيمة ٭ وقيم أصبهان عن ان او حضر
اما سلكت سبيلا كنت سالكها ٭ فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

قال رحمه الله وقد روت هذه القصيدة لليلى أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبتها الى ليلى الأخيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معوية فقال اني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي بها وان كنت قلت كما قالت الخنساء

وما بلغت كف امرئ متناول ٭ بها المجد الا حيث ما نلت أطول
وما بلغ المهدون في القول مدحة ٭ وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل

فهات فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته

اذا مت مات العرف وانقطع الغنى ٭ فلم يبق الا قليل مصرّد
وردّت أكفّ السائلين وامسكوا ٭ من الدين والدنيا بخلف مجدد

فلم حسن صلته وأخبرنا المرزباني قال حدثنا ابراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى النحوي لابن الأعرابي أنشدهم

ربيناه حتى وهو يكم كلبه ٭ دع الكلب ينبح انما الكلب نابح

قال قوله يكم كلبه أي يشدّ على فاه خوفا أن ينبح فيدل عليه الضيفان

وتكم كلبا نحي من خشية القرى ٭ ونارك كالعذراء من دونها ستر

قال وقد قال الأخطل

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم ٭ قالوا لأمهم بولي على النار

قال أبو عبيد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجي به لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافا بها **تأويل آخر لأويل آية** ان سأل سائل فقال ما تأويل

قوله

قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب وأخبر ظاهر هذه الآية يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الإيمان حتى تصح مسئلته أن لا يزيغها ويكون لهذا الدعاء مفيدا الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيفضي بنا ذلك الى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم اليه كما قال تعالى في سورة براءة فزادتهم رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى في سورة نوح مخبرا عن نوح عليه السلام فلم يزدهم دعائي الا فرارا فان قيل كيف تشدد عليهم في المحنة قلنا بأن تقوي شهواتهم لما قبح في عقولهم وتغار نفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا وثوابه المستحق عليه عظيما متضاعفا وانما يحسن أن يجعل شاقا تعريضا لهذه المنزلة وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت على الهداية وامدادهم بالألطاف التي معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغا لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم أنه تعالى لو قطع امدادهم بألطافه وتوفيقاته لزاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثل قول الشاعر

أناني وزعلي بالمدينة وقعة ٭ لآل تميم أقعدت كل قائم

أراد فعدها كل قائم لكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضل وثالثها ما أجاب به أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي لأنه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن تزيغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلا منه العقاب فان قال قائل فما هذا الثواب الذي فوته في قلوب المؤمنين حتى زعمتم أنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عنه

في النوبة خ ل

وتغار نفورهم خ ل

عليه خ ل

ويجري هذا مجرى خ ل

سوابح وهوانز

أبو عبد الله خ ل

فأجاب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى
من الشرح والتسيير بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
وقوله لرسوله عليه السلم ألم نشرح لك صدرك وذكر أن ضد هذا الشرح هو
الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضا
التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال
تعالى أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم قال ومن ذلك أيضا كتابة الإيمان
في قلوب المؤمنين كما قال تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح
منه فهذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا
الله أن لا تزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب ومعنى أن
تكون الآية محمولة على الدلالة بأن لا تزيغ القلوب عن اليقين والإيمان
ولا يقتضي ذلك أنه تعالى يسئل عما كان لا يجب أن يفعله فيما لولا المسئلة لجاز
فعله لأنه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده
بأن يفعل ما نعلم أنه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن
لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن إبراهيم
عليه السلم ولا تخزني يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به
قل رب احكم بالحق وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على أحد
الأجوبة وكلما ذكرناه واضح بين بحمد الله ﴿تأويل﴾ وأني لأستحسن
قول الراعي في تضمينها لأنه في كلام الرشاد ومحكم التبيين في صفر المفصل مع جزالة

الكلام وعذوبته وسلاسته وطلاوته

وأوردنا من عبيد أبي عثمان موكر	خراجين للأدفى على غير مشرب
وردوا لأعالي أملت جذورها	على لاحج ذي شاية متقوب
كأن بقايا لونه وقنوتها	بقايا الهناء في قلائص تجرب

أراد بقوله الرشاد وتجعل الأثافي كالقلائص لاجتماعها وانتدارها
حوله ولأنه أراد بموارد الأعالي أن الوانها تضرب إلى الحمرة وخص الأعالي لأنها
مواقع القدر فلا تكاد تسود والراعي هو المواضع وإنما شبه الرماد بمهرة

مواضع ...

بفصيل

بفصيل بين الظئار والمنقوب الذي قد احمر أعلاه وشبه ما سود
النار منه من أثر نظران على ثلاثة حربة والمحرب الذي قد جربت إبله وظهر
هذا المعنى بعينه أحسن تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

فالحمار حوشي جنين تراحيه	ه	عفا الزرق عن أطلال مية فالدحل
تخطلها وأرنت جاراتها	ه	سوداء نزف ولون من غير حلقة
بنات برابيس المرخ واليابس الجزل	ه	من الرحمات البيض غير لونها
بأرض خلا إن تقاربها الأ		كما دمنت بالهناء واستمحت فأقصبت

قوله سوداء من غير خلقة يعني أنفية لأن السواد ليس بخلقة لها وإنما سودها
النار وقوله تخطاها القتل أي تجاوزها فلم تحمل من مكانها إلى المكان بل بقيت
متروكة وأرنت جاراتها يعني جاراتها الأثافي اللواتي كن معها والمرنث
هو المنقول من مكانه إلى المكان وأصل ذلك في الجريح والعليل يقال
ارتث الرجل ارتثاثا إذا احتمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن شميل يعني
ارتث صرع وقال أبو زيد هو مأخوذ من قولهم ارتث القوم إذا اجتمعوا لأن
متاعهم حتى لم يحملوا من موضعهم وكذا الغنيمة بن بليق بجب ذي الرمة
لأنه قد يجوز أن يعني بقوله وأرنت جاراتها أي يخلفن عنها ويجوز أن يريد
نزلن وبقيت ثابتة قائمة والرحمات حجارة بعض بعضها على بعض والحرا
جمع فرش وهو المركون في الزند وعنى بنات فراص المرخ شمكما
الحاربة من ذلك العرض والمرخ شجر يتخذ منه الزند ومن أمثالهم في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل للرجل الكريم يفضل القوم
ويزيد عليهم فكأن المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان ومعنى كما دمنت
بالهناء أنه شبه الأثفية المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت عن
الأبل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دمنت بالهناء أي طليت به وفي
معنى قول الراعي ورادا لأعالي شيء من قول الشماخ بن ضرار

أقامت على ربعيهما جارتا صفا	ه	كميتا الأعالي جونتا مصطلاهما

يعني بربعيهما منزلي الأعرابيين اللتين ذكرهما ويعني بجارتا صفا الأثافي

وعني بجارتا صفا الأثفيتين
...

كأنهما سقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويكون في قول حارثة
صفا وحجر آخر هو احسن من هذا قوله الاثفيتين كوشعان بمقربتان من
الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وتمسكن للقدر معهما ولهذا يقول
رماه بثالثة الاثافي اي بالصخرة او بالجبل وشبه اعلاهما بلون الكميت
ويقولون الكميت [illegible] لانه لم يتصل اليه [illegible] وتصطلاهما جون
اي اسود لان النار [illegible] سفعته وسودته وقال الراعي في وصف الاثافي

العرب م

اي الجبل ل

ايضا

اناخ باعلاه وابقى شريكه ۞ ذنوب مجنحات بينهن فروج

كأن بجنب الداية تمكوا ۞ سلائب ولفا بينهن خديج

اناخ باعلاه يعني الرماد لان الثاثي يطير ظاهره وما علا منه وابقى
شريكه اي بقي ما تبدد على الثاني فلم يطر ظاهره وذوب مجنحات
يعني الاثافي وذرى كل شيء جانبه وما استدبرت سرنه والمجنحات
المسندات منه والسلائب جمع سلوب وهي الناقة التي سلبت ولدها
بموت او نحر فقد عطفت على حوار اخر والخديج الذي تسقط لغير تمام و
الورق اللواتي الوانهن كلون الرماد وفي معنى قول الراعي وابقى شريكه
ذنوب مجنحات قول المحتمل السعدي وابقى لها دارا بأمد رو السيل [illegible]

لو بدرس لها رسم

الا رمادا هامدا دفعت ۞ عنه الرياح خوالد سحم

الا ههنا بمعنى الواو فكانه قال وابقى رمادا هامدا ولولا ان الا ههنا
بمعنى الواو لفسد الكلام وتنقض آخره اوله لانه يقول في آخر البيت
ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف يجيء بالا فقد درس وانما اراد
انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح فلم تستفه اذا من جملة ما لم
يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي ايضا في الاثافي

الحين ووهن اعفاك عليها ۞ تقدمت الصلاة بهن سانا

شبه الاثافي بنوق الحين اعفا لا لبث عليهن حتى تواحبات الوقود فلا [illegible]

فيهن اثرا كالسحق والثانا السمة تقول العرب ثاناره تعرفك اي ما سمته
في اسافلهم بخانرها نارا اي سمتها تدل على كرمها ثعلب ذلك للرجل
ترى له ثارا حسنا تدل على باطن خير وقال عدي بن الرقاع العاملي

الا رواكد كلهن قد اصطلى ۞ حمراء اشعل اهلها ايقادها

كانت رواحل للقدور فعريت ۞ منهن واستلب الزمان رمادها

وقال مالك الجعفي

الا رواكد جمهن مناخة ۞ سفع تخفع المناكب كلهن قد اصطلى

وقال حميد بن ثور

تغيرت الا ارارعيها ۞ وسفعا من حوبة لم تسر

عرفن التقاب بها بارفاة مقامته ۞ للحين نظائر وتر

الحوبة القدر ويقال للقدر [illegible] وقدور محوبة اذا كانت قديمة ويعرش ابن جعفر
مثل العرش يعني الوقود والتقاب ما انقشت من الوقود والنظائر هي الاثافي والوتر
الفرد واراد انها ثلاث وقال الكميت بن زيد

ولن يجيبك اظآر عطفن ۞ بالقاع لا تملك بينها ولا سبل

لكنت جونا لا عطف على ربع ۞ ولا يعب بها فارط الابل

يعني الاثافي وشبه عطفها على الرماد بنوق اظار قد عطفن على فصيل والمهو [illegible]
لتصابها السنام والمبكل من صغر السنام ايضا والعائذ من النوق التي معها
ولدها والربع الذي ينتج في اول الربيع والاهاتر الدعاء اهاب بالابل اذا دعاها
وندوا النتبة الذي تلتوي الرجيل والابل صاحب الابل وقال ذو الرمة

الم تر الا ان ترضي بمنزل ۞ رمادا نحت عنه السيول جنادله

كان الحمام الورق في الدار وقعت ۞ على خرق بين الظؤور حوازله

شبه الاثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤورا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد
بفرخ خرق قد سقط ريشه والحوازل الفراخ واحدها حوزل وقال البعيث

الا رسما الربع القواء وترسما ۞ وذرسما محتمان الحمامة ادهما

فيكاد الحمامة ههنا القطاة واراد شبه الوان الرسوم من الرماد [illegible]

ناجود مشية وتحمر لمت وما اشبه هذه الاشياء بالوان ريش القطا قطاة

ومثله لجرير

كان رسوم الدار ريش حمامة ٭ محاها البلى فاستعجمت ان تكلما

ولقد احسن كل الاحسان كثير في قوله

امن آل سلمى بالدخول رسوم ٭ تحمل منها للملا بلوح فتدرس

لعب الرياح برسمها فاجده ٭ حول تواكف في الرماد جثوم

سفع الخدود كانهن وقد مضت ٭ حجج تواسد بينهن سقيم

فقال في قوله فاجده حول تواكف يعني الاثافي لان الريح لما كشفت عنها فظهرت مبانيه هي كانها اقبلت الريح ويحمل وجها آخر وهو ان يكون يعني احدث انها حممًا والاثار التي حالت بعض لعب الرياح فبقي مجاز يستدل بها المترسم فكان الرياح (الرماد) دفنت الربع وعفته الا ما احدثته هذه الاثافي من الرماد وشعث الربع عنه ويجري ذلك مجرى قول المتجمل الاثار هاسدا البيت وقال المرار

الفقعسي في الاثافي

اثر الوقود على جوانبها ٭ بخدودهن كانه لطم

وتعالى ابا تمام فاحدث من ذلك قوله

فقواعط المنازل من عبول ٭ لها في الشوق احشاء غزار

عفت آياتهن وأي ربع ٭ تكون له على الزمن الخيار

اثاف كالخدود لطمن حزنا ٭ ونؤي مثل ما انفصم السوار

وقد ثمات حكيه قوله لطمن حزنا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن اوجع وابلغ فتأثيره يكون الحمرة ابين وقد يكون اللطم لغير الحزن واما قوله ونؤي مثل ما انفصم السوار فماخوذ

من قول الشاعر

ونؤي كما نقص الهلال محاقه ٭ او مثل ما انفصم السوار المعصم

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والهلال كثيرا وبغير ذلك قال كثير

عرفت لسعدى بعد عشرين حجة ٭ بها دمن نؤي في المحلة مسحر

اذين كوقف العاج تحت حولها ٭ معاريبا وناد ينعم سوسن

الوقف السوار من الذبل والعاج والوشم شحوم عظام والموشي الذي

بعضه فوق بعض وقال نشا

ونؤي تحت اذيال الغناء تسابقت ٭ اشج على ربا الرمان رقوب

الصائم الاشج يعني الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته ويجعل رقوبا لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد ومن مستحسن

ما وصف به النؤي قول ابي تمام

والنؤي اهمد شطره فكانه ٭ تحت الحوادث حاجب مقرون

حوض

والمتنبي في قوله وقال المتنبي في ذلك حول

قف على الدمنتين بالدو من ريا ٭ كخال في وجنة جنب خال

بطلول كأنهن نجوم ٭ في عراص كانهن ليال

ونؤي كأنهن عليهن ٭ خدام خرس بسوق خدال

الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرسا لانها غير قلقة وشبه ما بقي من النؤي من الارض فاستدارتها باستدارة الخلخال من الساق المخدلة وهي الممتلئة **تأويل آية اخرى** ان سأل سائل عن قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك الى قوله وما كادوا يفعلون فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الاول والتكليف واحد ام المراد مختلف متغاير والتكاليف قلنا اهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف اصولهم فمن جوز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان وما سأل القوم عن الصفات وقد البيان شيئا حادثا ومن لم يجوز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم

يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

كانوا بذلك ممتثلين للأمر فلمّا لم يفعلوا كلّفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو
ذبحوا ما اختصّ بتلك الصفة من أيّ لون كان لأجزأ عنهم فلمّا لم يفعلوا
كلّفوا ذبح بقرة صفراء فلمّا لم يفعلوا كلّفوا ذبح ما اختصّ بالصفات الأخيرة
ثمّ اختلف هؤلاء من بعد آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير أنّه يجب أن يكون
مستوفيًا لكلّ صفة تقدّمت حتّى تكون البقرة مع أنّها غير ذلول تثير الأرض
ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر
ومنهم من قال إنّما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم وظاهر
الكتاب بالقول الأوّل أشبه على هذا المذهب ولا شبهة في ذلك أنّه
تعالى لمّا كلّفهم ذبح بقرة قالوا للرسول ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي فلا يخلو
قولهم ما هي من أن يكون كناية عن البقرة المتقدّم ذكرها أو عن التي
أمروا بها ثانيًا على قول من يذهب ذلك ولكن يجوز أن يكونوا سألوا
عن صفة غير الذي تقدّم ذكرها لأنّ الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله
اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها
ولأنّه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صحّ أنّ
السؤال إنّما كان عن صفة البقرة المتقدّمة التي أمروا في الابتداء بذبحها
فليس يخلو قوله إنّها بقرة لا فارض ولا بكر من أن يكون كناية
عن البقرة الأولى أو عن غيرها ولا يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة
ثانية لأنّ الظاهر قوله إنّها بقرة من صفتها كذا بعد قولهم ما هي يقتضي
أن يكون كناية متعلّقة بما تضمّنه سؤالهم ولأنّ الأمر لو لم يكن على ما ذكرنا
لم يكن ذلك جوابًا لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوا عن شيء فأجابهم
عن غيره وهذا لا يليق بالنبيّ عليه السلم على أنّه لمّا أراد أن يكلّفهم تكليفًا ثانيًا
عند تفريطهم في الأوّل على ما يذهب من ذهب إلى هذا المذهب فكان يجب
أن يجيب عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه ويقرّعهم
فيما أمروا به ممّا لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم
إنّما كلّفتم أيّ بقرة شئتم وما تستحقّون أمر بقرة وقد فرّطتم في ذلك الامتثال

ترك الامتثال

فأخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلّا أنّكم قد كلّفتم ثانيًا كذا
وكذا لأنّ هذا ممّا يجب عليه بيانه لا ما أتى به من الإبهام والتلبيس فلمّا لم يفعل ذلك
وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلّق بالسؤال علم أنّ الأمر على ما ذكرنا
وقد ثبت أنّه لم يفعل ذلك في أوّل سؤال كيف لم يفعل مع تكرّر الأسئلة والا
التي لم تقع على هذا المذهب موقعها ومع تكرّر المعصية والتفريط كيف يستحسن
أن تكون جميع أجوبته غير متعلّقة بأسئلتهم لأنّهم إنّما سألوه عن صفة شيء
فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلّق الجواب
بالسؤال ونحو قول القائل في جواب من سأله كذا وكذا إنّ الصفة العلاد
... في أنّ الهاء كناية عمّا وقع السؤال عنه هذا مع قولهم إنّ البقر تشابه
علينا لأنّهم لم يقولوا ذلك إلّا وقد اعتقدوا أنّ خطابهم مجمل غير مبيّن فلو
لم يقل لهم أيّ تشابه عليكم وإنّما أمرتم في ابتداء الأمر بأيّ بقرة كانت وفي الثاني
بما اختصّ باللون المخصوص من أيّ البقر كان فإن قيل يجوز أن يأمرهم
بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبيّن ذلك لهم
وقيل هذا إلّا تكليف لما لا يطاق قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الحال
من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة إلى الفعل حاضرة لما جاز أن يتأخّر البيان
لأنّ تأخّره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه وإنّما أراد أن
يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
عند الحاجة إليه فإن قيل إذا كان الخطاب غير متضمّن لصفة ما أمروا بذبحه
فوجوده كعدمه وهذا يخرجه من الفائدة ويوجب كونه عبثًا قلنا لكن
يجب ما ذكرتم لأنّ القول وإن لم يتضمّن صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف
ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلومًا قبل الخطاب فصار
مفيدًا من حيث ذكرنا وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد
الكلام لا يجب أن يحصل بها الافتتاح ولكن يخرج الخطاب من تعليق بعض
الفوائد لكونه غير مستقلّ بغيرها وبما هو زيادة عليها فإن قيل فما هو قوله
تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يدلّ على استبطائهم على التقصير

في استئناف الأمر فلما لم يكن ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون
التكليف شق عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفات فقد روي
أنهم اشتروها بملء جلدها ذهبا على أن الذم يقتضي ظاهره أن ينصرف
إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد تقدم البيان التام لأن قوله
تعالى وما كادوا يفعلون إنما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر فلا يقتضي
ذمهم على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما خالف
ما ذكرناه فإن قيل لو ثبت تقدير أن التكليف في البقرة متغاير فأي القولين
اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه قلنا قول من ذهب
إلى أن البقرة إنما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لأن الظاهر به
أشبه من حيث إنا ثبت تغاير التكليف وكثير في قوله إنها بقرة لا ذلول
ثم ما أضاف إلى آخر الأوصاف ذكر ما تقدم من الصفات فهذا التكليف
غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فأما الفارض
فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض أي ضخم والغرب
الدلو ويقال أيضا لحية فارضة إذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام
أن يكون المراد المسنة فأما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد فكأنه تعالى قال
لا تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي
النصف التي ولدت بطنا أو بطنين ويقال حرب عوان إذا لم تكن أول
حرب وكانت ثانية فأما جاز أن تقول بين ذلك وبين لا تكون إلا مع
اثنين أو أكثر لأن لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا
قائما فيقول القائل قد ظننت ذلك ~~وظننته مثلك~~ وسمعت فاقع لونها
أي خالص الصفرة وقيل إن كل ناصع اللون بياضا كان أو غيره فهو فاقع
يقال أبيض فاقع وأصفر فاقع هاهنا سواء ومعنى قوله لا ذلول تثير الأرض أي تكون
صعبة لم يذللها العمل في إثارة الأرض وسقي الحرث ومعنى مسلمة مفعلة
من السلامة من العيوب وقال قوم مسلمة من الشية أي لا شية فيها
تخالف لونها وقوله لا شية فيها أي لا عيب فيها وقيل لا وضح فيها وقيل

لا لون

قال المرتضى رضي الله عنه

لا لون فيها يخالف جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل حسن التوفيق
قال رحمه الله كنت أظن أن المتنبي سبق إلى المعنى في قوله يرثي
أخت سيف الدولة

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر ‖ فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا ‖ شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري أما مسلم فهو قوله
في قصيدة يرثي بها سهل بن صالح

وقضاعفها عليك من نعي ‖ ولي الرجاء وقد نعى فيسترجع
وتطاير السمع الذي هو كذبه ‖ خطبا لم يصدق لا تجدع

وقال البحتري يصف ... التركي

إذا أحد بأخبره توهمت أنه ‖ يكون من أخباره قول مازح

وظننت أن المتنبي سبق إلى قوله وكنت أظن المتنبي قد سبق

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي ‖ فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي

حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن سبل الكلابي من أهل اليمامة

نبي قومه عن جلد جان ونفسه ‖ إلى الموت كابي الصفحتين كليم
أقوا الحرب لما جلده متحرج ‖ كليم وأما عرضه فسليم

وكنت أظن البحتري سبق إلى معنى قوله في الفتح بن خاقان

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ‖ ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

حتى وجدت لشاعر متقدم

لعمرك ما دهمان نجران مغمز ‖ شققت بها عنه مضاعفة السرد
فلولا الكف أوهت لي ولا الرمح حائر ‖ ولا لا ذهم والمنعورين حاد عن القصد

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك بلا فضل
إلا البحتري فإنه ~~لم يلحقه فيها أحد~~ فإنه قال عرائي من أبيات

حملت وما عاينت عطر كأنما ‖ جرى بين جلدي والعظام خلوق

وقال أبو تمام

لو رأيت وجهه المليح ولكن ‖ جعلت ورده وجنتيه بها دا

يُنْسِيكَ عَنْبَرَ لَوْنِهَا وَلَكِنَّهَا ۞ بِذَلِكَ التُّفَّاحِ بِالْيَاسَمِينِ

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ

عَلَّمَ زَعْفَرَتْ سُورَةَ خَدٍّ ۞ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَدِقٍّ يَغِيضُ

وَلِأَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيِّ وَيُرْوَى لِلدَّارِمِيِّ

وَقَالُوا اعْتَرَتْ عَرَاهُ حُمَّى بِنَابِهَا ۞ فَوَجْنَتُهَا مِنْهَا شَدِيدٌ صِفَارُهَا

وَيُرْوَى لِأَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيِّ

فَقُلْتُ لَهُمْ هَيْهَاتَ مَا بِكَ ... ۞ ... وَجْهَهَا بِكَارُهَا

وَلِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ

وَكَأَنَّنِي لَمَّا تَطَاوَلَ بِي ۞ سُقْمُ السَّقَامِ طُلِيتُ بِالْوَرْسِ

وَلِابْنِ الْمُعْتَزِّ وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ رحمه الله

وَمُعَيْرَتٍ صُفْرَةٍ بِجِلَّتِهِ وَجَبْهَتِهِ ۞ فَصَارَ كَالدِّينَارِ مِنْ حَقٍّ

كذا في ديوانه

وَقَالَ الْبُحْتُرِيُّ

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ ۞ مِنَ الدُّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ

وَهَزَّتْ عَلَى الْأَيْدِي بِجُمْلَةِ كُفْرِهِ ۞ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مُلْتَهِبَ الْوَقْدِ

وَمَا الْكَلْبُ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ ۞ وَلَكِنَّمَا الْحُمَّى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ

قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى عَلِيٌّ أَمَّا تَشْبِيهُهُ صُفْرَةَ اللَّوْنِ بِصُفْرَةِ الدُّرِّ فَهُوَ تَشْبِيهٌ مَلِيحٌ مُوَافِقٌ لِغَرَضِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ مِنَ الدُّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَحْمُودٍ بَلْ هُوَ مَذْمُومٌ وَلَوْ شَبَّهَهُ وَتَرَكَ التَّعْلِيلَ لَكَانَ أَجْوَدَ وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الْمَنْبِجِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْبُحْتُرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي جَدِّي الْبُحْتُرِيُّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ يَوْمًا فَتَذَاكَرْنَا شِعْرَ عُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ فَقَالَ أَحْسَنَ عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ فِي قَوْلِهِ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ لَمَّا وَجَّهَ إِلَيْهِ

بِبِدَرِ الْبَغْلَيْنِ

لَمْ أَسْتَطِعْ سَيْرًا إِلَى خَالِدٍ ۞ فَجَعَلْتُ مِدْحَتَهُ إِلَيْهِ رَسُولَا

فَلْيَرْحَلَنَّ إِلَيَّ بِالنَّيْلِ خَالِدٌ ۞ وَلْيَكْفِهِ رَدُّ الرَّوَاحِلِ التَّرْجِيلَا

قال

قَالَ الْبُحْتُرِيُّ فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْشَدْتُهُ

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْغَيْثُ غَيْثٌ أَصَابَنَا ۞ بِبَغْدَادَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَالْجِسْرِ

فَيَا لَكَ غَيْثًا سَحَّ الْغَيْثُ أَهْلَهُ ۞ وَلَوْ لَمْ تَحُلَّ لِسَعَايَتِهِ وَقْتَ أَجْرٍ

فَقَالَ نَعَمْ هَذَا أَحْسَنُ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لِي فِي بَنِي السِّمْطِ وَقَدْ أَتَانِي بِرُّهُمْ مِنْ حِمْصَ

مَا لَا يُجْمَعُ عَنِ الْجَمِيعِ وَأَنْشَدْتُهُ

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ ۞ بَنِي السِّمْطِ أَخْدَانَ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ

هُمُ وَصَلُونِي وَالْمَهَامِهُ بَيْنَنَا ۞ كَمَا انْفَضَّ غَيْثٌ فِي تِهَامَةَ مِنْ نَجْدِ

فَقَالَ لِي هَذَا وَاللَّهِ أَرَقُّ مِمَّا قُلْنَا وَأَحْسَنُ وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الْمَنْبِجِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى ابْنِ الْبُحْتُرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ الْمُرْبِعِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ مَنْ أَنْسَبُ الْعَرَبِ

قَالَ الَّذِي يَقُولُ

عَجِلَتْ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَّرَتْ ۞ عَذَبَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ

يَعْنِي الْبُحْتُرِيَّ فِي قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا حُبٌّ بِمَجَالِبِ مُغْرَمَاتِ الْحُلَلِ قَالَ يَحْيَى وَفِي نَسِيبِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَيْتٌ آخَرُ لَيْسَ يَقْصُرُ فِي سَلَاسَةِ الْكَلَامِ وَرَشَاقَتِهِ وَلَطَافَتِهِ وَمُطَابَقَةِ الْمَطْلُوبِ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي فَضَّلَهُ الْجَاحِظُ وَهُوَ

أَأُجَابُ عِنْدَكِ وَالشَّبِيبَةُ شَافِعِي ۞ وَأُرَدُّ دُونَكِ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وَفِي مَطْلَعِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَيْتٌ مَعْرُوفٌ بِالْحُسْنِ

لَا تَطْلُبَنَّ لِيَ الشَّبِيبَةَ فَإِنَّهُ ۞ ثَمَرُ التَّأَمُّلِ رَبَّةُ التَّأْمِيلِ

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ يَحْيَى ابْنِ الْبُحْتُرِيِّ قَالَ انْصَرَفْتُ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ الْمُبَرِّدِ فَقَالَ لِي أَبُو الْبُحْتُرِيِّ مَا الَّذِي أَفَدْتَ يَوْمَكَ هَذَا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ فَقُلْتُ أَمْلَى عَلَيَّ أَخْبَارًا حَسَنَةً وَأَنْشَدَنِي أَبْيَاتًا لِلْحُسَيْنِ

بْنِ الضَّحَّاكِ فَقَالَ لِي أَنْشِدْنِي الْأَبْيَاتَ فَأَنْشَدْتُهُ

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً ۞ لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبُ

وَقَدْ قَدَّمْتُ أَسْبَابَ السُّلُوِّ فَإِنَّنِي ۞ مَتَى ... عَلَيْهِ مِنْ هَوَاكَ رَقِيبُ

في القصيدة التي أولها

قال المرتضى ره

أغرك سعيي من ذنوب كثيرة ۞ وعضي على الأشياء منك تريب

كأن لم يكن في الناس قبلي متيم ۞ ولم يك في الدنيا سواك حبيب

إلى الله أشكو أن شكوت ولم يكن ۞ لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال ما أحسن هذا الكلام ثم أنشدني لنفسه

حبيبي حبيب يكتم الناس أنه ۞ لنا حين تلقانا العيون حبيب

يباعدني في الملتقى وفؤاده ۞ وإن هو أبدى لي البعاد قريب

ويعرض عني والهوى منه مقبل ۞ إذا خاف عيناً أو أشار رقيب

فتخرس منا ألسن حين نلتقي ۞ وتنطق منا أعين وقلوب

ثم قال لي يا بني اذهب بهذين فإنهما من أحسن الشعر وظريفه. ودفعنا أحمد بن فارس المنبجي عن أبي نصر محمد بن إسحاق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكثيره قال لم يكن يتقدم أحد ولا يطول له مجلس إذا أشرف عليه الرجل بما لا [illegible] دون الفضلات لا يتحمل ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل [illegible] فقام إليه أبو العباس واعتنقه ودنا منه وأجلسه وجعل الرجل يحمده ويستغفر من [illegible]

ذلك فلما أكثر عليه أنشد أبو العباس

أأكرمه أقوم وقد بدا لي ۞ لأكرمه وأعظمه هشاما

فلا تشكر سباً دفع البر ۞ فإني لم أطلق لقياً

فلما انصرف الرجل سألناه عنه فقال هذا البحتري

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة هابيل وقابيل حاكياً عن هابيل لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز أن يريد هابيل من أخيه [illegible] وصغرت بالشوق والعار به أن يبوء [illegible] بالإثم وذلك إرادة القبيح وليس فيهما مما استحق وكيف يصح أن يبوء القاتل بإثم غيره وهل هذا إلا ما أنكرتموه من أخذ

ثم قال لي يا بني

على وإرادة القبيح عندكم بكل حال ووجه قبحها كونها إرادة للقبيح

البرئ

البرئ بجرم السقيم. الجواب قلنا أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو أن هابيل لم يرد من أخيه شيئاً ولا أراد أن يقتله وإنما أراد جزاء ما توعده الله تعالى عليه من قوله تعالى إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن تبوء بجزاء ما أقدمت عليه من القبيح أن يكون نزول العقاب المستحق ونظيره قوله إثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل لمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك قولهم لمن يدعو عليه لك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه فإن قيل كيف يجوز أن يحسن إرادة عقاب من يستحق لم يقع سببه لأن القتل على هذا القول لم يكن وقع قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما أيس من أخيه النصيحة على قتله والعزم على امتثال القبيح به وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما قد عزم عليه فأما قوله بإثمي وإثمك فالمعنى فيه واضح لأنه أراد بإثمي عقاب قتلك لي وإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لأن الله تعالى أخبر عنهما أنهما قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال العلماء في أن قربان أحدهما لم يتقبل لأنه غير متق وليس يمتنع أن يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف إلى الفاعل والمفعول جميعاً فإن ذلك يستعمل ظاهر في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف إلى الفاعل قوله لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك ومما جاء في الشعر من إضافته إلى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

أمن رسم دار مربع ومصيف ۞ لعينيك من ماء الشؤون وكيف

وفي الكلام يقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالداً إذا كان عمرو فاعلاً وضرب عمرو خالد إذا كان عمرو مفعولاً وقد ذكر قوم في الآية وجهاً آخر فقالوا يكون المراد إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك لأنه لو [illegible] إلا الرشد الخبر فحذف الواو وأقام ما اتصل به مقامه كما قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسأل

جوابه

ونظامه

وعقابه لمن يقبح ... مستحقه

[illegible]

تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ومن إضافته إلى المفعول قوله تعالى

[illegible]

الغرير وهذا قول بعيد لأنه لا بد من حمل الكلام على محذوف وإنما يحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه وذكروا أيضا وجها آخر وهو أن يكون المعنى أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا كما يقع في الكلام كما قال الله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا ومعناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ومعناه لأن لا تميد بكم وكقول الخنساء

فآليت آسى على هالك … وأسأل نائحة ما لها

أرادت لا آسى وقال امرؤ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا … ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أراد لا أبرح وقال عمرو بن كلثوم

نزلتم منزل الأضياف منا … فعجلنا القرى أن تشتمونا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل العربية لأنهم لا يستحسنون إضمار لا في مثل هذا الموضع فأما قوله تعالى حاكيا لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك فقال قوم من المفسرين إن القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وإن الله تعالى أمر بالصبر عليه وامتحن بذلك ليكون هو المتولي لانتصافه وقال آخرون بل المعنى إنك إن بسطت إلي يدك مبتدئا ظالما لها لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك على سبيل الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لأنه تعالى خبر أنه وإن بسط إليه أخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد لقتله ومجبر إليه لأن هذه اللام تجري مجرى كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لأن المدافع إنما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير أن يقصد إلى قتله وإيلامه ومتى قصد ذلك كان في حكم المبتدي بالظلم لأنه فاعل لقبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأيسر

وجه يمكن فعدا أن يكون غير قبيح فإن قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونها على كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وإنما أبينا أن الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب إليه القوم لأن قوله لأقتلك يقتضي أن يكون القتل لهذا الغرض والمدافعة لا تقتضي ذلك ولا تحسن من المدافع أن يجري بها إلى الضرر فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى لشهادة الظاهر

مجلس آخر تأويل خبر

إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكأنه قال لا يردها إلا بقدر ما يبر الله قسمه وأما ابن قتيبة فإنه قال في تأويله هذا مذهب حسن من الاستخراج إلا أنه قال فيما قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو أن العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحليل القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه إن شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا إلا تحلة القسم وما ينام العليل إلا كتحليل الألية وهو كثير مشهور قال ابن أحمر وذكر الريح

إذا عصفت رسما فليس بدائم … بروقها إلا تحلة مقسم

يقول لا يثبت الوتد إلا قليلا كتحلة القسم لأن هبوب الريح يقلعه وقال آخر يذكر ثورا

يخفي التراب بأظلاف ثمانية … في أربع مسهن الأرض تحليل

يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كتحليل اليمين وقال ذو الرمة يصف صاحبا كان له أغفى إغفاءة ثم

طوى طية فوق الكرى جفن عينه … على هبوات في حبال المحاذر

قليلا كتحليل الألى ثم قلصت … به شيمة روعاء تقليص طائر

الألى جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الحديث على هذا التأويل أن النار لا

الا قليلا كتحليل اليمين ثم يجيزه الله منها وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري الصواب في ذلك قول ابي عبيد لان فيه حججا ثلاث منها ان جماعة من كبار اهل العلم فسروه على تفسير ابي عبيد ومنها ان النار تمس الذي وقعت عليه تحلة عند الله والقليل من النار يقع به الالم العظيم وليس صغير الايلام في الآخرة صغير من مسته النار قليلا وكثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار انما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب ويكون من الابرار لان الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه النار لكن تحلة اليمين اي لكن ورود لا يمسه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا اهل الخيام وانشد الفراء

ومهمه اعمى المسالك قطعت بها	ارضا يحار بها الهادون ديموما
فيها منها وخرقا لا انيس بها	الا الضوابح والاصداء والبوما

وانشد ثعلب ايضا

احب علياء عطش ولا جوع	الا الرقاد والرقاد ممنوع

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة القسم لابد منها وتحلة اليمين الورود لا يقع فيه مس وقال ابو بكر وقد سنح لي فيه وجه آخر وهو ان تكون الا زائدة دخلت للتوكيد وتحلة القسم منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زائدة قال الفرزدق

شاهدا لهذا

هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم	والا مؤكدة وقال الاخطل
يقطعن الا من فروع تبرزنها	والفرع الواسع من الارض

قال رحمه الله والوجوه المذكورة في تأويل الخبر كالمتقاربة الا ان الوجه الذي اختص به ابن الانباري فيه ادنى ضعف وبعد من حيث جعل الا زائدة كالمستضعف لجماعة من اهل العلم بالعربية وقد بقي في الخبر مسئلة الختام قول بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكرها في تأويل وهو ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلم بان من

مات له ثلثة من الولد لا تمسه النار اما اجلا او بمقدار تحلة القسم و هو اليمانية في الفكر اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله فاذا كان من تموت له هذا العدد من الاولاد قد صار خارجا عن التكليف يجب ان يؤمن من العقاب في الجواب عن ذلك انا قد علمنا انه لا خروج لهذا مخرج المدح لمن هذه صفته والتخصيص له بالثناء ولا يمدح احد في مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلابد ان يكون تقدير الكلام ان المسلم الذي يموت له ثلثة من الاولاد اذا احسن صبره واحتسابه وقضاه ورضي بما يجري عليه القضاء لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اعتماد الصبر والاحتساب بل لم يكن في القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر فالوجه الذي اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله ان يستحق من العقاب في المستقبل اذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما في هذا ان يكون القول مرغبا في حسن الصبر وحاثا عليه ترغيبا في الثواب وتطلعا لغفران ما لعله ان يستحق في المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تامله

تأويل آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة فقال ما معنى او ههنا وظاهرها يفيد الشك الذي لا يجوز عليه تعالى الجواب قلنا في هذه الآية وجوه **اولها** ان تكون او ههنا للاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين والق الفقهاء او المحدثين ولم يريدوا الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان اهل للمجالسة وهؤلاء النبلاء اهل للقاء فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا تأول قوله تعالى او كصيب من السماء لان اول الآية مثلهم كمثل النحو الذي ذكرناه من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا فجائز وان شبهتموهم باصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك **وثانيها**

أن يكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية أن قلوبهم قست
فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو أشد قسوة منها ويجري
ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا معناه
وقال بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم
النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية
أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتا
أو جاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى أو كصيب
من السماء هذا الوجه أيضا ويكون المعنى بعضهم يشبه الذي استوقد نارا
وبعضهم يشبه أصحاب الصيب **وثالثها** أن يكون أو دخلت على سبيل
الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب وإن كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه
لأنه تعالى لم يقصد في إخباره عن ذلك إلى التفصيل بل علم أن خطابهم بالإجمال
أبلغ في مصلحتهم فأخبرهم أن قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة
أو أشد قسوة والمعنى أنها كأحد هذين لا تخرج عنهما ويجري ذلك مجرى
قولهم ما أطعمتك إلا حلوا أو حامضا فيوهمون على المخاطب ما يعلمون
أنه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلا أحد هذين الضربين وكذلك
يقول أحدهم أكلت بسرة أو تمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل إلا أنه أبهم على
المخاطب وقال لبيد

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الجنسين فسبيلي أن أفنى كما فنيا فأما
حسن ذلك فقصده الذي أجرى إليه وغرضه الذي نحاه وهو أن يخبر كونه
ممن يموت ويفنى فلا يخل بإجمال ما أجمل من كلامه فأضرب عن التفصيل
لأنه لا فائدة فيه وكأنه سواء كان من ربيعة أو مضر فموته واجب وكذلك
الوجه الآخر لأن الغرض فيها أن يخبر عن شدة قلوبهم وأنها مما لا تنثني
لوعظ ولا تصغي لحق فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد منها فقد تم
ما أجرى إليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها

بالحجارة

فجاءهم
فيبهمون
أكلت
الجنسين
لأنه
لأن قصده الذي
هو أن يخبر
الآية
قسوة

بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في أنه
غير محتاج إليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام **ورابعها** أن تكون أو بمعنى
بل كما قال الله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون معناه بل يزيدون
وروي عن ابن عباس في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال
كانوا مائة ألف وبضعا وأربعين ألفا وأنشد الفراء

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ... وصورتها أو أنت في العين أملح

وقد تكون أو في الاستفهام أيضا بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أو أنت
رجل متعنت معناه بل أنت وقال الشاعر

فوالله ما أدري أسلمى تغولت ... أم النوم أم كل إلي حبيب

معناه بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يخاطبنا
تعالى بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والإضراب
عنه وليس ذلك يجوز إلا على الاستدراك فإن أريد به الاستئناف أو التذكر
لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لأن أحدنا قد يقول أعطيته ألفا بل ألفين
وقصده تزيد بل نقص وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر في الثاني ولم
يتجدد له علم وإن أريد به الأخذ في كلام غير الماضي واستئناف زيادة عليه
فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى أما النقض للكلام الماضي فليس بواجب
في كل موضع تستعمل فيه لفظة بل لأن القائل إذا قال أعطيته ألفا بل ألفين
لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وإنما زاد عليه وإنما
يكون ناقضا للماضي إذا قال لقيت رجلا بل حمارا وأعطيته درهما بل ثوبا
لأن الأول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى أو أشد قسوة غير ناقض
للأول لأنها تشاركه في القسوة على الحجارة لأنهما تساويا فيها ثم تزيد عليها
بعد المساواة **وخامسها** أن تكون أو بمعنى الواو كقوله تعالى أن تأكلوا من
بيوتكم أو بيوت آبائكم فأنت معناه وبيوت آبائكم وقال جرير

نال الخلافة أو كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر

وقال جرير أيضا

قال ابن جني رحمه الله الغرض في قوله تعالى أو يزيدون أن انضم بحيث يحزرهم الحازر فيقول
هم مائة ألف أو يزيدون فعل على موجب الحزر

رفع صورتها على الابتداء والعطف وصورة الشمس في العين أملح
بل أنت

تغولت
من جهتها التي ... ويكون بمعنى قول
تابع فنعنا ... من نحو بلادها

أو بل

الأمة أن

بنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب

أثعلبة الفوارس أو رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا

أراد ورياحا وقال توبة بن الحمير

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال آخر

فلو أن البكاء يرد شيئا ... بكيت على بجير أو عفاق

على المرأين إذ هلكا جميعا ... لشأنهما بشجو واشتياق

يروى بخرق وخراق

أراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بأن قال ليس شيء يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه به عليها وإنما يصح ذلك في موضع المشبه بما هو أعلى منه لأن أعلى منه معلوم واختار المفضل الوجه الذي تضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد منها وما له الزيادة عليها لأنه إذا عرف صح أن نعرف ما هو زائد عليه أو ناقص عنه لأن الزيادة والنقصان إنما هما في المعلوم معروف على أن الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة أنها قد انتهت إلى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وإن كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها بما لا يشبهها فقول المفضل ليس يعرفون ما هو أشد قسوة من الحجارة لا معنى له إذا كان القول على طريق المثل وبعد فإن الذي طعن به على هذا الجواب يعترض على الوجه الذي اختاره لأنا إذا اخترنا أن تكون أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز أن يخبرهم بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة وإذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما تعرفون من الحجارة جاز أن يخبرهم بمثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي تعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد عليها فإن قيل كيف تكون أو في الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة وأشد

ما هو

من

من الحجارة في حال واحدة لأن الشيئين إذا كانا على صفتين لم يجز أن يكون على حاليهما قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حال وأشد من الحجارة في حال أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون تأويل هذا الجواب أن قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي إلى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي ربما لانت وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد عن الخير والنفور منه فتكون في هذه الحال أشد قسوة من الحجارة وعلى أنه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن تكون فيها قسوة الحجارة لأن القائل إذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر بأنه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظنه المعترض ولا إثبات لصفتين ونفيهما وكل هذا واضح بين بحمد الله قال رضي الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصاري

هذام

فهام

هنالك

قال المرتضى رضي الله عنه وقول

ومولى سخيف الرأي رخو تزيده ... أناتي وعفوي جهله عنده ذما

دملت ولولا غيرة لأصبته ... بشنعاء باق عارها يفري العظما

أصلحت والدمال إصلاح الأرض بالسماد

طوى حسدا ضغنا علي كأنما ... أداوي به في كل مجمعة كلما

أداري ذا

فيجهل أحيانا فلا يستخفني ... ولا أجهل العتبى إذا ما عم الحلما

شديد وباني في الرخاء بوده ... ويدنو ويبدو عونه إذا خشي الظلما

الهضال

فترفع صنعي له عند الخصيم سهامه ... وأرفع عنه عند عثرته الظلما

عزيز ظ

الأريب الدهاء والأريب العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وكنت إذا ما عوى الضلال بي حليما ... ما لم تجد بالد لم يكن رغما

فلست بلاق شيئا سادنا مالكا ... فليس به إلا أبي أو عما

وكنت رجيحا في الوغى سابقا ... ليسبق بكا كالكباد تتبع النجما

ستعلم إذ عادت حتى ضع قومه ... أنا لا أقول لا أبا لك أو غرما

سابق غل

لقد أبقت الأيام مني وحربها ⁂ لأعدائنا نكلا وحسبا ودار حرب
فكانت عروق الكرم أرزت وصرت ⁂ بما أتينا لا كمحمد فالنفس الذي شا

ومن مختار قوله

إني إذا خفي الرجال وجدتني ⁂ كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة أمنى بها ⁂ إلا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخطر ⁂ تخشى بوادره لدى الأقران

ومن جيد قوله

خليلي ما بالها الهوى متناجيت ⁂ أقاربها في وصلها وأقاربه
ألا إن أهوى ما لنا من قربها ⁂ قد نجابا إذا ما الليل غابت كواكبه
فجمع دنا منه حدثت بقربه ⁂ فبات يحييني وتب الكاتبه
فاحمره في البر يحيى ونحنه ⁂ بأن لعين منه صد نفسي بعاده

وقد عنيته وجبر كل من وصف المصاحبة امرؤ القيس بقوله

تقول وقد جردتها من ثيابها ⁂ كما رعت مكحولا من العين أتلعا
وجدك لو شيء أتانا رسوله ⁂ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فتباعد ذا الوحش عنا كأننا ⁂ قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
إذا أخذتها هزة الروع أمسكت ⁂ بمنكب مقدام على الهول أروعا

وقال علي بن الجهم ووصف شدة الالتزام

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة ⁂ وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ⁂ من الراح فيما بيننا لم تسرب

ولعبد الصمد بن المعذل وهذا المعنى

كأنني عانقت ريحانة ⁂ تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى ⁂ حسبتنا في جسد واحد

ولبشار بن برد

إنني أشتهي لقاءك والله ⁂ فماذا عليك أن تلقاني
قد تلطف الرياح صنعا من البان إلى مثله فيلتقيان وسل هنا للبحتري

دلم

وكم أنس بلينا في العناق ⁂ لفا القضيب بقضيب قضيب
كالتفت الريح لريحها ⁂ نظورا حفونا وطونا هبوبا

ولا هو في مثل هذا المعنى بعينه
ولستا ندري هل سوى البحر بأيام أخر

وضم لا يحتمه اعتناق ⁂ كما التف القضيب على القضيب

ولعلي بن الجهم

وبتنا على رغم الحسود كأننا ⁂ خليطان من ماء الغمامة والخمر

فهذا وإن جعله في العناق فأخوذ من قول بشار

وإذ نلتقي خلف العيون كأننا ⁂ سلاف عقار بالنقاخ مشوب

والأصل في هذا المعنى قول الأخطل والناس من بعده على أثره

من الجعار بأيدي الحور نطلب سرها ⁂ كبيض الأنوق المستكنة في الوكر
فلما أتاها إذ أتانا لعيشها ⁂ لكالماء من صوب الغمامة كالخمر

وقد أخذه أيضا ابن المعتز فقال

ذاك إذ دعوتها ودوجى بالجام ⁂ كأسقي خمرا بعذب ماء

فأخذه العباس بن الأحنف فقال

سأنس عما ما مسعطر ⁂ على فؤادي وشبراها على راحي
وقولها ليته ثوب على جسدك ⁂ أو ليتني كنت شيئا لا يعتبر
أو ليتما كان لي جسما وكنت لها ⁂ من ماء مزن فكنا الدهر في كأس

وقيل للبحتري

تعدت نفسك من نفس ممتزلة ⁂ هي المسافة بين الماء والراح

ولقد أحسن بشار بقوله

لقد كان ما بيني زمانا وبينها ⁂ كما بين ريح المسك والعنبر الورد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني العتبي عن أبيه قال سمع الوليد بن عبد الملك الأحوص يذكر موضعه فكتب الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز يحيي

كان الوقت في غب يوم

وكيف ترى للنوم طعماً ولذةً	وحالك أمسى موثقاً في الحبائل
فمن يك أمسى سالياً عن حمامةٍ	لعيبٍ به أو شامتاً غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجداً	صبوراً على عضّاء تلك البلابل
إذا سرّ لم يفرح وليس لنكبةٍ	ألمّت به بالخاشع المتضائل

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى عراك بن مالك الذي كان يحمد عليه فقال ما ترى في هذا الشاعر فقال عراك عكاز حبسه فنكر في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك حلّ الأحوص وشيّعه إكراماً قال رحمه الله وإنما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية فأما قوله إذا سرّ لم يفرح البيت فمأخوذ من قول لقيط بن زرارة الإيادي

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده	ولا إذا عضّ مكروه به خشعا

وللأحوص أيضاً

وبعض شكري لا أبوح به	من شيبة غلبت على قلبي
ولو أنها إذ زمّ موكبها	يوم الكديد أطاعني صحبي
قلنا لها حُيّيتِ من سكنٍ	ولركبها حُيّيتَ من ركب
ما الشوق أقتل لي بروعتها	قتل الظما بالبارد العذب
والناس إن حلوا جميعهم	شعباً سلكت وأنت في شعب
حالفت شعبك دون شعبهم	ولكان قربك منهم حسبي

قوله والشوق أقتل لي نظير لقول جرير

فلما التقى الحيّان أُلقيت العصا	ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فقال كيف يأمرهم بأن يخبروا بما لا يعلمون أوليس ذلك أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي تجوّزون أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوز فقد ذكر في هذه الآية وجهان **أولهما** أن

أحدهما

قال المرتضى رضي الله عنه

بنت عاصم

ظاهر

الجواب

ظاهره الأمر إن كان أمراً يقتضي التعلق بشرط تقديره كونوا صادقين عالمين بأنكم إذا أخبرتم عن ذلك صدقتم فأنبئوني حينئذ بذلك عليهم ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم ويجري هذا مجرى أن يقول القائل لغيره خبّرني بكذا وكذا إن كنت تعلمه أو إن كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه فإن قيل ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى إن كنتم صادقين إن المراد به إن كنتم تعلمون بالحكمة التي من أجلها جعلت خليفة في الأرض أو إن كنتم صادقين في اعتقادكم أنكم تقومون بما انتصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه وإذا كان القول محتملاً للأمرين جاز أن يجري الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم لمن يذهب إلى أن الله تعالى يصح أن يأمر العبد بشرط مع علمه أنه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب إلى جواز ذلك صح أن يعتمد على هذا الجواب فإن قيل فأي فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا لمن ذهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف بإقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين فإن قيل فهذا يرجع إلى الجواب الذي تذكرونه من بعد قلنا هو وإن رجع إلى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم أن الآية تضمنت الأمر والتكليف حقيقة والجواب الثاني لا نسلم فيه أن القول أمر على الحقيقة فمن ههنا افترقا والجواب الثاني أن يكون وإن كان ظاهره ظاهر أمر غير أمر على الحقيقة ومن ههنا افترقا بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر ما ليس بأمر والقرآن والشعر وأخبار العرب مملوءة بذلك ويختص هذا الجواب بأن الله تعالى

كلام

الأمر لا يتم لمن يذهب إلى أن الله تعالى لا يصح

الأمر في القول

لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فقالوا أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لتفوّضت
لهم إني أعلم ما لا تعلمون أي إني مطلع على مصالحكم وما هو أنفع لكم في
دينكم على ما لا تطلعون عليه هو إذا التنبيه على أنه لا يمتنع أن تكون غير
الملائكة مع أنها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي أولى بالاستخلاف
في الأرض وإن كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلّم آدم أسماء
جميع الأجناس وأكثرها ثم قال للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء
مقرّعا لهم ومنبها على ما ذكرناه من الدلالة على اختصاص آدم بما لم يختصوا
به فلما أجابوه بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه
قال لهم ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون منبّها على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين
وأن الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره ويعلم أنه لا يختار للعباد
إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه وعلى هذا الجواب
يكون قوله إن كنتم صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم
بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به
هذا الخليفة ويكملون له فلو أن الأمر على ما ذكرناه فإن
القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد إعلامهم وإقرارهم
ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون معنى لأن التكليف الأول لا يتغير حاله بأن يخبرهم آدم عليه
السلم بالأسماء ولا يكون قوله إني أعلم غيب السموات إلى آخر الآية إلا تابعا
لما ذكرناه من المعنى والتكليف فكأنه تعالى قال لهم إذا كنتم لا تعلمون هذه
الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبّر أمركم
بحسبه أولى فإن قيل كيف علمت الملائكة بأنه في ذرية آدم عليه السلم
من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما الطريق لها إلى علمها بذلك وإن كان
قرما لتكيف يحسن أن يخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل إنها لم تخبر وإنما

استفهمت

ٱلقاتل فقال م
والفاء زائدة

كان م
عليه السلم
إن كنتم صادقين م
تعالى م
دون معنى م

استفهمت فكأنها قالت ستفعل أتجعل فيها كذا وكذا وقيل إنه
الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذريته هذا المستحلف من بعضهم تفسيد
في الأرض فقالت على وجه التعرّف لما في التدبير من المصلحة وإن استفادته
لوجه الحكمة فيها أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الآخر يقتضي
أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير وإذ قال ربك للملائكة
إني جاعل في الأرض خليفة وإني عالم بأنه سيكون من ذريته من يفسد و
يسفك الدماء فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى قالوا أتجعل فيها
من يفسد فيها لأن في ذلك دلالة على الأول وإنما حذف اختصارا وفي حمله جميع
الكلام اختصار شديد لأنه تعالى لما حكى عنهم قولهم أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام
نحن على ما ظننته وتظهر لنا من الأمر أولى بذلك لأنا نطيع وغيرنا يعصي وقوله
تعالى إني أعلم ما لا تعلمون يتضمن أيضا أنني أعلم من مصالح المكلفين ما لا
تعلمونه
ولا يكون تعالى فيما تظنونه على ظواهر الأمور وفي القرآن من الحذف
العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك
قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلم والناجي من صاحبيه في السجن وقال الملك
الملك إني أرى سبع بقرات سمان إلى قوله أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ففعلوا فأتى يوسف
فقال له يوسف أيها الصديق ومثله قوله تعالى في سورة الأنعام قل إني أمرت
أن أكون أول من أسلم أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك
قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلم ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها
شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه
ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وجفان كالجواب إلى قوله اعملوا آل داود شكرا أي وقيل لهم اعملوا
آل داود شكرا وقال الشاعر

ورد ثم على قيس بجوز جائع فثوى ثم على ساق بطيء جبورها

أراد فثوى على ساق مكسورة بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر على وقال صخر

من يجعل م
هذا م
فيه م
فيها م
ويسفك الدماء م
المحذوف م
الصديق م
أفتنا أو أوسط الكلام
خذ وقد قال أنا أنبئكم بتأويله
فأرسلون ففعلوا م
وقليل من عبادي الشكور م
لكنه لما كان فيه قوله ينظر جوهرها

قد يلقى لآرها سدبة ... لقيت بمحروم الشراب مصرم

يعني ناقته ومعنى لقيت أي حططت عليها انقطاع لبنها وتعطيب يحرمها أيضا كذلك فحذف هذا كله والناقة إذا كانت لا تنتج كانت أقوى لها على السير قال آخر

ناقة شرا وبرونها للمسفرا

فلا بد فيوتي إن دفنتم ... عليكم ولكن خامري أم عامر

أراد فلا بد فيوتي بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع وقال أوس بن حجر

حتى إذا الكلاب قال لها ... كاليوم مطلوبا ولا طلبا

أراد لم أر كاليوم فحذف وقال أبو داود الإيادي

إن من شيمتي لبذل تلادي ... دون عرضي فإن رضيت فكوني

أراد فكوني معي على ما أنت عليه وإن سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال آخر

إذا قيل سيروا إن ليلى لعلها ... جرى دون ليلى مائل القرن أعضب

أراد لعلها قريب وهذا باب يتسع فأكثر من أن يحيط به قول والحذف غير الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لأن الحذف يتعلق بالألفاظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف إلا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله ولكن خامري أم عامر وغيره مما أنشدناه لأن القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاما آخر غيره لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

أراد أنهم أعزاء مقيمون بدار ملكهم لا ينتجعون كالأعراب فاختصر هذا المبسوط في قوله حول قبر أبيهم ومثله قول عدي بن زيد

عالم بالذي يريد نقي الصدر ... عف على جناه تحور

ومن هذا الاختصار قول أوس بن حجر

وفتيان صدق لا تخم لحامهم ... إذا شبر القوم الصواء النوافرا

يقول لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال كرامهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم ويكسب الشاء والسبب لأنها تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار سعرية سقط الغنم وهذا أيضا أكثر من أن يحصى وإنما فضل الكلام الفصيح المختصر على غيره لما فيه من إفادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة فأما قوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة بعد ذكر الأسماء التي لا يليق بها هذه الكناية فالمراد عرض المسميات لأن الكناية لا تليق بالأسماء فلا بد من أن تكون تلك المسميات لا تليق ولا بد من أن يكون تلك المسميات أو فيها من يجوز أن يكنى عنه بهذه الكناية لأنها لا تستعمل في العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل إن في قراءة أبي ثم عرضها على الملائكة وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون الكناية عن الأسماء قال رحمه الله وقد تجيء في هذه الآية سؤال لم نجد أحدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو مما يسأل عنه وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة لما أخبرها آدم عليه السلام بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم عليه السلام بالأسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض معنى ولا كانوا أيضا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم دون غيره والجواب أنه غير ممتنع أن تكون الملائكة في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم في تلك الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات إما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول إن ذلك يؤدي إلى أنهم علموا نبوته اضطرارا وهذا ينافي التكليف وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة

ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري ذلك مجرى أن يخبرنا أحدنا بأنه نبي بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة فقولنا إن كان عالما بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد بنبوته لأنه علم بصدقه في خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب ومعجز آخر وهو أنه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلا أن يكون الإحاطة بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم علّمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما أخبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى الغير وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك أن كل قبيل إذا كانوا كثيرة وخبروا أن الشيء يجري في هذا المجرى علم بخبرهم فلما أخبر كل قبيل صاحبه بعلم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته وهذا يقتضي أن يكون قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء أي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الأسماء وهذان الجوابان جميعا مبنيان على أن آدم لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزات على يديه لم يحتج إلى هذين الجوابين معا لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يكونوا علموا ذلك بقوله الذي قد آمنوا فيه بصدقه وهذا بين لمن تأمله قال رضي الله عنه رأيت قوما ممن تكلم على معاني الشعر

يذكرون في بيت حسان بن ثابت

لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم

أن المراد بها الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال لم تفتها شمس النهار بشيء غير أنها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك أن الشباب ليس مما يدوم لإنسان وهذا الذي ذكروه ليس بطائل والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان أن شمس النهار لم تفتها بشيء غير أن شبابها

مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام سؤوم

شأنها العطر والفراش ويعلوها ... لجين ولؤلؤ منظوم

لو يدب الحولي من ولد الذر ... عليها لأندبتها الكلوم

وهذه الأوصاف لا تليق بمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلا الصبيان والأحداث ومن العجائب أن هذا الاستخراج على ركاكته مسند إلى الأصمعي وما أقل من تكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة بالإضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها أولى بمن يثمر استخراج المعاني على هذا فهو بغيره أشبه وأقل الأحوال أن يكون محتملا للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

يا صخر وراد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في تركه ورده عار ويظنون أنه متى حمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجري مجرى قول المرقش

ليس على طول الحياة ندم ... ومن وراء المرء ما لا يعلم

وليس الأمر على ما ظنوه لأنه يحتمل أن تريد أنه لا عار في وروده على ظاهر الكلام والفائدة غير ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور الصعاب التي من جملتها إيراد الماء المخوف فكأنها قالت إنك تريد ما قد تناذره الناس وتركب أمرا صعبا قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الجبان في السخاء ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلا يحوز به أكثر الحظ من السخاء وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد وما جرى هذا المجرى فكأنها نفت عن فعله لحوق العار وليس يجري ذلك مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم لأن البيت يحتمل على أن المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا كما تقدم بينا فائدة بيت الخنساء إذا كان

المرادُ ما ذكرناهُ. بعض آخر تأويل آية إن سأل سائلٌ عن قوله
تعالى واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة
يُعبدون. الجواب قلنا في ذكر هذه الآية وجوهٌ أولها أن يكون المعنى
واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ويجري ذلك مجرى قولهم
السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر
زهير فأقاموا حاتم مقام السخاء المضاف إليه ومثله قوله تعالى ولكن البر
من آمن بالله ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال أذلةٌ ... سواسية أحرارها وعبيدها

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي صلى الله عليه والمعنى لأمته لأنه عليه
السلام لا يحتاج إلى السؤال لكنه خوطب بخطاب أمته كما قال تعالى الر
كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه فأفرده بالمخاطبة ثم رجع إلى
أمته فقال اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وفي موضع آخر يا أيها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فخاطبه عليه السلام والمعنى لأمته ثم بيّن
ذلك بقوله إن الله كان بما تعملون خبيرا وقال تعالى يا أيها النبي
إذا طلقتم النساء فوحّد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي ذكرناه

الكميت

إلى السراج المنير أحمدَ لا ... يعدلني رغبةٌ ولا رهبُ
عنه إلى غيره ولو رفع الناس ... إليّ العيون وارتقبوا
وقيل أفرطتَ بل قصدتُ ولو ... عنّفني القائلون أو ثلبوا
لجّ بتفضيلك اللسان ولو ... أُكثر فيك الضجاج واللجب
أنت المصفّى المحض المهذب في النسبة إن نصّ قومك النسب

الخطاب للنبي عليه والمقصود به أهل بيته عليهم السلام والأطناب في صفة
فضائلهم ومناقبهم ولا يعنّف في ذلك أحدٌ وإنما أراد الكميت وإن أكثروا
يلح أهل بيته تذمير الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف في تجرّهم
فيهم القول له والمراد به عترته ولذلك وجه صحيح وهو أن المراد

سوا لابيهم

بهم الأنبياء والأيمان لليهود والانقطاع إلى حجتهم لما كان رسول الله صلى
الله عليه المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه
هذا الموضع. وقيل إن المراد باتباع الأخبار الذين آمنوا وأسلموا منهم مثل
أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره وليس يمتنع أن يكون هو عليه السلام
المأمور بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وإن لم
يك شاكًّا في ذلك ولا مرتابًا به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة
عليهم باعترافهم أو لأن يحتج مشركي العرب إنكار أن تكون كتب الله تعالى
المتقدمة وأنبياؤه الأولون بها دعت إلى التوحيد فأمره عليه السلام بتقرير
أهل الكتب بذلك ليزول الشبهة عمن اعتقد منهم والجواب الثاني أن يكون
السؤال متوجها إليه عليه السلام والمراد به دون أمته والمعنى إذا لقيتهم الأنبياء
في السماء فسلهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه صلى الله
عليه وآله لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره بالسؤال لأجل
كونه شاكًّا لأن مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه ولكن لبعض المصالح الراجعة
إلى الدين مما لا يمتنع أن يختص عليه السلام ويتعلق ببعض الملائكة الذين يسمعون
ما يجري بينه وبين النبيين عليهم السلام من سؤال وجواب. والجواب
الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو أن يكون المعنى وسل من أرسلنا
يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وإن كان يوافق في المعنى الجواب الأول
ففيه بينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صار مغايرًا له
وقد ردّ على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل إنه خطأ في الإعراب لأن لفظة
إليه لا يجوز إضمارها في هذا الموضع لأنهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله
على معنى الذي جلست إليه لأن إليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل
لا يضمر فأما إذا كان القائل إذا قال الذي أكرمت أباه عبد الله كريم جاز
أن يضمر أباه لانفصاله عن الفعل كانت لفظة إليه مثله وكذلك
لا يجوز الذي رغبت محمد بن علي الذي رغبت فيه لأن الإضمار إنما يحسن
في الهاء المتصلة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي ضربت

هذيتك معناهما أكلني وكفيته وقال الفراء إنما حذفت الهاء لأن
الذي عليها وقال سعيد في حذفها غير ذلك وكل هذا الجنس مما تقدم زيادة
فصح أن جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد على ما تقدم مجلس آخر
تأويل خبر إن سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه
الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر
سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الإسلام قبل أن
تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب إلى أنه لو
كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن يهوده أبواه أو ينصرانه ما ورثاه
وكذلك لو ماتا قبله لما ورثهما لأنه مسلم وهما كافران وما كان أيضا
يجوز أن يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم أنه
يولد على دين أبويه قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال
هو مبين في الحديث الآخر الذي يتضمن أنه عليه وآله السلام سئل عن أطفال
المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب إلى أنهم يولدون
على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر فمن كان في علمه تعالى أنه
يصير مسلما فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه أنه يموت كافرا ولد
على ذلك قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر
كذلك يقول الله تعالى إني خلقت عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وجعلت ما أحللت لهم حراما قال أبو عبيد يريد بذلك البحائر والسوائب
ونحو ذلك مما أحله الله تعالى فجعلوه حراما وأما ابن قتيبة فإنه قال وقد حكى
ما ذكرناه عن أبي عبيد ليست الحكاية كما حكاه أبو عبيد عن ابن المبارك ومحمد بن
الحسن فقيهان من أراك لم يعرف معنى الحديث لأنهما لم يذهبا إلا أن الذي ذكر
به أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على أن الحديث عنده منسوخ والنسخ
لا يكون في الأخبار وإنما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل
ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لأن مخرج الكلام مخرج العموم قال

ولا أرى معنى الحديث إلا ما ذهب إليه حماد بن سلمة فإنه قال فيه هذا
عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى
ظهر آدم فأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم
ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه السلام أن كل مولود يولد في العالم على ذلك
العهد وعلى ذلك الإقرار الأول وهو الفطرة قال رحمه الله كل هذا تخليط
وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله يولد على الفطرة يحتمل
أمرين أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين وتكون على بمعنى اللام فكأنه
قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لأن الله تعالى لم يخلق من
يبلغ مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والدليل على أن على تقوم مقام
اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبي زيد عن العرب أنهم يقولون
صف علي كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صفه لي ويقولون ما أغبطك علي
يريدون ما أغبطك لي والعرب تقيم بعض حروف الصفات مقام بعض
فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه قال الطرماح

كأن مخواها على ثفناتها ۞ معرس خمس وقعت للجناجن

أراد على الجناجن وقال عنترة

شربت بماء الدحرضين فأصبحت ۞ زوراء تنفر عن حياض الديلم

معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماءان يقال لأحدهما وسيع
والآخر دحرض فغلب الأشهر وهو الدحرض وإنما ساغ أن يريد بالفطرة
التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد
يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص
وعلى هذا يتأول قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر
الناس عليها أراد دين الله الذي خلق الناس له وقوله تعالى لا تبديل لخلق
الله أراد أن ما خلق الله العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير
ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك

وهذا مما قال المرتضى رضي الله عنه

الامر وان كان ظاهره الخبر فكأنه تعالى قال لا تبدلوا ما خلقكم
له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتضلوا والوجه الآخر في تأويل قوله الفطرة
ان يكون المراد به الخلقة ويكون لفظه على ظاهره لم يرد بها غيرها ويكون
المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله وعبادته والايمان
به لانه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان
به وان لم ينظروا ولم يعرفوا فكأنه عليه السلم قال كل مخلوق ومولود فهو
بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا
او نصرانيا وهذا الوجه يحتمله ايضا قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس
عليها واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله حتى يكون ابواه
يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما ان من كان يهوديا او نصرانيا
ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله ابواه كذلك ومن جرى مجراهما
ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد
في الاكثر ينشؤن على مذاهب آبائهم ويألفون اديانهم ونحلهم و
يكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن اضلال العباد وكفرهم وانه
انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الآخر
ان يكون معنى يهودانه وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال
اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم بآبائهم فكأنه عليه السلم قال
لا تتوهموا من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا
لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن آباءهم هم الذين
ادخلوهم في احكامهم وعبر عن ادخالهم في احكامهم بقوله يهودانه
وينصرانه وهذا واضح فاما جواب ابن قتيبة الذي حكاه عن محمد بن الحسن
فانا انما تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ لم [illegible]
وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم
آبائهم وذلك غير ممتنع فاما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد
لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يأمره

ظاهره صح
عليه السلم صح
على صح
تعالى صح
بخلقته صح
معرفته صح
باحكامهم صح

بالايمان ويثيبه عليه ويعاقبه على خلافه فاما ما روي عنه عليه
السلم وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين
فانه يحتمل ان يكون عليه السلم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين
كيف تكون صورته والى اي شيء تنتهي عاقبته فقال الله اعلم بما كانوا عاملين
واراد ان ذلك مستور عني ولو كانت المسألة عمن اخترم طفلا لم يجز ان
يكون الجواب ذلك واما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد من غير وجه
يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص
وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو الذي ذكرناه وكيف
ننبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تأويل الخبر ما يجري في الفساد
والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت
معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الاوامر دالا على ذلك
فيها وهذا مثل ان يقول عليه السلم الصلوة واجبة عليكم ثم يقول
بعد زمان ليست واجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول
كما لو قال صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للاول واما
الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الامالي عند
تأويلنا لقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وابطلنا
قول من اعتقد انه مسح ظهر آدم واستخرج منه الذرية واشهدها
على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بنحو من الكلام فلا طائل في اعادة
ذلك **مجلس آخر تأويل آية** ان سأل سائل عن قوله تعالى فاما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء ههنا والمراد الدوام والتأبيد
ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب قلنا
قد ذكر في هذه الآية وجوه **اولها** ان تكون الا وان كا

عاملين صح

ظاهره فالاستثناء على المراد بها الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار
كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكما
وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير
لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين و
الوجه الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخولهم الجنة
والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحيوة والموت واحوال
المحاسبة والعرض وغير ذلك لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا
ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة او النار من لدن نزول
الآية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة
والوجه الثالث ان يكون الا بمعنى الواو فالتأويل خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وما شاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك

بقول الشاعر

وكل اخ مفارقه اخوه
لعمر ابيك الا الفرقدان

معناه والفرقدان وبقول الآخر

وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم
الا رمادا هامدا دفعت
عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بالا ههنا الواو والا كان الكلام متناقضا والوجه الرابع
ان يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق و
تقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب
الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل
فهبوا ان هذا امكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا يحمل
الثاني على استثناء المكث في المحاسبة والموقف وغير ذلك بما تقدم
ذكره والوجه الخامس ان يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود
وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم فان لا يخلدهم لفعل وانما

لهم

لهم م

هم م ل

انما يكون بمشيئة الله وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك
الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوي الا ضربه ومعنى استثنائه اي لو شئت
ان لا اضربك لفعلت وتمكنت غير انه يجمع على ضربك والوجه السادس
ان يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج
لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك
مجرى قول العرب والله لاهجرنك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار يعني
ذلك اني اهجرك ابدا من حيث علقت بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى
الآيتين فالمراد بهما انهم خالدون ابدا لان الله تعالى لا يشاء ان يقطع خلودهم
والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل الايمان
ثم ينقل الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تعالى انهم معاقبون في النار الا
ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز
ايضا ان يريد باهل الشقاء ههنا جميع الداخلين الى الجحيم ثم استثنى
بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم من يستحق ثوابا لا بد ان يوصل
اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين
سعدوا فانما استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرنا لان من ينقل من النار الى
الجنة ويخلد فيها لا يتخفف الاخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم
فكانه تعالى قال انهم مخلدون في الجنة ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين
شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال
التي يليق بهم فهم اذا دخلوا النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء واذا نقلوا
الى الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين
كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق
عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم
من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم
من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال وسعداء في حال اخرى واما

بمشيئته م ل

الذين م

انتم م ل

خالدون م ل

الجنة وم

واما م ل

تعليق الخلود بدوام السموات والأرض فقد بيّنّا أن ذلك لم يُجعل شرطاً في الدوام وإنما علّق ذلك به على طريق التبعيد وتأكيد الدوام لأن للعرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لأنهم يقولون لا أفعل كذا ما لاح كوكب وما أقام الجبل وما اختلف الليل والنهار وما بلّ بحر صوفة وما نعتت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام وتجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا أبداً لأنهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغيّر وخاطبهم إنما يجري بما يجري بحسب اعتقادهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه ألا ترى أن بعضهم لمّا اعتقد في الأصنام أن العبادة تحقّ لها سمّاها آلهة بحسب اعتقاده ولم تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي ذكرناه أن قول

الجوير العبدي يحكي الأمر

ذهبا الجود والجنيد جميعاً ۞ فعلى الجود والجنيد السلام
أصبحا ثاويين في عرض مرو ۞ ما تغنّت على الغصون الحمام

وقال الأعشى

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا ۞ ولست ضائرها ما أطّت الإبل

وقال الآخر

لا أفتأ الدهر أبكيهم بأربعة ۞ ما اجترّت النيب أو حنّت بلد

وقال زهير

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ۞ ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

فهذا وجه وقيل أيضاً في ذلك إنه أراد بالشرط وعنى بالأبد دوام السموات والأرض فأعلمنا أنهما يتبدّلان ويجوز أن يحييهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع وإنما المنقطع هو دوام السموات والأرض قبل التبديل والفناء ويمكن أن يكون المراد أنهم خالدون بمقدار مدّة السموات والأرض التي يعلم انقطاعهما ثم يزيدهم الله عزّ وجلّ على ذلك ويخلّدهم ويؤبّد مقامهم وهذا الوجه يليق بالأجوبة التي تتضمّن أن الاستثناء

ابد

بقدر الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال رحمه الله وجدت أبا القاسم الآمدي قد ظلم البحتري في نسبته لمن مضى ما أظلم كثيراً من أشعاره وعلى خلاف مراد البحتري حتى قوله

كالبدر إلا أنها لا تختفي ۞ والشمس إلا أنها لا تغرب

ثم قال وهذا فيه سؤال لأنه لما قال كالبدر إلا أنها لا تختفي فالمعنى صحيح لأن الناس كلهم ترى البدر وتختفي وهي لا تراها العيون ولا تختفي ثم قال والشمس إلا أنها لا تغرب وإنما قال لا تختفي لأنها محجوبة وإذا كانت في حجاب فهي تغرب لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب تغاير الحجب كالبدر إلا أن العيون لا تراها والشمس إلا أن العيون لا تفقدها قال وهذا القول سنحا كما تراه قال وأظن أنه أراد أنها وإن كانت في حجاب فإنه لا يقال لها غربت تغرب غروباً كما يقال للشمس وإنما يقال لها إذا سافرت بعدت وغربت في إذا توجّهت نحو المغرب وقد يقال للرجل أغرب عنّا أي ابعد ولو استعار لها اسم الغروب من الأرض التي تكون فيها إذا انقطعت عنها إلى أرض أخرى كان ذلك حسناً جداً لأنه قد جعلها شمساً كما قال إبراهيم بن العباس

الصولي

ودنا البين زوال الشمس مشتهرها ۞ فمن مخبري في أي أرض غروبها

قال وقد يجوز أن يقول قائل إنه أراد لا تغرب تحت الأرض كما تغرب الشمس وهذا معنى مستقر لأبي عبادة وإن لم يكن أخطأ فقد أساء قال رحمه الله في ما أخطأ عندنا الآمدي ومراد البحتري بقوله أوضح من أن يذهب على متأمّل لأنه أراد بقوله والشمس إلا أنها لا تغرب أنها لا تغيب تحت تنقذ دونها وتنمنع كما تنقذ دون الشمس لأن من غربت عن أفق بلده والمرآة تحت أن يعرى منها باختيارها فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس إذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا الأصح أن يقال لمن استقل بلداً أو بعداً بعين الشمس إنها قد غربت عنه وإن كان عنده أنها لأن رؤيتها ممكنة مع زوال ذلك المانع فكذلك القول في احتجاب المرأة

قال المرتضى رضي الله عنه

قال المرتضى رضي الله عنه

يبدّلا المبدّلين لأرزاق عبالى يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات

المعنى

الجاهلية فلا أنا نقضى في جنب البحتري على ما ظنه الآمدي ولبعضهم في هذا

قد قلتُ للبدر واستعبرتُ حين بدا ... ما بالك يا بدر لي من وجهه ما خلف

تبدي لنا كلما شئنا محاسنها ... وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فعني قوله وأنت تنقص وتنكسف لجارية غربت غروبا الشمس ثم فضلها على البدر من حيث كان يرونها تبصرها سوفا على احتيابها والبدر ينقص وينكسف ويعيب على بحر لا يمكن نقضه كما فضلها البحتري بأنها لا تغرب حتى تصير نقيضها مستملية والشمس كذلك وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصدّه قال الآمدي وهذا عندي من أهجى ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنّف الخليفة على الكرم أو يصدّه ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح قال المرتضى رضي الله عنه والبحتري في هذا معذور من وجهين أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكأنه قال لو عنّف وعذل لما صدّه ذلك عن الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف أن يصدّ ويجمع عن الشيء وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب كثير مشهور وقد مضى فيما أسلفناه في مثل ذلك والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الاسراف في البذل والجود بنفائس الأموال ولم يقل البحتري انه عذل لم يردعه أو عنّف فلم يصدّه وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصدّه فكأنه أخبر بأنه لا يمنعه من بذله العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره وهو شاهد لقوة عزيمته وشدة بصيرته ومما خطّأ الآمدي فيه البحتري وان كان لم يرد عندي صحيح لم يسبقه اليه قوله

ذنب كما سحب الرداء يذبّ عن ... عُرف وعُرف كالقناع المسبل

قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لأن ذنب الفرس اذا مسّ الأرض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الأذناب ما قرب من الأرض ولم يمسّها كما قال امرؤ القيس بضاف فويق الأرض ليس بأعزل قال وقد عيب

امرؤ القيس بقوله

لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسدّ به فرجها من دبر

قال وانما أراد امرؤ القيس بلغ موضع الكفل لأن العروس وان كانت تسحب أذيالها فكان ذنب الفرس اذا مسّ الأرض عيبا فكيف يمكن أن يشبه به الذنب ولو لم يبلغ الى أن يمسّ الأرض لأن الشيء انما يشبه بالشيء اذا قاربه أو دنا من معناه فاذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه والذي أتى به امرؤ القيس لم يقصد الى تشبيه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما أراد السبوغ والكثرة والكثافة الا ترى أنه قال تسدّ به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمسّ الأرض ولا يكون كثيفا فلا يسدّ فرج الفرس فلما قال تسدّ به فرجها من دبر علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا أشبه الذنب الذيل من هذا الوجه وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح ولم يخرج ذلك بموجب للعيب وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء فاوضح بأن الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير الفصيح حل

لها ذنب مثل ذيل الهدي ... الى جؤجؤ أيّل النافر

والهدي العروس التي تهدى الى زوجها والأيل الشديد والوافر الصدر لأنهما ترفعانه قال فشبه الذنب الطويل بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى أن يمسّ الأرض قال المرتضى رحمه الله وللبحتري وجه في العذر يخرج به من عهدة ما ادّعاه القعس في قوله مثل ذيل العروس عليه أن الآمدي لم يفطن له وأول ما نقول إن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اتّبع في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على التوسع والتجوز والاشارة الخفية والايماء الى المعاني تارة من بعد وأخرى من قرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم وانما أراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب أن يسحب وكاد يمسّ الأرض ومن شأن العرب أن تجري على الشيء الوصف اللائق فكأنه يستحقه لقربه من العرب الشديد فيقولون قد قتل فلان هوى فلانة وذهب عقله وأزال تمييزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما

ويجمع الا وذلك أو

هذا البحتري

التابع

قال المرتضى رضي الله عنه

حاشية

طلاب

أرادوا المبالغة وإفادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك أكثر من أن
تحصى ومن شأنهم أيضاً إذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل
هذا ألا ترى أنهم يصفون الرجل بالكذب وبالنقص ويشبهون الخصر بوسط الزنبور
ويصفون خلقة المحاسن ويعدون هذا غاية المدح وأحسن الوصف ونحن
نعلم أنا لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب العظيم
لاستبدعنا واستقبحنا صورته لبعدها عن العادة وخروجها عنها وإنما أتوا بالألفاظ
المبالغة مستعيرة وبأنها لا لنحمل على ظواهرها تحديداً أو تحقيقاً بل لنفهم
بها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ... ذلك فكأنا نعلم
من قولهم إن خصرها كخصر الزنبور أنه في نهاية الدقة المستحسنة في النفس
ومن قولهم كفلها كالكثيب أنه في نهاية الوثارة المطلوبة المحمودة و
لهذا كالنبل على التحقيق فلا الإنكار أن يكون البحتري بقوله كما يجب
الرداء ... وغاية الطول الممدوح المحمود لا يجري على الأقدر الحقيقة ...
في المصير معناه وتفصيل إلى العادة الجارية لنظرائهم من الشعراء في
مثل ذلك اللفظ الذي استعمله وقال بعضهم في ثقل العجيزة

وقال المؤمل

تمشي تشقلها دوادفها ... فكأنما تمشي إلى خلف

من رأى مثل حبتي ... تشبه البدر إذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وتمشي كما ... العذارى قطعة ... وقد حلت المظلات المحادر

فكل هذا كلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف في نهاية القبح
لأن من تمشي إلى خلف ويدخل كفله بعده لا يكون مستحسناً و

قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام فرعها ... وتغيب فيه وهو جثل أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

فوصف شعرها بأنه يسحب مع قيامها ونحن نعلم أن الطويل من الشعر

طول الشعر م ل

فإن

وإن كان مستحسناً فليس إلى هذا الحد وإنما أراد بقوله تسحب شعرها
ما أراده البحتري بقوله كما تسحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول
المحمود دون المذموم **مجلس آخر تأويل آية** إن سأل سائل عن
قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين فقال ما تأويل هذه الآية وإن كان المراد بها التعجب من قوة أسماعهم
ونفاذ أبصارهم فكيف يطابق ما خبّر عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب
بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وأن على أسماعهم وأبصارهم غشاوة وما
قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأي يوم هذا المشار إليه وما
المراد بالضلال المذكور في الآية الجواب قلنا أما قوله تعالى أسمع بهم وأبصر
فهو على مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم في التعجب ما أسمعهم وما أبصرهم و
المراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وأنهم عارفون به
على وجه لا اعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى
ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر عنهم فيها بأنهم لا يسمعون
ولا يبصرون وأن على أبصارهم غشاوة لأن تلك الآيات تتناول أحوال التكليف
وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالاً عن الدين جاهلين بالله تعالى
وصفاته وهذه الآية تتناول يوم القيامة فهو المعني بقوله تعالى يوم يأتوننا
والأحوال القيمة لا بد فيها من المعرفة الضرورية ويجري هذه الآية مجرى قوله
تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وأما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل أن يريد بقوله
اليوم الدنيا وأحوال التكليف ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب
عن الحق ويريد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون
بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل أن يريد باليوم يوم القيامة بالضلال العدول
عن طريق الجنة ودار الثواب إلى دار العقاب فكأنه تعالى قال أسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا فحين أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا
اليوم إلى العقاب ويعدل بهم عن الثواب وقد روي شيء في هذا التأويل عن جماعة

هو اليوم م

في التعجب

الأبصار م ل

الدين م

ويعني م

اليوم م

طريق م

من المعتبرين فروي عن الحسن في قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا
قال يقول هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون اليوم في الدنيا
جهلة لا بصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين وقال قتادة وابن
زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم
ينفعهم البصر وقال أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاما حسنا قال لم يعني أسمع
بهم وأبصر ما أسمعهم وما أبصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف
يقول فهم يوم يأتوننا أي يوم القيامة بصراء سمعاء أي عالمون
وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهل واضح قال وهذه الآية
نظير قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة في الأذن
والعين والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن فكرة ولا يتدبرون ما يسمعون
ولا يتفكرون فيما يرون بل هم عن ذلك غافلون وقد نبه أنه جعل قوله
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله أسمع بهم وأبصر يوم
يأتوننا أي ما أسمعهم وأبصرهم فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله
بإزاء الضلال المبين فأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فإنه اختار في
تأويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال ومعنى قوله تعالى
أسمع بهم وأبصر أي أسمعهم وبصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس
إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله
المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء الذين توعدهم الله تعالى
في ذلك اليوم ويجوز أيضا أن يكون معنى قوله أسمع بهم وأبصر أي أسمع الناس
بهؤلاء الأخبار وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا أخبارهم فيؤمنوا بهم ولا
يقتدوا بأعمالهم وأراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من يكن بهم
من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وعن نيل
الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدركت على أبي
علي ونسب فيها إلى الزلل لأن الكلام وإن كان محتملا لما ذكره بعض
الاحتمال من بعد فالأولى والأظهر في معناه ما تقدم ذكره من المبالغة

في وصفهم

ابن الله تعالى

تعالى

في وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق
إلا بالمعنى الذي ذكرناه لأنه إنما أراد باليوم على أن المشار إليه يوم القيامة
على أن أبا علي جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة
قوله أسمعهم وأبصرهم وتأوله على أن المعنى أعلمهم وبصرهم بأنهم يوم القيامة
في ضلال مبين عن الجنة والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة الأول
وأن قوله لكن مستأنفا في الكلام ثان وما يحتاج أبو علي إلى هذا التأويل على
ما اختاره من التأويل بل إنما أراد أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا أي ذكرهم
بأهواله وأعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفا لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين لم يحتج إلى ما ذكره وكان هذا أشبه بالصواب فأما الوجه الثاني الذي
ذكره فباطل لأن قوله أسمع بهم وأبصر إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم
بقي قوله يوم يأتوننا بلا عامل ومحال أن يكون ظرف لا عامل له ولا أقرب أن
يكون على الوجه الأول مفعولا ووجدت بعض من اعترض على أبي علي يقول
رادا عليه لو كان الأمر على ما ذهب إليه أبو علي لوجب أن يقول أسمعهم
وأبصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع غير منكر
زيادتها وذلك موجود كثير في القرآن والشعر قال الله تعالى اقرأ باسم
ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله وهزي إليك بجذع النخلة
وتلقون إليهم بالمودة وقال الأعشى ضمنت برزق عيالنا أرماحنا
وقال امرؤ القيس هصرت بغصن ذي شماريخ ميال وظن أن أبا علي إنما استبعد هذا
الجواب لأنه وجد بين الآيتين لفظا آخر وهو قوله وأنذرهم يوم الحسرة فحمل
الأول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب
أن يوضع كل شيء حيث يقتضيه معناه قال رحمه الله ووجدت جماعة من
أهل الأدب يستبعدون أن يرتج على الإنسان في خطبة أو كلام قصد له فيتبعه منه
في تلك الحال كلام هو أحسن مما قصد إليه وأبلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون
إن الحيشة لا تكون إلا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة
الفائقة والبلاغة المأثورة مع حاجتها إلى اجتماع الفكر وحضور الذكر و

إلى يوم القيامة

إنه

بغصن هصرت أخذت وحركت

قال

قال المرتضى وجدت

معهما

يعيبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عمن حصر في
خطبته أو منطق له أثر مصنوع موضوع والحصر الذي استعاذوا منه مستكره
لأن الحصر ليس يخص شيئاً دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا أمر مشا
متعارف فلا ينكر أن يعيى الإنسان فيسكت لا تعذر عليه الكلام فيه ويكون مع ذلك
ذاكراً لغيره مشكل فيه بأبلغ الكلام وأحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب
عن المقصد بحمية أو بدونها الفكرة فيشغلان عن أحسن الكلام وأبلغه
ليكون ذلك هرباً من العي وإشفاقاً من اللكنة ومن أحسن ما روي في أمر
من الكلام وطال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما أخبرنا أبو عبيد الله
المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال المرزباني وأخبرنا ابن دريد
مرة أخرى قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال صعد
خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة فأرتج عليه فقال أيها الناس
إن هذا الكلام وقال أبو حاتم إن هذا القول يجيء أحياناً ويذهب أحياناً
عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه مطلبه وربما كوبر فأبى وعولج فأبطأ
وقال ابن الكلبي ربما طلب فأبى وعولج فقسا فالتأني لمجيئه أصوب من
التعاطي لأبيه ثم نزل فما رؤي حصر أبلغ منه وقال أبو حاتم والقول لأبيه
أفضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره أولى من طلبه عند تنكره
وقد يختلج من الجريء جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل وأخبرنا بهذا
الخبر أبو عبيد الله المرزباني على وجه آخر قال أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة
الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام عملاً
يجيد الخطب فصعد يوماً واسطاً فصعد المنبر فلما حصل فأرتج عليه
فقال أيها الناس إن هذا الكلام يجيء أحياناً فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب
عند مجيئه سببه وربما كوبر فأبى وعوسر فقسا والتأني لمجيئه أسهل من التعاطي
لأبيه وتركه عند تعذره أجمل من طلبه عند تنكره فقد يرتج البليغ لسانه فلا
القول إذا اتسع ولا يحبو إذا امتنع ومن لم يكن له الحظوة فخليق أن تعزله
البنوة وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة قال حدثنا

مستعذب ل — شيئا م — وتجانا ل — القريحة م — مطلبه ل — وابن ل — أبو عبيد الله م — بن م — وتعزب أحيانا — على م

أخبرنا ل

أبو العباس المنصوري قال صعد أبو العباس السفاح المنبر فأرتج عليه
فقال أيها الناس إنما اللسان بضعة من الإنسان يكل إذا كل وينفسح بانفساحه
إذا انفسح ونحن أمراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الأثمار
لا نتكلم هذراً ولا نسكت إلا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك أبا جعفر فقال لله هو لو خطب
بمثل ما اعتذر لكان من أخطب الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي وبهذا
الإسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه قال أراد أبو العباس
السفاح أن يتكلم في أمر من الأمور بعدما أفضت الخلافة إليه وكان فيه
حياء مفرط فأرتج عليه فقال داود بن علي عمه فحمد الله وأثنى عليه أيها الناس
إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عندما
تعهده من بيانه ولكل رجل بهر حتى تنفسه العادات فأبشروا بنعمة الله في
صلاح دنياكم ورغد معيشتكم أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا
إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن إسحق بن سلام قال صعد عثمان
بن عفان المنبر فأرتج عليه فقال أيها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً
وبعد عي نطقاً وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وروى
محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن زياد بن أبي سفيان وقد
علا بعض منابر الشام وأن عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاته
من الشام استحساناً لكلامه وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني أن رجلاً
صعد المنبر أيام يزيد وكان والياً على قوم فقال لهم أيها الناس إني إن لا
أكن فارساً طيباً بهذا القرآن فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون
خلفاً منه وما أساء أخو الهجيمي حيث يقول

وما حاجات الطير بين اللقنى * رشاداً ولا من زينهن التحبب
وربتما مور لا تضيرك ضيره * وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة * ويخطئ الفتى في حدسه ويصيب

فقال له رجل من كلب إن هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله عليه

وتنتهي م — ثنا ل — يزيد ل

يزيد بن أبي سفيان كان من خيار الصحابة
واستعمله أبو بكر على الشام ثم أقره بعده عمر ومات
بالشام وهو عامل عمر في طاعون عمواس سنة
ثماني عشرة فولى عمر أخاه معاوية ما كان بيده واعتد
لمزيد

ويصلي على النبي صلى الله عليه ما أتى بالقرآن فقال أما لو أسندتكم سخرة (جل)
من كلب لسكر يحسن إلى يزيد فقيل له كنت أرى أنك جاهل ولم أحسب أن الحمق
بلغ بك هذا كله فقال لا أحمق مني ولا بي وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت قطنة
بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول

فإلا أكن فيكم خطيبا فإنني ۞ بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة ۞ يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القرآن فما تهدي لمحكمه ۞ ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم ۞ وكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوي اللسان إذا رمت الكلام به ۞ كما هوى زلق من جانب النيق

ويروى أن بعض خلفاء بني العباس وأظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب (سقطت)
ذبابة على وجهه فطردها فعادت فقطع وأرتج عليه فقال أعوذ بالله السميع
العليم يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه ومما يشاكل
هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال
له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا ركينا ولا وقورا
ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وذلك كان يصلي
الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ
منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول رجله عن رجل
ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال
كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى
العصر ثم يرجع إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب
ثم ربما عاد إلى مجلسه بل كثيرا ما يكون كذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود
والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف فلم يقم طول تلك الولاية مرة

لم يقم في طول صح

وسلم صح
وقال صح
وكنت صح
من جانبي من صح
ويروى من جانب
والزلق والنيق
ارفع موضع بجبل
تابع الأبيات صح
وملك صح
منتصبا صح
ولا يتحرك الخ صح
حتى كذلك صح
مجلسه صح

واحدة إلى الوضوء ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك
كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك
يدا ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني
الكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي السماطين بين يديه
إذ سقط على أنفه ذباب فأطال السقوط والمكث ثم تحول إلى موق عينه
فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على
سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغضن وجهه أو يذب بإصبعه فلما
طال ذلك من الذباب وشغله وأحرقه وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل عنه
أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن والى بين
الإطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد إلى موقه بأشد من مرته
الأولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك فكان احتماله له (أضعف)
وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح
والإطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح
عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من أن يذب عن عينيه
بيده ففعل وعيون القوم إليه ترمقه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما
رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف
كمه ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضره من
أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قال أشهد أن الذباب ألج من الخنفساء
وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله أن
يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت أني عند الناس من أزمت
الناس فقد غلبني وفضحني أضعف خلق الله ثم تلا قوله تعالى
ضعف الطالب والمطلوب **مجلس آخر تأويل آية** إن سأل سائل عن
قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فقال
ما تنكرون أن تكون هذه الآية دالة على إضافة الأفعال التي ظهرت من

كيف صح

حيث فهامن لا يحرك الخ صح
عينيه صح
أو يغضن صح
ثانية صح
عنه صح
الثانية صح
أن يستبين صح
يلح صح
أن يتابع من ذلك صح
تعالى صح
أزمت صح
قول الله تعالى صح
إلى قوله عظيم صح

العباد اليه تعالى من وجهين احدهما انه تعالى قال بعقبه ذكره ما تقدم من
افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فلنا فهنا الى نفسه و
الثاني انه اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال واذ نجيناكم ومعلوم انهم
هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك الفعل على الحقيقة حتى
تصح اضافته الجواب قلنا اما قوله وفي ذلكم بلاء فالاشارة الى ما تقدم ذكره من
انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من
قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
والبلاء هاهنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكروه
التي عددها نعمة عليهم واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا
ويكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس
في الرجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب قد ابلى فلان بلاء ولفلان
بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء
الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر وقال قوم
اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر كما قال
الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر
في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وبلاء وقال زهير في البلاء
الذي هو النعمة

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ＊ فابلاهما خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده
وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى
نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى
قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما خلصهم
من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله
ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى في تخليته
بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه الافعال بلاء من ربكم

بكم
عظيم

من آل فرعون صح
تعالى صح
ونبلوناهم بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم وكما قال تعالى صح

عظيم اي محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى وعليه جماعة من المفسرين
وقد روى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
قال نعمة عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي
ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم
فلو دل على الخلق لوجب اذا قلنا ان الرسول انقذنا من الشرك واخرجنا من
الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا وكذلك
قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا واخرجتك وخلصتك ولا
يريد انه فعل فعله والمعنى في ذلك ظاهر لان ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته
وهدايته ومعونته والطافه قد تصح اضافته اليه فهكذا صحت النجاة اليه
تعالى ويمكن ايضا ان يكون مضيفا لها من حيث قطع عنهم الاعداء وشغلهم
عن طلبهم فكل هذا يرجع الى المعونة فتارة تكون بامر يرجع اليهم وتارة بامر
يرجع الى الاعداء فان قيل كيف يصح ان يقول واذ نجيناكم مخاطبا بذلك
من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب
وله نظائر كثيرة لان العربي قد يقول مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم
وانما يريد ان قومي فعلوا ذلك بقومك قال الاخطل يهجو جرير بن عطية

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم ＊ باراب حيث يقسم الانفالا
في فيلق يدعو الاراقم لم تكن ＊ فرسانه عزلا ولا اكفالا

ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوما من ايام قوم
الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطابه تعالى
بالآية انما توجه الى ابناء من نجى من آل فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم
واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف قال رحمه الله ومن حسن التشبيه
في عود الضيافة والانس والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

اذا ما بخيل الناس هرت كلابه ＊ وشق على الضيف الغريب عقورها
فاني جبان الكلب بيتي موطأ ＊ جواد اذا ما النفس شح ضميرها
وان كلابي قد اقرت وعودت ＊ قليل على من يعتريها هريرها

واقوى صح
عليه السلام
يصح صح اضافته اليه تعالى صح
عكاظ
يدعو صح
الهذيل بن هبيرة التغلبي وكان غزا بني رياح يوم اراب واراب اسم ماء و الاعزل الذي لا سلاح معه والجمع عزل و الكفل الذي لا يثبت على ظهر الخيل كذا
قال المرتضى صح

أراد بقوله قليل على من يعتريها ضيوفها أنها لا تزجر جملة ولذلك نظائر كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلاً ما يؤمنون ومثل قوله فاني جبان الكلب لفظاً ومعنى

قول الشاعر

وما يك في من عيب فاني	جبان الكلب مهزول الفصيل

وانما اراد اني اوثر الضيف بالالبان فيصل الى ما تبل ومثل اللفظ والمعنى ايضاً

قول ابي قحمة السعدي

وآل الزبير بنو حرة	مروا بالسيوف الصدور الحنافا
يموتون والقتل من دأبهم	ويغشون يوم السيوف السيافا
واحسن من صابر كلهم	وان تدفنه حصاة أصافا

يقول ادركوا بسيوفهم ما ارادهم فكأنهم شفوا وغيظ قلوبهم فانما لو ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا استخرجوا كما تمري الناقة اذا اردت ان تحلبها لتدر والحنايف المائل يقول وان مات بعضهم على فراشه فان اكثرهم يموتون مقتولاً لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دأبهم ويحمل كلهم جبالة الحرة من يعتريهم وبطريقهم من النال والاضياف ضيافتهم كلا بهم دا بهم في انتحهم وقيل يفعل ايضا انها لا تعلمهم لانها ضيف مما يجرهم ويسارهم به ومعنى وان تدفنه حصاة اصافا اي تشفق منه وتغذا اكبر لحقه بها اصافا الرجل من الامر اذا اشفق منه ومعنى احسن من صابر كلهم قد تقدم ذكره في الامثال ومثله في المعنى لحسان بن ثابت

يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل

وقال المرار بن منقذ العدوي

اعرفت الحق ولا انكره	وكلابي انس غير عقر
لا ترى كلبي الا آنسا	ان اتى خابط ليل لم يهر
كثر الناس فما ينكرهم	من اسيف يبتغي الخير وحر

الاسيف العبد ههنا وقال آخر

الى ماجد لا ينبح الكلب ضيفه	ولا يتادى اختمال المغارم

ومعنى ولا يناديك اي يشغلك واذا اراد ان تقول يناده فعلت وقال ابن هرمة

واذا اتانا طارق متنور	نبحت فدلته على كلابي
وفرحن اذ ابصرنه فلقينه	يضربنه بشرائر الاذناب

يا نما تفرح به لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف ان تنحر لهم فتصيب

ومن هذا قول مسكين

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه	ليسقط عنه وهو بالثوب معتصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه	لينبح كلب او ليفزع نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى	له مع اتيان المهبين مطعم
يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلاً	يكلمه من حبه وهو اعجم

اراد بقوله فجاوبه مستسمع الصوت انه جاوبه الكلب والمهبون الموقظون لكرائم ابلهم وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لانه ينحر لهم ما يصيب منه واراد بقوله يكلمه من حبه انه وهو اعجم بصبصته وتحريك ذنبه فاما قوله ليفزع نوم فانما اراد ليفيق من نوم يقال فزعت لفلان اذا اغثته ومعنى عوى في سواد الليل ان العرب تزعم ان سارى الليل اذا اظلم عليه واذا لم يستبن محجته ولم يدر اين الحلة وضع وجهه على الارض وعوى عواء الكلب لتتبع ذلك الصوت الكلاب فان كان الحي قريباً منه فتجيبه فيقصد فيأتي الابيات فهذا معنى ايضاً مستنبح اي ينبح نباح الكلب وقال الفرزدق

في الكلاب

وداع بلحن الكلب يدعو ودونه	من الليل سجفا ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو ان تنبه اذ دعا	فتى كابن ليلى حين غارت نجومها
بعثت له دهماء ليست بلقحة	تدر اذا ما هب نحسا عقيمها

يعني بعثت له دهماء اي قدراً على اثافيها ويعني بالدهماء القدر واللقحة الناقة وقد زاد اراد ان قدره تدر اذا هبت الريح عقيماً لا مطر فيها

كأن المحال الغر في حجراتها	عذارى بدت لما اصيب حميمها

اراد ان قطع اللحم فيها لا تستتر منها بشيء كما لا تستتر العذارى اللواتي اصيب

عليهن نغطيهن خوا

تخوض بأكثرهم العمائم أحمسة * بأحواز خشب ذا الحها حسيبها

الأحواز الأوساط وأوساط الخشب أصلب وأقوى لها

محضرة لا تحمل السير دوننا * إذا المرشع العوجاء جال بريمها

البريم الحقب وإنما يجول من الهزال والجهد والطوى والعوجاء التي قد اعوجت من الطوى وقال آخر في التشبيه

دعاني بصوتيه واحدا فأجابه * مشاد بلا صوت وآخر مثبت

ذكر ضيفا أتى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتيه واحدا فأجابه مشاد بلا صوت يعني بالأول نغمها لم قوله مشادها نقصدها والآخر الصوت الكلب لمن أجاب عواه وسيله

وساري ظلام مقفعل بهبوة الغبار * دعوت بصوت سالم فاهتدى لي

يعني بالأول نغمها لنفسه وطراق الليل والمقفعل المتقبض من شدة البرد المتقبض

أنشد محمد بن يزيد

شعر

ومستنبح تهوى مساقط رأسه * إلى كل شخص فهو للصوت أصور

حبيب إلى الكلب الكريم مناخه * الكرام بغيض إلى الكوماء والكلب أبصر

دعته بغير اسم هلم إلى القرى * فأسرع يبوع الأرض شطرا أو أزور

يعني لسريا في معلى أراد أنه يميل برأسه إلى كل شخص يخيل أن يظنه إنسانا ومعنى حبيب إلى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض إلى الكوماء إلى الناقة لأنها تنحر له وقوله دعته بغير اسم يعني نارا أي صوتها فقصدها فكأنها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف

فقلت لقينيّ انحرا لها وحرقا * لعل سنانا نابت آخر يستف

ومعنى قوله بغيض إلى الكوماء من قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وأبيك خير إن إبل محمد * عزل تناوح أن تهب شمال

وإذا أتى لذنا الشتاء عزيبة * درفت لحن من الدموع سجالا

المقاب شيء تحمل تشده المرأة على وسطها

يعني نغم أذا الصقيع مول

أعذر بقلا

دوز

وترى لها من الشتاء على الثرى * رخما وما تحيا لهن فصال

أراد وأبيك الخير فلما طرح الألف واللام نصب والعزل التي لا سلاح معها والسلاح سمنها وأولادها وإنما جعلوا ذلك السلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمنها وحسن أجسامها ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صادا عن الذبح صار بمنزلة السلاح لها كأنه يقول هذه الإبل وإن كانت ذات سلاح من حيث كانت نجيبة سمينة فهي كالعزل إذا كان سلاحها لا يغني عنها شيئا ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا أي هن مذ قبلت بالشتاء وأوبار لأنها في هبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد وقوله وإذا أتى لذنا الشتاء عزيبة أي إذا نزل ضيف فعقل بناقة التي جاء عليها وهي الغريبة فلما أنزل سنحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها من الشتاء على الثرى رخما فقد قيل فيه أراد به أنه يهب بعضها لهن فيبقى إلى أنها على الأرض كهيئة الرخم وحكي عن أبي العباس بن ثعلب أنه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندنا أن المعنى غير هذين جميعا وإنما أراد أنها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على مواضع عقرها وبقايا رمامها وأشلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم وقال آخر في معنى سلاح الإبل يمدح بني عوف بن غالب من عبس

جزى الله عني غالبا خير ما جزى * إذا حدثان الدهر نابت نوائبه

إذا أخذت بزل المخاض سلاحها * تجرد فيها سيف المال كاسبه

أراد أن نحرها بحسنها وتمامها لا يمنعني من عقرها للأضياف وسيله

إذا البقل في أصلاب شول كجمير * حمى لم يرده البقل إلا تكرما

إذا أخذت شول البخيل رماحها * دحا برماح الشول حتى تحطما

وقوله أخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال مسكين الدارمي

فقمت ولم أحفل رماحها * بسيفي ولم أرجع عقرا فيهما

لم أتجنب لم أكثر ذلك ولم يعظم علي ولم يجب رحبا من ذلك لأنه يعظم

وسلاح الإبل مول كالنياد

بأسنمتها

الوج مول

قوله ينهب مول

موضع مول

فيهم مول

مقطم مول

وقالت ليلى الأخيلية

ولا تأخذ الكوم الجلاد رماحها ... لتوبة في قر الشتاء الصنابر

أبت شرعها ألبانها ولحومها ... فأهين ذاك لضيفها ولجارها

وقال مضرس بن ربعي الأسدي

وما تلعن الأضياف إن نزلوا بنا ... ولا يمنع الكوماء منا نصيرها

ومعنى لا تلعن لا تبعد واللعن البعد ونصيرها ها هنا ما يمنع من عقرها
من حسن وتمام وما جرى ذلك مجراه والنصير ها هنا المانع في المعنى فأحسن

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء
إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فقال ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية
يقتضي أن يكون جميع ما نفعله بمشيئة الله وبإرادته لأنه لم يخص شيئا من شيء وهذا
بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا إنه خطاب للرسول عليه وآله السلام
خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاؤه الله لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل
الصغائر عند كثير منكم ولا يمكن أن يكون فاعلا لما لا يشاؤه عندكم ولأنه
أيضا تأديب لنا كما أنه تعليم له عليه وآله السلام ولذلك يحسن منا أن
نقول ذلك فيما نفعله الجواب قلنا في تأويل هذه الآية وجهان أحدهما
أن يجعل حرف الشرط الذي هو إن متعلقا بما يليه وبما هو متعلق
به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن إنك تفعل
إلا ما يشاء الله وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيته إلا ومن العجب تعلقه
بالمثل لهذا مع أنه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب
لا شبهة في الآية لسؤال القوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح ليس لغيره من حيث
اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على
محذوف كان أولى والجواب الآخر أن يجعل إن متعلقة بمحذوف ويكون
التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله لأن من
عادتهم إضمار القول في مثل هذا الموضع اختصارا للكلام إذا طال وكان
في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج إلى الجواب عما

ومثله لا أخون الصديق ما
حفظ العهد ولا أخذ التلاح
لقاحي وقال النمر بن تولب
إذ ناك لم تأخذ لي سلاحها
إبلي بجلتها ولا أبكارها

عنه فنقول فهذا من تأديب الله تعالى لعباده وتعليمه لهم أن يعلقوا ما يخبرون
به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطاعات وأن
الأفعال القبيحة خارجة منه لأن أحدا من المسلمين لا يستجيز أن يقول
إني أزني غدا إن شاء الله وكلهم يمتنع من ذلك أشد امتناع فعلم سقوط شبهة من
ظن أن الآية عامة في جميع الأفعال وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر
في تأويل هذه الآية ما نحن ذاكروه بعينه قال إنما عنى بذلك أن من كان لا يعلم
أنه لا يبقى إلى غد حيا فلا يجوز أن يقول إني سأفعل غدا كذا وكذا فيطلق الخبر
بذلك وهو لا يدري لعله سيموت فلا يفعل ما أخبر به لأن هذا الخبر إذا لم يوجد
مخبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أو العجز أو بعض الأمراض أو لا
يجده بذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمن أن يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل
فإذا لم يأمن ذلك لم يجز أن يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء
الذي ذكره الله تعالى فإذا قال إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره
مشيئة الله تعالى أمن من أن يكون خبره في هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء
أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غدا ألجأه إلى ذلك وكان المصير منه لا محالة
فإذا كان ذلك على ما وصفناه لم يكن خبره هذا كذبا وإن لم يوجد منه المصير
إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى قال وينبغي
أن لا يستثنى مشيئة من غير مشيئة لأنه إن استثنى في ذلك مشيئة الله تعالى
لمصيره إلى المسجد على وجه التعبد فهو أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا
لأن الإنسان قد يترك كثيرا مما يشاء الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان
مشيئة الله لأن يفعله ولأن يبلغه ويرفع عنه الموانع كان أيضا لا يأمن من أن
يكون خبره كذبا لأنه قد يجوز أن لا يصير إلى المسجد مع مشيئة الله تعالى
لمرادنا محل فلا يأمن الكذب في هذا الخبر دون أن يستثني المشيئة العامة
التي ذكرناها فإذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمن أن يكون
خبره كذبا إذا كانت هذه المشيئة متى حدثت وجب أن يدخل المسجد لا محالة
قال ومثل هذا الاستثناء من إلحاق حمزة حلف فقال والله لأصبرن

مشيئة الله تعالى

غداً إلى المسجد إن شاء الله لأنه إذا استثنى على سبيل ما تقدّم لم يحنث
في يمينه ولو خصّ استثناءه بمشيئة بعينها لو كانت ولم يدخل معها المسجد
لحنث في يمينه وقال قوم إن المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة
المنع والحيلولة فكأنه قال لأفعلن إن شاء الله تخليتي ولم يمنعني منه ومن الناس من قال
المقصد بذلك أن يوقف الكلام عن جهة القطع والإلزام لولا الاستثناء
ولا يجوز في ذلك إجماعاً وإنما هذا الوجه يحكى عن الحسن البصري والحكم
أن للاستثناء وجوهاً مختلفة تقديره يدخل في الأيمان والطلاق والعتاق وسائر
العقود وما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقيف
عن إمضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وإزالته عن الوجه الذي
وضع له ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه
أن يستثني في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء
من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه به حكم وإنما لم يصح دخوله
في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى والمعاصي
لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء
في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص الطاعات ولهذا
يجري قول القائل لأقضين غداً ما عليّ من الدين ولأصلين غداً إن شاء
الله مجرى أن يقول إن أقدر لك إن لطف الله تعالى فيه وسهّله فعلم أن
المقصد واحد وأنه متى فسد الحال في هذا الوجه لم يجاوز أن يقع منه
الفعل أن يكون حانثاً وكاذباً لأنه إن لم يقع علمنا أنه لم يلطف فيه وأنه
لا لطف له ولهذا لا يجوز لأحد أن يعترض هذا بأن يقول الطاعات لا بدّ فيها من لطف
وذلك لأن فيها ما لا لطف فيه جملة فإن يقع ما هذا سبيله يكشف عن
أنه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية لأنه يخص الطاعات
والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحاً بدلالة إجماع المسلمين على حسن استثناء
ما تضمنته في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به
التسهيل والإقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا

لا يلزم به ما كان
الداخل على الكلام
حكم
أجود
يختص
مجرى
فيه
لا لطف له لأنه
نحو الكلام

هو

هو المراد به إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية إلّا أنه يضعفه
ما ذكره أبو علي الجبائي فيما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة
أيضاً في الكلام وإن لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض إظهار الانقطاع
إلى الله تعالى من غير أن يقصد به إلى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا
الاستثناء غير معتد به في حكم الكلام كاذباً أو صادقاً إلّا في الحكم كأنه قال لأفعلن
كذا إن وصلت إلى مرادي مع انقطاعي إلى الله تعالى وإظهاري الحاجة إليه وهذا
الوجه أيضاً مما يمكن في تأويل الآية ومتى تأمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف
منه الجواب عن المسألة التي لا تزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان
الله تعالى إنما يريد العبادات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال
من لغيره عليه دين مطالب به والله لأعطينك حقك غداً إن شاء الله أن
يكون كاذباً أو حانثاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء منه ذلك عندكم
وإن كان لم يقع وكان يجب أن تلزمه الكفارة وأن لا يؤثر هذا الاستثناء
في يمينه ولا يخرجه عن كونه حانثاً كما أنه لو قال والله لأعطينك حقك غداً إن قدم
زيد ثم قدم ولم يعطه يكون حانثاً وفي التزام لهذا الحنث خروج عن إجماع
المسلمين فصار ما أوردناه جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسألة
ونظائرها من المسائل والحمد لله. قال رحمه الله تأملت ما اشتملت عليه
تشبيهات الشعراء فوجدت أكثرها مما شبه فيه الواحد بالشيء الواحد
أو الشيئين بالشيئين وقد تجاوز ذلك إلى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة
بأربعة وهو قليل ولم أجد من تجاوز هذا العدد إلّا قطعة مرّت بي لابن
المعتز فإنها تضمنت تشبيه ستة أشياء بستة أشياء فأما تشبيه الواحد
فمثل قول عنترة في وصف الذباب

هزجاً يحك ذراعه بذراعه ... قدح المكب على الزناد الأجذم

ومثله قول عدي بن الرقاع العاملي

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

ومثله قول امرئ القيس

عزّ وجلّ
طالبه
قال المرتضى رضي الله عنه
بالواحد

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله

إذا ما الثريا في السماء تعرضت ... تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقول ذي الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها ... على قمة الرأس ابن ماء محلق

وهذا الباب أكثر من أن يحصى وأما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله

وكشح لطيف كالجديل مخصر ... وساق كأنبوب السقي المذلل

وكقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول آخر

كأن سمو النقع والبيض حوله ... سماوة ليل أسفرت عن كواكب

وقول أبي نواس

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

ولآخر

إن الشمول هي التي جمعت لنا ... شبهين وحبابها يتغافى يحملن طلا

ولآخر

شبهته والكأس بين فم ... منه وبين أنامل خمس

فكأنها وكأن شاربها ... قمر يقبل عارض الشمس

فكأنه والكأس في يده ولآخر

حمراء إذا جليت في الكأس جليت ... عتيقة خلقت في بيت بلور

حتى إذا مزجت في كأسها حببا ... كأنه عرق في خد مخمور

وقال البحتري

شقائق

شقائق يحملن الندى فكأنه ... دموع التصابي في خدود الخرائد

وقال آخر

فكأن الربيع يجلو عروسا ... وكأنا من قطره في نثار

كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار

وقال ابن الرومي فأحسن

لو كنت يوم الفراق حاضرنا ... وهن يطفين غلة الوجد

لم تر إلا الدموع سائلة ... تسفح من مقلة على خد

كأن تلك الدموع قطر ندى ... يقطر من نرجس على ورد

وقال جران العود

أبيت كأن الليل أفنان سدرة ... عليها سقيط من ندى الطل ينطف

أراقب لمحا من سهيل كأنه ... إذا ما بدا في آخر الليل يطرف

ولابن المعتز

سقتني في ليل شبيه بشعرها ... شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى ... وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقال المتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

فأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فمثل قول شاعر الموسوس

نشرت غدائر شعرها لتظلني ... خوف العيون من الوشاة الزور

فكأنه وكأنها وكأنني ... صبحان باتا تحت ليل مطبق

ولبعضهم

ومن وتبدلا لنرجس ... تحف بأقوان نضيرا

تباهي لنا خدودا تحكي ... صنوبا ودانيا ضاحي ثغورا

ولآخر في النرجس

مداهن تبر بين أوراق فضة ... لها عمد مخروطة من زبرجد

وللبحتري في وصف ضمر المطايا ونحوها

كالبيض المعلقات بل الأنجم متبرجة بل الأوتار د

ولبعض الطالبين

وأنا ابن معتلج البطاح إذا غدا	۵	غيري وراح على متون ظهورها
تغنى محيا ركبها وحطيمها	۵	كالحصن يفتح منه سوار الثائر
لجبالها تربى وسيل سيولها	۵	حلقه [illegible]

فأما تشبيه أربعة بأربعة فمثل قول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة	۵	وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
كف تناول راحها بزجاجة	ولآخر	خضراء تقذف بالحباب وتزبد
فالكف ماء والحباب لآلئ	۵	والراح تبر والإناء زبرجد

ولبعضهم وقد أهدي إليه نرجس وأقحوان وشقائق فأنشد المجيب

لله ما أظرف أخلاقك يا بدر الكرم ۵ أهديت مما يشبهها حسنا وظرفا وشيم

فأنا أهديك مثلك يا كل الأمم ۵ أهدى العيون والخدود والثغور إليهم

ولآخر

أفدي حبيبا لم ببدائع أوصاف تعالت عن كل ما أصف

كالبدر يعلو والشمس تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف

وقال المتنبي وللمتنبي م ل

بدت قمرا ومالت خوط بان ۵ وفاحت عنبرا ورنت غزالا

ولآخر ومثله قوله

سفرن بدورا وانتقبن أهلة ۵ ومسن غصونا والتفتن جآذرا

فأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء

فأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ۵ وردا وعضت على العناب بالبرد

فأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز

بدر وليل وغصن	۵	وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد	۵	ريق وثغر وخد

[illegible] إن سأل سائل عن قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة

المستنجع المكان الذي تجتمع فيه الماء ... الأبطح ... على غير قياس

لنا بالدعاء وعندكم أن النسيان من فعله تعالى ولو كلف على الناس في جالبه يسيرا وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس أو يكون متعبدين بمسألته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل لأن من الناس يكونه منه تعالى والقول في الخطاء إذا أريد بها ما وقع سهوا وعن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل في تأويل هذه الآية إن نسينا تركنا كما قال أبو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي أي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى

~~ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي أي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله~~

تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها وأنشد ابن عروة

ولم أك عند الجود للجود قاليا ۵ ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

أي تاركا ومما يمكن أن يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ويمكن في الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما تقدم من الأمثال من أنه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى وإظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة به وإن كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى في تعليمنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله وقل رب احكم بالحق وقوله ولا تخزني يوم يبعثون وقوله حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا الوجه يمكن أيضا في قوله أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهوا أو عن غير عمد فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيء وعن جهل بأنها معاص لأن من قصد شيئا على اعتقاد أنه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ كما يقال قد أخطأ من أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين ويمكن أيضا أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحا وإن كانوا متعمدين وغير عالمين لأن جميع معاصينا لله تعالى

وقوله م ل

أي المراد م

عرفت م ل

أي وتتركون أنفسكم

المسئلة م ل

تطابق الوجه م ل

شبهة م ل تقدم

بقوم م ل

يدّ وصف بانها خطا من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمداً فكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المعاصي ليشمل الكلام على جميع الذنوب والله اعلم بمراده واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوماً لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف صادرة احسن من صادرة في الشعر فقال كم صادرة حسنة لا نعرفها

ثم انشد لبشار بن برد

غمض الحديد بصاحبيك فغمضا	وبقيت تطلب في الحبائل منهضا
وكان قلبي عند كل مصيبة	عظم تكرر صدعه فتهيضا
واخ سكوت لم فاذكره اخ	فمضى وذكرك الحوادث ما مضى
فاشرب على تلف الاحبة انما	جز المنية ظاعنين وخفضا
ولقد جريت مع الصبا طلق الصبى	ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا
وعلمت ما علم امرؤ من دهره	فاطعت عذالي واعطيت الرضا
وصحوت من سكري وكنت موكلا	ارعى الحمامة والغراب الابيضا

الحمامة المراة والغراب الابيض الشعر الشائب فيقول كنت اتعهد نفسي بالنظر في المرآة وتطويل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غرابا اسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب

ما كل بارقة تجود بمائها	وكذاك لو صدق الربيع لروضا

هكذا انشده المبرد ويحيى بن علي وانشده ابن الاعرابي

ما كل بارقة تجود بمائها	ولربما صدق الربيع فروضا
قد ذقت العسر وذقت ثم	وحلبت ذا عسلا وذا حمضا
يا ليت شعري فيم صدوده	الساتم ام بعدا تسحبا صدوده

ويخبر من ذكرنا ثوبه ام اجم الجلاد فاحمضا

وثقل عليه وقل ما ثر حبه	كان الملك قد كان حلما فانقضى
سلمى ان كنت الشقاء الي الهوى	ما كان الا كالخضاب تعدا بيضا

قال المبرد وهي طويلة وذكر يوسف بن علي بن يحيى عن ابيه انه

بالنواس

ابا نواس اخذ قوله وقد جريت مع الصبا طلق الجموح من قول بشار ولقد جريت مع الصبى طلق الصبى قال رحمه الله ولابي تمام كالبحتري على هذا الوزن والقافية قصيدتان ان لم تزيدا على صادرة بشار التي استحسنها المبرد لم تنقصا عنها فاما

قصيدة ابي تمام

اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا	ومزمما يصف النوى ومغرضا
ان يدج عيشك انهم امووا اللوى	فبما اضاءة وهم على ذات الاضا
بيك عن برقا الغوير وبرده	برقا اذا ظعن الاحبة ومضا

يقول فيها

ما انصف الشرخ الذي بعث الهوى	فقضى عليك بلوعة ثم انقضى
يعدى من الايام ما كوانه	امشي بشارب مرقد ما غمضا
لا تطلبن الرزق بعد شماسه	فترومه سبعا اذا ما غيضا
ما عوض الصبر امرؤ الا اتى	ما فاته دون الحجى قد عوضا
يا احمد بن ابي دؤاد دعوة	ذلت بذكرك لي وكانت ريضا
لما انتضيتك للخطوب كفيتها	والسيف لا يكفيك حتى ينتضى

ويقول فيها

قد كان صوح نبت كل قرارة	حتى تروح في نداك فروضا
اوليتني العدل الحسيب وقدار	ابعض العذا البكي ثم ابعضا

العدّ الماء الكثير ما البئر القليل والبكي الناقة القليلة اللبن وكما

قصيدة البحتري فاولها فيها

ترك السواد للابسيه وبيضا	ونضا من السين ما نضا
وشاه اعيذه نضرته لحظ	مرض الحكم العلوب وامرضا
وكانه بعد العشي بجديده	ديكا شقاك ان تغضبا
اسنا لما ترى من حق وعتاب	ياسف من وصل الحسان تقضيا
كلف بكفكف عبرة مهراقة	اسفا على عهد الشباب وما انقضى
عدد تكامل للشباب تحجة	واذا مضى الشيء حان فقد مضى

نعوت فيها		
فقعقعت للبخلاء اذ عرجاتهم	٥	وندبره من نابل ان نحضا
وكفاك من حنش الصرم ندنما	٥	ان مد فضل لسانه او نغضنا
وفيها		
لا تشكون من جار بخلك ان هوى	٥	ظمآن خلب حبه او قوضا
فالآن فاسع لنقل راغب	٥	ممن نغل وده او نقضا
لا تهتبل اعضاني ان كنت قد	٥	اضحيت مستلذا على جمر الغضا
لست الذليل فاتقنه مذمة	٥	اصغى الى حكم الزمان وفوضا
لا تبتغي الى العنف ما ارى	٥	نعما لبارق خلة او ومضا
أنا من احب محربا بكاسني	٥	فيما اتانيه سيك ممن انغضا
انجحت سيك كيعم واما	٥	غمد الحسام المشرفي لينتضا
تتحت الا ان اعرض فاسلو	٥	نزرا وصرح جهده من عرضا

واخبرني ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن ابيه قال من عجائب شعر بشار قوله في وصف الزمان

عجبت على الزمان واي حر	٥	من الاحياء اعتبه الزمان
فاسند من الحدثان شيب	٥	على ولحين من حدث امان
ولحين بر انكل يوجه ديون	٥	شبعان مرة او مستعان
متى ابنا الكرامنه من كريم	٥	فما لك عنده الا الهوان
وقال ولد في نحوه		
يا خليلي اصبحا او دنا	٥	ليس كل البرق يهدي المطرا
لا تكونا كامرئ صاحبه	٥	يترك العين ويبغي الاثرا
ذهب المعروف الا ذكره	٥	ربما ابكى الفتى ما ذكرا
وبقينا في زمان معضل	٥	نشرب الصفو ونبقي الكدرا
قال ولد ايضا		
فتلاديك الحاجة ممنوعة	٥	ونولع النفس بما لا تنال

قوله فقعقعت اي عرفت بهجائهم ولم احجم بعده قوله وندبره اي انذارهم بسيف قاطع وقال ابن كذا قراءات في شعره وندبرها بالنون بنقصا هذا هو الصواب قوله لا تهتبل اهتبل افترص واغتنم اما كنت كذا في نسخة هذا الكتاب

قوله لبارق خلة وفي شرح بشار خلب وهو الصحيح والخلب البرق الكاذب لا مطر فيه

يقول لا يزال الكريم يرمي ويرمي فهو بينهما تارة ضعيف مرة ومستعان قوي اخرى

دلم

والهم ان امسكته في الهنا	٥	دالو بعض الدار لا يستعاب
فاحمل الهم على عاتق	٥	ان لم يتنا غمنا العلكيذي الجلاب

قال يعني بقوله عاتق يعني الخمر وهذا مثل قوله

تعللت عنها من شراب بابل	٥	كيت من عقلي على راحل

قال رحمه الله هذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق المعشوق ويكون المعنى انه لم تحدث بحمل عنك همومك وتقوم باثقالك وتخفف عنك فيحملك ذلك بنفسك واشبه عمر كان يأمر نفسه بالتجلد والتصبر عند الباس وهذا البيت لم نظائر في الشعر واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال حدثني ابي قال من ابدع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا احسن تشبيهات العبدري لا محدث في منثور ولا منظوم

في صفة العود واستحسانه من اخذه		
وذات محيَّ للعيّن فيها بجلب	٥	اذا ابو قف لم تسق بطن كعبيد
من المستعذات الهموم على الفتى	٥	خفا برقمها في عصيف وعفود
تحسدت عليها كل شيء ميجاها	٥	وما كنت لولا حبها بحسود
وأصفر مثل الزعفران بنته	٥	على صوت صفراء الترائب رود
كأن امير جالسا في فجارها	٥	تونحمل رداياه صنوف وفود
من البيض لم تسرح على اهل غرة	٥	سوانا ولم ترفع خلاج فقود
تميت به البابنا وقلوبنا	٥	مرارا وتحيين بعد همود
اذا نطقت صوتنا وصاح لنا الصدا	٥	صياح جنود وجهت لجنود
ظللنا بذاك الديدن اليوم كله	٥	كانا من الفردوس تحت خلود
ولا باس انا عندنا اهلها	٥	شهود وما البابنا بشهود
قال وانشدني ابي له في وصف مغنية		
لقد اردت قاريها الصبدار	٥	لنا منظر منها وحسن سماع
تصلي له اذاننا وعيوننا	٥	اذا ما التقينا والقلوب دواعي
وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش	٥	ببؤس ولم تركب مطية راع

واوله لما رايت الدهر دهر الجاهل ولم ار المغبون غير العاقل

قال المرتضى رضي الله عنه مرك

الا الحبة العامة الى زوج وهي كناية عن مغنية

شباهها ل

حرقا اللؤلؤ المكنون فوق لباتها … لركابها من مزهر ويراع
اذا قلدت اطرابها العود حركت … قلوبا دعاها للوساوس داع
كأنهم في جنة قد تلاحقت … محاسنها في روضة وبقاع
يروحون من غربيها وجدتها … لنا وقعها استقيم بصوابع
لعوب بألباب الرجال وإن تبت … أطيع التقى والغي غير مطاع

قال علي بن هرون الصوائح الكالح يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون قال الشريف رضي الله عنه هذا خطأ منه وانما اراد أن غناءها لفرط حسنها وشدة اطرابها يخيلها بجودة الخمر وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر

ونبيت طلبنا عند ام محلق … نشاوى ولم نشرب حلالا ولا خمرا

وما كان عندي أن أحدا يتوهم في معنى هذا البيت ما توهمه هذا الرجل فأما قوله في القطعة الأولى

فأصفر مثل الزعفران شربته … على صوت صفراء الترائب رود

فيحتمل وجوها ثلاثة أولها أن يكون أراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر لذلك قال الأعشى بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة والعرار بهار البر فانما اراد انها تتضمخ بالعشي بالطيب فتصفرها ومثله للذي الرمة

بيضاء في دعج كحلاء في برج … كأنها فضة قد مسها ذهب

ومثله بيت قيس بن الخطيم

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها … في الحسن او كدنوها لغروب

وجهان احدهما انه اراد انها تطيب بالعشي فتصفر لان الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر انه اراد انها لما تغير في الحسن لان الشمس احسن ما تكون في وقتيها المذكورين وفي ذلك ايضا قول قيس

صفراء اعجلها الشباب لداتها … ويبشكم الاعشى
اذ اعرضت يوما حسبت جبينها … عليها وجاب النضير الدلاصا

الخميصة

الخميصة ثوب ناعم ابن ثبة يرعنه ~~[struck]~~ جسمها والتصفير
الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما يعني لون الطيب عليها والدلالة الأصل انها
تمثلا وجه والوجه الثاني ان تكون اراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فيعلم
ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشي الى الصفرة وروى
مهدي بن علي بن مهدي الاصبهاني قال لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان
المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض
وبالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز

قد علمت بيضاء صفراء الأصل … ونعم ان بيت ذي الوجه

اللذا انشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات محتملة لما ذكرناه فاما الذي لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول الشاعر

وقد خنقتها عبرة فدموعها … على خدها حمر وفي نحرها صفر

لانها لا تكون صفرا في نحرها الا لاجل الطيب فاما قوله على خدها حمر فانما انما تصبغ بلون خدها والوجه الثالث ان تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان بشارا كثير التشبيب بامرأة صفراء كقوله

اصفراء لا انس هواك ولا ودي … ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زمانا وبينها … كما كان بين المسك والعنبر الورد

اي كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

اصفراء كان الود منك مباحا … ليالي كان الهجر منك مزاحا
وكان جواري الحي اذ كنت منهم … قباحا فلما غبت صرن ملاحا

ويقدر يروى ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا اشبه قول السيد بن محمد الحميري

واذا حضرت مع الملاح بمجلس … ابصرتهن وما فيهن قباحا

فاما قوله من البيض لم تشرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان اراد بالصفرة لونها لان البياض ههنا ليس عبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس و

فانما اراد دموعها

وفي نسخة وكان الحميري

العرب لا تكاد تستعمل البياض الا في مثل هذا المعنى دون اللون لان البياض
عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

جلت به بيضاء او بحمله ... بمهد ستمس سلسلة وسلسلة

بيض الوجوه واما قول بشار في القطعة التابعة وصفراء مثل الخمر لا تنزفانه
يحتمل ما تقدم من الوجوه فان كان اللون الحقيقي اخص لقوله كالخمر لان
الخمر لا تنسب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون الثابت
ويكون قوله كالخمر انها تشبهها في الشين والعطف ولقد احسن جران العود
في قوله في المعنى المتقدم الذي تقدم م ل

كأن سبيكة صفراء صيغت ... عليها نؤلت بها الازار
برود الفارسي كان فاها ... بعيد النوم مسك مستثار

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم و
يمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه تعالى وهو مما
لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر بانه يمدهم في طغيانهم وذلك بخلاف مذهبكم
الجواب قلنا في قوله تعالى يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى الاستهزاء
الذي اضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في اقامتهم على الكفر
واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا واتساعا كما يقول
القائل ان فلانا يستهزئ بي منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس فيه و
خطئوه فيه فاقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام
الاستهزاء به وانما اقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء
الحقيقي هو ما يقصد به الى عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت
التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز ان يجري اسم الاستهزاء
عليه ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله
يكفر بها ويستهزأ بها ونحن نعلم ان الآيات لا يصح عليها الاستهزاء
ولا السخرية في الحقيقة وانما المعنى اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويزرى
عليها ما لعرب فاقيم الذم مقام ما ذكرناه ومعناه التجري عليه اسمه قال الشاعر

فجري م ل

بيضاء م ل

الخدم
كريمة احسابهم
شم الانوف من الطراز الاول

في الطغيان والعمه م ل

الله م

وتشبيها م ل

ان يجري عليه م ل

الاستهزاء على الحقيقة م ل

كم اناس في نعيم عمروا ... في ذرى ملك تعالى فبسق
سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم ابكاهم دما حين نطق

فالسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وانما شبه تركه الحال
على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وانشد الفراء

ان دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالاحسان

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سألتني عن اناس هلكوا (بأناس م ل) ... شرب الدهر عليهم واكل

وانما اراد بالاكل والشرب انه افسدهم وانه غير احوالهم ومثله

يقر بعيني ان آتي باب دارها ... وان كان باب الدار يحسبني حلما

والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم
ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس انه قال
في معنى استدراجه اياهم انهم كانوا كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما
سمى هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم الاستدراج الى الهلاك
غير ما اظهره لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع يظهر امرا ويضمر غيره فان
قيل على هذا الجواب فالمسألة قائمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعم الى
الهلاك قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق
بها العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه من كفرهم
ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما شاء فكانه تعالى قال لما كفروا وبدلوا
نعمه وعاندوا وشكروا لم يرفع نعمه في الدنيا بل ابقاها لتكون متى نزعها
عنهم وابتلاهم بما ينقصها الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكثر فان قيل
فهذا يؤدي الى التجويز ان يكون بعض ما ظاهره النعمة على الكفار مما
لا يستحق الله الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب فاما
المنكر ان يكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما تقرر بيننا الا ترى
ان الحياة وما جرى مجراها من حظوظ التركيب والصحة لا تعد على اهل النار نعمة
وان كان على اهل الجنة نعمة من حيث كان الغرض فيه ايصال العقاب اليهم

العقاب م ل

ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قوله م ل

ومنه قول الآخر م ل

عز وجل م ل

من م

بما ننقصه م

عليهم م

تعالى م

لقيناه م ل

نعمة م ل

والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه تعالى بهم أنه جعل لهم بما أظهروه من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة وغير ذلك من الأحكام وإن كان تعالى معدًّا لهم في الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستسرّوا به من الكفر فكأنه تعالى قال إن كنتم أيها المنافقون لما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم إذا خلوتم بهم تظنون أنكم مستهزئون فالله هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم أحكام المؤمنين ظاهرًا حتى ظننتم أن لكم ما لهم ثم ميّز تعالى بينكم في الآخرة وبان بالجزاء من حيث أثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وإن كان بينهما خلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك أن الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وأن ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يتخط بسواكم ونظير ذلك قول القائل إن فلانًا أراد أن يخدعني فخدعته وقصد إلى أن يمكر بي فمكرت به والمعنى أن ضرر خداعه ومكره عاد عليه ولم يضرني به والجواب الخامس أن يكون ذلك على سبيل مجازاتهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الآية وقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس بعقوبة وقال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا ۞ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه به وتعلقه به إذا انكشف المعنى وأمن الإبهام وربما غلّبوا أيضًا اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمثال الأول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير راوية فسمّوا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر

تمشي من الردة مشي الحفّل ۞ مشي الروايا بالمزاد الأثقل

واستسرّوا ل

تعالى لهم

تعالى ل

فاد اليه ل

ومثل فاعتدوا عليكم ل

أراد بالروايا الإبل ومن ذلك قولهم سقيته الكأس واشتكت علي الكأس قال الشاعر

وما زالت الكأس تغتالنا ۞ وتذهب بالأول الأول

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي أضافوه إليها إنما هو مضاف إلى الشراب الذي يحل الكأس إلا أن الفراء قال إن العرب لا تقول الكأس إلا لما فيه من الشراب فكأن الإناء لا يسمى كأسًا وعلى هذا القول يكون إضافة اغتيالها والتصريع وما يجري مجرى ذلك إلى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس على هذا القول اسم للإناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثاني الذي ذكرناه من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم ۞ لنا قمراها والنجوم الطوالع

أراد لنا شمسها وقمرها فغلّب تسمية قول الآخر

فقولا لأهل المكتين تحاشدوا ۞ وسيروا إلى آطام يثرب والنخل

أراد بالمكتين مكة والمدينة فغلّب وقال الآخر

بصرة الأزد منا والعراق لنا ۞ والموصلان ومنا مصر والحرم

أراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر

نحن سبينا أمكم مقربا ۞ يوم صبحنا الحيرتين المنون

أراد الحيرة والكوفة وقال الآخر إذا اجتمع العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا وألقوا مقاليد الأمور إليهما جميعًا وكانوا كارهين وطوعا أراد بالعمرين رجلين يقال لأحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسر الشاعر في البيت ومثله

جزاني الزهدمان جزاء سوء ۞ وكنت المرء يجزى بالكرامة

أراد بالزهدمين رجلين يقال لأحدهما زهدم وللآخر كردم فغلّب وكل الذي ذكرناه يقوي هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء على الذنب باسمه وتغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه والجواب السادس ما روي عن ابن عباس قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر من الجنة فيقبلون إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم

يقول الكأس الإناء بما فيه من الشراب وكان الإناء الفارغ لا يسمى كأسًا ل

المكتين ل

إذا فتحت لهم الأبواب وقد أغلقت دونهم فلذلك قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون فإن قيل وأي فائدة في هذا الوجه وما الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لأن ذلك أغلظ على نفوسهم وأعظم في مكروههم وهو ضرب من العقاب الذي يستحقونه بأفعالهم القبيحة لأن من طمع في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد إلى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه فإن قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذي هو الاستهزاء قلنا ما ترداده هو من باب الإخراج على سبيل التعذيب بمعنى الاستهزاء من حيث كان إظهاراً لما المراد خلافه وإن لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبحه من اللهو واللعب وما جرى مجرى ذلك والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن أن تذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وفي قوله إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتأمل ذلك فأما قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين أحدهما أن يريد أنه يملي لهم في العمر ويمهلهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والوجه الآخر أن يريد أنه يمدهم بأن يمنعهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثواباً لهم ويمنعها الكافرين عقاباً كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله قال رحمه الله وإني لأستحسن لبعض الأعراب قوله

خليليّ هل يشفي من الشوق والجوى ... بذو دمعها الأطلال لا بل يشوقها

ويزداد في قرب الديار صبابة ... فيبعد من فرط اشتياقي طريقها

وما ينفع الحرّان ذا اللوح أن يرى ... حياض القرى مملوءة لا يذوقها

ولآخر في ذكر الأوطان والحنين إليها

ألا قل لدار بين أكثبة الحمى ... وذات الغضا جادت عليك هواطله

عز وجل
الفعل
في ترداده من
والعبث
وله ذوالنافعين الطاء
وعميهم
وله كرمه في شبه الإعطاء بلا عطاء والأفرح الصدر ليس من الثواب
قال المرتضى رضي الله عنه
هل يشفي النفوس من الجوى
يعني أنه فرط محبته لها وشدة شوقه وحرصه تزيد بها يستبعد الطريق القريب

أجدّك لا آتيك إلا تقلّبت ... دموع أضاعت ما حفظت سواكبا

ديار تناحت الهوى بحوالها ... تطاوعني فيها الهوى والحبائب

لبان لي الأهران تحتكم بها ... على قتل من أهوى ولا الظن كاذب

وأنشد أبو نصر صاحب الأصمعي لأعرابي

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بأسناد نجد وهي خضر متونها

وهل أشربنّ الدهر من ماء مزنة ... بحرّ ليلى حيث فاض معينها

بلاد بها كنا نحل فأصبحت ... خلاء ترعّاها من الأدم عينها

تعلّقت فيها بالشباب وبالصبا ... يميل بما أهوى وكلّ غصونها

وأنشد الأصمعي لصدقة بن نافع الغنوي

ألا ليت شعري هل تحنّنّ ناقتي ... ببيضاء نجد حيث كان مسيرها

فتلك بلاد حبّب الله أهلها ... إليك وإن لم تعط نفساً أميرها

بلاد بها أنضيت راحلة الصبا ... وكانت لنا أيامها وشهورها

تغنّى بها الطير المكاكي تحتها ... وداراً علينا بالنعيم سرورها

وأنشد ابن مكرّم لسوار بن المضرّب

سقى الله اليمامة من بلاد ... نوافحها كأرواح الغواني

بجوّ زاهر للريح فيه ... نسيم لا يروع الترب واني

بها سقت الشباب إلى حبيب ... تفيح عندنا حسن الزمان

وأنشد إسحاق الموصلي

ألا يا حبّذا أحباب سلمى ... وجارات بأكنافها جون السحاب

خلعت بها العذار ونلت فيها ... مآرب طاهراً وبأخيصاب

أسوم بباطل لذات لهوي ... وتعذلني بها عصر الشباب

فكل هؤلاء على ما تراه أفصحوا بأن سبب حنينهم إلى الأوطان ما قضوه فيها من أوطار الشباب واستغلوه من ظله واقتطفوه من ثمراته وأن كان تعذيبهم ويحسن مآلهم فعل ما يجري عليه الناس في قول ابن الرومي

ولي وطن آليت ألا أبيعه ... وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا

لا أتاك من
تحنن
وحواز اهر النوح جويز آخر
قوله تعليق عجيب ولا بالهوى ينها تحيفة ولو قال تحبذ كان أنصع ويروى تبادرت
يعطي نفساً أميرها
فأي
بجوك

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وبرهنوا أن سبق الى ما لم يسبق اليه كشف عن هذا المعنى مستوفيا ووسع عقلا وفكرا وإن كان حسنا المعنى سليم اللفظ فلم يزد وبين على من تقدم ولا بل اتبع ولكن الحبيا إذا وذة ممن يعهد منه الزيادة كل استحسانه وزاد استظرافه

ولقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

سقى الغضا والنازليه وإن هم ... شبوه بين جوانح وقلوب
وقضى لأيام بهم سرقت لنا ... حسناتها من كاشح ورقيب
خضر تساقطها الصبا فكأنما ... تنف بنا نظر اهتزاز قضيب
كانت فنون بطالة فتقطعت ... عن هم فانية وفضل مشيب

وأحسن به في قوله

سقى الله أخلافا من الدهر رطبة ... سقتنا الهوى إذ أورق العود أنضر
ليالي أنفقناها من الدهر ... أضاءة بإصباح من الشيب معرك
تداولته من ليلي الليل ما انقضى ... ...

وكان تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن إحسانه نحو ... بالماء

سلام ترجف الأحشاء منه ... على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب إلى غورا ... ونجدا والأخ العذب المذاق
ليالي نحن في غفلات عيش ... كأن الدهر عنا في وثاق
وأيام لنا وله لذاذ ... تجدنا في حواشيها الرقاق
كأن العهد عن عفر لدينا ... ولو كان الثلاثة عن تلاقي

تحليل آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب إليهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن الخطاب متوجه إلى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوى

ذلك قوله تعالى حاكيا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الأمر بالهبوط لأحد يتعقد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لإبليس ذكر في قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لأنه وإن لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وثالثها أن يكون الخطاب على الجميع أن يكون الخطاب متوجها إلى آدم وحواء عليهما السلام والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل أن خطاب من لا يعقل الخطاب لا يحسن فلا بد من أن يكون فيها اللهم إلا أن يقال إنه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وإنما كنى تعالى عن إهباطه لهم بالقول كما يقول أحدنا قلت للبعير فعلت كذا وإنما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وإن كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو أنه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق الوهم إلى تعلقها بغير مكنى عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان ومثل قول الشاعر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فأما ما يجب أن يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها أن يكون الخطاب يختص آدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب وذلك لأن التثنية أول الجمع قال الله تعالى إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين أراد تعالى وكنا لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى فإن كان له إخوة على معنى فإن كان له أخوان

وقال الراعي

أخليد إن أباك ضاف وساده ... همان باتا جنبة ودخيلا

أي داخلا في النوم

وطرفاً فليك هما حين اقربهما ... فلمّا الواحد كالعصيّ دحو

تعتر بالجاهر وهي جمع عن الهضبين وهما اثنان فإن قيل فما معنى الهبوط الذي أمرنا به قلنا أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من السماء إلى الأرض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لأن الهبوط كما يكون النزول من علو إلى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا قال زهير

ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت ... أيدي الركاب بهم من راكس فلقا

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل أن يريد بالهبوط غير معنى المسافة بل الانحطاط من منزلة إلى دونها كما تقول قد هبط فلان عن منزلته ونزل من مكانه إذا كان على رتبة فانحط إلى دونها فإن قيل فما معنى قوله بعضكم لبعض عدو قلنا أما عداوة إبليس لآدم وذريته فمعروفة مشهورة وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن إدخالها في الخطاب لجميع آدم معروفة ولذلك نجد العقلاء منا يتجنبهم وأما على الوجه الذي تضمن أن الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرهما فيجب أن يحمل قوله تعالى بعضكم لبعض عدو على أن المراد به الذرية كأنه تعالى قال اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم أن بعضهم يعادي بعضاً وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين أصلها فإن قيل أليس ظاهر القرآن اهبطوا يقتضي الأمر بالمعاداة كما أمر بالهبوط وهذا يوجب أن يكون تعالى آمراً بالقبيح على وجه لأن معاداة إبليس لآدم عليه السلام ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وإنما يقتضي أنه أمرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضاً فالأمر يختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله تعالى إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وإزهاق نفوسهم

بل أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الأمر بالهبوط وهذا بيّن قال رحمه الله ومن مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر

ويل امّ قوم غدوا عنكم لطيتهم ... لا يحشون عداة الفحل والشمل

شدّوا السرابيل لا توكى معاقدهم ... خمص البطون ولا تطوى على الغمر

قوله ويل امّ قوم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلاناً ما أكرمه وتربت يداه ما أسمحه وقد قيل في قول جميل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من أنيابها بالقوادح

إنه أراد هذا المعنى بعينه وقيل إنه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير تكثر قذى عينيه وتتحطم أسنانه وقيل إنه أراد بعينيها رقيبيها وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم والأول أشبه بطريقة القوم وإن كان القول محتملاً للكل فأما قوله لا يحشون عداة الفحل والشمل فإنه أراد لحيوا أنهم يسقون الإبل أكثر لهم من نحلهم ويكفيهم ويترك على المهر وإنما يكنى ويترك على الإبل السقاء والرعاة وفيه وجه آخر قيل إنهم يسارعون بشربهم ويؤثرون به الضيف وقيل إنهم لا يصولون عليه ولا تطوى على فضل الزاد ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الإحسان

دعت [illegible] لابني عبيد فسمعت ... من الحق لم توزل بحق إفالها

فقالت ألا أخذ فصالك هكذا ... فقلت أرى ضيفاً بها وعيالها

فما حلبت إلا الثلاثة والثنى ... ولا قيّلت إلا قريباً مقالها

هذا أبي من كل العيال كأنها ... أيامى شهود حلّ عنها جلالها

شكى هذا الشاعر من امرأته وحكى عنها أنها دعت الله عليه أنها لم تعط سهماً في حماية ولم تعقر في حق ولم تحلب لضيف ولا جار [illegible] وقوله لم توزل من الأزل وهو الضيق في العيش والشدة يقول فصال هؤلاء [illegible] أن ألبان أمهاتها موفورة عليها ويحكى عن امرأته أنها تقول له [illegible] فصالك هكذا فقال لها تأبى ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم أخبر أنه لم تلتفت إلى لومها وأن الإبل ما حلبت بعد سقاطها إلا مرتين [illegible]

ولا قبلت من القائلين إلا بقرب البيوت حتى نحرها وذهبها ذا الجداير المها
وإنما نعرض بصالكم وهزالها من أجل أنها لا تشرف الألبان وتعقر أمهاتها وأما بروجه
بجمع نسوة شبعة بصالكم من هزالها بانضمام حيل نحر وقوله خلايس من كل العيال
بمجس لأنه أراد أنها من بين جميع العيال تمام بكل وهذا تأكيد لأن سبب
هزالها هو الإيثار بألبانها وأحسنت بالهزال من بين كل العيال والعيال
ههنا هم الجيران والضيفان وإنما جعلهم عيالا لكرمه وجوده وتدالو
تمونهم فصاروا كخاص عياله ومثل ذلك قول الشاعر

تعيرني الحطلان أم محلم	فقلت لها لم تقذفيني بدائيا
فإني رأيت الصامرين متاعهم	يذم ويفنى فارضخي من وعائيا
فلم تجديني في المعيشة عاجزا	ولا حصرما خبا شديدا وكائيا

الحطلان المسكوة البخيلة والحطل الإمساك وأم محلم امرأة ومعنى قوله
تعيرني الحطلان أي بالحطلان تقول ما لك لا تكون مثل هؤلاء يحفظون أموالهم
والضامرون أيضا البخلاء فقال لها رأيت البخلاء يضنون بما عندهم
وهي تفنى وتبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل أعطى الناس مما عندي
وهو من قولك رضخ له بشيء من عطيته والحصرم الممسك يقول العرب
حصرم قوسك أي شدد وترها وقوله فلم تجديني في المعيشة عاجزا أي أنا
صاحب غارات أفيد وأستفيد وأتلف وأخلف فلا تخافي الفقر وقال
ابن مسكين الدارمي

أصبحت عاذلتي معتلة	قرما أم هي وحي للعجب
أصبحت تتفل في شحم الذرى	وتظن اللوم درا ينتهب
لا تلمها إنها من نسوة	ملحها موضوعة فوق الركب

يقول إنها تحسن لومي وكأنها قرمة إلى اللوم كقرم الإنسان إلى اللحم وهو أن
تشتهي اللحم فكانت تشتهي اللوم والوحم شهوة الطعام عند الحمل وشحم الذرى الأسنمة وأراد
بتتفل فيها أنها تعود لشحمها فتحيي وتعظم فذهبها فلا أهب منها ولا أنحرها ولم
أن أسلها من الرخ والملح الشحم والرخ يكون على أوراكهم وأكفالهم وأنشد

ابو

كأنه يجمع نضو على أنضاء ويجمع أنضاء على أناضي فهو جمع الجمع

[illegible]

وهو بمعنى

البخل

الأكفال

أي تعود إلى التزينها

أبو العباس محمد بن يزيد

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك	ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له	أكيلا فإني لست آكله وحدي
قصيا كريما أو قريبا فإنني	أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا	وما في إلا تلك من شيمة العبد

قال أبو العباس اشتهى الكرم من نعت العقيق البعيد ولم يستقصه من نعت الغريب
لأن أهله جميعا عنده كرام وأراد بقوله عبد الضيف أنه يخدم الضيف
هو بنفسه لا يرضى لم يخدمه عبده قال رحمه الله ويشبه ذلك قول
المقنع الكندي

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا	وما لي سواها خلة تشبه العبدا

وإنما اشترط كونه عبدا للضيف في البيت الأول والثاني ثواه ومنزله ثواه ونزوله
ثواه ونزوله ليعلم أن الخدمة لم تكن لضعة وصغر وتذلل لما يوجبه الكرم
من حق الأضياف وأنه يخرج عن أن يكون عبدا لما يخرجه من أن يكون
ضيفا ولو قال وإني لعبد الضيف لم يحصل هذا المعنى الجليل مجلس آخر

تأويل آية إن سأل سائل فقال ما تقولون من خالفكم في الاستطاعة
وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلق بقوله تعالى
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فإن الظاهر
من هذه الآية يوجب أنهم غير مستطيعين للأمر الذي هم عنه عاجزون كرون
القدرة مع الفعل وإذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى إنك لن تستطيع
معي صبرا ولم يكن قادرا على الصبر في حال هو فيها عنه فهذا يوجب
أن القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون

الجواب يقال له أول ما نقوله أن المخالف لنا في هذا الباب في الاستطاعة
لا يصح له التعلق بالسمع لأن مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يمكن مع المقام
عليه من معرفة السمع بأدلته وإنما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالى
الكافر الإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عز وجل فإذا

الضيف

لا يرضى أن يخدمه عبده

قال المرتضى رضي الله عنه

ثاويا وما شيمة لي غيرها

الأضياف

عليه السلام

لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز القبائح في أفعاله تعالى وأخباره
ولا يأمن أن يرسل كذابا وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع إن كان
كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وإن كان كلام رسوله عليه السلام قدح فيه
ما يلزم من تجويز تصديق الكذاب وإنما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه
وليس لهم أن يقولوا إن أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن
من حيث إن الكافر أتي من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الإيمان وإنما
كان يبطل تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح وذلك لأنا
إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق لم يؤثر في نفي ما ألزمناه
عليهم فإنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح ويكون حسنة منه
بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس يؤمنهم أن لم نضفه إليه من وجه يقبح
يعتمد بل يجري مجرى من جوز تعالى عليه الكذب ويكون الكذب منه تعالى
حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول إني لم أضفه إليه تعالى
بنحو يقبح أفسد طريق السمع فإذا كان لما ذكرناه لا عذر لهم في هذا الكلام
لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر مثله ونعود إلى تأويل الآية أما قوله تعالى
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر للشيء
الذي لا يقدرون عليه وبيان لم لا يقدرون وإنما كان يصح ما قالوه لو بين تعالى أنهم لا يستطيعون
سبيلا إلى أمر معين فأما إذا لم يكن كذلك فلا متعلق لهم فإن قيل فقد ذكر تعالى
من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا إلى مفارقة
الضلال قلنا إنه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم فيجوز أن يريد
أنهم لا يستطيعون سبيلا إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال على أن ذلك لم يتقدم ذكره
على الحقيقة لا يستطاع والظاهر أن هذا الوجه أولى لأنه عز وجل حكى عنهم
أنهم ضربوا له الأمثال وجعل ضلالهم وأنهم لا يستطيعون السبيل متعلقا
بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعا إليه ولأنهم ضلوا
بضرب المثل وأنهم لا يستطيعون سبيلا إلى تحقيق ما ضربوه من المثل على أنه
تعالى أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم فإن كان قوله

تعالى

تعالى فلا يستطيعون سبيلا يرجع إليه يجب أن يدل على أنهم لا يقدرون
على ترك الماضي وهذا مما لا يخالف فيه وليس بمذهب لنا بأبى من أنهم لا يقدرون
في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وبعد تركه وبعد
فإذا لم يكن للآية ظاهر ولو صار ظاهرا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلفوه بأولى
منا إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه أو على أن المراد الاستثقال والخبر عن عظيم
المشقة عليهم وقد جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئا إنه لا يستطيعه
ولا يقدر عليه كما يحكى عن العرب أنهم يقولون إن فلانا لا يستطيع أن يكلم فلانا
ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة
فإن قيل فإذا كان الظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم
قلنا قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى إبطال تكذيبه سبيلا لأنهم
ضربوا الأمثال لما ظنوا أن ذلك يبين كذبه فأخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع
لأنه صادق فإبطال الحق مما لا يتعلق به قدرة ولا يصح فيه الاستطاعة
وقد ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وكفرهم
لا يستطيعون سبيلا إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب
وليس يتوجه على هذا أن يقال كيف لا يستطيعون سبيلا إلى الخير والهدى وهم
عندكم قادرون على الإيمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب
لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى الخير
والهدى وإنما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن أيضا
في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنهم يستثقلون
الإيمان وقد يعبر عمن استثقل شيئا بأنه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره
فأما قوله تعالى في قصة موسى إنك لن تستطيع معي صبرا فظاهره يقتضي
أنك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير مستطيع للصبر في الحال
أن يفعله في الثاني وقد يجوز في المستقبل من أن لا يستطيع ما هو في الحال مستطيع
له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد نفى عن المستقبل أوقاتا ولم يخصص منها
في جميع الأحوال لم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأوقات المستقبلة

على انّ المراد بذلك وانْ جَمَعَ وأتى بغيره الاستثقالُ والصبرُ من المسئلة عمّا لا يعرف ولا يقف عليه لانّ مسئلة ذلك تصعب على النفس فلهذا نجد احدنا اذا وجد بين يديه ما يكره ويستثقل شيئاً فاقل نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكشف عن الفحص عن امره فكأنه قال لموسى عليه السلام انك لا تستطيع ما يظهره استثقال الصبر عن المسئلة ونحو ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فبيّن تعالى انّ العلّة في قلّة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على ما ظنّوه لوجب ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فامّا قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع فلا تعلّق لهم بظاهره لانّ السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً لانّ الادراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو كان معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضاً غير مقدور للعبد من حيث اختصّ تعالى بالقدرة عليه هذا ان اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس الحاسّة فهي ايضاً غير مقدورة للعباد لانّ الجواهر وما يختصّ به الجواهر من البنية والمعاني يصحّ فيما الادراك مما ينفرد به القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجّة لهم فيه فان قالوا فلعلّ المراد بالسمع كونهم سامعين كانّه تعالى نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو جاز انّ المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة على ما تقدّم ذكره من الاستثقال وشدّة المشقّة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يراك ولا يقدر على ان يكلّمك وما اشبه ذلك وهذا بيّن لمن تأمّله

تأويل خبر ان سأل سائل فقال ما تأويل ما رواه يسار عن معوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكّة قال فعظم ذلك على النبي صلّى الله عليه وآله قال فقلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فجئته بها فقال لها عليه السلام اين الله فقالت في السماء قال من انا فقالت انت رسول الله فقال عليه السلام اعتقها فانّها مؤمنة الجواب امّا قوله انا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فمعناه اغضب كما يغضبون قال العجّاج حتّى

الأسف الغضب وانشد الراعي

قال تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم

فما وجدني العبس حتّى لقيتني ۞ اسيفاً على اللائم المتجرّد

والأسف ايضاً الحزن قال ابن الاعرابي الأسف الحزن والأسف الغضب قال كعب بن زهير

وكلّ يوم اراك ميّة مبتذلة ۞ تكاد تسقط منّي منّة اسفا

قوله فصككتها صكّة اراد لطمتها يقال صكّ جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى فاقبلت امرأته في صرّة فصكّت وجهها وقال بشر بن ابي خازم يصف حمار وحش واتانا

تصكّ حجره اذا ما شاقها ۞ ويعبه بحافر لم ينكب

فامّا قوله اين الله فمعناه في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلوّ فمعنى ذلك انّه تعالى عالي القدر عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يُدرك يقال للرجل فلان سمى عن ان يرتفع شأنه وعلا امره ومعنى قوله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض الآية فاخبر تعالى بعلوّ رتبته وسلطانه وعلوّ شأنه ونفاذ امره وقد قيل في قوله تعالى أأمنتم من في السماء غير هذا وانّ المراد أأمنتم من في السماء امره وآياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن ابي الصلت شاهداً لما تقدّم

فاشهد انّ الله لا شيء فوقه ۞ عليّاً وامسى ذكره متعاليا

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى ۞ تعاليت محموداً كريماً وجازيا

علوت على قرب بعزّ وقدرة ۞ وكنت قريباً في دنوّك عاليا

والسماء ايضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظنّ ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء الآية وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماوة البيت وسماوته وسراته وصهوته والسماء ايضاً المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله انّه مرّ على صبرة طعام فادخل عليه السلام يده فيها فنالت اصابعه بللاً فقال ما هذا يا صاحب البرّ قال اصابته السماء يا رسول الله قال عليه السلام افلا جعلته فوق الطعام حتّى يراه الناس من غشّنا فليس منّا وقال المثقّب العبدي

قال الحشني العبس وجدني لم
قبله ملء ما قليلاً بناقتي ...
كأنّ منّي محدودة شرحبان

تمّ

فلما أتاني والسماء تبلّه ... فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا

وقال أيضاً الطهر القرشي سماء كانيا لجوابره أرض ولنعيم في قرض

باجرد كالدينار أما سماؤه ... فحضن وأما أرضه فمحول

وإنما أراد بحرّ الأعلى عربات الفوائم بتسوقها وكل معاني السماء التي تتصرف وتتنوع يرجع إلى معنى الارتفاع والعلو والسمو وإن اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأول المعاني بالخبر الذي سئلنا عنه ما تقدم من معنى العز وعلو الشأن والسلطان وما عداه لذلك من المعاني لا يليق به تعالى لأن العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فيهما ولأن الأبيات التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدح ولا تمدح في العلو بالمسافة وإنما التمدح بالعلو في الشأن والسلطان ونفاذ الأمر وهذا الأعلى أحد ما من العرب يمدح عمرو في خبر أو نثر بمثل هذه اللفطة وأراد بها علو المسافة فرط البرية الأنا ذكرنا من معنى العلو في الشأن وإنما نحن في هذه المواضع حذف هذا من لا فطنة له ولا بصيرة له

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور الآية **الجواب** قلنا أما التنور فقد ذكر في معناه وجوه **أولها** أنه تعالى أراد بالتنور وجه الأرض وأن الماء نبع وظهر على وجه الأرض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عباس والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً **وثانيها** أن يكون المراد أن الماء نبع من أعالي الأرض وفار من الأماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة وقيل في قوله تعالى وفار التنور قال ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها **وثالثها** أن يكون المراد بفار التنور أي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت أمارات دخول النهار وتقضي الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام **ورابعها** أن يكون المراد بالتنور الذي يخبز فيه على الحقيقة وأنه تنور كان لآدم عليه السلام وقال قوم إن التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام وقال آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي يقول إن التنور هو تنور الخبز المعنى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم **وخامسها** أن يكون معنى ذلك

والحمد لله رب العالمين

قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل

واشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر تعالى مثلاً لحضور العذاب كما تقول العرب كذا حمي الوطيس إذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضاً قد فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم ومن ذلك الشاعر

تفور علينا قدرهم فنديمها ... ونفثؤها عنا إذا حميها علا

أراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها أي نسكنها ومن ذلك الحديث المروي عنه صلى الله عليه وآله أنه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال قد دوم الطائر في الهواء إذا سكن جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثؤها أي نسكنها يقال فثأت غضبه عني وفثأت الحار بالبارد إذا كسرت به **وسادسها** أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الأرض علماً على ما أنذر به من إهلاك قومه وهذا القول يروى عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب من حمل الكلام على التنور الحقيقي لأنه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واشتداد الأمر تمثيلاً وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الروايات أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الروايات والقائل بأن المراد بالتنور فإن الله تعالى جعل فوران الماء علماً لنبيه عليه السلام وأنه يدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين ناساً أمره تعالى من كل زوجين اثنين فقد قيل إن المراد به احمل من كل ذكر وأنثى اثنين وأنه يقال لكل واحد من الذكر والأنثى زوج وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وأن كل ضرب يسمى زوجاً واستشهد بالبيت الأعشى

وكل زوج من الديباج يلبسه ... أبو قدامة محبوا بذاك معا

ومعنى من سبق عليه القول أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به وذلك أعلم بمراده

مجلس آخر تأويل خبر إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه بشر بن عمار الدهني عن أبي صالح الحنفي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الأود واللدد

التنور

معناه

القول

الجواز

الجَوِيبُ يقال له أنّه الألدّ فهو المبل تقول العرب لا قيمن مَيلك وجنفك وأودك ودَرْأك وضلعك وصَعَرك وصَدَعك وظلمك بالظاء وصغوك وصدَدك كل هذا بمعنى واحد وقال ثعلب الأود إذا كان من الإنسان في كلامه أو دابة فهو عوج وإذا كان في الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج هذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيباني فإنه قال العوج بالكسر الاسم والعوج المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصا معوجة وعود معوج ولحن في كلامهم معوّج وأما الألدّ فيقال هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل ألدّ وقوم لدّ إذا كانوا شديدي الخصومة ومنه قول الله تعالى وهو ألدّ الخصام وقال الأموي اللدد الاعوجاج يعني اللدد في الخصومة الذي ليس بمستقيم أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يمكن منه ذكر ذلك وهو كلام صحيح وإنما اللدد في شق فيه ولحن بلدد يستقيم فهو يرجع إلى معنى الميل والاعوجاج وقد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال ألدّ الخصام أي أعوج الخصام

وأنشد أبو الشيخ لابن مقبل

لقد طال عن دهماء لدّي وعذرتي ... وكتمانها أكنى بأمّ فلان

حلفت بمثال الرجال تحافته ... ولو شئت قد بيّنها بلسان

اللدّ الجدال والخصومة وقال أبو عمرو الألدّ الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم دونه تخاصم يقول إنهم يخوضون في شعري ويطلبون معايبه ولا يقفون عليها

وأنشد أبو الشيخ

لا تقربن الكذب القبيح فإنه	ه	للمرء معيبة وباب لاِئم
واشدد قويك حين تنطق إنه	ه	للصدق فضل فوق كل كلام
وإذا اسدقت على الرجال خصيمهم	ه	فالصدق معتصم على الظلام
وإذا أتاك عشوم قوم فازجر	ه	بالذّ مستقر المدى غشام
لا تعرض على العدو وسبكه	ه	واحذر عدوك عند كل مقام
واعلم بأن قد كبرت وما ترى	ه	عند الكبير وسائل الأرحام
سالم بعدك وليس عندك حا	ه	حسنا وصحبه بكارح صمام

وإذا اجلست بجارتي فاكرم به	ه	حتى تفرج حلبة الإظلام
واصبر على كرب البلاء فإنه	ه	ليس البلاء على الفتى بدوام
واعلم بأنك ميت ومحدث	ه	عما فعلت معاشها لا قوام

يعني قوله مشتغر المدى أي بعيد المدى ويعني قوله لا تعرضن على العدو وسبكه أي لا تعاديه ولا تضاغنه ولا يكن إلا صدق العلاقة وأنشد أيضا شاهدا لما تقدم

يا رب أشبه باطل وجديد	ه	أشبهت أخلاقي وأشبه تجديد

وجدتك عند الخصوم اللدّ قال رحمه الله ومن أحسن ما وصف به الثغر قول

لجليل فضالة بن كريع الكريزي

تبسم عن حمّ الثنايا كأنها	ه	حصا برد أو أقحوان كثيب
إذا ارتفعت عن مرقد علّلت به	ه	من الطايع العوري تريح قضيب
فضيب تحاه الركب أيام عرفوا	ه	لها من ذرى بال الثنايا قضيب

يعني من بايع الأراك ومعنى تحاه أي قطعه وسلم أشتهاه أيضا ومال الثنايا أي باردها وحسنها ويقال عشب مال ومال وسواء أي ساد ناعم ومعنى أيام عرفوا أي أخنوه من عرفات وذكر أنه خضيب بالطيب الذي سنتها لإدمانها الاستعمال له

وقال الأخطل يصف ثغرا

تسنتا يروى الظمآن منه	ه	إذا الجوزاء أجحرت الضبابا

السنت هو المنعر المفلج الذي ليس بمتراكب ومعنى قوله إذا الجوزاء أجحرت الضبابا فيه وجهان أحدهما أنه أراد عند سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل إذا انجحرت الضباب من البرد وتعرضت الأفواه لطول ليل الشتاء تغيرها حينئذ عذب فكيف سعيها والوجه الثاني أنه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر إذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن حينئذ أشد عطشا وأحر غلة تريقها يرويه ويبرد غلته وقال آخر

فويل بها لمن تكون ضجيعه	ه	إذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب

وكرر فويل بها من الزهرا المحمود مثل قوطهم ويل امه لما أسجعه فكأنه يقول نعم الضجيع هي عند السحر إذا تحادرت النجوم للغيب كما قال ذو الرمة وأدبر الثريا تجنح للغار

وقال الآخر

يغور سقاء النحي إذا أبردها الليل ۞ سحرا وتصفق الكير د

وإنما يعني أنها في ذلك الوقت الذي تنعقد فيه الأنواء لمتبة الريق عذبة

أنشد أبو العباس ثعلب للكميت

وعارض كجانب العراق ۞ أحسن براقا من البراق

بنات سيل العسل المذاق قال أبو العباس في هذا قولان أحدهما أنه وصف ثغرا وعارضا لجانبه والعراق ما يثنى من الخرز كعراق المزادة فأخبر أن الثغر منتظم حاجج لا تراكب ولا نقص وقوله أحسن براقا من البارق يعني الثغر نفسه أي لمع بريق من ثناياه وقوله بنات الريق بالعسل العذب والقول الآخر أن يعني بالعارض ههنا الغيم وقوله كجانب العراق يعني هذه البلاد أي هو سحاب متكاثف قد سد الأفق وقوله أحسن براقا من البارق أي ما يحسنه الأبصار إذا سطعت من النور قال المبرد والقول الأول عندنا أصح لذكرها العسل وأنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب لنا بكر شيئا

وتبسم كنك النور بكر طعمه ۞ مجاج منو غير بطان مخامر

تعشقته بالليل لم يهد لي كرى ۞ وليل دلوه لم ابغه حامر

قال يعني بالتبسم ثغر جارية كنك النور يعني كف النور إذا خالطه الندى طل والنكر الضيق يعني بها صغر الفم وحسنه ودقة الشفتين وسواد وضوح الوائد جاريه والمخامر البارد من الخصر ويعني بالبطان الريق وقوله لم يشتف لم وليل أي لم يصل اليه غيري كما قال حري

الا رب يوم قد شربت بمشرب ۞ شفا الغيم لم يشرب به أحد قبلي

الغيم والغين العطش وإنما يعني ريق جارية قال أبو العباس وقال آخرون بل يعني سقيا من السحاب نحو قوله سلكه وحده قال أبو العباس إنما كنى بالسقي عن فم جارية لم أجد في وصف السحب ليكون الأمر أسد إنسانا قال رحمه الله والاشبه أن يكون أراد سقيا حقيقيا لان تأبط شرا كان لصا وصافا للاهوال التي تمضي بها وتباينها في قصصه وكان كثيرا ما يصف

للاهوال

المرقي يذاف

كنك النور

وسقي الغام البارد

المبرد

قال المرتضى رح

تدرك من الجبال وتخلصه من المضايق وتظهره المغاور وأشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كلها تشهد بأن الوصف لشعب الفم جارية لأنه يقول بعد قوله كنك النور

لذيذ مطلع السعري قبل التنبه ۞ كأن الظمأ في جانبه شعاجر

بين عافر الدلو يضر ثرها ۞ غبار إليهم المخر فيه قراقر

كمون كمن لم لا يستقى ۞ كعادر رهق السيل فيها عادر

به نطف زرق قليل ترابها ۞ خلاه النائم من أرجائها متحاجز

وهذه الأوصاف كلها لا تليق إلا بالشعب دون غيره وكأنه ذلك تأول بعينك وقد كثير في قوله يصف فما الثغر

وتجلو العشي قد ثغر وكنت	۞	بها آلة الغضب عن ريق برار
وعين مجاله تدمع في يابس	۞	إذا دمعت وينظر في سواد
ومن مسكا وفي الغفص	۞	أتجي البحث في مخلد جعاد

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وقال العين خرد تبتسمن	۞	عن الأقحوان البارد
كأن شوك السيال حسنا فإن	۞	ذوبه للفراق خوف العثار

وقال البحتري

كأن ما حدا براح لمن الورد	براح يشم	وبشمه حب النفاح
وشيبا يغص منه لؤلؤا	۞	ودبيبه على شيب الأقاح
فإضاءة تحت الدجنة	۞	فكادت تغني المصباح

وقال أيضا

سفرت كالشمس الربيع الطلق	۞	ورد يترقرق الضحى مصقول
وتحمت عن لؤلؤ نسقه	۞	برد تعيب خساسة المبتول

المسول اللذي قد ذهب قلبه ذكره أيضا وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ ۞ منضد او برد او أقاح

مجلس آخر ٤٩ إن سأل سائل عن قوله تعالى قل هل أنبئكم

من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل
فقالوا انا انكرنا ان تكون هذه الآية دالة على انه جعل الكافر كافرا لانه
جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير ولكن جعله كافرا
الا بان يخلق الكفر فيه **الجواب** فنقول قبل ان نتكلم في تاويل الآية وما يحتمله
من المعاني كيف يجوز ان يخبر تعالى بانه يجعلهم كفارا وخلق
كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة
في الازراء عليهم واي مدخل لكونه خالقا لكفرهم في باب ذمهم واي نسبة
بينه وبين ذلك بل لا شيء ابلغ في عذرهم وتبرئتهم من ان يكون خالقا
لما ذمهم من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن
نعلم ان احدا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام
انما يقول الا اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع
كذا وكان يعمل كذا كذا فيعدد من الاحوال والافعال ما يجرها ولا يجوز
ان يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من قبل الذام او من جهته حتى يعود
في جملة ذلك ومن تشاغل بالصفة العلانية التي هو اسلم اليها وحمله
عليها دل عقلا مثل هذه الشبهة لمعقل سخيف مخنث فان قيل الحسن قد
في الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكذلك
يجوز ان يذمهم بجعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله **قلنا** انما
جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم باستحقاقهم فجرى ذلك مجرى
افعالهم كانهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى
بافعالهم وعبادتهم للطاغوت وان كان خلقها فلا وجه لذمهم بما لا اثر
ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كالعمى والمسخ ثم نعود الى تاويل الآية فنقول
لا ظاهر للآية يقتضي ما ظنوه ولكنا ما تضمنه الاخبار بانه جعل وخلق
من عبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه
تعالى هو خالق الكافر وان لم يكن خالق كفره لان ذلك لا يوجب انه خلق كفره

خلق م ر

تعالى م
اخبرنا بانه م
هذه م
ان يخبر الله تعالى بانه جعلهم م ل
احدنا م ل
بالصناعة م ل

وجعل الكافر كافرا ولكن لهم ان يقولوا كما تستفيدون من قوله تعالى جعل
منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل
منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا للطاغوت وذلك انما استفدنا
ما ذكروه من ذا ولان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا
لا يكون الا من فعله تعالى وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى
بل قد دل الدليل على انه تعالى عن مثل ذلك وخلقه فافترق الامران وفي الآية وجه
آخر وهو ان لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل
معطوفا على لعنه الله ومن غضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله وغضب
عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل منهم القردة والخنازير وهذا هو الوجه
لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير
لكنا قد عطفنا فعلا على اسم والاولى عطفه على ما تقدم من الافعال وقال
قوم يجوز ان يعطف عبد الطاغوت على الهاء والميم في منهم فكانه تعالى قال جعل
منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد تحذف من في الكلام

قال الشاعر

امن يهجو رسول الله منكم ۞ ويمدحه وينصره سواء

اراد ومن يمدحه وينصره فان قيل فعلى هذا التاويل ما الحكم في قراءة من قرأ
وعبد بالفتح اين انتم من قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر
التاء من الطاغوت ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد
الطاغوت بالضم والتشديد ومن قرأ وعباد الطاغوت بضم العين قلنا
المختار من هذه القراآت عند اهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع
القراء السبعة الا حمزة فانه قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراآت شاذة
غير ماخوذ بها قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني القرآن عبد الطاغوت نسق
على من لعنه الله وقد قرئت وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود رحمه الله
وعبدوا الطاغوت فمن قال وعبد الطاغوت فمن قال وعبد الطاغوت بضم
الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من جهتين

والمنز م ل
انام
ان يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء م ل
واو عبد م ل
وعبد الطاغوت والذي
وعبد الطاغوت م م

أنّ عَبُدَ على وزن فَعُلٍ ولَيس هذا من أبنية الجمع لأنهم فسّروه بخدم الطاغوت
والثاني أن يكون محمولاً على وجعل منهم عَبُدَ الطاغوت ثم خرج لين فو عَبُد
وجعلنا فعالاً لأنّ الاسم يبنى على فَعُلٍ كما يقال رجل حَذُرٌ أي مبالغ في الحذر فتأويل
عَبُدٍ أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج وقال أبو الحسن
ابن عبد الغفار الفارسي محتجّاً لقراءة حمزة ليس عَبُدٌ لفظ جمع الا ترى انه ليس
في أبنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى أنّ في الأسماء
المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع كقوله تعالى وإن
تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وكذلك قوله وعَبُدَ الطاغوت جاء على فَعُلٍ
لأنّ هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يَقُظٍ ونَدُسٍ فهذا كان تقديره أنه
قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلّل له كلّ مذهب قال وجاء على هذا لأنّ
عَبْدٌ في الأصل صفة وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء واستعمالها استعمال الأسماء لا
يزيل عنها كونها صفة ألا ترى أنّ الأبرق والأبطح وإن كان قد استعملا
استعمال الأسماء حتى كسّرا هذا التكسير عندهم تكسيرها في قوله بأبارق وأباطح
فلم يزل عنه حكم الصفة يدلّك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف أحمر ولم
يجعلوه لذلك كأفكل وأيدع فكذلك عَبْدٌ وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء
فلم يخرجه ذلك عن أن يكون صفة فإذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع
أن يبنى بناء الصفات على فَعُلٍ وهذا كلام مستوفٍ في الاحتجاج لحمزة وإذا صحّت
قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختار فيصحّ أيضاً سائر ما روي من
القراآت التي حكاها السائل كان الوجه الأول الذي ذكرناه في الآية
يزيل الشبهة عنها ويكون في الآية وجه آخر على جميع القراآت في عبد الطاغوت
وهو أن يكون المراد بجعل منهم عبد الطاغوت أي نسبهم إليهم وشهد
عليهم بكونهم من جملتهم ويجعل يتّسع فقد يكون بمعنى الخلق والفعل كقوله
وجعل الظلمات والنور وكقوله تعالى جعل لكم من الجبال أكناناً
وهو ههنا يتعدّى إلى مفعول واحد وقد يكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة
كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً وكقوله

القائل

أحدهما م
على م
تقول م ل
وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار
أبو الحسن أحمد بن عبد الغفار ر
لأنّ هذا البناء يراد به م ل
من التكسير في قوله م ل
الأفكل الرعدة والأيدع دم الأخوين
المختلفة م
عليهم م ل
وهي ههنا تتعدّى م ل

القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسني قبيحاً وما أشبه
ذلك فهي ههنا تتعدّى إلى مفعولين ويجعل مواضع أخر لا حاجة بنا إلى ذكرها
فكأنه تعالى قال ونسب عبد الطاغوت إليهم وشهد أنهم من جملتهم فإن قيل
لو كان جعل ههنا على ما ذكرتم لوجب أن يكون متعدّياً إلى مفعولين
لأنها إذا لم تتعدّ إلا إلى مفعول واحد فلا معنى لها إلا الخلق قلنا هذا غلط
من متوهّمه لأنّ جعل ههنا متعدّية إلى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام
المفعول الثاني عند جميع أهل العربية لأنّ كلّ جملة تقع في موضع خبر المبتدأ فهي تصلح
أن تقع في موضع المفعول الثاني كجعلت وظننت وما أشبههما وقال الشاعر

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدني ٭ وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

وقد فسّر هذا على وجهين أحدهما على إلغاء خلت من حيث توسّطت الكلام
فيكون في الأراجيز على هذا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والوجه الثاني على
إعمال خلت فيكون في الأراجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول
الثاني فعلى هذا يجري قوله تعالى ٣ قال رحمه الله أنشد ثعلب عن ابن الأعرابي

أما والذي للقصّ في كلّ خلّة ٭ أقول تعجّبي من مجيء نهين دلّبه
وإني لأهنا الظما في مواطن ٭ على بارد عذب وأهوى نغلّبه
وأستر أسباب الدهر حتى كأنه ٭ صديق ولا أعتابه عند ذلّه
ولست كمن كان ابن أبي صغيرة ٭ فلما أفاد المال عاد ابن قلّة
فداوى حتى تقضّي الودّ بيننا ٭ ولم أنطق من نداه بسلّة
وكنت له عند الملمّات عدّة ٭ أسدّ بمالي عنده كلّ خلّة

قال السيد رحمه الله الخَلّة الحاجة والخَلّة أيضاً الخصلة والخُلّة بالضمّ المودّة
والخُلّة أيضاً بالضمّ ما كان حلواً من المرعى والخِلّة بالكسر ما يخرج من الأسنان
بالخلال والخليل الحبيب من المودّة والمحبّة والخليل أيضاً الفقير وكلا
الوجهين قد ذكر في قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً ومنه حديث
ابن مسعود ~~واتخذ الله إبراهيم خليلاً~~ تعلّموا القرآن فإنه لا يدري أحدكم
متى يختلّ إليه وقال أبو العباس ثعلب يكون من شيئين أحدهما من الخلّة التي هي

بجعلت م ل
المفعول الأول والضمير لأنّ التقدير اللؤم والخور خلتهما في الأراجيز
في موضع م
قال المرتضى رضي الله عنه
عم الأم
م ل
دونه م ل
قال المرتضى رضي الله عنه
م ل
العلم م ل

الحاجز أي شيء يحجز الماء ويكون من الحلفاء وهي النبات الحلو ويكون متعباه متى اشتهى ما يمده مشبهة بالإبل لأنها ترعى الحلفاء فإذا أسلمتها عدلوا بها إلى الحمض فإذا أكلت الحمض اشتهت الحلفاء ومن أمثالهم خلا لكِ جلدكِ فلا تراعي حمضِ أي خلا فاشتهي بعينانا فلا ترى ما كرهوا والحلفاء أيضا بحث المحاس والدم المحل ويقال هل إذا كان تمر ولا ماء قال الشاعر

نا شبقتها يا سواد بن عمرو ٥ إن عجبي بعد خالي تحبل

وبقال فصيل مخلول إذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خلاله نو خليل ومخلل ومثله أجريته قال الشاعر

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ٥ نطقت ولكن الرماح أجرت

أي لم يعملوا في الحرب شيئا فكنت أفتخر بهم وقوله

أتاركتي من غير نقض ذلكم ٥ يقولـــا اختيار العيش تربع الفقر

أحب إلي من العيش مع الذل ومثله

إذا كان باب الذل من جانب الغنى ٥ سموت إلى العلياء من جانب الفقر

صبرت وكان الصبر مني سجية ٥ وحسبك أن الله أثنى على الصبر

قوله واستردت الدهر حتى كان صديقي أراد أنه لا أشكو ما مسني من الدهر من خصاصة بل أستر ذلك وأظهر التجمل حتى لا أسوء الصديق ولا أسر العدو ونحو هذا المعنى أراد بقوله ولا أعنا بر حسدا لي وقوله فلما أفاد المال عاد ابن علة فالعرب تقول هم بنو أعيان إذا كان أبوهم واحدا وأمهم واحدة فإذا كان أبوهم واحدا وأمهاتهم شتى قيل أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع لأن الكيس مع بني العلات ما ذكرناه وقوله فما ترى إلا قاطعة وقوله ولم أتمطق من لذاذة بلة التمطق يكون بالشفتين والتلمظ يكون باللسان وكنى بذلك عمن أنه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه عنه علما أنه تأويل آية

إن سأل سائل فقال ما معنى قوله تعالى هو الذي جعل

(margin:) جسم وكم

(margin:) أيضا م

(margin:) وسلم النبيون

(margin:) والتقاطع [illegible]

لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وما الذي أخبرهم العلم به فكيف يطابق وصفهم بالعلم ها هنا لوصفهم بالجهل في قوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لأنه تعالى أمر عباده بالاعتراف بنعمته وعدد عليهم صنوف النعم التي ليست إلا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وأن العبادة إنما تجب بالنعم المخصوصة فقال جل من قائل يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم إلى آخر الآية ونبه في آخرها على وجوب توحيده والإخلاص له وأن لا يشرك به شيئا بقوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الأرض فراشا أي يمكن أن تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل أبو علي بقوله تعالى جعل لكم الأرض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كروية الشكل وهذا القدر لا يدل لأنه يكفي في النعمة علينا أن تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطا وإن كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون أن تكون في الأرض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وإنما يذهبون إلى أن جملتها شكل الكرة وليس لهم أن يقولوا قوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا يقتضي الإشارة إلى جميع الأرض وجملتها لا إلى مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث إنا نعلم بالمشاهدة أن فيها ما ليس بباسط ولا فراش ولا مستقر وإنما جعل السماء بناء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بنا فيها ومصالحنا وكذلك إنزاله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات فننتفع بها بالأغذية بها فأما قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا فإن الند هو المثل والعدل قال حسان بن ثابت

أتهجوه ولست له بند ٥ فشركما لخيركما الفداء

(margin:) لأجل

(margin:) والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا م

(margin:) بذلك وم

(margin:) يكفي م

(margin:) قال سيدنا ضياء الدين حبيب بعض الأكابر يقول كرويته بتشديد الياء فقال لم فقال لأن التشديد عوض عن المحذوف من الكرة فقال وقد أجمعوا على ذلك

ثم أما قوله تعالى وأنتم تعلمون فيحتمل وجوهاً أن يكون أراد وأنتم تعلمون أن الأنداد
التي هي الأصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم
تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بأمثالها وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
وتعلمون أن المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ما كانوا يدعون
ولا يعتقدون أن الأصنام خلقت السماوات والأرض من دون الله تعالى بل يعترفون
تعالى فالوصف لهم ههنا بالعلم إنما هو ليتأكد الحجة عليهم ويتوجه اللوم
لهم لأنهم مع العلم بما ذكرناه يكونون أشنع ذماً والوجه الثاني أن يكون
المراد بقوله تعالى وأنتم تعلمون أي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون
وتفعلون وتأتون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط
التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر وإصابة الحق
ونظير ذلك قوله تعالى إنما يتذكر أولوا الألباب وإنما يخشى الله من عباده
العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره أن المراد
بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل خاصة ومعنى وأنتم تعلمون أي
إنكم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل وعلى الوجهين الأولين لا تنافي
بين هذه الآية وبين قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
لأن علمهم يتعلق بشيء وجهلهم يتعلق بغيره وعلى الثالث إذا جعلت الآية
التي تليها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن تجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل
متناولة لغيرهم ممن لم يكن ذا كتاب يحمل على التوحيد فكل هذا واضح بحمد الله
قال رحمه الله وربما تكسر من الشعر مناسبة لطيفة والقول محتمل للكل

قول امرئ القيس

وقد أغتدي ومعي القانصان	وكل بمربأة مقتفر
فيدركنا فغم داجن	سميع بصير طلوب نكر
ألص الضروس حني الضلوع	تبوع أريب نشيط أشر
فأنشب أظفاره في النسا	فقلت هبلت ألا تنتصر
فكر إليه بمبراته	كما خل ظهر اللسان المجر

وجوهاً م
لتأكيد الحجة م ل
بجعل م ل الوجه الآخر م ل
بيان م
قال المرتضى م ل

فعل

فظل يرنح في غيطل	كما يستدير الحمار النعر

قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمربأة الموضع المرتفع يربأ فيه
والمقتفر الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان البازي
والصقر والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما أفغمه أي ما أشد حرصه

قال الأعشى

تؤم ديار بني عامر	وأنت بآل عقيل فغر

أي مولع والداجن الذي يألف الصيد والتبوع الذي إذا اتبع شيئاً لم يفته
والبصير الذي إذا رأى شيئاً من بعد لم يخف عليه بصره والتبوع الذي إذا اتبع أدركه
ولم يعجز عن حوزه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى بالغين قال ابن السكيت
في قوله فأنشب أظفاره في النسا أي أنشب الكلب أظفاره في نسا الثور والنسا عرق
في الفخذ معروف فقلت هبلت أي ثكلت للثور هبلت ألا تنتصر من الكلب
قال وهذا تهكم منه بالثور وتأسيف له والأصل في التهكم الوقوع على الشيء
يقال تهكم البيت إذا وقع بعضه على بعض ومعنى فكر إليه بمبراته قال ابن
السكيت بقرنه معناه فكر الثور إلى الكلب بمبراته أي بقرنه ومعنى كما خل ظهر
اللسان المجر أي طعنه به كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو أن يقطع طرف لسانه
أو يشقه حتى لا يقدر على الشرب من حلب أمه وذلك إذا كبر واستغنى
عن الشرب ومعنى فظل يرنح في غيطل أي ظل الكلب يرنح أي يميل كالسكران
والغيطل الشجر الملتف ويكون أيضاً الجلبة والصياح يقول كما يستدير الحمار
النعر والنعر الذي يدخل في رأسه ذباب أزرق أو أخضر فيطمح برأسه ويتنزى
فشبه الكلب في اضطرابه ودورانه بالحمار النعر قال ابن مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه	أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

وقال أحمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة على أن الفرس تسمى قانصاً
لأن م ل

قول عدي بن زيد

تقنصك الخيل وتصطادك الطير	ولا تنكع لهو القنيص

أي لا تمنعه وقد قال في قوله فأنشب أظفاره في النسا معناه فأنشب الكلب أظفاره

قال وقوله م ل

ترنح تمايل من السكر وغيره وترنح عليه الأمر فالمراد استدار
الصيد م
نكر م
أظفاره م
يقطع م

فطلع في سنا النور فقلت لصاحب الفرس أو لغلامي الممسك للفرس فهلكت
الآن أدنوا إلى النور فتطعمه فقد استكرها علينا الكلب قال ويجوز أن يكون امرؤ
القيس أغرى النور بفعل كلبه لأن امرأ القيس يظفر بالصيد ويصفه في أكثر
شعره بأنه مرزوق فيسر مطعم كقوله

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا ۞ تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب

مطعم للصيد ليس له ۞ غيرها كسب على كبره

فمحال على هذا أن يغري النور بفعل كلبه قال وتأويل الأخفش ألا تدنو من النور
والدليل على أن معنى يحيى تدنو قول الراعي

وأفرغن في وادي جلاميد بعدما ۞ علا البيد سلاف العبيضة السنا

أي المنازل وقال مصعب عن ربيع الفقعسي

وأنك لا تعطي امرءا حظ غيره ۞ ولا تملك الأمر الذي أنت ناكره

ويروى ناكره أي بائن منه ومعنى الفصل الضرس أي بعض آخا في الملنهس
بعض ويحجي الصلوع أي تشرف الصلوع عاليها ويروى
يعني الصلوع عاليها ويروى يحيى الصلوع بالواو أي نحسبها فقال إن الفتى
إذا ابغوهت كان أوسع لجوفه وأقوى له ويروى أيضا يحجي الصلوع أي
خفته داخل جنبه ومعنى فظل ترنح في عسطل أي ظل الثور يرتع في مطر
كما طعنه صاحب الفرس وقد يكون أيضا أن يكون يرتع الثور بظفر الكلب به
ولأنه أنشب أظفاره فيه وكل ذلك محتمل وما يحتمل أيضا على وجوه مختلفة

قول امرئ القيس أيضا من ذلك

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ۞ لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل درست
لتتابع الرياح والأمطار والدليل على ذلك قوله في البيت الآخر وهل عند
رسم دارس من معول وقال آخرون معنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم
على هذا القول باق غير دارس ومعنى قوله في البيت الآخر رسم دارس أي فهل عند ذاك
حبيبين في المستقبل داعيا كان الشاعر موجها غير دارس وقال آخرون في معنى قوله

وكقوله م

ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره م ر

فول م ر

آخر م ر

فهل عند رسم دارس من معول م ر

لم يعف مثل الوجه الثاني أي أثر لم يدرس أنها لما نسجتها بل هي بواقي
ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عند رؤيتها ولو عفت وانمحت لاسترحنا وهذا مثل

وامحت م ر ومثل هذا قول

قول ابن أحمر

ألا ليت المنازل قد بلينا ۞ فلا يرمين عن شزن حزينا

ومثل قول الآخر

ليت الديار التي تبقى تحزننا ۞ كانت تبين إذا ما أهلها بانوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضا لهذا إنما هو كقولك درس كلامه
أو ذهب بعضه وبقي بعض وقال أبو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي
وهو دارس في الموضع فلم يتناقض قوله لم يعف رسمها مع قوله فهل عند
رسم دارس من جميع وجوهه تناقض الكلام وقال آخرون إذا تدبرته لم يعف أي
لم يدرس بل كذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول

وكما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم ۞ بلى وغيرها الأرواح والديم

وكما قال آخر

ألا سعدت يا جمهور بن مالك ۞ بلى إن من زار القبور ليبعدا

ألا يقول بعدن قابله الألف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير يحتج
به ما توهم من المناقضة والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه
من الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسمها لم يعف فيبطل كله وإن كانت
قد غيرت الديم والأرواح بعضه وأثرت في بعض وأما البيت الثاني فلا يجوز أنه
لم يتضمن إثباتا ونفيا وإنما دعا لهم بأن لا يبعد ثم رجع إلى قوله بلى إنه ليبعد من
زار القبور وما يدعى بعز واجب ولا ثابت لكشف ما في البيت
في وجه وهو أن يكون معنى لم يعف رسمها أي لم ينزد ولم يكن حتى يعرف الحزن
وتجنبه المنازل بل هو خاف عن الحي ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم
دارس من معول فطرفها بعض الأول ثلاثة في كلا الموضعين
ولا شبهة في أن عفا من حروف الأضداد التي تستعمل تارة في الدروس وتارة

ليس يجيب م ر

لهم

قد غيرت القدم م ر

الإثبات م ر

فيظهر م

وأخوى م ر

في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا الشعر اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها ، بأسوق عافيات اللحم كوم

اي كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير وعفوته اذا كثرته ووفرته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعفى الشوارب وتعفى اللحى اي توفر فهذا الوجه عندي اشبه بما تقدم **مسئلة العرنا ديل آية** ان سأل سائل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا الآية فقال من هرون الذي نسبت مريم عم اليه انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخي موسى عم وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى من الزمان وعيسى عليه السلم في حال قولهم ذلك كان في المهد **الجواب** قلنا اما هرون الذي نسبت اليه مريم عم فقد قيل فيه اقوال منها ان هرون المذكور في الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد قرفوها بما يليق منها فنسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان اخاها لامها وابيها وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله وقيل لم يكن اخاها على الحقيقة وكان رجلا صالحا من قومها ولما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل فلما انكروا ما ظهر من امرها قالوا لها يا اخت هرون يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان فيك ممن يفعل القبيح ويتطرق عليه الريب وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون المعنى فهو ايضا من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرء سوء وما كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والسداد والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف عن مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل

نجران قال لي اهلها الستم تزعمون ان هرون اخو موسى وقد علم الله تعالى ما بين موسى وعيسى من السنين فلم ادر بما اردّ عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال افلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين قبلهم ومنها ان تكون يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون اخي موسى كما يقال للرجل يا اخا تميم ويا اخا بني فلان وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا اخت هرون والذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هرون هذا الذي ذكروه هو هرون اخو موسى عليه السلم قال مقاتل وتأويل يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون كما قال تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني اخاهم في نسبهم وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء مقصود به اليهما والمعنى من كان في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في الظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لان الشرط لا يكون الا مستقبلا فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد ان تزرني ازرك قال الله تعالى ان شاء جعل لك خيرا يعني ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير

اجزت اليه حرة ارحبية ، وقد كان لون الليل مثل اليرندج

وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد قالت العرب كان الحر وكان البرد اي وجدا وحدثا وقال قوم تجيء لفظة كان زائدة لا يراد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اي انتم كذلك وقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وان كان قيل في هذه الآية الاخيرة غير هذا قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى ما شاهدوا فاخبر هو تعالى انه لم يزل عليما حكيما اي فلا تظنوا ان استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوي مذهب من وضع لفظة الماضي في موضع الحال والاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم وقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقولهم في الدعاء غفر الله لـ

المالَ بفِنائك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكلّ يفعل الله ذلك بك إلّا أنّه
لمّا أمِنَ اللبسَ وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل قال الشاعر

فأدركتُ من قد كان قبلي ولم أدع ٭ لمن كان قبلي في القصائد مَقعدا

أراد لمن يكون بعدي وربّما جعلوا لفظ المستقبل في موضع الماضي قول الصلتان
العبديّ يرثي المغيرة بن المهلّب

قُلْ للقوافل والغُزاةِ إذا غَزَوا ٭ والباكرين وللمُجِدِّ الرائحِ
إنّ الشجاعة والسماحة ضُمِّنا ٭ قبرًا بمرو على الطريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبره فاعقِرْ به ٭ كُومَ الجِلاد وكلَّ طِرفٍ سابحِ
وانضَحْ جوانبَ قبره بدمائها ٭ فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ

معناه فلقد كان كذلك **تأويل أخبار** إن سأل سائل فقال
كيف يطابق ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه
السلام إنّ النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل فقال عليه السلام فما أعدى
الأوّل لما روي عنه عليه السلام من قوله لا يوردنّ ذو عاهة على مُصحّ وقوله
فرّ من المجذوم فرارك من الأسد وأنّ رجلًا مجذومًا أتاه ليبايعه بيعة
الإسلام فأرسل إليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه السلام وقوله
عليه السلام الشؤم في المرأة والدار والدابة وظواهر هذه الأخبار
متناقضة متضادة فبيّنوا وجه الجمع بينها **الجواب** قلنا إنّ ابن قتيبة
قد سأل نفسه عن اختلاف هذه الأخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره
على وجهه ونذكر ما عندنا فيه وما خلط فيه ابن قتيبة قال إنّ لكلّ من هذه
الأخبار معنى وموضعًا فإذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى
جنسان أحدهما عدوى الجذام فإنّ المجذوم تشتدّ رائحته حتى يُسقم من أطال
مجالسته ومؤاكلته وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد
فيوصل إليها الأذى وربّما جُذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر إليه
وكذلك من كان به سلّ ودِقّ ونُقب والأطبّاء تأمر أن لا يجالس المسلول والمجذوم
ولا يريدون بذلك معنى العدوى وإنما يريدون بذلك معنى الرائحة وأنها

والعدوى جنسان
تكون م
أزاد م

يُسقم من أطال اشتمامها والأطبّاء أبعد الناس من الإيمان بيُمن أو شؤم
وكذلك النُقبة تكون بالبعير وهي جرب رطب فإذا خالط الإبل وحاكّها أو
أوى إليها بالماء الذي يسيل منه نحو ما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وآله لا يوردنّ ذو عاهة على مُصحّ قال وقد ذهب قوم إلى أنّه
أراد عليه السلام بذلك أن لا يظنّ الذي نال إبله ذوات العاهة فيأثم ولكن هذا
يشبه وخبرٌ ما يجده الذي خبر به سماعًا قال وأمّا الجنس الآخر من العدوى
فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه أهله خوفًا من الطاعون ويحكى عن الأصمعي
عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون فركب حمارًا ومضى بأهله نحو سفوان
فسمع حاديًا يحدو خلفه فيقول وهو يقول

لن يُسبق الله على حمارِ ٭ ولا على ذي منعةٍ طيّارِ
أو يأتي الحتفُ على مقدارِ ٭ قد يصبح الله أمام الساري

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان بالبلد الطاعون وأنتم فيه فلا تخرجوا منه
وقال عليه السلام أيضًا إذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه السلام لا تخرجوا
من البلد إذا كان فيه كأنّكم تظنّون أنّ الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد
بقوله عليه السلام إذا كان ببلد فلا تدخلوه أنّ مقامكم بالموضع الذي لا طاعون
فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار
فينال الرجل مكروه أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو العدوى
الذي قال فيه عليه السلام لا عدوى وأمّا الحديث الذي رواه أبو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلّم الشؤم في المرأة والدار والدابة فإنّ هذا نوع
من الغلط على أبي هريرة فإنّه سمع من النبي صلى الله عليه وآله شيئًا فلم يعِه وروى ابن قتيبة خبرًا
يرفعه إلى حسّان الأعرج أنّ رجلين دخلا على عائشة فقالا إنّ أبا هريرة يحدّث
عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إنّما الطيرة في المرأة والدار والدابة فقرأت ما أصاب
من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الآية وروى خبرًا يرفعه إلى أنس بن
مالك قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إنّا نزلنا دارًا فكثر فيها
عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم تحوّلنا منها إلى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ

وهو م
يسلم م
فيخرج منه خوفًا م
سفوان قرب البصرة
بالبلد م
فقال أعدتني بشؤمها فقال
وهذا م
الذي قال النبي صلى الله عليه وآله السلام م
صلى الله عليه وآله وسلّم
الآية كتاب من قبل أن نبرأها م
صلى الله عليه وآله وسلّم

نحمدها تقات عليه اللوم وذمها فيهم بهم قال ابن قتيبة وهذا الخبر مخصص
الحديث الاول وانما امر بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين فيها على استثقال
لظلها واستيحاش بما نالهم فيها فامرهم عليه السلم بالتحول منها وقد جعل الله
في غرائزهم وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان لا سبب له في ذلك وحب
من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم
وان لم يردهم به قال رحمه الله ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا اكثر من انه
كما اعجزه تاويل الاخبار التي سأل نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله
عليه السلم لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص الحد
ببعض دون آخر وكلاهما سواء فيه فاورد تاويلا ونحن نص قوله عليه السلم
كما يشكل من النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل فلعله السلم فما اعدى
البعير الاول تكذيبا بعدوى هذه النقبة وتأثيرها فالزم ابن قتيبة ان الجرب
يعدي ويؤثر في المخالط والمواكل وعول في ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول
عليه السلم ومن طريف [illegible] انه قال ان الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم
ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير الرائحة وانها تسقم من اد
امنها وهذا غلط منه لان الاطباء انما نهوا عن ذلك خوفا من العدوى وسبب
العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة واتصال اجزاء من السقيم الى الصحيح
اذا كان عندهم عدوى عند قوم ما يوجب الا ان يكون هذا ايضا عدوى ثم
حكى عن غيره تاويلا صحيحا في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان
العيان يدفعه وانا [illegible] مخالط الجرب فلا يجرب ويجالس
صحاحا مخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من ادوائها فكانه انما يدعي
ان العيان يدفع قول النبي فاما معنى الاول والوجه عندنا في قوله عليه السلم لا يوردن
ذو عاهة على مصح انه عليه السلم انما نهى عن ذلك وان لم يكن مؤثرا على الحقيقة
لان فاعله كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فاورد
على ابله فلا بد من ان يحقق لما تقدم من اعتقاده [illegible] ولا بد من ان يذم
من فاسد ذلك فكانه عليه السلم نهى عن اذى الناس والتعريض لذمهم وقد يجوز

ايضا

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ليس هذا بنص
هم
تعالى
الناس
قال المرتضى رضي الله عنه
بدعه نص قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل
صلى الله عليه وآله وسلم
ما يوجب الا ان يكون هذا ايضا من العدوى
صلى الله عليه وآله وسلم فمن

ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من انهم متى ظنوا ان ذلك
اثموا فنهى عليه السلم عن التعريض لما يوثمهم ولو عقل ابن قتيبة ما قاله عليه السلم
في الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامر لمن شكا اليه بالتحول عنها ان
لكان قد اصاب رحمه الله على ان تجنب السكن لسكون النفس واطيب للعيش وكذلك
الدار فهذا يمكن في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه فاما قوله عليه
السلم فر من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى وقد يمكن
ان يكون لاجل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس منه وان ذلك ربما دعا الى
تعييره والازراء عليه واستاعم عليه السلم من ادخال المجذوم عليه لمبايعته يجوز
ايضا ان يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الاسباب المانعة التي ذكرناها
بعضها واما حديث الطاعون فالقول فيه قريب ما قاله وقد كان سبيله لما قوله
في عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء ان يرجع ايضا الى قولهم في الطاعون
لانهم يزعمون ان الطاعون الذي يعرض من تغير الاهوية وما جرى مجراها
يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو اكثر من وجود
من يجرب او يجذم مخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في
الطاعون فانا نرى عمومه لمن يسكن البلد الذي يكون فيه ويطرأ اليه فاما
الخبر الذي يتضمن ان الشوم في المرأة والدار والدابة فالذي ذكره من الرواية
في معناه بسبيل الشبهة على ان الخبر يكون ههنا بغاية وتاويلها ان يحمل على الذي
يتطير به المتطيرون ويدعون ان الشوم فيها المرأة والدار والدابة لا يكون ذلك
اثباتا للطيرة والشوم وهذه الاشياء بل على الاخبار بان الطيرة انما
هي فيها لقوة امرها عند اصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار وامره
عليه السلم بالتحول عنها تاويل قريب وقد كان يجب ان يستديما فيما تقدم و
التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم **مجلس آخر ٦٢ تأويل آية** ان
سأل سائل عن قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او
يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم او ليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب
عليه وانتم تمنعون من ذلك الجواب قلنا ليس في الآية اكثر من ذكر الحجاب وليس

يوجد
يقولون
فيه
اليه
تعالى

منها أنه حجاب لم تعالى أو لمحل كلامه أو لمن كلمه وإذا لم يكن في الظاهر شيء يمنع من
ذلك جاز صرفه إلى غيره عز وجل مما يجوز أن يكون محجوبا فقد يجوز أن يريد
تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم
له على سبيل التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب ويروى عن مجاهد
في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا قال كان داود عليه السلام أوحي
في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب فهو موسى عليه السلام فأما أبو علي
الجبائي فإنه ذكر أن المراد بالآية وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي ما كلم به
عباده من الأمر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة
الخاطر أو المنام وما أشبه ذلك على سبيل الوحي قال وإنما سمى الله تعالى
ذلك وحيا لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما على سبيل الإفصاح كما يفصح
بنا لصاحبه إذا خاطبه فالوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه
على الشيء من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية قال
وعنى بقوله أو من وراء حجاب أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد
أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى وحده
في كلامه إياه أولا فأما كلامه إياه في المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى عليه
والسبعين الذين كانوا معه وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله
عز وجل أو من وراء حجاب لأن الكلام هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد يقال
إنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من
أين يسمعونه لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى
بقوله أو من وراء حجاب أن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأن
الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة قال وعنى بقوله أو يرسل رسولا
فيوحي بإذنه ما يشاء إرساله ملائكته بكتبه وكلامه إلى أنبيائه عليهم السلام
ليبلغوا عنه ذلك عباده على سبيل إنزاله القرآن على محمد وإنزاله سائر الكتب
على أنبيائه فهذا أيضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم
فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى

الحجاب م
تسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على التفصيل م
أو يرسل رسولا وهو جبرئيل عليه السلام
أرسل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم
لم
عليه السلام
السلام
صلى الله عليه وآله وسلم

م وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره الله تعالى في أول الآية لأنه تعالى أفصح
لهم وهذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره تعالى في
أول الآية إنما هو تنبيه وخاطر وليس فيه إفصاح وهذا الذي ذكره أبو علي أيضا
سديد والكلام يحتمل لما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد
بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول
أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب ويقول
في الأمر الذي يستبعده ويستصعب طريقه بيني وبين هذا الأمر حجاب وموانع وما
جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لا يكلم البشر إلا وحيا بأن يخطر في أوهامهم
أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريده أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها
للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطبا ومكلما للعباد بما يدل عليه ويجعل تعالى
هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول
ولا ظاهرا معلوما لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤدين عنه من الملائكة
بهذه الصفة فصار الحجاب ههنا كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة
وليس لأحد أن يقول إن الذي تدل عليه الأجسام من صفاته تعالى وأحواله
ومراده لا يقال إنه تعالى مكلم لنا به وذلك أنه غير ممتنع على سبيل التجوز أن يقال
فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل على مراده ويرشدنا إليه أنه
مكلم لنا ومخاطب ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن يقولوا إنه تعالى خاطبنا بما
دل عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا ونحو ما أنا
وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الأمور قد خاطبنا فلان بما فعل
كذا بكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تجري ونحوها
على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله
ونظائره قال سيدنا رحمه الله ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول حماد بن حازم
قال الرضي بن حصين الفزاري

ولقد ألوتنا المغربة … بادي الشقاء محارف الكسب
يدعو الغنى أن نال علقته … من طعمه غنما إلى الخصب

أي الذي ذكره في أول الآية م
يقول م
حجاب م
تعالى م
التجوز م
الدلالة م
من كذا وكذا م
أمثاله م

لو كنت ذا لب جمعت ما تصيبه ومعنى احترفت اكتسبت ومعنى من نهب
الى نهب اي من محاولة على القيم الى العدوة الاخرى ثم قال ان كان عرفتك
لنا شغبا علينا فقد صبت بعاية الشغب اي انا نا ولك ونقابلك ولكن فهمنا
ما نعين عليه فانما سعينا ساعي لسوف مشهودة وقد كانت البى
فاعدا الى اهل الوفر والوفر القطيع من الغنم ولا تسمى وفرا الا اذا كان
من حار تقول فليكن مواضع الغنم فانما تجمالك الراعي لمفرحص الذئب
تجد العرموصة واصلها المكان الضيق وهو هنا حفرة تحفرها الراعي
في الرمل من شدة الحر للشاة الكبيرة الضعيفة حتى اذا تركت كان مرعيها
في العرموصة ومعنى شغبك لعين من شغبي اي ليست من جنس ولا شكلي والاوى
الجد يعير هذا الماجد وشكوى الضرير الذئب فذمته الشر ومر حمار الكلب
اي هوينا قريبا المكان بقدر من الكلب اذا زجرته اي اذا اخاف لذي غنائه
والسغب الجوع واراد بقوله وانا ابن قائل بشدة السغب اي انا ابن من كان
تغرب وتطعم ثم ترجع الى كريمه فقال ورأيت بعدان سعته وعضضته
بالاذى والعدم انه المسعة وافريه لا انه صنف وان كان ذما فوقفت
انظر في كتابي واختار استغنها والاعتناء الاختيار وزادا ولها الابتها
كالحادان حكم الجد بن الكلاب لبيان الذئب وتحيراته رحل المطية التي
عقرها عليه بعض اصحابه على مطية اخرى وفاك النجاح

تذكرتما

وما لم يكون الغسل قد عاد احيانا	ه	قليل من الاصوات في تلك يجل
وحدثه عقبه الذئب عوى كاسر	ه	جميع خلاص كل مال ومن اهل
فقلت له يا ذئب هل لك في فتى	ه	تواسي بلا امن عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد انما	ه	دعوت لما لم ياته سبع قبلي
فلست بآتيه ولا استطيعه	ه	ولا شيعتي ان كان ماوك ذا فضل
فقلت عليك الحوض اني تركته	ه	وفي شعره فضل العلوص عن النهل
فطرب يستعوي ذئابا كثيرة	ه	وعدت وكل من هواه على شغل

عدوتك م ل
اي هوينا قولك ل
حفرة م ل
انواع الجرك والكاه بكند
اكله اوف الكلى
ان اعتقه م ل
الابتهال ل
وعلة شاه ل

وطوى تميلكم ابرحها	ه	بالصلب بعد لذوبرا الصلب
يا اسل سعيك ما سعيت بما	ه	جمعت من شبابك دب
لو كنت ذا لب تعيش به	ه	لفعلت فعل المرذي اللب
وجمعت صالح ما احترفت وما	ه	جمعت من نهب الى نهب
واطنه سعيا يذل به	ه	فلقد صبت بغاية الشغب
اذ كان عرمسلحل نعصي بها	ه	مشهودة وركايب الركب
فاعمد الى اهل الوفرانما	ه	يحماك عرمسرحص الورب
احسبتنا ممن تطيف به	ه	فاحترسنا للاسن والخصب
ولقيد بمعرفة ولا سبب	ه	اني وشغبك لعين من شغبي
لما راى انه لعين يابقة	ه	جد نهاوي صادق الارب
والحج الحاحا لحاجته	ه	شكوى الضرير ومر حمار الكلب
بادر التكر اشكى سغبا	ه	وانا ابن قائل شدة السغب
فرأيت ان قد بلته باذى	ه	من بعد مسلبة ومن سب
ورأيت حقا ان اضيفه	ه	اذ ام تحل والتقى حربي
فوقفت معنا ازاولها	ه	بمهند ذي رونق عضب

فعرضته في ساق اسمنها	فلعجا زمن الجلاد والكعب
فتركته لعيال حرار	عمدا وعلق رحلها صحبي

وذكرت ما ظهر لنا وقوله تحارف الكسب مثل هذه اي لاسقى لم تنتالا الاثري
بحبيبه وقوله يدعوا الغني ان نال علقته اي وجد ما يتعلق به من مطعم
عيالي الغنى اي من يوم فذلك عنده الغنى والتبلة ما يبقى في البطن
من طعام او علف ومعنى طوى تميلكم ذهب بها فاراد يوم في بطنه
ما تمسكم والدونر اللبن والكثرة الكثيرة فاراد انه الحق غيبة طعامه
يصلبه بعد ما لان ما طلب منها ثم اقبل على الذئب كالعاذل له فقال لم
ما سعيت بما جمعت من شب الى دب وهذان اخوان للشباب والهرم الاقرار
ولا ينطق بها الا هكذا والمعنى فيهما منذ كنت شابا حتى دبيت على العصا

احترفت م ل
الاصمعي احترفت
بغير م ل
بحاجته م ل
فرضتها ل
فركبتها م
الاجتيار
الاصمعي

وحكي أن الفرزدق نزل بالغريين في فقراء بأهل بارزين فأبصر ذئبا
يعني وضع الفرزدق ... فرمى إليه بيد فأكلها ورمى إليه بما بقي فأكله
شبع وولّى عنه فقال

وليلة بتنا بالغريين ضافنا	على الزاد ممشوق الذراعين أطحل
تلمّسنا حتى أتانا ولم يزل	لدن فطمته أمه يتلمّس
فلو أنه إذ جاءنا كان دانيا	لألبسته لو أنه كان يلبس
ولكن تنحّى جنبة بعدما دنا	فكان كقاب القوس أو هو أقرب
فقاسمته نصفين بيني وبينه	بقية زادي والركائب نعّس
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده	على طارق الظلماء لا يتعبّس

ولابن عنقاء الفزاري واسمه ... وقيل ... بالضم الأبيات المشهورة في الذئب وهي

فأعوج من آل الصريح كأنه	بذي شأن سيد آبه الليل جائع
بغى كسبه أطراف ليل كأنه	وليس بها أدنى ... من الخصر طالع
فلما أتاه الرزق من كل وجهة	جنوبا الملاقي ... المطامع
طوى نفسه طي الجرير كأنه	حوى حيّة في ربوة وهو هاجع
فلما أصابت متنه الشمس حكّه	بأعصل في أنيابه السم ناقع
وفكّك لحييه فلما تعاديا	صأى ثم أقعى والبلاد بلاقع
فهمّ بأمر ثم أزمع غيره	وإن ضاق رزق مرة فهو واسع
وعارض أطراف الصبا وكأنه	رجاع عذوب همه الريح رابع

ولآخر في الذئب

فقلت تعلّم أنني غير بائس	إلى مستقل بالخيانة أنجبا
بعيد المطاف لا يفيد على الغنى	ولا يأتلي ما استطاع إلا تكسّبا

معنى أنجبا ... كاملا ... ملك اسمت الى فلان اي
اطمأنت إليه ومعنى لا يفيد على الغنى اي لا يلتمس شيئا وهو شعبان
قرحيد بن منصور في الذئب ... ملح

فظل براعي الحيس حتى تغيّبت	حباش وحالت دونهن الأجارع
إذا ما أقلا يوما نابت عمامة	من الكبر يطرق الذئب هو طالع
خفيف المعا الأصبية ...	... أو سور من الحوض ناقع
هو البعل الداني من الناس كالذي	له صحبة وهو العدو المنازع
ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي	بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وتصغرنا ... الحيس ... وأن تحلف ... لا يرى من بين السلاح
لا يعرف في الحلي ... الأقارب ... هضبة وقال ...
كلهم ... إن ... اسم ... وآمنه أن الطير ... لتصحب ... تعلل
والمصيبة ... بجلل أخرنا وبلا آبة ان سال سائل
عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك
قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين فقال
ما تنكرون من أن هذه الآية تدل على جواز الرؤية عليه جل وعلا لأنها لو لم
تكن جائزة لما سألها موسى عليه السلام لأنه لا يجوز أن يسأل الحكيم ما لا يجوز والولد ولو كانت
الرؤية أيضا مستحيلة لما علقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل فلما
علقها باستقرار الجبل في موضعه ... تكون الرؤية أيضا ... حكم
ما علقت به وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل ... جواز الحجاب عليه تعالى
لأن التجلي هو الظهور ولا يكون إلا بعد الحجاب والاستتار الجواب قلنا
أولا ما تقول أنه ليس في ... الآية ... على ... ولا جوازها لأن
السائل ... من الصحيح والمحال مع العلم ... العلم لأغراض مختلفة
فلا دلالة في ظاهر ... على جوازها ولا ... عن هذه
الجواب أوجها وهو الأول والأولى أن يكون موسى عليه السلام لم يسألها
لنفسه وإنما سألها لقومه فقد روي أنهم طلبوا ذلك منه والتمسوه فأجابهم
بأنها لا تجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه وأرادوا أن يرد الجواب من قبل ربه
تعالى ... بذلك ... الجواب ... ورد من جهته جل وعز كان

في جهته

عز وجل

أخصر للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل على ما حكى
مما يدل على أن الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوى هذا الجواب أشياء منها
قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء الآية
ومنها قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية
ومنها قوله تعالى فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأضاف ذلك إلى
السفهاء وهذا يدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم وأنهم سألوا ما لا يجوز
عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة في الرؤية وهي لا تليق إلا برؤية البصر دون العلم
وهذا يقوي أن الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب
الثاني ومنها قوله انظر إليك لأنا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن
أن نحمل قوله انظر إليك على حقيقته وإذا حملت الآية على طلب العلم الضروري
احتيج إلى حذف في الكلام وتقديره أرني أنظر إلى الآيات التي عندها
أعرفك ضرورة ويمكن في هذا الوجه الآخر خاصة أن يقال إذا كان المذهب
الصحيح عندكم هو أن النظر في الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى
إليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه فإن قلتم إنهم
يكونوا التمسوا الرؤية التي يكون معها النظر والتحديق إلى الجهة قيل
على السؤال على حسب ما طلبوا قيل لكم هذا ينقض غرضكم وهذا الجواب
يبني سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد
وما يقتضي الجسمية بأن يقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع
والشك في جميع ما ذكرتم يمنع من ذلك لأن الشك الذي لا يمنع من معرفة
السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها نظر ولا تقتضي الجسمية فأما
الذي يمنع من معرفته إنما يحمل ذكر النظر فيه على أن المراد به حقيقة الرؤية
على سبيل المجاز لأن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق إليه
وما قاربه ودانا فلقائل أن يقول عدلتم عن مجاز إلى مجاز فلا قوة في هذا الوجه
والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدم أولى وليس لأحد أن

السؤال م ل

فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون

وأنما م ل

وهو لا يليق م ل

لا يمتنع م

التمسوا م ل

حصر م

فإن قلتم تحمل ذكر النظر فيه م ل

يقول لو كان عليه السلام إنما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال إلى نفسه
فيقول أرني أنظر إليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى لن تراني
وذلك أنه غير ممتنع وقوع الإضافة على هذا الوجه مع أن المسألة كانت لأجل
الغير إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة فلهذا يقول
أحدنا إذا شفع في حاجة غيره للمشفوع إليه أسألك أن تفعل بي كذا وكذا وتجيبني
إلى كذا ويحسن أن يقول المشفوع إليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك
وإنما حسن هذا لأن للسائل في المسألة غرضاً وإن رجعت إلى الغير منفعتها
بها وتكلم لتكلمه إذا اختصه ولم يتعداه فإن قيل كيف يجوز منه عليه السلام
مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك
ليجوزن أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه
متى شكوا فيه قلنا إنما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت
عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسماً يمكن معه
معرفة السمع وأنه تعالى صادق في أخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد
من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً
لا تصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال بعض من تكلم
في هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته
وإن كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم أن في ذلك صلاحاً
للمكلفين في الدين وأن ورود الجواب يكون لطفاً لهم في النظر في الأدلة وإصابة
الحق منها غير أن من أجاب بذلك شرط أن يبين النبي عليه السلام في مسألته علمه باستحالة
ما سأل عنه وأن غرضه في السؤال وورود الجواب ليكون لطفاً والوجه الثاني
في الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار
بعض أعلام الآخرة التي تضطر الخلق إلى معرفته فتزول عنه الدواعي والشكوك و
الشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل
إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة عليه بذلك
وإن كان قد عرف ذلك قبل أن يراه والسؤال وإن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية

أنه م ل

وتشفعني م ل

أغراضاً م ل

حكيم

والجواب م ل

عليه السلم م

تعلمه العلم كما علم الأشياء بالبصر وذلك أظهر من أن يدل عليه
أو يستشهد عليه فقال له جل وعز لن تراني أي لن تعلمني على هذا الوجه الذي
التمسته ثم أكد تعالى ذلك بأن أظهر في الجبل من آياته وعجائبه ما دل به
على أن إظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وثباته
لا يجوز وأن التكليف في الحكمة تمنع منه والوجه الأول أولى لما ذكرناه
من الوجوه لأنه لا يخلو موسى عليه السلم من أن يكون شاكا في أن المعرفة
الضرورية لا يصح حصولها في الدنيا أو عالما بذلك فإن كان شاكا فهذا مما
لا يجوز عليهم عليهم السلم من حيث يجوز من بعض من بعثوا إليه أن يعرف ذلك
على حقيقته فيكون النبي شاكا فيه وغيره عارفا مع رجوعهم إلى المعرفة
بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وهذا أقوى في التنفير وأزيد على
كل ما وجب أن تجتنبه الأنبياء عليهم السلم وإن قيل فمن أي شيء كانت
توبة موسى عم على الجوابين المتقدمين قلنا أما من ذهب إلى أن المسألة
كانت لقومه فإنه يقول إنما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن
له فيه وليس للأنبياء ذلك لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون
ترك إجابتهم إليه منفرا عنهم ومن ذهب إلى أنه سأل المعرفة الضرورية
يقول إنه تاب من حيث أنه سأل معرفة لا تقتضيها التكليف وعلى جميع الأحوال
تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليها العقاب والذم والأولى أن
يقال في توبته عليه السلم ليس في الآية ما يقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسألة
أو من أمر يرجع إليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه لذنب صغير
تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع إلى المسألة وقد يجوز أن يكون
ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى وإظهار الانقطاع
إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب صغير ويجوز أن يكون
الغرض في ذلك مضافا إلى ما قلناه تعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله و
ندعو به عند الشدائد ونزول الأهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة
على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فإن الأنبياء عليهم

السلم

[هامش:] تقع م ل

[هامش:] كان م — على النبي لأن الشك فيما يرجع إلى أصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم لا سيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أمتهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا أبلغ في التنفير عنهم من كل شيء يمنع منه عنهم وإن كان عالما فلا وجه لسؤاله إلا أن يقال إنه سأل لقومه فيعود إلى معنى الجواب الأول والجواب الثالث في الآية ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز أن يكون موسى عليه السلم في وقت مسألته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه أو لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الأعراض في أنه غير مخل بما يحتاج إليه في معرفته تعالى فلا يمتنع أن يكون غلط في ذلك ذنبا صغيرا أو يكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك وهذا الجواب جيد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضي تشبيها وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته لا يجوز على الأنبياء م م

السلم وإن لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع
ذلك منه إلى التوبة والاستقالة فأما قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فإن التجلي
ههنا هو التعريف والإعلام والإظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جلي
أي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تجلى لنا بالمشرفية والقنا ... وقد كان عن وقع الأسنة نائيا

أراد أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر له وإن كان نائيا عن وقع الأسنة فأقام
ما ظهر من دلالة فعله عليه السلم مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلى منه وفي قوله
تعالى للجبل وجهان أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف
كما قال تعالى واسأل القرية وما بكت عليهم السماء والأرض وقد علمنا
أنه بما أظهره من الآيات إنما دل من كان عند الجبل أن رؤيته تعالى غير جائزة
والوجه الآخر أن يكون بمعنى بالجبل فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى آمنتم
له قبل أن آذن لكم أي به وكما تقول أخذتك لجرمك أي بجرمك ولما كانت الآيات
الدالة على منع ما سئل عنه إنما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف
التجلي إليه وقد استدل بهذه الآية كثير من علماء الموحدين على أنه تعالى لا يرى
بالأبصار من حيث نفى الرؤية نفيا عاما بقوله تعالى لن تراني ثم أكد ذلك
بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقر وهذه طريقة للعرب
معروفة في تبعيد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم أنه لا يكون كقولهم لا كلمتك ما أضاء
الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القير كاللبن الحليب

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وليس لأحد أن يقول إذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره
تعالى فيجب أن تكون الرؤية المعلقة به أيضا في مقدوره تعالى لأنه لو كان الغرض
بذلك التبعيد لعلقه بأمر يستحيل كولوج الجمل في سم الخياط وذلك أن
تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه وكما علق وقوع الرؤية
باستقرار الجبل وقد علم أنه لا يستقر علم نفي الرؤية وما علا ذلك من كونه

[هامش:] في وقوع ذلك منه م ل
[هامش:] فالتجلي م ل
[هامش:] عنه م
[هامش:] أو قال إنه على معنى حذف المضاف وقوله تعالى ربه للجبل أي نور ربه الذي خلقه وهو فانه روي أن أضواء وأشعة أشرقت على الجبل فدكت وزلزل كثابة
[هامش:] وكما يقولون أخذتك لجرمك أي بجرمك م ل
[هامش:] كلمتك م ل
[هامش:] الفاذ م ل
[هامش:] كما علق حصول الجنة بأمر مستحيل م

الاوتر مستحيل وغير مقدور عليه واستقرار الجبل بحاله وبها خارج مما في القرين في
التشبيه على انه انما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله
فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى تعليق جواز الرؤية بالمحال
وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر وجوهه حتى اذا كان احدهما
مع انتفائه مستحيلا كان الاخر بمثابته مستحيلا لان تعليق دخول الكفار الجنة
انما علق بولوج الجمل في سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلا بل معلوم
ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن والثاني ليس في المقدور وهذه جملة كافية
في تأويل هذه الآية وبيان ما فيها والحمد لله وحده قال رحمه الله ولاستحسن
قول الحيص بن حزام بن عبد الله بن قتادة المازني من جابر بن ربيعة بن كا

وكم من صاحب قد بان عني ... رميت بفقده وهو الحبيب
فلا ابدا الذي نحو ضلوعي ... عليه واني انا الكئيب
مخافة ان يراني مستكينا ... عدو او يساء به قريب
فيشمت كاشح ويظن اني ... جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الاعداء طرفا ... الي ورابني دهر مريب

معنى شدت الاعداء طرفا اي نظرت الي نظرا شديدا فعلم الغضب في عيونها

وانكرت الزمان وكل اهلي ... وهرت لي لغيبتك الكليب
وكنت تقطع الابصار دوني ... وان وغرت من الغيظ القلوب
وتمنعني من الاعداء اني ... وان دعموا المحسن مهيب
فلو ارسلت يومك كان يوما ... بدت فيه النجوم كما تغيب
وليل ما انام به طويل ... كان للنجوم به رقيب
وسائلة لحاجتها لايدمنه ... اليك تؤوب محلته الحلوب

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقال كيف ذكر هذا بعد
ذكر البقرة والامر بذبحها وقد كان ينبغي ان يتقدم لان الامر انما امر بذبح البقرة

لكشف

لتكشف له عن القاتل فكيف اخر ذكر عن السبب وبناء الكلام بناء يقتضي انه
كان بعده ولم قال واذ قتلتم نفسا والرواية وردت بان القاتل كان واحدا
فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من جملتها واحد والى اي شيء وقعت
الاشارة بقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الجواب قلنا اما قوله تعالى واذ
قتلتم نفسا ففيه وجهان احدهما ان تكون هذه الآية وان تأخرت مقدمة في
المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة فيكون التأويل واذ قتلتم نفسا ومثل هذا في
القرآن وكلام العرب كثير ومثله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما وقال الشاعر

ان الفرزدق صخرة ملمومة ... طالت فليس تنالها الاوعالا

اراد طالت الاوعال فليس تنالها ومثله

طاف الخيال وابن سلمى لماما ... فارجع لزورك بالسلام سلاما

اراد طاف الخيال لماما واين هو منك والوجه الثاني ان يكون وجه
التأخير قوله تعالى واذ قتلتم نفسا انه متعلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع
بعد ذبح البقرة وقوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو بعد الذبح فكانه تعالى قال
فذبحوها وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم نفسا فادارأتم فيها فامرناكم بان
تضربوه ببعضها لينكشف امره فاما اخراج الخطاب مخرج ما يتوجه الى
الجميع مع ان القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الابناء والاحفاد
والعشيرة بما يكون من احدها فيقول احدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان
فلانا وان كان القاتل او الفاعل لما حكاه واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة من
قرأ فيقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون بتقديم المفعولين على
الفاعلين وهو اختيار الكسائي وابي العباس والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون
وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد ان قتل بعضهم كان
ذلك ادل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم وقد قيل انه كان
القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال

أناسٌ صالحون نشأتُ فيهم | فأودَوا بعد إلفٍ واتّفاقِ
مضوا لسبيلهم وبقيتُ عنهم | ولكن لا محالةَ من لحاقِ
كذا الأُلّافُ الذي آدنحن عنه | نحوج ولا نتوق إلى متاقِ
أتتك الدنيا ونحن نعيب فيها | مولّعةً بتاركها نطلاقِ
أعاذلُ قد نعيتُ بغاة عيبٍ | وما حيٌّ على الدنيا بباقِ
كأنّ الشيبَ في الأحداث يجري | إلى نفس الفتى قرنًا بباقِ
فإنّ الشيب يذكر وارثًا | بلا حقيقة فيما سلاف
فإن تذهب لشيبٍ أمّت | تميط اللون واضحة المآقي
فقد أعدو لحاجتي أرانى | بها المتطلعات من البواقي
ألا كانت طباه تقبر | برقصن أو ببلخى وبالي
برامقن الجبال لعز وصل | وتجبر بيعالُ حجلى بالكرام
وعهد الغانيات كعهد قشٍّ | وتمت عمر الحبا قبل انشقاق
بكلب السوء يعجب من رآه | ولا تبغي الحوائم من لحاق
فلا بعد مضى عجل المواني | كأشراق العذابر بالمضيق
ويخبر آل الشام حكوت تجي | بحمل الطرف ساكن المآقي
وقد طوّفتُ في الآفاق حتى | تيمّمت النصّ بالقلص العتاقِ
وبحرٍ فاستثرت سنين حماد | حصن الكهم ما دون العراق
إذا فيما تركت أخوي | أعدّ نجومها عدّ الأواقي
وأقضي السهور وكبر نفسي | وتعداد الأهلّة والمحاقِ
وما سبق الحوادث لين غاب | بمحروسه حذرَ الرفاقِ
ولا بطلٌ يغادي الحيل سنّة | فرار الهزبر من برد لحاق

وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يا كعبُ ما راح من قومٍ ولا ابتكروا | إلا وللموت في آثارهم حادي
يا كعبُ ما طلعت شمسٌ ولا غربت | إلا تقرّب آجالًا لميعادِ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى

تعالى وكنّا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الأول أقوى
لشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان
واحدًا ومعنى قوله تدارأتم فيها تدافعتم واختلفتم وألقى بعضكم القتل على
بعض يقال تدارأتما إذا تدافعتما ودارأته إذا لاججته وداريته إذا ختلته
ويقال ادّارأ القوم إذا تدافعوا والهاء في قوله فاضربوه ببعضها تعود إلى النفس
وقيل إنها تعود على القتيل أي اختلفتم في القتيل لأن قوله قتلتم يدل على المصدر
كالقتل من المصادر التي تدل عليها الأفعال ورجوع الهاء إلى النفس أولى
وأشبه بالظاهر فأما قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالإشارة وقعت إلى
قيام المقتول عندما ضُرب ببعض أعضاء البقرة لأنه روي أنه قام حيًّا وأوداجه
تشخب دمًا فقال قتلني فلان ونبّه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة
على حجاج العرب المكذبين من مشركي قريش واستبعدوه من البعث وقيام الأموات
لأنهم قالوا أئذا كنا عظامًا ورفاتًا الآية فأخبرهم الله تعالى بأن الذي
أنكروه واستبعدوه هيّن غير متعذّر في اتساع قدرته كما كان ما أخبر به
الله تعالى لهم من الأمثال فإنه جعل من الآيات ذكر المقتول الذي ضُرب
ببعض البقرة فقام حيًّا فأراد تعالى أني إذا كنت قد أحييت هذا المقتول
بعد خروجه عن الحياة ويأسكم من عوده وأنطقته بخبر كيفية قتله
عنهم ورددته حيًّا مخاطبًا باسم قاتله فكذلك فاعلموا أن إحياء جميع الأموات
عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر عليّ وهذا بيّن لمن تأمله قال رحمه الله
ومن الشعر المشهور بالجودة في الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها

ذكرتُ أخي المحوّل بعد يأسٍ | فهاج عليَّ ذكراه اشتياقي
فلا أنساك ما عشتُ حيًّا | وإعوالي بأفنية العناقِ

هذه لـ رواية أبي محمد الأسود

تحرّقت الفصال إلى النياق | برزقٍ من الحزن ترقى التراقي
وتعلوك السياقة إن تتوه | بغمّ الخيل والسول الحواق
إذا انتسبوا وقالوا يا لعوفٍ | ودارهم في المحبة الرفاق
أجابك كل أروع شمّري | رخيّ البال ينطق بالحقاق

دارمي رواية محمد بن الأسود

عليهما السلام

قال المرتضى رضي الله عنه

إذا انقطعت عني من العيش مدتي فإن غناء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى عشية يقري أو غداة ينيل
ولم يفتقر يوماً وإن كان معدماً جواد ولم يستغن قط بخيل
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبت إليه ومال الناس حيث يميل
أنعم على الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
وإني وإن أصبحت بالموت موقناً فلي أمل دون اليقين طويل

وقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

أخي متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدق
أرى علل الأشياء شتى ولا أرى التجمع إلا علة للتفرق
أرى العيش ظلاً توشك الشمس نقله فكن مبقياً في ابتغاء العيش كمتقي
أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما يقي الله في بعض المواطن من يقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي فسائله لم بقي
ولم أر كالدنيا خليلة صاحب محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحد فتحسبها صنعي لطيف وأخرق

وقد قيل إن السبب في خروج البحتري من بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات لأن تصور أحداً صنع حكيم بأنه شيئاً من حيث قال فتحسبها صنعي لطيف وأخرق وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الغوث يا بني حتى نطفئ عنا هذه النائرة نخرج بنا سالكين ونعود لمخرج ولم يعد وأحسن أيضاً غاية الإحسان في قوله

أعني الخطوب بما ألحين ملاحيني فيما أسير وأحكمتني تجاريبي
إن تلتمس تمر أحداث الخطوب وإن تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب

وفي قوله

متى تستزد فضلاً من العمر تغترف بسجلك من شهد الخطوب وصابها

تذم لنا الدنيا بأخفض عيشها وتقول الأفاعي سلة من لها
كبير بعمران الديار مضلل وعمر الهنات ستأتي من خرابها
ولم أر تعس الدنيا وأن يجيئها فكيف رضائيها وإن ذمها
أقول لمكذوب عن الدهر زائغ تمنى آراء المنى فأتى بها
سيرديك أو يوليك أنك مخلس إلى أن تستلبك من بعد ما بها
وهل أنت إلا موسر طال لعدها يعد أنها حفرة تستطير من الأرض الأخضر من ترابها

ووجدت الآمدي يروي هذا البيت أنك مخلس بالسين بمعنى ذلك أن المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا من قولك أخلست لحيته وشيبه وأخلس داريا في قصبتها والرواية المشهورة أنك محلس بالحاء والمعنى أنك متهيئ للرحيل ومتخذ حلساً والحلس هو الكساء الذي يوضع تحت الرحل وهذا أشبه بالمعنى وقصده البحتري في أن تجارة مع دين طعم وسلامة الفلك

تأويل آخر بتأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال ظاهر هذه الآية يقتضي جواز الشرك على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما يرجع إليهما

الجواب قلنا كما أن ذكر آدم وحواء عم قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالى هو الذي خلقكم ومعلوم أن المراد بذلك جميع ولد آدم ع وقد تقدم ذكر ولد آدم ع في قوله فلما آتاهما صالحاً والمراد بصالح الجنس دون الواحد وإن كان اللفظ واحداً والمعنى فلما آتاهما جنساً من الأولاد الصالحين وإذا كان الأمر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى جعلا له شركاء إلى ولدهما وقد تقدم ذكرهم فإن قيل إنما وجب رده إلى آدم وحواء عليهما السلام لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين إلا ذكرهما عليهما السلام قلنا إن جعل هذا ترجيحاً في رجوعه إليهما جاز أيضاً أن يجعل

قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون أن يكون إشارة إلى الجنسين إلى الذكور والإناث
من ولد آدم عم وإلى الجنسين منهم لما تشاكل النسبة لذلك على ما إذا انعقد
في الكلام أمران تتناولهما في حكم من الأحكام ثم دل الدليل على تعلقه بأحد
الأمرين فعنده يعود إلى الآخر وإذا علمنا أن آدم عليه السلام لا يجوز عليه
الشرك لم يجز عود الكلام إليه فوجب عوده إلى المذكورين من ولد آدم عم
وذكر أبو علي الجبائي في هذا ما نحن نورده على وجهه قال إنا نعني بهذا أن الله
تعالى خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الإضمار في قوله تعالى خلقكم
إنما عني به بني آدم والنفس الواحدة التي خلقكم منها هي آدم لأنه خلق
حواء من آدم ويقال إنه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال
من طينته فرجعوا جميعا إلى أنهم خلقوا من آدم عليه السلام وبين ذلك
بقوله تعالى وخلق منها زوجها وزوجها هو حواء عليهما السلام وعنى بقوله
تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا وحملها هو حبلها من في ابتداء
الحمل لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها ومعنى قوله تعالى فمرت به أن
مرورها بهذا الحمل في ذلك الوقت وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته
فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى فلما أثقلت دعوا
فثقل عليها عند ذلك المشي والحركة وعنى بقوله تعالى دعوا الله ربهما أنهما دعوا
عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا ربنا صالحا لنكونن من
الشاكرين لنعمتك علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد يؤنسهما في الموضع
الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين إذا غاب أحدهما بقي الآخر
مستوحشا بلا مؤنس فلما آتاهما الله صالحا سويا فهم الأولاد الذين كانوا
يولدون لهما لأن حواء عم كانت تلد في بطن ذكرا وأنثى فقال إنها ولدت
خمسمائة بطن ألف ولد وعنى بقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما أي أن هذا النسل الصالح الذي هو ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما
آتاهما من نعمه وأضاف تلك النعم إلى الذين اتخذهم آلهة مع الله تعالى
من الأصنام والأوثان ولم يعن بقوله تعالى جعلا آدم وحواء عم لأن آدم

لا يجوز عليه الشرك لأنه نبي من أنبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء
لما جاز أن يثق أحد بما يؤديه النبي عم عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه
الكفر جاز عليه الكذب فلا يوثق بأخباره فصح بهذا أن الإضمار في قوله تعالى
جعلا له شركاء إنما يعني به النسل وإنما ذلك على سبيل التثنية لأنهم كانوا
ذكرا وأنثى فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالى الإخبار عنهما كالإخبار
عن الاثنين إذ كانا صنفين وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في
آخر الآية فتعالى الله عما يشركون فبين عز وجل أن الذين جعلوا له شركاء هم جماعة
فلهذا جعل إضمارهم إضمار الجماعة فقال تعالى يشركون هذا تمام كلام أبي علي وقد يمكن
وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا شيئا فإن لم نحمله على التقديم الذي هو أن المراد
بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الأعضاء وحمل آخر وهو أن المراد
الصلاح في الدين كان الكلام أيضا مستقيما لأن الصالح في الدين قد يجوز أن
يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي الآخر مشركا ...
استشهد في جواز الانتقال من خطاب إلى غيره ومن كناية عن مذكور إلى مذكور
سواه ليجيز ما قلناه من الانتقال من الخبر عن آدم عليه السلام وحواء عليهما السلام
إلى الكلام بقوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
فانصرف عن مخاطبة الرسول إلى مخاطبة المرسل إليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه
يعني الرسول عليه السلام ثم قال وتسبحوه يعني مرسل الرسول والكلام واحد
متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد إلى غيره ويقول الهذلي

يا لهف نفسي كان جدة خالد	وبياض وجهك للتراب الأعفر

ولم يقل وبياض وجهه وقال الكثير

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة	لدينا ولا مقلية إن تقلت

فانصرف من الخطاب وقال آخر

فدى لك ناقتي وجميع أهلي	ومالي إنه منه أتاني

ولو عبر منه ثاني وتحققت أبا مسلم محمد بن بحر حمل هذه الآية على أن الخطاب في
جميعها غير متعلق بآدم وحواء عليهما السلام ويجعل الهاء في تغشاها والحمل

وحواء م ل

بدعوا الله ربهما وآتاهما صالحا راجعين الى من اشركه ولم يتعلق بآدم
وحوى عم من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحدة لان الاشارة في قوله
خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك قوله تعالى وجعل منها زوجها
ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب
البحر بقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية اخبرت عن جملة البشر
بانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء ثم عاد الذكر الى
الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له الشركاء في عطيته وقد
يجوز ان يكون يقول هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا
اذ كان كل بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان يكون المعنى
في قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولهذا
نحو كثير في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والمعنى فاجلدوا كل واحد
ثمانين جلدة وقال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
فلكل نفس زوج هو منها اي من جنسها فلما تغشاها اي فلما تغشى كل نفس
زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فمرت به اي مارت به والمور التردد
والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما اثقلت اي ثقل حملها بتصيير
الماء ولدا وعظم دعوا الله اي الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا
لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما اي اعطاهما ما سألا من
الولد الصالح نسبا الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى
جعلا له شركاء اي طلبا من الله امثالا للولد الصالح شركا بين الطلبتين
ويكون الهاء في قوله تعالى له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري مجرى
قول القائل طلبت مني درهما فلما اعطيتك اشركته بآخر اي طلبت آخر
مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله تعالى جعلا والخطاب
كله متوجها الى آدم وحوى عليهما السلم مجلس آخر تأويل آية

ان

ان سأل سائل عن قوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون فقال ليس ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد لان
ما ههنا بمعنى الذي فكأنه قال خلقكم وخلق اعمالكم الجواب قلنا قد حمل
اهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون اي وما تعملون
فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها
قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما انه اراد ما ذكرناه
بقوله تعالى وتعبدون ما تنحتون لانه لم يرد تعالى انكم تعبدون نحتكم الذي
هو فعلكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت وكما قال تعالى في عصا موسى
هي تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا وانما اراد الله تعالى ان العصا تلقفت
الحبال التي القوها وموهوا فيها وهي التي حلها صنعتهم وافكهم فقال تعالى
ما صنعوا وما يأفكون واراد تعالى ما صنعوا فيه وما يأفكون فيه ومثله قوله
تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وانما اراد المعمول فيه دون العمل وهذا الاستعمال
ايضا شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وهذا الخاتم عمل
الصائغ وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست اعمالا لهم وانما عملوا
فيها فحسن اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل
فعلى طريق المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل
دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع قلنا لا نسلم لكم ان الاستعمال
الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد
سواه لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه
وما رأينا احدا قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا
مما حله عمل فلان فالاول اولى بان يكون حقيقة وليس ينكر ان يكون
الاصل في الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل ذلك بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه
وصار اخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواه وكما انتقلت الفاظ كثيرة
على هذا الحد واعتبار المفهوم من الالفاظ انما تستقر على استعمالها
دون ما كانت عليه في الاصل يوجب ان يكون المفهوم الظاهر من الآية

ماذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك مجاز لوجب المصير اليه من وجوه منها
ما يشهد به الاثر ويقتضيه ولا يسوغ سواه ومنها ما تقتضيه الادلة القاطعة
المانعة عن الاثر ومنها ان ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التعجب والتوبيخ لافعالهم
والازراء على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون ومتى لم يكن قوله تعالى وما تعملون المراد به ما تعملون فيه ليصير تقدير
الكلام اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام
التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب
التوبيخ ويصير على ما يذكره المخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وخلق عبادتكم فاي تعلق للتقريع بهذا الا ان يكون عذرا اقرب من ان يكون
لوما وتوبيخا واذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه للوم عليها وتقريعهم
بها على ان قوله تعالى خلقكم وما تعملون بعد قوله اتعبدون ما تنحتون
انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا بد من ان يكون متعلقا بما
تقدم من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة غيره فلو كان
قوله ما تعملون نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة
في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون
محل النحت ولا كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام فكذلك
لو حمل قوله تعالى ما تعملون على اعمالهم التي هي حركاتهم وكلامهم مما عملوا به
لكان لا ظهر في باب اللغو والعبث كالبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق
الا ان المراد تعالى انه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم
فان قيل لم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ
في باب المنع من عبادة الاصنام وما انكرتم ان يكون لما ذكرناه وجه في
المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان من
خلقنا وخلق الافعال فينا لا تكون الا له القدرة الذي تحق له العبادة
لغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان تخلق فينا الافعال
على الوجه الذي يخلقها القديم تعالى عليه فصار لما ذكرناه تاثير فيما معلوم

ويجب حمله فيما لم
ظاهره
التخطيط
قوله عز وجل والله خلقكم
تعالى
بما
عما ذكرتموه

ان الثاني اذا كان كالتعليل للاول كان المؤثر في المنع من العبادة فكذلك
تخصيص انكم مخلوقون وما تعبدونه اولى من ان ينصرف الى ما ذكرتموه مما
لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه فان الذي ادل على المنع من
عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لما ذكرناه
ايضا قوله تعالى في موضع اخر ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون
لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج تعالى في المنع من عبادة الاصنام بانها
مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضررا ولا نفعا فهذا واضح على انهم لو سلمنا
ما ذكروه وما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان ذلك عذر لهم
في الفعل الذي فعلوه وزعموا من اجله قبح ان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم
بما بيناه على ما تقدم على انا لا نسلم ان فعل الله كالعبادة ويخلقها يستحق
العبادة لان من حكم افعال الصانع ومن فعل الصانع لا يكون الحادث تحت
كالعبادة تخرج ما ذكروه من ان يكون مؤثرا بانفراده في العبادة على ان
اضافة العمل اليهم بقوله تعالى وما تعملون يبطل تاويلهم هذه الاية لانه
لو كان تعالى خالقا لها لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه
ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خلقه وهذه مناقضة ثم ان هذا ان
الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله تعالى وما تعملون يقتضي الاستقبال وكل
فعل لم يوجد فهو معدوم ولا يجوز ان يقول تعالى انه خالق المعدوم فان
قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي كانه تعالى قال والله خلقكم
وما عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به
وليس لكم بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه بدلالة وانتم
تعدلون بغير حجة فان قيل فانتم ايضا تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على
تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا
الى ذلك لانا اذا حملنا قوله تعالى وما تعملون على الاصنام المعمول فيها
وتعلمون ان الاصنام موجودة قبل عملهم فيها جاز ان يقول تعالى انه خلقها
ولا يجوز ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه تعالى لو اراد

وانه
بما
عليهم
في انفراده
لذلك
قالوا
لفظه

بذلك تساعا لهم لانما عملوا فيه على ما ادعوه لو تكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدّره ودبّره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدّر لها ومعرّف لنا مقاديرها ومراتبها وما به يستحق عليها من الجزاء ولكن يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الابهام وقوى المراد فقيلا كله تقتضيه الاية ولو لم يكن في الاية الا ما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه بالادلة العقلية الدالة على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا ولكن تعريفنا تحدث بنا ولا فاعل لها سوانا وكل هذا بيّن واضح والحمد لله تعالى والمنة قال رحمه الله واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد ترثيها

ألا يا لقومي ما اقربنا	دنا ما نطلب نكدا ابتنا
فلما عدمناكم اوطانه	وحقّا لينا دونها رب هذا
وضحكت الى بيتنا في التمام	ودر البضاء وبادى الشراد
وقد كحت الارض اقواهها	عجبح الجمال ووبذك الجفالها
لبشنا الذي غطى ليلة	على اليائمات نائيا والحماما
وقد كنا ابجر والسلك	تصير الجفال وموتوا حولها
فان الذي لعنى مرة	يرد على اهله ما استعادا
ويكما نوطن احسابنا	اصابت لنا فارس فاستعادا
فاقبل يرعف نعف الكميت	سياق الوغاء البطاء العشارا
نعو ونضحك حاداته	خلال الغمام وتبكى مرارا
كانا نعيش لنا حسرة	نشد ازارا ونشكو ازارا
فلما خشينا بان لا نجاء	وان لا يكون فرار فرارا
اشار كرائم فوقه	هلم فاصطلح ما اشار اشارا

وانشد ابو عمار لولادة الجهنية

لولا اتقاء الله لست بمخبر	لا يبلغ المتفاوت فيه مقامهم
بابوة في الجاهلية سادتهم	بذوا العلاء امر اوفى الاسلام
جادوا فسادوا ما يعيبن اذا	لنداهم بذل الندى الاقوام
قد انجبوا في السود دين وانجبوا	يتجاذبون الاخوال والاعمام
قوم اذا نكبوا تكلم مجدهم	عنهم فاخرس دون كل كلام

وقالت امراة من بني سعد بن بكر

ايا اخوي الملزمي ملامة	اعيذكما بالله من مثل ما بيا
سالتكما بالله الا جعلتما	مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا
ايا من يحب الهلال فانني أيا امنا أيا امنا	بطون الهوى يختل عرصا تماليا
الم تعلما ان البيان جعلكم رحل	شغفت به لو كان شيئا مدانيا
فان لم اوسد ساعدي بعد	خلاء ساحلا ليت الشاب بانيا
تكت ابي ان كنت ذقت كريفه	سلاما ولا ساءه العمامة عاديا

ولصاحبة الهلال ايضا

الم تر انه تو ثمرت	به خلق يطلبن برقا يمانيا
ايا ليتنا والنفس تكون للتي	يماطون ان امسى حبيب يمانيا

ولها

وانى لاهوى القصد ثم يردني	عن القصد ميلات الهوى وامثل
وما وجد مسجون بصنعا موثق	بساقيه من حبس الامير كبول
وما ليل مولى مسلم بجريرة	له بعد ما نام العيون عويل
باكثر مني لوعة يوم راعني	فراق حبيب ما اليه سبيل

ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي اخاها عمرا وقد كان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فاكلاه فوجدت فهم سلاحه فادعت قتلهم هذيل

سالت بعمرو اخي صحبه	فافظعني يوم ردوا السؤالا
فقالوا اتيح له نائما	اعز السباع عليه احالا

أبيح لهم بزّ الحتوف ... فما لا لعمرك منه منا
فأقسمت بالعمر لو نبهالك ... إذا أنهاها منك امرأ عضبا
إذا أنهاها كنت عن بينه ... معينًا معينًا نفوسنا وما لا
قريبًا فرونا لأعدائه ... هصورًا إذا لقي القرن صالا
فما مع تصرّف ريب المنون ... من الأرض تكابدنا أما لا
فما يوم حتم له يومه ... وقال أخو فهم بطلا وقالا
وقال الأملاء في غارة ... بأبيض ما آن ورمنا النبالا
كأنهما بهم ونحذيهم أي بحلا صراه ورثم الشمال
فهلا ومن قبل ريب المنون ... فقد كان رحلًا وكنتم رجالا
وقد علمت فهم يوم اللقاء ... بأنهم لك كانوا نفالا
كأنهم لم يحسوا به ... فيخلوا النساء له والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين ... به فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمجتدون ... إذا اغبر أفق وهبت شمالا
وخلت عن أولادها المرضعات ... ولم ترعين لدرّ بلالا
بأنك كنت الربيع المغيث ... لمن يعتريك وكنت الثمالا
وحرف تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكي الكلالا
تكون النهار به همّه ... وكنت دجا الليل فيه الهلالا
وخيل يمت لك فرسانها ... فولّوا ولم يستقلوا قتالا
وكل قبيل وإن لم تكن ... أردتهم منك باتوا وجالا

مسألة أخرى تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون فقال أوليس ظاهر هذه الآية يقتضي أن نصح النبي عليه السلم لا ينفع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم **الجواب** قلنا في ظاهر الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنه تعالى لم يقل إنه فعل الغواية وأرادها وإنما أخبر أن نصح النبي لا ينفع

إن كان الله يريد غوايتهم ووقوع الإرادة لذلك أو جوازها لا دلالة عليه في الظاهر على أن الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فمن يلق خيرًا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

فكأنه تعالى قال إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء عملكم وكفركم فيحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما أنتم عليه إلا أن تقلعوا أو تتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيًّا فقال تعالى فسوف يلقون غيًّا وما قبل هذه الآية يشهد بما ذكرناه وأن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا إلى قوله ولا ينفعكم نصحي أي لا ينفع من يريد الله تعالى أن ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئًا وقال جعفر بن حرب إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح عم طائفة تقول بالجبر فنبّههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم وقال لهم على طريق الإنكار والتعجب من قولهم إن كان القول كما تقولون من أن الله تعالى يفعل فيكم الكفر والفساد فلا ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحًا فأنتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وقد روي عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال المعنى فيها إن كان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وإن قبلتموه وآمنتم به لأن من حكم الله تعالى أنه لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب فهذا كله واضح في زوال الشبهة بالآية قال رحمه الله ومما قيل في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الإفشين وتحريقه وصلبه

ما زال سرّ الكفر بين ضلوعه ... حتى اصطلى سرّ الزناد الواري
نارًا يساور جسمه من حرها ... لهب كما عصفرت شق إزار
طارت لها شعل يهدم لفحها ... أركانه هدمًا بغير غبار
فصّلن منه كل مجمع مفصل ... وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لأعظم مشرك ... ما كان يرفع ضوؤها للساري

اهلٌ لها حيًا وكان وفودها — حيًا وتحلها مع الكفار
وكذاك اهل النار في الدنيا هم — يوم القيامة جلّ اهل النار
يا مشهدًا صدرت بفرحته الى — امصارها القصوى بنو الامصار
رمقوا اعالي جذعه فكانما — رمقوا الهلال عشية الافطار
واستنشقوا منه قنًا وكانه — من عنبرٍ ذفرٍ ومسكٍ داري
وتحدثوا عن هلكه كحديث من — بالبدو عن متتابع الامطار
قد كان بوّأه الخليفة جانبًا — من قلبه حرمًا على الاقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرّدٍ — وانامه في الامن غير غرار
ولقد شفا الاحشاء من برحائها — اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن — لاثنين ثانٍ اذ هما في الغار
فكانما انتبذا لكيما يطويا — عن ناطسٍ خبرًا من الاخبار
سود اللباس كانما نسجت لهم — ايدي السموم مدارعًا من قار
بكروا واسروا في متون ضوامرٍ — قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم — ابدًا على سفرٍ من الاسفار
كادوا النبوة والهدى فتقطعت — اعناقهم في ذلك المضمار

وله يذكر صلب بابك

لما قضى رمضان منه قضاءه — غالت به الايام في شوال
ما زال مغلول العزيمة سادرًا — حتى غدا في القيد والاغلال
متقلدًا للناس طوقًا من دمٍ — لما استبان فظاظة الخلخال
اهدى لمتن الجذع متنيه كما — من عاف متن الاسمر العسال
لا كعب اسفل موضعًا من كعبه — مع انه عن كل كعبٍ عال
سامٍ كان العز يجذب ضبعه — وسموه من ذلةٍ وسفال
متفرعٌ ابدًا وليس بفارعٍ — من لا سبيل له الى الافعال

قال رحمه الله ومن عجيب الامور ان ابا العباس احمد بن عبيد الله بن عمار ينشد هذه الابيات المفرطة بالحسن في جملة معايب ابي تمام ومما هو من عجيب

من شعثطر وعلطر ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر يصف مصلوبًا بلغ من هذا الوصف ولكن كان عن سبيل قول ابراهيم بن المهدي يصف ابن بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

ما زال يعنف بالنعمى يغمطها — حتى الغموط وما فتراه الابيد
حتى علاه حسام الله مجتهدًا — كما علا ابدًا ما اورق العود
يا بعقر ضربت فيها عمارته — فقصفه ودكوت اعظامه البيد
تودكت ارضًا واوطانًا سبا — ما عند في الارض للبعد برقود
لو تقدر الارض جحدت البلاد بلا — بغيٍ على الارض لاجحت جلوده
او سيد بالجسر الاحير اعصره — في بيته فوق الفيل مصفود
كانه الحمرة وتحت رجليها — وحده شعر بها للنحر محدود
ما كان احسن قول الناس يومئذٍ — اليوم بابك هذا ام هو العيد
تسيرت حشود لبابعته — جرى اليها الراس منه ما له جيد
ذاقوا يحصع عوج العاسفات به — على الطريق صليبًا طرفه عود
كانه مسلوكسر والهوى اوله — ثورٌ شاوي والجذع سفود

فهكذا ينبغي ان يطعن على ابيات ابي تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط في تقريظها وليت من جهل شيئًا عدل عن الخوض فيه فان الكلام على مثل ذلك استرعكم وادل به وابيات ابي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة من الكسل والمراد الحيح وابيات ابن المهدي متطرية الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز ان يوضع في البديع الا قوله حتى علاه حسام الله مجتهدًا البيت وبعده البيت الاخير وان كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم بن الوليد في قوله

ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها — حتى استقل به عودٌ على عود
نصبته حيث ترتاب الرياح به — فتحسد الطير فيه ضبع البيد

وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها ابا سعيد اولها

لا دمنةٌ بلوى خبتٍ ولا طللُ — يرد قولًا على ذي لوعةٍ يسل

إلى عمرٍ داعٍ إلى لوم قلبه | يصب عليها فيه يندم أدمع ذلك
هل آن يوماً مقبر بادكارها | في رسلها بين عراصها ورمل
عشيّ النوى حداء ملطاها | عراه النوى وجمال ما لها عقل
أسير تردّد حريق النفس جانبه | ~~في الشمال ضوء كلها فضل~~
تقاوم بين مرفوع ومنخفض | على الركاب فما قالوا وما فعلوا
ردّ الهجر جاهوه بعد شغلها | عوداً فعادوا أشباباً بعد ما اكتهلوا
تماثل حابل الآساد في كبد | من المنايا فأمسى وهو محتبل
خالي الذباعين والشاقين لو | لم المحي لتمنى أنها عطل
من نحت مطبق باب الشام في | أسرى يودون وقاتهم قبلوا
عانوا عن الأرض إلا في ضيبة | فيها فلا وصل إلا الكتب والرسل

وله في هذا المعنى

ما زلت تقرع باب بابك بالقنا | وتزوره في غارة شعواء
حتى تخدد بنصل سيفك صفحة | منه الذي أعلى على الأعداء
أخليت منه البدو وهي قراره | ونصبته علماً بإقراره
كم نوم بين خوف بابك مطمعاً | للطير في عود كأن إبدائه
تراه مطراً على أعواده | مثل المراد كواكب الجوزاء
مستخبراً للشمس مستصباها | في أثر بابك الجذع كأنه

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى شهر رمضان
الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره
من الشهور على ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضي أنه أنزل الجميع فيه
وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل أراد الإقامة والحضور
اللذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والإدراك الجواب قلنا أما قوله تعالى
أنزل فيه القرآن فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة
إلى سماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرّق إنزاله بعد ذلك على نبيه عليه السلم

يقول فيها تحمله البرد من أقصى الثغور
أدنى العراق سراها دونها عجل
يسرّ من رأى منكوساً تجاذبه
أيدي الشمال فضولاً كلها فضل

صلى الله عليه وآله وسلم

بحسب

بحسب ما تدعو الحاجة إليه وقال آخرون المراد بقوله أنزل فيه القرآن
أنه أنزل في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها
وأنزل في الخمر كذا يريد في تحريمها وإنما هرب متكلفه من شيء وظن أنه فيما اعتصم
به عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن إذا كان يقتضي
ظاهره إنزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام
جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلاً من القرآن يتضمن إيجاب صوم شهر رمضان
وأن أكثره خال من ذلك فإن قيل المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيئاً من
القرآن في شهر رمضان ~~[illegible]~~ ولم يحتج إلى
أن نجعل لفظه فيه بمعنى في فرضه وإيجاب صومه والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن
في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق
فكأنه تعالى قال شهر رمضان الذي أنزل فيه هذا الجنس من الكلام فأي شيء نزل
منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول إن الألف واللام ههنا
لا يكونان إلا للعموم والاستغراق لأنا لو سلمنا أن الألف واللام يستغرق العموم
والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون ههنا بهذه الصفة لأن
هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة
إلى الجنس والطبيعة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على
خصوص أو عموم كالمناقض لغرضه والمنافي لمراده ألا ترى أن القائل إذا قال فلان
يأكل اللحم ويشرب الخمر ويضرب الأمير اليوم اللصوص فنحن لمحاً لم يفهم
من كلامه إلا محض الجنس والطبيعة من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له
فلان يأكل جميع اللحم أو يشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه أنني لم أرد عموماً
ولا خصوصاً وإنما أردت أنه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من
الشراب فمن فهم من كلامه العموم أو الخصوص فهو بعيد من فهم مراده وأرى
كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون أن الإشارة إلى الجنس من
غير إرادة العموم والاستغراق لا تتم ومتى حمل قول من قال أردت
الجنس في كل موضع على العموم وهذا بعيد ممن يظنه لأنه كما قال في

وإيجاب صومه على الخلق القرآن
فيكون فيه معنى في فرضه
كذا وكذا وهذا الجواب

وبعضاً منه قيل فالأولى أفضل
على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى
أنزل شيئاً من القرآن

كالمناقض ل

أنني ل

بعده

إنّ العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع بهذه الألفاظ فكذلك
الإشارة إلى الجنس والطبيعة من غير إرادة عموم ولا خصوص مفهومة مشهورة
وقد ذكرنا أمثال ذلك فأمّا قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأكثر المفسرين
حملوه على أنّ المراد من شهد منكم الشهر من كان مقيمًا في بلده غير مسافر
وأبو علي حمله على أنّ المراد به من أدرك الشهر وشاهده وبلغ الشهر وهو متكامل
الشروط فليصمه وذهب في معنى شهد إلى معنى الإدراك والمشاهدة وقد
طعن قوم على تأويله على وقالوا ليس يحتمل الكلام إلا الوجه الأول وليس الأمر
على ما ظنّوه لأنّ الكلام يحتمل الوجهين معًا وإن كان للقول الأول ترجيح
ترجيحًا على الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج
في الأول لأنّ القول الأول لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأنّ قوله تعالى شهد
يقتضي الإقامة وإنما يحتاج إلى إضمار باقي الشروط من الإمكان والبلوغ وغير ذلك
وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة وكون
التقدير فمن شهد الشهر وهو مقيم مطيق بالغ إلى سائر الشروط فمن هذا الوجه
كان الأول أقوى وليس لأحد أن يقول إنّ شهد يفيد من غير محذوف الدلالة
على الإقامة وذلك أنّ الظاهر في اللغة فلان شاهد إذا أطلق ولم يضف
أفاد الإقامة في البلد وهو عندهم ضدّ الغائب والمسافر وإن كانوا ربما
أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا ويشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى
فمع الإطلاق شهد دالّ على الإقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية
بحمد الله قال رحمه الله ووجدت أبا العباس ابن عمار يعيب على أبي تمام

في قوله

لمّا استحرّ الوداع المحض وانصرمت ٥ أواخر الصبر إلا كاظمًا وجما
رأيت أحسن مرئيّ وأقبحه ٥ مستجمعين لي التوديع والعنما

قال أبو العباس وهذا قد تقدّم سلكه على شاعر متقدّم وهو أن جمع بين كلمتين إحداهما
لا تناسب الأخرى وهو قول الكميت

وقد رأينا بها حورًا منعّمة ٥ رودًا تكامل فيها الدلّ والشنب

تمامه الأولى

شاهد به

من قوله

قال المرتضى

فقيل له قد أخطأت وباعدت بقولك الدلّ والشنب ألّا قلت كقول ذي الرمة

لمياء في شفتيها حوّة لعس ٥ وفي اللثات وفي أنيابها شنب

قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع
لا يستقبح وإنما يستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن لما يظهر عند
الإشارة وشبهه بالعنم ولم يذكر الأنامل المخضّبة قال وإنما جمع
قول المجنون

ويبدي الحصى منها إذا قذفت به ٥ من البرد أطراف البنان المخضّب

قال وهذا الأصل استعاره الناس من بعد قال الشاعر

أغرّ منك والوجوه دنانير ٥ وأطراف الأكفّ عنم

قال وأغرب أبو نواس في قوله

يبكي فيذري الدرّ من نرجس ٥ ويلطم الورد بعنّاب

قال فكم يحسن لهذا العلج أن يستعير شيئًا من محاسن القائلين قال رحمه الله
وقد أغلط ابن أبي عمار وتعدّى على أبي تمام لأنّ الكميت جمع بين شيئين متناسبين
فيهما الدلّ وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب وهو برد الأسنان
ونظر في عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير متقاربين
لأنّ التوديع إنما أشارت إليه بإصبعها من وداعه عند الفراق وشبّهت
مع ذلك أصابعها بالعنم والعنم نبت في أغصانه حمرة تشبه الأصابع
وقيل إنّ العنم واحدته عنمة وهي أغصان الصغيرة البيضاء وهي أشبه
شيء بالإصبع البيضاء الغضّة وهكذا حكاه صاحب كتاب العين وقيل إنّ
العنم نبت له نور أحمر تشبّه به الأصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع
والعنم أنّ التوديع كان بالإصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما لذلك ولا حاجة
به إلى ذكر الأنامل المخضّبة على ما ظنّ أبو العباس بل ذكر المشبّه به أحسن
وأفصح من أن يقول التوديع والأنامل التي تشبه العنم فأمّا قوله إنّ التوديع
لا يستقبح وإنما يستقبح عاقبته فخطأ وغلط لأنّ الشاعر إنما لا يطالب بعلم
النحو ولأنّ التوديع إذا كان مؤذنًا بالفراق ومعجّلاً للدار وغيبة المحبوب

كما قال ذو الرمة

اللعس من الحوّة إلا أنّ حمرة ذلك أكثر ... الخضبات وشبّهه بالعنم

قال المرتضى

مفترقين

إلى الشاعر

دقاقه

فما فعلنا لم نكرهه ونستقبحه وقوله تستقبح عاقبته صحيح الا انا نعيبه
ونتبرم مما كان عند حضوره مستحسنا لذكرنا عادة الاكرام مع الاستقباح
اليه نحو ما نعلم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول الاشياء المذاقة
من الاغذية وغيرها اذا علموا ان في عواقبها من المكروه فان من قدم
اليه طعام مسموم فاعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء
عاقبته وان كان ملذا في الحال فهكذا من قال من الشعراء كراهتها للوداع لانه
يمثل لما يتفق بعده من الم الفرقة وتعشق الوحشة وهذا معروف مشهور
وقد قال في ذلك ابو تمام

آلفة النحيب كم افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا ... لموقوف على ترح الوداع

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح واما قول جرير

أتنسى اذ تودعنا سليمى ... بعود بشامة سقي البشام

كلم دعا للبشام وهو يجري بالسقيا لانها ودعته عند فراقه بعود منه وقول الشاعر

من يكن يكره الوداع فاني ... اشتهيه لموضع التسليم
ان فيه اعتناقة لوداع ... وانتظار اعتناقة لقدوم

فمن شأن الشعراء ان يتصرفوا في المعاني بحسب اغراضهم ومقاصدهم فاذا اراد
احدهم مدح شيء قصد الى احسن اوصافه فذكرها او كان ربما حتى كأنه
لا وصف له الا ذلك الوصف الحسن واذا اراد ذمه قصد الى اقبح احواله فذكره
حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك فكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى احدهم
يقصد الى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر معه اطول
وما اشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف ما فيه من الادبار والى الاجل وانه
اخس الالوان وابغضها الى الغواني وما اشبه ذلك وهذه سبيلهم في كل شيء
يصفونه وابو الجهم توسع لذلك في ذم الوداع لما فيه من الايذان بالفراق
وتعجيل الداء فقد ذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من القرب من
المحبوب والسرور بالنظر اليه فان كان قد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط

ابن

ابن عمار القبيح قولهم بعد ان انشد شعر المجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره
الناس من بعده فقال الشاعر
الكثر مثلك والوجوه دنانير ... واطراف الاكف عنم
وهذا الشعر للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر كانا جميعا على عهد مهلهل بن ربيعة
وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول
المجنون لولا الغفلة علمنا اخونا ولي آيته انه سئل لما ذكر من قوله تعالى
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك
والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد عليه
السلام الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب
المتقدم ذكره وهو التوراة فلا يكون ههنا اسما للقرآن المنزل على محمد صلى الله
عليه وآله وحسن نسقه على الكتاب لمخالفته للفظه كما قال تعالى الكتاب والحكمة
وان كانت الحكمة مما تضمنها الكتاب وكتاب الله تعالى كلها فرقان يفرق
بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة

فما لي اراني وابن عمي مالكا ... متى ادن منه ينأ عني ويبعد

فنسق يبعد على ينأ وهو بمعنيه وحسن ذلك اختلاف اللفظين وقال عدي بن زيد

وقددت الاديم لراهشيه ... والفى قولها كذبا ومينا

والمين الكذب وثانيها ان يريد بالفرقان بين الحلال والحرام والفرق بين
موسى عليه السلام واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى فرق
بينهم بامور كثيرة منها انه نجى هؤلاء وغرق اولئك وثالثها ان يكون الكتاب
عبارة عن التوراة والفرقان عبارة عن انفراق البحر الذي اوتيه موسى عليه السلام ورابعها
ان يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا ويكون المعنى في ذلك
واتينا موسى التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان
موسى عليه السلام كان مؤمنا بمحمد ومبشرا ببعثته وساغ حذف
كالايمان والتصديق فيما جرى مجراه ... الفرقان معناه كما ساغ في
قوله تعالى واسأل القرية وهو يريد اهل القرية وخامسها ان يكون المراد بالفرقان
القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى الكتاب الذي هو التوراة

كانّنا بمدام العرفان لهذه الحذف مما يقتضيه الكلام كما حذفه الشاعر في قوله
تراه كان الله يجدع انفه ... وعينيه ان مولاه كان له وفر
اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفى بجدع من يفقأ وقال الشاعر
تسمع للاحشاء منه لغطا ... ولليدين جسأة وبددا
اي ونرى لليدين لان الجسأ والبدد لا يسمعان وانما يريان وقال الآخر
علفتها تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها
اراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال الآخر
يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا
اراد وحاملا رمحا ووجدت ابا بكر الانباري يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات لا يجوز
على هذا الوجه لان الابيات اكتفى بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها
باسم دون اسم والامر وان كان على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع
الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما حسن من
حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على ان المراد
مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف
اسما كان الملبس فيما قال والتبس فانه في الموضعين انما حسن الحذف لان
القرآن اذا كان اسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما انزل على
نبينا صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام عن ان يقال وانا نجينا محمدا القرآن
كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جسأة وبددا
وما شاكل ذلك الآية يمكن ان يقال فيها استشهد به جميع الابيات مما لا يمكن
ان يقال مثله في الآية وهو ان يقال ان المحذوف فيها لا يقدر بفعل مضمر بل
الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال
تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه
به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال وتراه كان الله افسد انفه
اي نفسه وشوهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان اللغط من الاحشاء عالما
عطف على المعنى فقال ولليدين جسأة وبددا اي انه يعلم هذا وذاك معا وكذلك

لما كان في قوله علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لانه مما يغتذى به وكذلك
لما كان المتقلد للسيف حاملا جاز ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اولى
في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري قال رحمه الله و
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال
اخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال اخبرنا احمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم
بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمي على هشام بن عبد الملك وذلك
بعد عزل خالد بن عبد الله القسري قال فالفيته جالسا على كرسي في بركة ماؤها
الى الكعبين فدعا لي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك
كان آثر عندي واحب الي منك يا امير المؤمنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو
صفحت عن جرمه فقال يا خالد ان خالدا ادل فامل واجحف فاجحف ولم يدع
لراجع مرجعا ولا لعود موضعا ثم قال الا اخبرك عنه يا ابن صفوان قلت
نعم يا امير المؤمنين قال انه ما بدأني بسؤال حاجة منذ قدم العراق حتى اكون
انا الذي ابدأه بها قال خالد فذاك احرى ان ترجع اليه فقال هشام
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... اليه بوجه آخر الدهر تقبل
ثم قال لحاجتك يا ابن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق
ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك عليها او لبلاء حسن ابليته عند امير المؤمنين
ام لماذا يا ابن صفوان اذن يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت
يا امير المؤمنين وفقك الله وسددك ان فانه كما قال اخو هذا الفتى
اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... قرابة قربى او صديق توامقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ... ولم يفتلتك المال الا حقائقه
فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الامساك له قال احببت ان
يمنع غيري كما منعني فيكثر من يلومه قال رحمه الله وكان خالد مشهورا بالبلاغة
وحسن العبارة وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص بن معاوية بن عمرو
الغلابي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت وانت من ايسر اهل البصرة
فلا يبكيك الا امة فقال فابغني امرأة قلت صفها لي لاطلبها لك فقال اريدها

أو تجنأ كبر لا امرأة صغيرة ولا مسنّة كبيرة لم تعز أو تحج ولم تعنّت
فتجنّ فذلك نشأت في نعمة وادركتها خصاصة فأدّبها الغنى وأذلّها الفقر حسبي
من جمالها أن تكون فخمة من قريب مليحة من بعيد وحسبي من حسبها أن
تكون واسطة في قومها ترضى مني بالتيسير إن عشت أكرمتها وإن متّ ورثتها
ترفع رأسها إلى السماء بطرٍ ولا تضعه إلا حين سقوطها فقلت يا أبا صفوان إن
الناس قد طلبوا هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها وكان يقول إن المروّة
لو خفّ محملها وقلّت مؤونتها لما تركها اللئام فيها خيرة لهذ ولكن ثقل
محملها وعظمت مؤونتها فاجتنبها الكرام وجادعنها اللئام وكان خالد
من أشح الناس وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله
لطالما غربت في البلاد وتجولت والله لأطيلن ضجعتك ولأديمن ...
قال وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانقاً فقال يا سبحان الله أتعطي مثلي دانقاً
فقال لم لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ما أعطيتك لرحت بمال عظيم وسأله
رجل فأعطاه درهماً فاستقله فقال يا أحمق أما علمت أن الدرهم عشر العشرة
والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف عشر دية المسلم وكان يقول والله ما تطيب
نفسي بإنفاق درهم إلا درهماً قرعت به باب الجنة أو درهماً اشتريت به موزاً
وقال لأن يكون لي ابن يحب اللحم أحب إليّ من أن يكون لي ابن يحب الكراء لأنه يتمنى
طلباً للحم وأكثر بغيته أحياناً وكان يقول من كان ماله كفافاً فليس بغني
ولا فقير لأن التامة إذا أوتيت ثم أخذت بحافر ومن كان ماله دون الكفاف
فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لأن يحوز لي احتياج
حار تجار أن يقيم عليه حجة خير من أن يكون لي جار من التجار له مال أن
يعطيه مالاً ويكتب عليه صكّاً إلا أفعل **مجلس آخر تأويل آية**
إن سأل سائل عن قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف نفى تعالى أنهم لا يكذبونه
عليه السلم ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق
وكيف نفى عنهم التكذيب ثم حكى عنهم الجحد بآيات الله وهل الجحد بآيات

على م

للكرام فيها م

لسرم ل
فالمال

والألف م

لحاجة م ... ل

عنهم

الله إلا تكذيب عليه السلم **الجواب** قد ذكر في هذه الآية وجوه **أولها** أن
يكون إنما نفى تكذيبهم بقلوبهم تديّناً واعتقاداً وإن كانوا مظهرين بأفواههم
التكذيب لأنا نعلم أنه كان في المخالفين له عليه السلم من يعلم صدقه ولا ينكره
بقلبه حسداً وبغياً ومع ذلك يظهر خلاف ما يبطن وقد قال الله تعالى وإن
فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وربما شهد لهذا الوجه من طريق الرواية
ما رواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وآله
لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له في ذلك فقال والله إني لأعلم أنه
نبي ولكن متى كنا تبعاً لعبد مناف فأنزل الله الآية وفي خبر آخر أن الأخنس
بن شريق خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب
فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك
إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة
والسقاية والندوة فماذا يكون لسائر قريش و**الوجه الثاني** أن يكون معنى فإنهم
لا يكذبونك أي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من إبطال ما جئت به
وإنما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لأن القائل
يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولي وإنما يريد أنه لا يتمكن من
إقامة دليل على كذبه ومن حجة في دفع قوله وإن كان ممكناً من التكذيب بلسانه
فصار ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به وقد روي عن
أمير المؤمنين علي عليه السلم أنه كان يقرأ فإنهم لا يكذبونك بالتخفيف ويقول
إن المراد بها أنهم لا يأتون بحق هو أحق من حقك وقال محمد بن كعب القرظي معناها
لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا الوجه ويبين أن معنى هذه اللفظة
مشددة يرجع إلى معناها مخففة **والوجه الثالث** أن يكون معنى الآية أنهم
لا يصادفونك كاذباً ولا يلفونك كذاباً كما يقولون لما أحمدته
أي لم أجده محموداً وما أكذبته أي لم أجده كاذباً وقال الأعشى

أثوى وقصّر ليله ليزوّدا ۞ فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

أراد صادف منها خلفاً للمواعيد ومثله قولهم أصممت القوم إذا صادفتهم صمّاً وأخلبت

بآباته م ل يعتقدونه
يظهرون م ل

وسلم تم

كان في أصل النسخة قرأت الأخنس بن
فلان وكتب على فلان كذا كان

والنبوة م

ولا بحجة م ل

فالمك م

أي لم أجده م ل

أثرم

للوعد م ل

أصممت م

صمام

الموضع إذا صادفته خالياً قال الشاعر

لئن مع الحكام ليلى فلم أبن ٥ فأخلب فاستعجمت عنده خلاء

أي أصبت مكاناً خالياً ومنه قول لهيان بن قحافة

لسن أبانا بالمرتاد لجا ٥ أو سعن من أشداقها المصادر جا

يعني بأوسعن أصبن ساحات واسعة فنبشن فيها وقال عمرو بن براقة

تحالف أقوام على ليسمنوا ٥ وجروا علي الحرب إذ أنا سالم

تقال أسمى بنو فلان إذا لقيت إليهم فصادفوا فيها سمناً تقال ألفيت عبد الله [illegible]

أعشبنا ثم ليالي أصبت مكاناً معشباً وقال ذو الرمة وقال أبو النجم

تربك ساقي ليتها ودحها ٥ كقرن الشمس أفق نور الا

أي وجدك منها من السحاب وليس لأحد أن يجعل هذا الوجه مختصاً بالقراءة

بالتخفيف دون التشديد لأن كل الوجهين معاً يمكن هذا الجواب لأن أفعلت

وفعّلت يجوزان في هذا الموضع لأن فعلت بالتخفيف هو الأصل في الفعل

ثم شدّد تأكيداً وإفادة لمعنى التكرار وهو مثل أكرمت وكرّمت وأعظمت

وعظّمت وأوجبت وأمّنت وآمنت وبلّغت وهو كثير قال الله تعالى فمهّل الكافرين

أمهلهم رويداً إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال هذه اللفظة

مخففة في هذا المعنى أكثر والوجه الرابع ما حكى الكسائي من قوله إن المراد أنهم

لا ينسبونك إلى الكذب فيما أتيت به لأنك كنت أميناً صادقاً لم يجربوا عليك

كذباً وإنما كانوا يدفعون ما أتيت به ويدّعون أنه في نفسه كذب وفي الناس

من يقوي هذا الوجه بأن القوم كانوا يكذّبون ما أتى به وإن كانوا يصدّقونه

في نفسه بقوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك

وكان الكسائي يقرأ فإنهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر

السبعة والباقون على التشديد ويزعمون أن بين كذّبت وأكذبت فرقاً وأن

معنى أكذبت الرجل إذا قلت له كذبت ومعنى كذّبته أنه كذاب في كل حديثه

وهذا غلط وليس بين فعّلت وأفعلت في هذه الكلمة من طريق المعنى أكثر

مما ذكرناه من أن التشديد يقتضي التكرار والتأكيد ومع هذا لا يجوز أن

يكذبونك : بعده

(margin: المقادح ظلمان اللتب كالمغاور كانه شبه قضبة الشرق بها — قيل منسباً تأويله في غيطل نفس ودرة في قوله جنة وكثرة في الأكثار — ووجبت م — عند هم م — الوجه في أنهم ... — بعضه ... الطالبي ... — ... محمد ... دم)

تصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم أنه عليه السلام كان يشهد

بصحة ما أتى به وصدقه وأنه الدين القيّم والحق الذي لا يجوز العدول عنه وكيف

يجوز أن يكون صادقاً في خبره وكان الذي أتى به فاسداً بل إن كان صادقاً

فالذي أتى به حق صحيح وإن كان الذي أتى به فاسداً فلابدّ من أن يكون في

نبي من ذلك كاذباً وهذا تأويل من لا يحقق المعاني والوجه الخامس أن يكون

المعنى في قوله تعالى فإنهم لا يكذبونك أن تكذيبك راجع إليّ وعائد عليّ ولست

المختص به لأنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه

وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد

دفعني وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والتعظيم والتغليظ لتكذيبهم

والوجه السادس أن يريد فإنهم لا يجحدونك في الأمر الذي توافق فيه كتبهم

وإن كذبوك في غيره ويمكن في الآية وجه سابع وهو أن يريد تعالى أن جميعهم

لا يكذبونك وإن كذبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكرهم في آخر الآية

أنهم يجحدون بآيات الله لأن الله تعالى إنما سلّى نبيه عليه السلام بهذا القول

وعزاه فلا يمكن أن يكون عليه السلام إنما استوحش من تكذيبهم له فقهم إياه

بالرد عليه بطن أنه لا متبع له عليه السلام منهم ولا ناصر لدينه فيهم فأخبره

الله تعالى بأن البعض وإن كذبك فإن فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بإرشادك

وهدايتك وكل هذا بحمد الله واضح قال [illegible] الله بن [illegible] الشعر قول مطرود

بن كعب الخزاعي

يا أيها الرجل المحول رحله ٥	ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت عليهم ٥	ضمنوك من جوع ومن إقراف
الآخذون العهد من آفاقها ٥	والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت ٥	ورجال مكة مسنتون عجاف
والمفضلون إذا المحول ترادفت ٥	والقائلون هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ٥	حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت ٥	فالمح خالصه لعبد مناف

(margin: صلى الله عليه وآله وسلم — فكيف م ل — وإن م — تعالى م — ذا قوا — خالصه م ل)

أما قوله والراحلون لرحلة الإيلاف فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول من سنهما فالرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف إلى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى

عمرو الذي هشم الثريد لقومه	ورجال مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سن الرحيل لقومه	رحل الشتاء ورحلة الأصياف

فأما قوله مسنتون فهم الذين أصابتهم السنة وهي الجدبة الشديدة وقوله والخالطون غنيهم بفقيرهم من أحسن الكلام وأخصره وإنما أراد أنهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ثاروة [?] ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن والروي يهجو سعيد بن سلم الباهلي وكان له صديقا

أبني سعيد إنكم من معشر	لا يعرفون كرامة الأضياف
قوم لباهلة بن أعصر إنهم	لبسوا حسبتهم لعبد مناف
قرنوا الغداء إلى العشاء وقربوا	زادا لعمرك ليس بكاف
وكأنما خلطت البهم	رحلي تركت بجوى العراف
تماكر لك إذ أتى كبراؤهم	تحوون في السدير والأحراف

أراد بقوله قرنوا الغداء إلى العشاء من بخلهم واقتصارهم في المطعم ويقال إن هذا الشعر حفظ فصار من أكثر ما يتسوك به وثبت في قومهم والركب ترخج مرحلا وعتق الشعر لا يستفاد التقريب بحث حويته ولقد أحسن دعبل

بن علي الخزاعي في قوله

تقولين ... يبقى غير ثابت	كفر عدو قد أصيبت مقاتله
يقولون إن ذاق الردى مات شعره	وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضي ببيت يحمد الناس أمره	ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت رديء الشعر من قبل أهله	وجيده يبقى وإن مات قائله

ولآخر في هذا المعنى

لا تعرضن بمزح لامرئ فطن	ما راضه قلبه أجراه في الشفة
فرب قافية بالمزح جارية	مشؤومة لم يرد إنماءها نمت

إذا قلت بيتا مات قائله	ومن يقال له والبيت لم يمت

مجلس آخر وتأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وعن قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فقال كيف يقع من أهل الآخرة نفي الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون ومع ذلك أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولأنهم ملجؤون هناك إلى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني لأنهم تمنوا ولم يخبروا **الجواب** قلنا أول ما نقوله أنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم ما كنا مشركين إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الإخبار متناولا لحال الدنيا وسقطت المسألة وليس لأحد أن يعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فتعلق ذلك بقوله تعالى يمنع أن تكون الآية متناولة ما يجري في الآخرة ثم تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا إلا أن مطابقة كل آية لما قبلها ليس هذا عن واجبه وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم يدل أيضا على أن ذلك يكون واقعا بعد ما أخبر تعالى عنه في الآية الأولى فكأنه تعالى قال على هذا الوجه إنا نحشرهم في الآخرة فنقول أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وما فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا إلا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقد تكلم في الآية على تسليم أن هذا القول يقع منهم في الآخرة أن المراد أنا ما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد أنا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد انظر كيف كذبوا على أنفسهم لم يرد في هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل أنهم كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا بإخبارهم أنهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر إلا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي

انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

يتعلق

ثم لم تكن فتنتهم فيجب أن يكون الجميع مختصا بحال الآخرة لأن لام واجب

وما كان فتنتهم وسببها

في الآية

ووقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا لكن أن أهل الآخرة لا يجوز أن
يكذبوا وأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح فأما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا
نرد وقوله تعالى وإنهم لكاذبون فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني
وصرف قوله تعالى وإنهم لكاذبون إلى غير الأمر الذي تمنوه لأن التمني لا يصح فيه
معنى الصدق والكذب وإنما يدخلان في الأخبار المحضة ولأن قول
القائل ليت الله رزقني ولدا وليت فلانا أعطاني مالا فأعامله كذا وكذا لا يكون
كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه أو لم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى وإنهم
لكاذبون مصروفا إلى حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم كاذبون فيما يخبرون
به عن أنفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الحق أو يريد أنهم كاذبون
إن خبروا عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وإن كان ما حكى
عنهم من التمني لا خبرا وقد يجوز أن يحمل قوله تعالى وإنهم لكاذبون على
غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى أنهم تمنوا ما لا سبيل إليه فكذب
أملهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام فإنهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك
كذب أملك وأكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر عروة بن حزام

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

وقال الآخر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ... بني شاب قرناها تصر وتحلب

ولم يرد الكذب في الأقوال بل التمني والأمل وليس لأحد أن يقول كيف يجوز
من أهل الآخرة مع أن معارفهم ضرورية وأنهم عالمون بأن الرجوع إلى
الدنيا لا سبيل إليه أن يتمنوه وذلك أنه غير ممتنع أن يتمنى المتمني ما يعلم أنه
لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بما لا يكون وبما قد كان ولقوة اختصاص
التمني بما يعلم أنه لا يكون غلط قوم فجعلوا إرادة ما علم المريد أنه لا يكون
تمنيا فهذا الذي ذكرناه ويجري تأويل الآية في الناس من جعل بعض الكلام
تمنيا وبعضه إخبارا وعلق تكذيبهم بالإخبار دون التمني فكأن تقدير الآية يا ليتنا
نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد فإنا لا نكذب بآيات الله ونكون من المؤمنين

ولا نكذب ... — تقدم مرار — لكاذبون — ونرد(?) — فاغبرا(?)

فأخبروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون وإن لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك
فلهذا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا
أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي
قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا أبو مسعود رجل منا من
بني تميم من عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري على البرامكة وهو
كبير فكلمني ابن أبي حفصة صديقا لي على أني كنت أبغضه وأمقته في الله
فشكى إلي قال دخل علينا رجل أطمه شاب وقد تقدم البرامكة في الذكر عند
الرشيد فأذن له فدخل فسلم فأجابوا فأذن له فجلس قال فأوجست منه
خوفا وقلت يا نفس أنا جار يتحدث ساقت الغريب دنا فهمتني وهذا شاب في فيه
الشعر قال فجعلت أرقي نفسي إلى أن أنشد هرون فإذا هو قال لي رفيع
الناس قد خلني لم حسد فأنشد قصيدة تمنيت أنها لي وأن علي غرما قال فقلت
لم ما هي فقال أحفظ منها أبياتا وهي

أمير المؤمنين إليك خضنا ... غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالأهلة خافقات ... يملن على السرى وعلى الهجير
حملن إليك آمالا عظاما ... ومثل الصخر والدر النثير
وقد وقف المديح بمنتهاه ... وغايته وصار إلى المصير
إلى من لا تشير إلى سواه ... إذا ذكر الندى كف المشير

قال فلما تم بيت آخر فلا أحد خائف وشك وعجبت من تخلصه إلى ذكر القوافي برغ
ذكره لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأحسن التخلص وقال يعني هرون يعجب بذلك فقال

يدلك في بغاة بني علي ... ومن لحس بالمرة الكبير
فإن شكروا فقد أنعمت فيهم ... وإلا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى ... وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت لسخطك المنايا ... عليه فهي حائمة النسور
ولو كانت ما اخترجت بلاء ... ولكن لم تقم بحيث الطهور
ولكن حلمك واحتسابا ... على الهفوات عفو من قدير

أخبرنا م ل — أبو مسعود — النمري م ل — تميل م ل — لا ... م

فما ذكاء الى بهجين زينتها ... وقد كان اجتنى حسن الصدور
تمام ل
وبعد رفا امرٍ احرف بعد قوله بذلك

وابكِ بحيث بلطفهم اذاه ... وان ظلموا المجد في الضمير
قال الرشيد فالكامع هذا البيت هذا والله معنى كان ذهني يا خذمن المآخذ
ويحكم بعد الى الحيرة قال المروان وكان هرون حين يكاد يضحك للطف ما يسمع ثم
اوما الى الرشيد فانشده قصيدته التي اقول فيها

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم ... حطم المناكب كل يوم زحام
حتى اتى على آخرها فوالله ما راح ذلك الرجل يعني النمري الا بشعرٍ وتحمل بثلاثين الف
ان هرون امام الهدى ... كم من يمن اجرى ومن يسر
يرتش ما تبري الليالي وما ... تريش ايديهن ما ليس بري
كأنما البدر على رحله ... يرمد سنة منكسا صفرٍ

قال وانشده ايضا

ولئن اضاع لقد وجدتك حافظا ... لوصية العباس بالاحوال
قال مروان فاخلق بان يعلني وان حلو على عبدٍ فان ما رأيت الحسن بن محمد ابا دكو
الطالبيين ثم لعمرنا المرزبان قال حدثنا ابو عبد الله الحكيم قال حدثني موسى بن المورع قال
حدثني ابو عثمان الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هرون
في شعره ويريه انه من وجوه شيعته وباطنه ومراده به ذلك امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه ولي
بعد غيره بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين هو والله الذي يقول
متى يشفيك دمعك من همول ... ويبرد ما بقلبك من غليل

وانشده ايضا

شاء من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل
ومنصور تصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وامره
ان يضرب عنق منصور حيث يقع عينه عليه فقدم الرجل بأمرهم بعد موت
منصور بأيام قليلة قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النمري كان يذكر هرون

وكان قد اجتنى م ا
نحكمه م ل
النمري م ل
النمري م ل
صلوات الله عليه م
صلى الله عليه وآله وسلم
الذان في من لقيتن بابا
تتضمن القدح في اعداء آل محمد
النمري م ل
ذيل

في شعره ويقول بعضهم امير المؤمنين علي عليه السلام ايضا انشدنا محمد بن الحسين بن دريد للنمري
آل الرسول خيار الناس كلهم ... وخير آل رسول الله هرون
عليه السلام م ل
رضيت حكمك لا ابغي به بدلا ... لان حكمك بالتوفيق مقرون
وذكر ابن ان ابا عمرو الشيباني لما وقع باهل البادية بعض اولاد بنعم وفد الى الرشيد منهم
النمري فلما صاروا بباب الرشيد امر هو باختيار من يدخل عليه منهم فاختاروا عددا بعد
عدد الى ان اختاروا رجلين احدهما النمري ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان النمري
مولدا لم يسمع منه شعر قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد
قال لهما قولا ما تريدان فاندفع النمري فانشده

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع ... فقال له الرشيد قل حاجتك وتعد هذا
فقال له اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع وانشده القصيدة حتى اتى الى قوله ركب من النجر
عاذوا بابن عمهم من هاشم اذ الح الازلم الجذع الدهر
متى اليك بغرة يسك نعرفها ... لهم بها في سنام المجد مطلع
ان المكارم والمعروف اودية ... احلك الله منها حيث تجتمع
اذا رفعت امرا فالله رافعه ... ومن وضعت من الاقوام متضع
نفسي فداؤك والابطال معلمة ... يوم الوغى والمنايا بينهم قرع
حتى اتى على آخرها فقال له ويحك ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين اخربت الديار
واخذت الاموال وهتكت الحرم فقال اكتبوا الرجل ما يريد وامر له بثلاثين الف درهم
واحتبسه عنده وبعض اصحابه بالكتب وكرز له عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه
في الانصراف فاذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شاء من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل
تقتل ذرية النبي ويرجون ... خلود الجنان للقاتل
ما الشك عندي في كفر قاتلهم ... لكنني قد اشك في الخاذل
فاستشاط الرشيد فاغتاظ غيظا فوجه في بعض الروايات سنانا فانهى قتله
لما وصل الرسول اليه لا يأمره وان ينتظر موته فعل ولم يخرج حتى توفي فوعا
بخبر موته والنمري

ما انشدنا م ل للنمري م ل
البعوط
بكي م
بجمع م ل
الى هرون م

لو كنت أخشى معاداً حق خشيته	لم تسم عيني إلى الدنيا ولم تنم
لكنني عن طلاب الدين مشتغل	والعلم مثل الغنى والجهل كالعدم
يجاولون دخولي في سوادهم	لقد أتاهم لو استيقظوا عمر لكتبهم
سائلون النصارى واليهود على	حسن القلوب وذا العناد للقسم

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت فقال كيف يصح أن تسأل من لا ذنب له ولا عقل له وأي فائدة في سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة الجواب قلنا أما قوله تعالى سئلت ففيه وجهان أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسئل عن قتله لها بأي ذنب على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة فالقتلة ها هنا هم المسؤولون على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسؤول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سألت حقي أي طالبت به ومثله قوله تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا أي مطالبا به مسؤولا عنه والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على أنه لا حجة له في قتلها ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم فإن قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا فهم قلنا في الجواب أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وإدخال الغم عليه في ذلك الوقت على سبيل العقاب لم يمتنع أن يقع وإن لم يكن من الموؤدة فهم له لأن الخطاب وإن علق عليها وتوجه إليها فالغرض في الحقيقة غيرها قالوا وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلا من ولده فيقول لم ضربت وما ذنبك وبأي شيء استحل هذا منك وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل والأولى أن يقال في هذا إن الأطفال وإن كان من جهة العقول لا يجب وصولهم إلى الأعواض المستحقة إلا أن يكونوا كاملي العقول كما يجب ذلك في الوصول إلى الثواب فإن الخبر متظاهر والأمة متفقة على أنهم في الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الأحوال وأن عقولهم

يكون

تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب وتعقل وإن كان الغرض فيه التبكيت للقاتل وإقامة الحجة عليه وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس رضي الله عنه ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى وأبي صالح وجابر بن زيد أنهم قرأوا سألت بفتح السين بضم التاء الثانية من قتلت فعلى هذا الوجه لا سؤال علينا في هذه الآية قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة إلا أنها منها كما يقال سأل زيد بأي ذنب ضرب ويقوي هذه القراءة أن ثابت ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله يجيء المقتول ظلما يوم القيامة وأوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فأما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم بضم التاء الأخيرة من قتلت وضم السين من سئلت فمعناها وإذا الموؤدة سئلت ما تبغي فقالت بأي ذنب قتلت فأضمر ما سألت عنه وأضمر قولها وقد تضمر العرب مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الإشكال عنه مثل قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أي يقولان ذلك ونظائره في القرآن كثيرة جدا فأما قراءة من قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل فالموؤدة ههنا وإن كان لفظها لفظ واحد فالمراد بها الجنس وإرادة التكرار جائزة فأما من قرأ المودة بفتح الميم والواو فقيل أن يكون المراد الرحم والقرابة وأنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم الآية فأما الموؤدة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات أي يدفنونهن أحياء وهو قوله تعالى أيمسكه على هون أم يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين أحدهما أنهم كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالله فهو أحق بهن منا والأمر الآخر أنهم كانوا يقتلونهن خشية الإملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم الآية قال رحمه الله وحدثنا أبو علي الجبائي وغيره يقول إنما قيل لها موؤدة لأنها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من الموؤدة وأد يئد

إلى الموؤدة لأنها تكون في تلك الحال ممن يفهم له الخطاب عليهم أعلم

ومروان

والهمزة وإسكان التاء بأي ذنب قتلت بإسكان اللام وضم التاء الثانية على أن الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قتلت وروى القطعي عن سليمن الأعمش وعن حفص عن عاصم قتلت بضم التاء الثانية وضم سئلت غير كقراءة الجمهور بضم السين وروي عن أبي جعفر المدني قتلت بالتشديد وإسكان التاء الثانية وروي عن بعضهم وإذا المودة بفتح الميم والواو فأما من قرأ سألت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من أن الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق والوجه الآخر أن يكون معنى سألت أي سئل لها وطولب بحقها والانتصاف لها من ظالمها فكأنها هي السائلة تجوزا واتساعا ومن قرأه بفتح السين من سألت وضم التاء الثانية بأن يقفوهن

بالبنات

من إملاق نحن نرزقكم وإياهم

قال المرتضى

وأدته أده

وأداً وأنا فاعل فأنا وائد والفاعلة وائدة ومن أهل النقل من يقولون إنّ البنت تؤود وذلك
أوداً إذا أثقله وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي
عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه إنه منسوخ بما روي
عنه عليه السلام أنه قيل إن اليهود يقولون في العزل هو الموؤدة الصغرى فقال عليه السلام كذبت
اليهود لو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أن يصرفه وقد يجوز أن يكون قوله عليه السلام ذلك
الوأد الخفي على طريق التأكيد للترغيب في طلب النسل وكراهية العزل لا على أنه محظور
محرّم وصعصعة بن ناجية بن عقال جدّ الفرزدق أحيا الموؤدات في الجاهلية ونهى عن قتلهن
وقيل إنه أحيا ألف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

ومنّا الذي منع الوائدات ... وأحيا الوئيد فلم يوأد

وفي قوله ومنّا الذي أحيا الوئيد وغالب ... وعمرو ومنّا حاجب والأقارع

كذا فله يقول أيضاً

أنا ابن عقال وابن ليلى وغالب ... وفكّاك أغلال الأسير المكفّر

ليلى أم غالب وعقال هو محمد بن سفيان بن مجاشع وفكّاك الأغلال ناجية بن عقال
والمكفّر هو الذي كُفّر وكُبّل بالحديد

وكان لنا شيخان ذو القبر منهما ... وشيخ أجار الناس من كل مقبر

ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره وهو الذي أجار الناس من المقبر وأحيا الوئيد صعصعة

على حين لا تحيى البنات وإذ هم ... عكوف على الأصنام حول المدوّر

أنا ابن الذي ردّ المنيّة فضله ... وما حسب دافعت عنه بمعور

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي ... متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر

أجار بنات الوائدين ومن يجر ... على القبر يعلم أنه غير مخفر

وفارق ليل من نساء أتت به ... أبي تعالج ريحاً ليلها غير مقمر

فارق يعني امرأة ماخضاً شبّهها بالفارق من الإبل وهي الناقة التي يضرب
لها المخاض فتفارق الإبل وتمضي على وجهها حتى تضع إنما تفعل ذلك لما يصيبها

فقالت أجر لي ما ولدت فإنني ... أتيتك من هزلى الحمولة مقتر

رأى الأرض منها راحة فرمى بها ... إلى خدد منها وفي شرّ مخفر

الخدد حفر كالقبر واحدتها خدّة

صلى الله عليه وآله وسلم

هي م ل

آخذ م

وقال م ل

هو عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع حـ

كذا في الأصل خط

فقال لها نامي فإني بذمتي ... لبنتك جار من أبيها القنوّر

القنوّر السيء الخلق وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا
محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر الهذلي قال
الصولي وحدثني القاسم بن إسماعيل عن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة يطرب سنه
قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم وكان
صعصعة منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميماً تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الإسلام
وقد فدى في بعض الروايات أربعمائة موؤدة وفي أخرى ثلاثمائة فقال للنبي صلى الله عليه وآله بأبي أنت
وأمي أوصني فقال أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك فقال زدني
يا رسول الله فقال عليه السلام احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال صلى الله عليه وآله ما شيء
بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين
الصواب غير أني علمت أنهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعلمت أن ربهم عز وجل
لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون بناتهم فنعشت ما قدرت عليه وفي رواية أخرى أن
صعصعة لما وفد على النبي صلى الله عليه وآله فسمع فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال
ذرة شراً يره فقال حسبي ما أبالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا وقيل إنه اجتمع
جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا ابن محيي
الموتى فقال له سليمان أنت ابن محيي الموتى فقال إن جدي أحيا الموؤدة وقد
قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً وقد أحيا جدي
اثنتين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال إنك مع شعرك لفقيه

مجلس آخر تأويل خبر إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي روي عن رسول
الله صلى الله عليه وآله أنه نهى أن يصلي الرجل وهو زناء. **الجواب** قلنا إن الزناء هو الحاقن الذي
قد ضاق ذرعاً ببوله يقال أزنأ الرجل ببوله فهو يزنئه إزناءً وزنأ ببوله يزنأ قال الأخطل

وإذا دعوت إلى زناء قعرها ... غبراء مظلمة من الأحفار

يعني ضيق القبر ويقال لا تأت فلاناً فإن منزله زناء فيجوز أن يكون ضيقاً
ويجوز أن يكون عسر المرتقى وكلاهما يؤول إلى المعنى ويقال موضع زناء
إذا كان ضيقاً صعباً ومن ذلك قول أبي زبيد يصف أسداً

فقال لها نامي فإني بذمتي كذا كان في نسخة

القنور السيء الخلق والعظيم الصدر

أخبرنا م ل

صلى الله عليه وآله وسلم

تئد م

جاء الإسلام م ل

صلى الله عليه وآله وسلم

وأخاك م

قال رسول الله صلى الله عليه وآله

صلى الله عليه وآله وسلم

يئدون وقدرت م ل

على رسول الله صلى الله عليه وآله م ل

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم م ل

زناء م

وزنأ بوله زناء وليس بصحيح

الواحد م

أبت عربية عنابها أثبت ۝ ودون غابطها شئون وجرع

تلقى الهموم بزيّه الحابلين ۝ يجشع بواردة تحدث لها فزع

يعني بزيّه الحابلين أنه يشق جانبي الوادي وقوله يجشع بواردة أي يجشو بجماعة من برده وإنما تحدث لها فزع من الأسد والنأس الغليظ يقال مكان نأس إذا كان غليظا ومن ذلك قولهم تنأنأ فلان في الحبل إذا كان بدأ الصغر بين وهو يتنأنأ في الحبل ورويا أبو زيد أن قيس بن عاصم المنقري أخذ صبيا لم يرقصه وأكثر ذلك الصبي سفوسة وهي جدت بخط العوارس بن ضرار الضبي فجعل من يقول له أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ۝ ولا تكونن كهلوف وكل يريد عمل الوكل الجبان والهلوف الهرم الشيخ وهو أيضا الكبير اللحية وإنما أراد هاهنا الجبان وذلك إلى الجرأة به في الحبل فأخذ شاهد وجعلت ترقصه وتقول

أشبه أبي أو أشبهن أباكا ۝ أما أبي فلن تنال ذاكا

تقصر أن تناله يداكا **نجد الخير أو نجد الشر** المسئلة أن يسأل عن قوله تعالى وهديناه النجدين في أول السورة فيقال ما تأويل هذه الآية وما يقتضي ما تضمنه **الجواب** قلنا أما ابتداء الآية فقد ذكر نعم الله تعالى عليهم وما أزاح به عللهم وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها إلى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة ماسة في أكثر المنافع الدينية والدنياوية إلى العينين للرؤية واللسان للنطق وإلى الشفتين لحبس الطعام والشراب ومسكهما في الفم وللنطق أيضا فأما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض والغور الهابط منها وإنما سمي الموضع من أرض العرب نجدا لارتفاعه واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم إلى أن المراد بهما طريق الخير والشر وهذا الوجه يروى عن أمير المؤمنين علي عم وابن مسعود وعن الحسن وجماعة من المفسرين وروي أنه قيل لأمير المؤمنين عم إن أناسا يقولون في قوله وهديناه النجدين إنهما الثديان فقال عليه السلم لا بل هما الخير والشر وروي عن الحسن أنه قال بلغني أن رسول الله صلعم قال يا أيها الناس إنهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير وروي

تقصر عن تناله يداكا

فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

بقوله النجدين م ل

عليه السلم وابن عباس م

صلى الله عليه وآله وسلم

عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين ثديا الأم فإن قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر قلنا يجوز أن يكون إنما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم أن الطريقين جميعا بارزان ظاهران للمكلفين ويجوز أيضا أن يكون سمي طريق الشر نجدا من حيث يحصل من اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير وقال قوم إنما أراد بالنجدين أنا بصرناه وعرفناه ما له وما عليه وهديناه إلى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا في بعض الوجوه وأجري لفظ أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع ولذلك نظائر كثيرة فأما قوله فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم أي فلم يقتحم العقبة وأكثر ما يستعمل هذا الوجه مكررا بلفظ لا كما قال سبحانه فلا صدق ولا صلى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ۝ وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وقلما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير لفظ لا إلا أنهم يقولون لا خيرني يريدون ما خيرني فإن قالوا فشر ولا اللهم صلح إلا أن في الآية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فكأنه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن ومعنى التكرار حاصل والوجه الآخر أن تكون لا جارية مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم أي هلا اقتحم العقبة أو فلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر ولو أراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لأن قوله فلا خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في هذا الموضع وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا ۝ عدد القطر والحصى والتراب فأما الترجيح بأن الكلام لو أريد به النفي لم يتصل فقد بينا أنه متصل مع أن المراد به النفي لأن قوله ثم كان من الذين آمنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة أي فلا اقتحم العقبة ثم لا كان من الذين آمنوا والمعنى أنه ما اقتحم العقبة ولا آمن على سبيل ما بيناه فأما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي صلعم أنه قال إن أمامكم

واجرأوه

ولا اذ من ح م

قال م

العقبة م

سكان م

صلى الله عليه وآله وسلم

عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اتخفف لتلك العقبة وروي عن ابن عباس رضه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي ايضا انه قال العقبة هي النار نفسها واهل هذا الوجه يجوز التعبير عن العقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام العقبة ويكون سببا لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك لا يجوز ان يكون هو النار نفسها او موضعا منها وقال آخرون بل العقبة ما ورد تفسيرها من فك الرقبة والاطعام في يوم ذي مسغبة وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي ذكرناه من معنى قوله فلا اقتحم العقبة فانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق ولا يجوز ان يدعى على احد بان لا يقع منه ما كلف وفرض عليه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه يطابق ان تكون العقبة هي النار نفسها او عقبة فيها وقد اختلف الناس في ذلك فقرأ امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردي وابو عمرو بن العلاء والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأ او اطعم على الفعل دون الاسم وقرأ اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة او اطعام على المصدر وتنوين الميم وفتحها ومن قرأ على الاسم ذهب الى ان جواب الاستفهام اكثر في كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة او اطعام وذلك احسن من ان يقال هو فك رقبة او اطعم ومن قرأ على الفعل احتج بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لان الافعال يجب ان يعطف بعضها على بعض وان كان قد يجوز ان يعطف الفعل على الاسم وهذا مثل قول القائل ما ادراك ما زيد ثم يقول يصنع الخير ويفعل المعروف وما اشبه ذلك وقوله تعالى في يوم ذي مسغبة انما اراد انه يطعم في يوم مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم واما مقربة فمعناها ذا قرابة من قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذوي القرابات المحتاجين على الاجانب في الافضال والمسكين ذو المتربة هو الفقير الشديد الفقر والمتربة مفعلة من التراب اي هو لاصق بالارض من شدة حاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى قولهم فقير وهو مأخوذ من الدقعاء وهي الارض التي لا شيء فيها وقال قوم ذا متربة اي ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل من الرحم وقد يكون ايضا ان تكون ما مأخوذة من الغراب والغرب بل من الترب الذي هو الخاسر فكان المعنى انه يطعم من الفوت خاسرا في ضعف من شدة الجوع والضر وهذا اعم من المعنى الاول واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة

اقدم

هذه

عدم

تكون

عليه السلام

بالاسم

بالافعال

قرنه

مقلوبة

مأخوذة

قال المرتضى رضي الله عنه

بالضر وليس من البالغ في الوصف بالضر ان يكون قريب النسب والله اعلم بمراده ومن المدح بالجميل قول الشاعر

وكانه من وفده صلة القرى	٥	لولا اعتلام المادح المتكلم
وكانه احلى الندى بسابه	٥	لولا معاتبة الطبيب المولد

ويقارب ذلك في المعنى قول محمد بن حازم

سهل الفناء اذا حللت ببابه	٥	طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه	٥	لم تدر ايهما ذوو الارحام
وسلكوا الجيد بترك حال المستشار	٥	غريبا عن الاوطان في زمن المحل
فانا الي اكرامهم كالعاقد	٥	والطافهم حتى حسبتهم اهلي

وقال الكريز من العرطاه يمدح عقبة بن سنان الحارثي

الم ترني شكرت ابا سعيد	٥	بنعماه وقد كفر الموالي
ولم اكفر بغايته لمواسي	٥	مطوق حلى واهية الغزال
فتى يك كافرا نعماه يوما	٥	فاني شاكر اخرى الليالي
فتى لم تطلع الشعرى من آه	٥	ولم تعرض لمثن او بباب
محل بذرة ان عد مجد	٥	ومكرمة ومتلاف لمال
واصبر في الحوادث ان المت	٥	واسعى للمحامد والمعالي
فتى عم البرية بالعطايا	٥	فقد صاروا له ادنى العيال

وكان قول جرير

قالوا لاخوالد وقال الاخوان

لم اقض من صحبة زيد ارب	٥	فتى اذا اغضبته لم يغضب
موكل النفس بحفظ الغيب	٥	اقصى فريقيهن لها الاقرب

كانه لم يرد ان الضعيف السبب في المودة كالقوي السبب وانما اراد انه يرعى من غيبة الغائب البعيد الغائب وحقه ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منا يعادي سلحلته اكثر الناس من شاهات اي الحاضر القريب واهمال حق البعيد هذا آخر مجلس املاه الشريف المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه ثم تلك الاسواخ ثم الكتاب بحمد الله والصلوة على سيدنا محمد وآله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تصحيح هذا الكتاب المستطاب ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تتمة الغرر والدرر للشريف الأجل المرتضى علم الهدى ذي المجدين أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه لا يزال المتكلمون يُجاذبون النحويين في
أن للفعل ثلاثة أحوال ماض وحاضر ومستقبل ويقول المتكلمون للفعل حالان بغير
ثالث لأن كل معلوم من الأفعال لا يخلو من أن يكون موجوداً أو معدوماً والموجود
قد صار ماضياً والمعدوم هو المنتظر ولا حال ثالثة فلو المتكلمون يخطئون العامة
مما يخطئون وأنا أورده حتى يزول الخلاف في الحال التي هي المهم ولا اعتبار بالعبارات
ولا النحويون يخطئون لإفهام ما قصدوه بلفظ غير مشتبه ولا محتمل فكم من معنى
كان يضيع بسوء العبارة عنه وقصور الإشارة إليه **واعلم** أن المواضعات مختلفة
والعرف يختلف باختلاف أهله وأصحاب عاداتهم وقولنا فعل في عرف المتكلمين
ليس هو الذي يعرفه النحويون لأن الفعل في عرف أهل الكلام هو الذات الحادثة
بعد أن كانت معدومة بقادر وهذا الحد يقتضي أن يكون كل موجود من الذوات
غيره تعالى وحده فعلاً فزيد فعل والسماء فعل والحروف أيضاً الذي يعرفه
النحويون جنسه وبين الاسم فعل أيضاً والفعل أيضاً على هذا الحد فعل لأن
الحرف صوت يقطع على وجه مخصوص والأصوات كلها أفعال غير أن المحقق
من عرف أن النحويين ما فصلوا بين الاسم والفعل والحرف من حيث نفي الاشتراك
في الحدوث والفعلية بل فصلوا بينها مع اشتراكها في معنى الفعلية التي يذهب
إليها المتكلمون لما يخصها من الفعل في أحكام أخر تختص بها بعضها دون
بعض فقالوا الاسم ما دل على معنى لا يقترن بزمان كالفعل ما اقتضى معنى مقترناً
بزمان غير مخصوص والحرف ما خلا من هاتين العلامتين فكأنهم قصدوا إلى
ما هو فعل حادث على حد المتكلمين فقسموه ونوعوه وسموا بعضه اسماً وبعضه
فعلاً وبعضه حرفاً لاختلاف الأحكام التي عقلوها فلا لوم في ذلك عليهم ولا
مناظرة فيه معهم وبالمناظرة الصحيحة تزول الشبهات وتنحسم التبعات
والذي يجب تحصيله والتعويل عليه أن الفعل الحادث في أول حال وجوده
يسمى فعل الحال فإن تقضى وتقدم صار ماضياً والفعل المستقبل هو المنتظر المتوقع

بباقي العربية ينقسم إلى أن يكون ماض وحاضر أو مستقبلاً

لا محتمل

لفائدة له

القوم

الفرق له

احوال له

الذي هو الآن معدوم فإن فرضنا أن الفعل الحادث في الذي فرضنا أنه يبقى
نقضي وبعد ما صار ماضياً فيه فلو تقضى إما على مذهب من يقطع على بقاء
الأعراض أو على مذهب من يتوقف من القطع فيها على بقائها أو فنائها قالوا
أن يكون المراد لا يخرج من استحقاق الوصف بأنه فعل الحال لأن من هو عليه
لم تتغير الحال التي وجب له عنه ولا خرج عنها الا ترى أنا لو فرضنا أنه تقضى وعدم
وخلفه مثل لم يكن ذلك الخالف لم يستحق الوصف بأنه للحال وكذلك ما قام
مقامه وأوجب مثل ما يوجبه لأنه لا فرق في الغيبة للجلوس بأنه فعل حال
بين أن يكون الحكم بالحدوث من أجزاء الجلوس أو باستمرار بين أن يكون تجدد
أمثاله والأول باق أو معدوم بعد أن تكون الحالة المخصوصة ما تغيرت
ولا تبدلت ولا فرق أيضاً بين أن يكون ذلك الفعل يوجب حالاً مخصوصة
كالأكوان أو حكماً مخصوصاً كالاعتمادات وما أشبهها فإن الذات فيه ولو
خرج عنه هو المبهوت بأنه فعل الحال وما خرجت عنه هو الماضي **فإن قيل** كيف
قولكم فيما علم وتقضى من الأفعال ووصفتموه بأنه ماض لتقضيه وتقدمه
أيجوز أن يكون مستقبلاً على وجه من الوجوه أو لا يكون من الأفعال المستقبلة
إلا ما لم يدخل في الوجود قط **قلنا** أما ما عدم وتقضى من الأعراض المقطوع
على أنها غير باقية في نفوسها كالإرادات والأصوات وما أشبه ذلك فلا شبهة
في أن الماضي منه لا يصح أن يكون مستقبلاً من فعل قديم أو محدث فأما
ما جرى من أجناس الأعراض عند من قطع على بقائها أو شك في حالها بجنس
جواز البقاء عليها وتقضيه فنحن لا نقدر على إعادته والقديم تعالى قادر على
إعادته إلى الوجود فهذا الضرب من فعله تعالى لا يمتنع تسميته بأنه متوقع
منتظر فأما الجواهر المعدومة فلا شبهة في أنها ماضية من حيث حدثت ومستقبلة من
حيث كان وجودها مستأنفاً متوقعاً لأن الله تعالى لا بد من أن يعيد المكلفين
للثواب والعقاب والمكلف إنما هو مؤلف من الجواهر **فإن قيل** هذا
يقتضي أن يجتمع في الشيء الواحد أن يكون ماضياً مستقبلاً وهذا كالمتناقض
قلنا لا تناقض في ذلك لأن الجوهر الماضي يستحق الوصف بأنه ماض إذا علما

المفتتح له

ومثال الشبهة له

مستقبل الإثم

تمام

جشام

ونكون لك الغرض الماضي من انها الى الله تعالى اذا محالة وان جاز من حيث
صح وجوده ذلك مستانفا ان يوصف بانه مستقبل لان معنى المستقبل هو المعدوم
الذي يصح وجوده فلا تنافي بين الامرين ولو ثبت بينهما عرفنا انهما لا يجتمعان
وليس لك تجاوز ان يجعل حد المستقبل هو المعدوم الذي يصح وجوده مستقبلا
من غير ان يكون الوجود حصل له في حال من الاحوال فلا يلزم على ذلك ان
يجتمع الوصفان في فعل واحد وقد كنا قديما املينا مسألة في تحقيق الفرق بين
فعل الحال والماضي والمستقبل هذا التخصيص الذي ذكرناه ها هنا اشرح
واستبع منها وتكلفنا هناك حمل ما كان ابو علي الفارسي اعتمده وعول عليه
من قوله تعالى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وقول الشاعر
واعلم ما في اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي
وهو ان [illegible] من اعتبار ما بين الحروف في الاحوال المختلفة واستيفاء الكلام
على هذه النسبة فلا طائل في اعادة ذلك ها هنا والجمع بين المسئلتين يغني عنه وما
التوفيق الا بالله تعالى مسألة قال نضر الله وجهه لا معنى لقوله تعالى وما تتلوا منه
من قرآن على ما قاله النحويون ان من للتأكيد لما حكينا قال رضي الله عنه لا معنى لقوله
تعالى وما تتلوا منه من قرآن ان التأكيد اذا لم يفد غير ما يفيده المؤكد لم يصح
وقد علمنا بقوله تعالى من قرآن انه من جملة القرآن فاي معنى لقوله تعالى منه وذكره
قال رضي الله عنه والصحيح ان معنى منه اي من اجل الشأن والقصد من قرآن
فيحمل على الشأن والقصة لتقيد معنى الكلام كما يقال ايضا في قوله تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال لا يجوز ان يحمل قوله فبذلك فليفرحوا على ما تقدم
من فضل الله ورحمته ولا يجعل له على ما يقول النحويون انه للتأكيد كالا
لقول قائل زيد وعمرو لقيتهما زيدا وعمرا فالصحيح ان نقول في هذا ان
معناه قل بفضل الله ورحمته ومعونة الله ورحمته لان معونة الله وفضل
الله ورحمته فيقول بفضل الله ومعونته تفرح فرحة قوله بفضل الله الى
القول انه يتعلق بفضل ومعونته هذا القول فان هذا القول ومعونته و
رحمته تفرحون فيكون قوله فبذلك راجعا الى الفرح بالفضل والرحمة

شأنه

وتكلفنا واستخرجناه

المتكلمين
عندهم

تؤثر في القول م

حتى يكون قد اتى ذكر كل واحد من اللفظين فاتحق مسألة نحن نحب ان نحصر في
المعاني الواردة في حروف ادام الله سلطانها واعلى شأنها ومكانها ان اذكر
ما عندي في ادخال لفظة كان في كونه تعالى عالما في مواضع كثيرة من القرآن
وقالت [illegible] ان الله بها لفظة كان اذا كانت للماضي فكيف تدخل على ما هو ثابت
في الحال ومستمر دائم وما الوجه في حسن ذلك وما الوجه في ذلك وحسنه
فالجواب المختصر ان الكلام قد تدخل الحقيقة والمجاز ويحذف بعضه
وان كان مما ما يختصر حتى بعضه ولو بسط لكان طويلا وفي هذه الوجوه التي
ذكرناها تظهر فصاحته وتقوى بلاغته وكل كلام خلا من مجاز وحذف و
اختصار واقتصار بعد عن الفصاحة وخرج عن قانون البلاغة والادلة
لا تجوز فيها مجاز ولا ما يخالف الحقيقة وهي القاضية على الكلام والتي
يبنى عليها والفرع الباني على الاصول فاذا ورد عن الله تعالى كلام
ظاهره يخالف ما دلت عليه ادلة العقول وجب صرفه عن ظاهره ان كان
له ظاهر وحمله على ما يوافق الادلة العقلية ويطابقها ولهذا رجعنا في ظواهر
كثيرة من كتاب الله تعالى اقتضى ظاهرها الاجبار او التشبيه او ما لا يجوز عليه
تعالى فلو سلمنا [illegible] ان دخول كان على العلم اي القدرة تقتضي
ظاهرها الماضي دون المستقبل لحملنا ذلك على ان المراد به الاحوال
كلها لان الادلة العقلية تقضي على ما يطلق من الكلام ولا تقضي
الكلام على الادلة غير انا نبين ان دخول كان على العلم لا يقتضي ظاهرها
بالماضي دون المستقبل وان لاهل العربية في ذلك مذهبا معروفا [illegible]
احدهم يقول كنت العالم وما كنت الا عالما وعليما خبيرا وما كنت الا الشجاع و
والا الجواد ويريدون بذلك كله الاخبار عن الاحوال كلها ماضيها وحاضرها
ومستقبلها ولا يفهم من كلامهم سوى ذلك وان كانت هذه عبارة عما ذكرناه
فسيحة كثيرة والقرآن نزل بافصح اللغات واكملها واثرها وجب حمل لفظة
كان اذا اتصلت بكونه تعالى عالما او قادرا على ما ذكرناه وعلى ما يجتهد به على
ذلك قول زياد الاعجم يرثي المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة

أبدًا م

أو القصة ولام

اللغة م

إذا م

مات المخيزة بعد طول عريض ❊ للفضل بين أسنة وصفائح
لا أبال فوق براقة ❊ يغشى الأسنة فوق نهد قارح
فإذا مررت بقبره فاعقر به ❊ كوم الجلاد وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ❊ فلقد يكون أخا دم وذبائح

تقالـ ربّ ثم مضى لسبيله فلقد يكون دائما أبدا فلقد كان غفورا ويكون
من كان كذلك جاز أن يراد بلفظ كان للأحوال المستقبلة **وجه آخر**
وهو أنه تعالى لما أراد أن يخبر عن كونه عالما فيما مضى عدل عن ذلك إلى
إدخال لفظة كان الدالة على الأزمان الماضية كلها ومن كان عالما
لنفسه وذاته لا كالصفات الواجبة فيما لم يزل لا تكون إلا نفسية والصفات
النفسية يجب ثبوتها في الأحوال كلها الماضية والحاضرة والمستقبلة فصار
دخول كان في العلم أو القدرة مطابقا للغرض وموجبا لثبوت هذه الصفة
في جميع هذه الأحوال وليس كذلك لو علق العلم بالحال أو المستقبل فهذا وجه
جليل الموقع **وجه آخر** وهو أنا إذا سلمنا أن لفظة كان تختص الماضي
ولا تحتاج لم يكن في إدخالها في العلم إلا أنه تعالى عالم فيما مضى من الأحوال
وهو كذلك لا محالة والظاهر إلا أن ليس من تعليقها بالماضي نفي
كونه تعالى عالما في المستقبل وليس الأمر على ذلك لأن هذا هو ثوب
بدليل الخطاب وهو غير صحيح على ما بيناه في مواضع من كتبنا لأن تعليق الحكم
بصفة أو اسم لا يدل على انتفائه مع انتفاء تلك الصفة أو الاسم ألا ترى أن
قوله عليه السلام في سائمة الإبل الزكاة لا يدل على أن العاملة والمعلوفة لا زكاة
فيهما وقد يقول القائل كان زيد عندي بالأمس وإن كان عنده في الحال
ويعرف من غرضه أنه ولانا وإن كان قد ضرب سواه فكأنه تعالى إذا سلمنا لهذا
الأصل الذي قدمنا أنه غير صحيح أمكن أن نجيب بهذا القول كونه تعالى عالما
فيما لم يزل ووكلنا في أنه عز وجل عالم في الأحوال إلى الأدلة العقلية الدالة
على ذلك وإلى أخباره تعالى عن كونه عالما في سائر الأوقات بقوله عز وجل إن الله بكل شيء
عليم وما شاكل ذلك من الألفاظ الدالة على الحال والاستقبال **تأويل آية**

قال رحمه الله سئل عن تفسير قوله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف
بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال
فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه
يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار
فكيف يتأول ذلك أما قوله تعالى ألم تر فالمراد به ألم تعلم وإن كان هذا اللفظ مشتركا
بين الإدراك والعلم وإنما اختصصنا هنا بالعلم دون الإدراك لأن إضافة إزجاء
السحاب وتأليفه وجميع ما ذكر في الآية إليه تعالى لا يستفاد بالإدراك
وإنما يعلم بالأدلة وأما قوله تعالى يزجي فمعناه يسوق ولا بد أن يلحظ في هذا
الموضع السوق الضعيف الرفيق يقال فيه أزجى يزجي تزجية إذا ساق ومنه
أزجاء الخير من الإبل إذا ساقته سوقا رفيقا حتى تسير ومنه قوله تعالى أيضا بضاعة
مزجاة أي يسيرة قليلة تعد شيئا على ضعف وقلة قال عدي بن الرقاع العاملي
تزجي أغن كأن إبرة روقه ❊ قلم أصاب من الدواة مدادها

وقال الأعشى

الواهب المائة الهجان وعبدها ❊ عوذا تزجي خلفها أطفالها

أراد بالعوذ الحديثة النتاج ومعنى تزجي أي تسوق أطفالها ودنالها سوقا رفيقا
لأنها تمشي فتتبع أطفالها وقال مالك بن الريب المازني

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ❊ بوادي الغضا أزجي القلاص النواجيا

والسحاب جمع سحابة ولهذا قال يؤلف بينه أي بين كل سحابة وأخرى و
لو كان ههنا أيضا اسما للجنس لجاز لأن الجنس يوصل بعضه ببعض وإنما لا
يصح ذلك في العين الواحدة وأما الركام فهو الذي جعل بعضه فوق
بعض ومنه قوله تعالى سحاب مركوم وقوله تعالى فيركمه جميعا وأما الودق
فهو المطر يقال ودق يدق ودقا وكل ما قطر منه ماء أو دسم فهو وادق ويقال
استودقت الفرس والأتان إذا حنت إلى الفحل واستدعت ماءه وتسمى أيضا أودقت
وأتان وديق وودوق إذا أرادت الفحل الذي تشتهيه وخلال التي تخرج منه
رود وجمر وقد قرئ من خلله بغير ألف وأما قوله تعالى وينزل من السماء من جبال

بينهما من برد فاني وجدت جميع المفسرين على اختلاف عباراتهم يذهبون
الى ان الله اراد ان في السماء جبالا من برد ومنهم من قال مقداره قدر جبال
فاراد مقدار جبال من كثرته وابو مسلم بن بحر الاصبهاني خاصة انفرد
في هذا الموضع بتاويل طريف وهو ان قال الجبال ما جبل الله من برد وكل جسم شديد
مستحجر فهو من الجبال الا ترى الى قوله تعالى في خلق الامم والذي خلقكم والجبلة
الاولين والناس يقولون فلان مجبول على كذا ووجدت ابا بكر محمد بن
الحسن بن مقسم النحوي يقول في كتابه المعروف بالانوار وان من الارض والنار
يعني خط التنزيل ويشبه الى الموضع الذي يذكر كما يقال جئتك بكذا من
موضع كذا ومن بلد كذا واما الثالثة فهي في التفسير والعشر لان الجبال
تكون انواعا في ملك الله تعالى فجاءت من لتبين البرد من غيره وتفسير معنى
الجبال التي انزل منها فقد يصلح في مثل هذا الموضع من الكلام ان يقال من
جبال فيها برد بغير من لان برد هو الجبال لانها مخلوقة من برد كما يقال
الحيوان من لحم ودم فالحيوان لحم ودم بغير من ووجدت محمد بن جرير
الطبري يقول في تفسيره ان من الاولى لابتداء الغاية لان السماء ابتداء
الانزال والثانية للتبعيض لان البرد بعض الجبال التي في السماء والثالثة
لتبيين الجنس لان جنس الجبال جنس البرد وهذه الغاية على الحقيقة فاما غير
شارعة والكافية واما الجبال فيها من خلل لما ذكر ما يهدي الى الصحيح اما
من جعل في السماء جبال برد او ما مقداره مقدار الجبال على اختلاف
عباراتهم فيدخل عليه ان يكون قوله تعالى وينزل غير معقول ولا ما يتعلق به
لان تقدير الكلام على هذه الغاية وينزل من جبال برد في السماء فما الذي
انزل به فاقراره مذكور في الاية والكلام كله خال منه على هذا التاويل
واما ابو مسلم فيكون هذا الكلام بعينه ويلزمه زيادة على انه جعل الجبال
اسما للبرد نفسه من حيث كان مجبولا مستحجرا وهذا غلط لان الجبال
وان كانت في الاصل مشتقة من الجبل والجمع فقد صارت اسما لذي هيئة
مخصوصة ولهذا لا يجيء احد من اهل اللغة كل جسم مجتمع الى بعض

ولا د

جبال برد

مع استحجاره او غير استحجاره بانه جبل ولا يخصون بهذا اللفظ الا اجسام مخصوصة
وليس يمتنع في اللغة هذا لان اسم الذاهب وان كان مشتقا من الذهب في
الاصل فقد صار اسما لبعض ما ذهب ولا يعم كل ما وقع منه الذهب ولكن
نعترض على هذه التاويلات التي ذكرناها ما يظنه بعض الناس من انه لا يجوز
ان يكون في السماء جبال برد او ما مقداره قدر الجبال من البرد لان ذلك غير
ممتنع ولا مستحيل فان قالوا كيف لا تهوي تلك الجبال من البرد قلنا
يمسكها الله تعالى ويبقيها كما يمسك الفلك والارض وانما ينكر هذا اصحاب
الطبائع الذين لا يقرون بالخالق جلت عظمته فيذكرون في سبب وقوف
الارض المركز وهو لا يعقل ولو انهم الصانع جلت عظمته لنسبوا سكون الارض
اليه واستغنوا عن تكلف ما لا يعقل ولا يفهم فالاولى في تفسير هذا الموضع ان
تكون من الاولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة لا حكم لها ويكون
تقدير الكلام وينزل من جبال في السماء بردا فزاد من كما زاد في قوله
ما في الدار من احد وكم اعطيتك من درهم وما لك عندي من حق وما اشبه
ذلك وعلامة زيادتها في هذه المواضع انك اذا اخرجتها والغيتها كان
الكلام مستقلا لا يتغير معناه وجرى قوله تعالى وينزل من السماء
من جبال فيها من برد مجرى قول القائل كم حملت لك من الكوفة من سوقها
من ثوب والمعنى كم حملت لك من سوق الكوفة ثيابا والاولى ان يريد بلفظة
السماء هاهنا ما علا من الغيم وارتفع فصار سماء لنا لان سماء البيت وسماءه
ما ارتفع منه ولان السحاب لا يكون في السماء التي هي الفلك للكواكب
وانما هو تحته واراد بالجبال التشبيه لان السحاب الذي يشبه الجبال في تراكمه
ربما تقدم على التاويل معقول صحيح لينزل ولا معقول لهذا الفعل على
التاويلات المتقدمة فان قيل هلا اجازوا ان يجعلوا من الاخيرة زائدة
حتى يكون المنزل هو البرد فان جعلتم من الثانية هي الزائدة ويكون تقدير
الكلام وينزل من السماء جبالا من برد قلنا ليس يشبه البرد بانزوله
الجبال على وجه ولا سبب والسحاب المتراكم يشبه الجبال وقد جرت عادة العرب

المتراكب المتراكم تشبهه العرب
بالجبال والجبال وهذا شائع في
كلامهما كانه تعالى قال وينزل من
السحائب

تشبيهها بها فيجب أن يكون من الأولى غير زائدة لما ذكرناه وتكون الأخيرة
زائدة وإلا بقيت بلا مفعول ولأنه تعالى قال يصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء وتحليله كناية عن البرد لا الجبال لأنه لم يكن فيها المقال يصيب
بها ولأن الجبال على التأويل الذي حكيناها كلها تنزل منها الأمر له
فإن قيل ألا كان المفعول محذوفًا مقدرًا وكأنه قال وينزل من جبال
برد في السماء بردًا والكلام يقتضيه قلنا إنما نقدر مفعولًا محذوفًا
في الموضع الذي لا نجد فيه مفعولًا ظاهرًا وقد بينا أن في الآية مفعولًا ظاهرًا
فيجب صرف الكلام على أنه لا بد من مفعول إما ظاهرًا وهو الذي أشرنا إليه
أو محذوفًا على ما تقتضيه السؤال وربما ورد في الكلام كناية عنه في قوله
يصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء وما رأينا أحدًا من المفسرين لهذه الآية
على اختلافهم في ذكرنا أكثرهم كل ما يقتضيه وجوه الإعراب في آيات القرآن
تعرض لذكر المفعول ولا أن له ظاهرًا ولا مقدرًا محذوف يدل ذلك الكلام
عليه فهذا على كل حال تقصير ظاهر فأما قوله تعالى يصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء فالمراد به فيصيب بضرره من يشاء ويصرف ضرره عمن يشاء
فإن العادة جارية بأن البرد يصيب بعضًا ويتعدى ما يجاورها ويلاصقها
فأما قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار فسنا البرق ضوؤه وهو مقصور
وسناء الشرف والمجد ممدود والهاء في برقه راجعة إلى البرد أو السحاب
فقد جرى كل واحد منهما وتجوز إضافة البرق إليهما فأما قوله تعالى
يذهب بالأبصار فقد قرئ يذهب بضم الياء فالمراد به أن البرق من شدة
ضوئه يكاد يذهب بالعيون لأن النظر إلى ما له شعاع شديد يضر بالعين
كعين الشمس وما أشبهها والقراءة بفتح الياء أجود وأصوب لأن
العرب تقول ذهبت بالشيء فإذا أدخلوا الألف أسقطوا الباء فقالوا أذهبت
الشيء بغير باء فأما قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار فإنما أراد أنه يأتي بكل واحد
منهما بدلًا من صاحبه وعقيبه لما في ذلك من المصلحة والمنفعة فأما
قوله تعالى إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار فإنما أراد بالعبرة العظة والاعتبار

الثانية قوله

السوء

وكرم

وروي عن الحسن أنه قال إنما أراد ذوي الأبصار بالقلوب لا العيون
لأن العيون لا تضاف إليها العبرة والعظة وقال الكلبي لأولي الأبصار في
الدين وقد قدح قوم على الكلبي بأن قالوا لو أراد ذلك لقال لأولي البصائر لأن الدين
يقال فيه بصيرة والأولى أن يكون المراد بالأبصار ههنا العيون لأن بالعيون
ترى هذه العجائب التي عددها الله تعالى ثم يكون الاعتبار والعظة في القلب
بما يكون من المشاهد عنده فلا اعتبار كأنه لا نظر له من حيث لم ينتفع
فجعل أولي الأبصار هم أولو الاعتبار من حيث انتفع أولو الاعتبار بأبصارهم
ولم ينتفع بها من لا اعتبار عنده وهذا كثير في القرآن لأنه تعالى جعل الكفار
في مواضع كثيرة صمًا وبكمًا وعميًا من حيث أشبهوا بإعراضهم عن الفكر والتأمل
والاعتبار من لا جوارح له وهذا بين لمن تأمله مسألة اعلم أن من عادة العرب
الإيجاز والاختصار والحذف طلبًا لتقصير الكلام واطراح فضوله والاستغناء
بقليله عن كثيره ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة وفي هذا القرآن من
هذه الحذوف والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت
من الحسن بأعلى منازله ولو أفردنا لما في القرآن من الحذوف الغريبة والاختصارات
العجيبة كتابًا لكان واجبًا فمن ظاهر ذلك قوله تعالى ولو أن قرآنًا سيرت
به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ولم يأت للو جواب
وإنما أراد لو أن قرآنًا سيرت به الجبال لكان هذا القرآن ومثل هذا الحذف
ما روي عن النبي عليه السلام من قوله لو كتب هذا القرآن في إهاب وطرح في
النار ما أحرقته النار والمراد وكانت النار بحيث لا تحرق شيئًا لجلالة قدره ما أحرقته
فحذف ذلك اختصارًا لدلالة الكلام عليه ومثل ذلك قوله تعالى إنا عرضنا
الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا والتقدير أن السماوات والأرض
لو كن مما يأتي ويشفق وعرضنا عليهن الأمانة لأبين وأشفقن فجعل المعلوم
بمنزلة الواقع فقال عرضنا من حيث علم أن ذلك المشروط لو وقع شرطه لحصل
هو وهذا التأويل الذي استخرجناه أولى مما ذكره المفسرون من أنه تعالى أراد

لا تبصرهم

وإن كان هذا

صلى الله عليه وآله وسلم

والجبال الخ

عرضنا الأمانة على السموات والأرض لأن أهل السموات والأرض هم الناس
والملائكة فأي معنى لعقول وحملها الإنسان تقول بكمال الجنس ومثله قول الشاعر
امتلأ الحوض وقال قطني ‹ والمعنى أن الحوض لو كان ممن يقول لقال ذلك
وهذا أولى في نفسي من تفسير هذا البيت بأنه ظهرت منه إمارات
القول والنطق وهذا الذي أشرنا إليه هو معنى كل ما جرى مجرى هذا البيت

ومن قول الشاعر

وأجهشت للتوباد حين رأيته ‹ وكبّر للرحمن حين رآني
فقلت له أين الذين عهدتهم ‹ بجنبك في خفض وطيب زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ‹ ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

ومن الحذف أيضاً قوله تعالى حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ولم يأت بجواب لطول
الكلام وإنما حسن حذف الجواب لأن هو فدخلوها أو ذوقوا ما تقوم مقامه ويدل
عليه من قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وذلك لا يكون
إلا بعد الدخول ومن ذلك قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت سوية ‹ ولكنها نفس تساقط أنفسا

فحذف جواب لو والجواب هو لكان ذلك أروح لها فاختصر عليها ومثله قول الهذلي

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة ‹ شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

ومثل هذا الحذف أيضاً إنما أتى كما لو أعطيته فظاهر هذا الكلام كأنه مبتور
وكأنه قال إذا أعطيته الأرض بأسرها ... من ذلك والمعنى لو أعطيته
لطلبت ثانياً ولقعقع وما أشبه هذا المعنى فالنحو الحكيم والحذف مما يؤثر
ذلك قال البحتري

ولو شئت يوم الجزع بل غليله ‹ محبّ بوصل منك لو يقع الوصل
أراد لو يقع الوصل لشفى ‹ ... وما أشبه ذلك ومثله قوله
وتعجبت من لو ... فتعجبت ‹ من واضحات لو لمين عذاب فإن إذا ...
ضروب المجازات التي تصرف فيها أهل اللسان في منظومهم ومنثورهم

اهل م
عجزه: مهلاً رويداً قد ملأت بطني
كلام م
والتمام

تعدنا

وجدتها كلها مبنية على الحذف والاختصار ومن ذلك قوله تعالى وجاءت
ولسئل القرية فما الحذف فيه ظاهر وإنما كان الكلام أبلغ وأفصح لأن كلام
يثبت بحذف بعضه وتعلقه بما لها وكذلك قولهم في المدح فلان البدر
والبحر والليث وفي الذم هو الجماد والحائط إنما هو مبني على الحذف لأن المراد
هو مثله ومماثل لما ذكرنا فأسقط من الكلام ما يقتضي التشبيه للدلالة
عليه بالعرف فإن قيل فإذا كانت الفصاحة في الاختصار فكيف قال
تعالى ليس كمثله شيء فأدخل الكاف ولا معنى لها إلا الفصاحة فقد صارت
الفصاحة بالزيادة كما كانت بالنقصان قلنا دخول الكاف ههنا ليست
على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغير المعنى بل تفيد بدخولها ما لا يستفاد
مع خروجها لأنه إذا قال ليس مثله شيء جاز أن يراد من بعض الوجوه وعلى
بعض الأحوال فإذا دخلت الكاف فهم نفي المثل على كل وجه ألا ترى أنه
لا يحسن أن يقال ليس كمثله أحد في كذا بل على الإطلاق والعموم ومثل هذا
الجواب يجب من يسأل عن قولهم ما إن في الدار زيد لأنه لو قال ما في
الدار زيد لجاز أن يكون نفيه لكونه فيها على وجه دون آخر فإذا قال ما إن
يفهم منه كونه على كل حال وهذا يدل على أنها مبنية غير زائدة ومن قال
إنما دخلت للتوكيد يجب أن يكون مراده ما قصدناه وشرحناه لأن التوكيد
متى لم يكن ثمة فائدة كان دخوله عبثاً وهذا الكلام بسطناه في تأليفنا
كثيرة وكان السبب فيه أن بعض من قرئ عليه كلامي حكايته في وصف كتابي
ووجدت فيها من التغلغل والتوصل إلى نكت من الإيجاز وغرائب الاستعارات
أو تطرق في فاتحها ولا يقع في خاتمها ولا يريد سياقها ولا يلحق بأبوابها وقال
الكلام ولم يأت بما يرجع إلى قوله من التغلغل وهذا من الحذف الذي
حسّنه طول الكلام ودلالة ما فيه على المحذوف لأن التقدير ووجدت فيه
من التغلغل الكثير فاستغنى عن ذكره بالمفهوم من الكلام كما استغنى بالحذوف
التي ذكرناها في القرآن والشعر بما في معنى الكلام وقد ذلك فصاحة وبلاغة
ذكر بين أن يفهم المعنى ويلحظ من غير لفظ صريح ويجب أن يجيء فيه لفظ صريح

الجماد م
ذكره م
وهذا يدل على أنها دخلت للتوكيد م
الذي م
واطال الكلام م
بتأليف م

في البلاغة والفصاحة وقد كنت أسلكت قديما سبيلا أوضحت فيها أن
التأكيد لا بد فيه من فائدة وتحققت من ذهب إلى خلاف ذلك وبينت أن
كل موضع ادعي فيه أنه للتأكيد من غير فائدة مجددة ففيه فائدة مفهومة
وأن قوله تعالى فإنه يتوب إلى الله متابا أراد هذا القصد للتأكيد مما يقول
قوم بل لفائدة مجددة لأنه تعالى أراد متابا جميلا مقبولا وافيا وموقعه
فحذف ذلك اختصارا كما يقول القائل العسل الفصيح والشعر المستحسن هذا هو
الشعر والفرس الممدوح هذا هو الفرس وإنما حذف الصفة اختصارا والمراد
هذا الشعر المستحسن والفرس الكريم ومثله قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
أراد به القصد والمدح وقال قوم بل جمع كلامه من غير واسطة ولا مستعمل له ما
قول القائل ضربته ضربا وما أشبه ذلك من ذكر المصادر مع الأفعال
وفي ذكر الأفعال من غير ذكر المصادر فيه لأنه عليها فلم ولهما وجهان أحدهما أن
يكون نحو صيغة الضرب اختصارا وما أراد ضربا شديدا مبرحا فحذف أو يكون
أراد أنه باشر الضرب وتولاه لا من أمر به فقد يقال ضربته إذا أمر بضربه ولا
يقولون ضربته ضربا إلا إذا أمر بضربه وكره بنفسه فأما قول العرب لأمر ما جدع
قصير أنفه وقولهم لأمر ما يسود من يسود وإذ عاشر ادعى أن ما ههنا زائدة
لا معنى تحتها وإنما دخلت للتأكيد فالأولى غير ما ذكره ومعنى قولهم
لأمر ما كان كذا أي لأمر عارف وإنما قالت الزباء لأمر ما جدع قصير أنفه
لأنها كانت جاهلة بسبب قطع أنفه وغير عالمة به وهذا يبطل قول
من جعلها زائدة بغير فائدة فأما قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
وتقدير قوم أن ما ههنا زائدة ملغى لا معنى ساقطة لأن من شأنهم أن
لا يدخلوا ما ههنا إلا إذا أرادوا الاختصاص وزيادة فائدة على قولهم
فبرحمة الله لنت لهم لأن مع إسقاط ما يجوز أن تكون الرحمة سببا للين
وغيرها ولا يكادون يدخلونها مع ما إلا والمراد المناسبة دون غيرها
فقد أفادت اختصاصا لم يستفد قبل دخولها فأما قولهم إن في الدار
زيدا فينبغي أن يكون دخولها لفائدة وتزيد على قولهم ما في الدار زيد لأنهم

وكذا أنه لأمر ما لبسه عارفا لأنهم لا يكادون يقولون لأمر ما كان كذا ... م م

إذا قالوا في الدار زيد يريدون أنه لا تصرف له في الدار ولا تأثير يكون به فيها فكأنه
ليس بها لأنهم إنما يقولون ما في البلدة أمير ولا لهذا الناس مدبر يريدون
على السياسة والتدبير فإذا قالوا ما إن في الدار زيد وما إن للبلد أمير فلا يريدون
به إلا أنه ليس فيها على الحقيقة من ذكروه وهذا هو معنى قول أهل العربية
إن ذلك للتأكيد ومعنى التأكيد هو الذي أشرنا إليه لأن التأكيد لا يجوز أن
يكون لغير فائدة وأن يكون دخوله كخروجه فللنفس على ما ذكرناه أن تسكن وتطلب
لكل شيء ادعي أنه لمحض التأكيد فائدة قلت أو كثرت فإنها توجد ولكن
جهل الطالب لها ربما اقتضى فقدها فإن الأدلة الواضحة قد دلت على أن العرب
مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد وأن الكلام الذي ما وضع في الأصل إلا لفائدة
فلا بد في وجوب الفائدة لكلمة فربما ظهرت هذه الفائدة لكل متأمل وربما
خفيت وأصول أهل العربية مملوءة من هذا فإنهم يحملون ويتعللون العوامل
التي تظهر في تمام الكلام ويقدرون فيها التقديرات البعيدة حراسة للأصول
ونصرة لما دل عليه الدليل ومن تصفح تحملهم للعامل في الحال إذا عري الكلام
كثر من تصريح به وتعليلهم إلى ضعيف وقوي وبعيد وقريب علم أن الذي
سلكناه في تخريج فوائد الحروف الزائدة الداخلة على الكلام وكثر فيها أنها
للتأكيد من غير فائدة طريق صحيح لا اعتراض عليه مسألة جرت بالحضرة السامية
الوزيرية العادلية المنصورية أدام الله سلطانها وأعلى أبدا شأنها ومكانها
في بعض الكلام ما روي عن النبي عليه السلام من قوله نية المؤمن خير من
عمله تكلمت على هذا الخبر بكلام قوي وهو أن يقال إذا كان الفعل
إنما يوصف بأنه خير من غيره إذا كان ثوابه أكثر من ثوابه فكيف يجوز أن
تكون النية خيرا من العمل ومعلوم أن النية تنقص ثوابا من العمل لأنه
لا يجوز أن يكون ثواب النية ثواب العمل ولهذا قال أبو هاشم إن العزم لا بد
أن يكون دون المعزوم عليه في ثواب وعقاب ودل على قوله إن العزم
على الكفر لا بد أن يكون كفرا والعزم على الكبير يجب أن يكون كبيرا بأن قال
لو لا يجب أن يساوي العزم المعزوم عليه في ثواب ولا عقاب فإن كان هذا

حتى يدل على أن العزم على الكفر كفر والعزم على الكبير كبير وهذا آية لابد
مع ذلك من أن يكون عقاب العزم دون عقاب المعزوم عليه وإن اجتمعا
في الكفر أو الكبر ووقع بالحضرة الثابتة العادلية المنصورية أدام الله قدرتها
من التقرب إلى الله والحرص فيه كل ذي بين عرب سنقاد وهكذا جاد ما حرست
الله بمنها في كل فن من فنون الآداب والعلوم لأنها تنتهي من التحقيق و
التدقيق إلى غاية من لا يحسن إلا ذلك الفن ولا يعرف إلا ذلك النوع فكأن
بعض من حضر تدقيق في تأويل هذا الخبر وجهاً حسناً فقلت لم أذكرهما
وربما كان الذي عندي فيه مما استخرجته أحدهما فقال يجوز أن يكون
المعنى أن نية المؤمن خير من عمل العاصي من بني فقلت لفظ أفعل لا يدخل
إلا بين شيئين قد اشتركا في الصفة وزاد أحدهما فضلاً على الآخر ولهذا لا يقول
أحد أن العسل أحلى من الخل ولا أن النبي عليه السلام أفضل من إبليس والعمل
إذا عري من نية لا خير فيه ولا ثواب عليه فكيف تفضل النية الجميلة عليه
وفيها خير وثواب على كل حال قال والوجه الآخر أن تكون نية المؤمن
في الجملة خيراً من عمله الذي هو معصية فقلت وهذا يبطل أيضاً بما تقدم
من الوجه الأول لأن المعصية لا خير فيها فتفضل غيرها عليها فيه وقالت
الحضرة السامية العادلية المنصورية أدام الله دولتها تحقيقاً لذلك و
تصديقاً هذا مثل نية المؤمن والكلام موضوع على مدحها وإظهار بها
وأي فضل في أن تكون خيراً من المعاصي وإنما الفضل أن تكون خيراً مما
فيه خير فقلت حينئذ والوجه الذي عندي فيه أني لا أحمل لفظة
خير في الخبر على معنى أفعل الذي هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة
ويكون معنى الكلام أن نية المؤمن من جملة الخير من أعماله حتى لا يقدر
مقدر أن النية لا يدخلها الخير والشر كما يدخل ذلك في الأعمال
فاستحسن هذا الوجه الذي لا يحوج إلى التعسف والتكلف اللذين يحتاج
إليهما إذا جعلنا لفظة خير معناها معنى أفعل وانقطع الكلام لدخول
الوقت السعيد المختار لدخولها البلد وهو من الحضرة السامية أدام الله

سلطانها

الآذرم

العادلية المنصورية

أو الكبر

القدير

دقيق

العادلية المنصورية

سلطانها للركوب وكان في نفسي أن أذكر سؤالي هذا الوجه ولو احتوته
الكلام وخطر بعد ذلك ببالي وجهان آخران سليمان من الطعن إذا حملنا لفظة
خير في الخبر على معنى الترجيح والتفضيل وأنا أذكر ذلك لما شاهد
ما استخرجته من التأويل من حمل لفظة خير على غير معنى التفضيل والترجيح
فكثير وقد ذكرت في كتابي المعروف بالغرر عند كلامي في تأويل قوله تعالى
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً من الكلام على هذا النوع
ما استوفيته وذكرت قول المتنبي

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له ٥ لأنت أسود في عيني من الظلم

وأن الألوان لا يتعجب منها بلفظ أفعل الموضوع للمبالغة وكذلك الخلق
كلها وإنما يقال ما أشد سواده وأن معنى البيت ما ذكره أبو الفتح عثمان بن
جني أنه أراد أنك أسود من جملة الظلم كما يقال حر من أحرار ولئيم من
لئام فيكون الكلام قد تم عند قوله لأنت أسود ولو أراد المبالغة لما كان
تاماً إلا عند صلة الكلام بقوله من الظلم واستشهد ابن جني أيضاً على صحة
هذا التأويل بقول الشاعر وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داج عساكره
كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقلت أنا قول الشاعر

يا ليتني مثلك في البياض ٥ أبيض من أخت بني إباض

يمكن حمله على ما حملنا عليه قول المتنبي كأنه قال أبيض من جملة بني أخت
بني إباض وعشيرتها وقومها ولم يرد المبالغة والتفضيل وهذا أحسن من أمر
أبي العباس المبرد لما أنشد هذا البيت وصار في ذرعاً بتأويله على ما يطابق أصول
العربية ٥ إن ذلك محمول على الشذوذ والندرة فإن قيل كيف
تكون نية المؤمن من جملة أعماله على هذا التأويل والنية لا تسمى عملاً في العرف
وإنما تختص بالأعمال أفعال الجوارح ولهذا لا يقولون عملت بقلبي كما يقولون
عملت بيدي ولا يصفون أفعال القلوب بأنها أعمال قلنا ليس يمتنع أن يسمى أفعال
القلوب بأنها أعمال وإن قل استعمال ذلك فيها ألا ترى أنهم لا يكادون يقولون
فعلت بقلبي كما يقولون فعلت بجوارحي وإن كانت أفعال القلوب

أتاها

قوله

تسميته العقيبة بالفعل حقيقة بلا خلاف وانما لا يصح اتصاف الله تعالى بانها
اعمال لان هذه اللفظة تختص بالفعل الواقع ممن قدرته والقديم تعالى قادر
لنفسه كما لا يصفه تعالى بانه مكتسب لاختصاص هذه اللفظة بمن يجتلب نفع
او دفع ضرر ولو سلمنا ان اسم العمل يختص بافعال الجوارح جاز ان يطلق ذلك
على النية مجازا واستعارة فان التجوز اوسع من ذلك واما الوجهان اللذان
خطرا لي اذا قدرنا ان لفظة خير في الخبر محمولة على المفاضلة فاحدهما ان يكون
المراد نية المؤمن مع عمله خير من عمله العاري من نية وهذا مما لا يشتبه
انه كذلك **والوجه الثاني** ان يريد نية المؤمن لبعض اعماله قد تكون خيرا
من عمل آخر له لا تتناوله هذه النية وهذا صحيح لان النية لا يجوز ان تكون خيرا
من عملها نفسها بغير شك ان تكون نية بعض الاعمال التي تتناول العظيم الثواب
افضل من عمل آخر ليس له دون ثوابها الا ان ثواب النية لا يجوز ان يساوي
او يزيد على ثواب بعض الاعمال وهذان الوجهان فيهما على كل حال ترك لظاهر
الخبر لا يخال زيادة ليست في ظاهر الخبر والاول بل الاول اذا حملنا لفظة خير
على خلاف المبالغة والتفضيل الظاهر وغير مخالف لم يبق هذا كما ترى بمشية
الله **مسألة** سأل بعض الاخوان وقد حضر مالي عند قراءة شيء من اخبار
الائمة وادعية السادة عليهم من ذكر اسم الله تعالى الاعظم وما خص
به من الفضيلة دون اسمائه تعالى وما يحكى من دعائه من سرعة اجابة
مثل آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلم وتجيئه بعرش بلقيس من سبأ
الى بيت المقدس في اقل من طرف العين وما نقله الانبياء والائمة
والصالحون من المعجزات وعن قول الائمة عليهم السلم في ادعيتهم اللهم
اني اسألك باسمك الاعظم ومنهم من قال الاعظم الاعظم ومن زاد على ذلك
ومنهم من قال الاكبر الاكبر **قال اهل** نرى ان الاعظم غير الاكبر
او الاعظم الاعظم غير الاعظم مرة واحدة **قال** واذا قلنا اعظم فيجب
ان يكون ثم الطف واذا قلنا اكبر يجب ان يكون ثم اصغر والله تعالى
من ان يكون له اسم الطف من اسم واصغر اذ كانت اسماؤه تعالى لا تفضل

اقول العمل العاري عن النية كعمل النائم و
السكران وغير المكلف لا خير فيه وكما
... المفاضلة ...
... حتى لا يظن ...

لا تفاضل

الا بمعنى واحد ولا يسأل بها الا اليه وقد نطق القرآن بتساويها في المنزلة
وهي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى وقال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقد حث الله تع نبيه صلى الله
فان يدعو باسمائه وذكر ان اسماءه كلها حسنى فلم خص الائمة عليهم السلم احدها
بالتعظيم دون سائر اسمائه والمقصود بها والمراد منها واحد تبارك وتعالى
بل له ان فيها ما يشارك المخلوق مثل كريم ورحيم وعالم وحاكم وغير
ذلك ولهذا كانت رتبة بعضها في التعظيم اقل من بعض قال **والجواب**
عن ذلك انه قد بقي منها عدة اسماء لا يشارك فيها احد من المخلوقين ولا يتسمى
سواه مثل الله والرحمن وسبوح وقدوس وما اشبه ذلك مما لا يوصف بها غيره ولا يليق
الا به عز وجل فلم لا يختص الاسم الاعظم باحد هذه دون الاخر او هل الاسم الاعظم
الا الاكبر غير هذه الاسماء المتعارف بين العوام **مسألة** وسأل ايضا من مسائل اخرى
من الاخوان عن قوله تعالى في سورة يس لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم
غافلون قال اذا كان اباؤهم لم ينذروا فباي شيء تجب عليهم وكيف يعاقبهم
على عبادة الاصنام وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وكيف يصح ان تخلو امة من الامم من نذير مع قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها
نذير وقوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وقد علم انهم كانوا
مما لا يحصيها كثرة غيره تعالى وقرونا كثيرة فكيف هذا وما يكون المراد به
ومعلوم ان كلامه تعالى لا يتناقض قال فان قال ان ما التي في الاية المتقدمة
ليست للنفي بل هي للاثبات والمعنى فيها مثل ما انذر اباؤهم او بمعنى الذي
انذر اباؤهم او زائدة لان الكلام يتم من دونها لتنذر قوما انذر اباؤهم **الجواب**
عن ذلك ان هذا ابعد من ذلك بل ان المعلوم الذي لا شك فيه ولا اشكال
ان الله تعالى لم يبعث بعد عيسى عليه السلم الا المبعوث على فترة من الرسل
صلى الله عليه وآله ولاجل ذلك نصفهم بالغفلة لما لم ينذر اباؤهم فثبت
بهذا ان ما التي في الاية المتقدمة للنفي دون الاثبات وان الاخذ بالمعلوم
اولى من المظنون قال **فان قيل** ان عيسى عليه السلم قد كان

اقول في بعض النسخ القديمة
هذه المسألة من قوله مسألة وسأل ايضا
غير الاول الى قوله لان ذلك
يوجب الاستغناء بالعقل عن النذر
والانبياء عليهم السلم متأخرة عن قوله
الجواب عن المسألة الاولى انا لا ندري
والاشبه ولم يكن فيها الغلط عن المسألة الاولى
الى قوله والجواب عن المسألة الثانية
لم يكن فيها ايضا عن المسألة الثانية فتدبر

بُعِثَ اِلَيهِم وَلِهٰذا عَمَّت شَرِيعَتُهُ فِيهِم فَانتَشَرَت كَلِمَتُهُ وَصارَ الحَوارِيُّونَ يَدعُونَ
مَن قَرُبَ وَبَعُدَ وَسَهلًا وَجَبَلًا قال فالجواب عن ذلك اِذا سَلَّمنا اَنَّ عِيسى عليه
السلام بُعِثَ اِلَيهِم فَاِنَّ الفَترَةَ اِنَّما كانَت بَينَهُ وَبَينَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَاِنَّ
الحَوارِيِّينَ لَم يَكُونُوا بَعدَهُ الاّ قَلِيلًا وَاِنَّ الآباءَ المَذكُورِينَ بِاَنَّهُم لَم يُحمَل نِذارُهُم
الادنون دُونَ الابعَدِينَ وَلِقائِلٍ اَن يَقُولَ اِنَّ عِيسى عليه السلام بُعِثَ اِلى بَنِي اِسرائِيلَ
خاصَّةً دُونَ العَرَبِ وَبِذٰلِكَ نَطَقَ القُرآنُ فَلَهُ اَن يَقُولَ اِنَّ الآباءَ الابعَدِينَ
كَالاَدنَينَ فِي الآيَةِ سَواءٌ وَالَّذِي يُؤَيِّدُ ذٰلِكَ قَولُهُ تَعالى قَد جاءَكُم رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُم
عَلى فَترَةٍ مِنَ الرُّسُلِ الآيَةَ اِلى آخِرِها وَقَد صَحَّ بِالجُملَةِ وَالتَّفصِيلِ اَنَّ الآباءَ لَم يُنذَرُوا
فَاِنَّ ما لِلنَّفيِ فِي مَوضِعِها مِنَ الآيَةِ دُونَ الاِثباتِ فَكَيفَما القَولُ فِي الحُجَّةِ عَلَيهِم وَ
لا يُحتَجُّ مُحتَجٌّ بِاَنَّ العَقلَ هُوَ الحُجَّةُ عَلَيهِم دُونَ الاِنذارِ وَالرُّسُلِ لاَنَّ العَقلَ حُجَّةٌ
عَلى الَّذِينَ مَن لَم يُنذَرُوا وَعَلَيهِ قَولُ الفَلاسِفَةِ فِي الاِستِغناءِ عَنِ الرُّسُلِ وَ
الاَنبِياءِ وَلَيسَ مَن لَم يُنذَر اَرسَلَ اِلَيهِم بِحُجَّةِ العَقلِ دُونَ غَيرِهِ لاَنَّ ذٰلِكَ يُوجِبُ الاِستِغناءَ
بِالعَقلِ وَالاَحكامِ عَلَيهِم بالسَّلامِ الجوابُ عَنِ المَسأَلَةِ الاُولى اَنَّ الاَولى وَالاَشبَهَ
اَن يَكُونَ اسمُ اللهِ تَعالى الاَعظَمُ خارِجًا عَن هٰذِهِ الاَسماءِ وَالصِّفاتِ
الَّتِي فِي اَيدِي النّاسِ يَتَداوَلُونَها وَيَدعُونَهُ وَيَسأَلُونَهُ لاَنَّ ذٰلِكَ
الاِسمَ لَو كانَ مِن جُملَتِها وَقَد اَجمَعُوا عَلى اَنَّ اللهَ تَعالى لَم يَسأَل بِهِ شَيئًا اِلاّ
اَعطاهُ لَكانَ يَجِبُ فِي كُلِّ داعٍ بِهٰذِهِ الاَسماءِ وَالصِّفاتِ اِذا كانَ الاِسمُ مِن
جُملَتِها اَن تُجابَ دَعوَتُهُ وَتُنجَحَ مَسأَلَتُهُ وَقَد عَلِمنا خِلافَ ذٰلِكَ وَاِنَّ اَكثَرَ
الدّاعِينَ بِهٰذِهِ الاَسماءِ المَسطُورَةِ غَيرُ مُجابِينَ فَعَلِمنا اَنَّ الاَعظَمَ لَيسَ مِن جُملَتِها
فَاِذا قِيلَ لَنا فَلِمَ خَصَّ اللهُ تَعالى بِهٰذا الاِسمِ قَومًا دُونَ قَومٍ وَلَم يُجرِهِ مُجرى
سائِرِ اَسمائِهِ فالجوابُ اَنَّ ذٰلِكَ تابِعٌ لِلمَصلَحَةِ وَاِذا كانَ المَعلُومُ اَنَّ
كُلَّ سائِلٍ بِذٰلِكَ الاِسمِ يُجابُ لا مَحالَةَ فَلِمَ اَنَّ فِي الاِجابَةِ مَفسَدَةً لا يَجُوزُ
اَن يُمَكَّنَ مِن ذٰلِكَ الاِسمِ فاذا قِيلَ فَجَمِيعُ مَن يَسأَلُهُ تَعالى وَقالَ
بِحَقِّ اسمِكَ الاَعظَمِ اَعطِنِي كَذا اَن يُجابَ لا مَحالَةَ وَقَد عَلِمنا خِلافَ ذٰلِكَ فالجوابُ
لَيسَ بِمُمتَنِعٍ اَن تَكُونَ الاِجابَةُ اِنَّما تَكُونُ واجِبَةً عِندَ التَّصرِيحِ وَالتَّلَفُّظِ بِها

وسلم أن قط

بذلك الاسم

الاِسمِ دُونَ الكِنايَةِ عَنهُ فَاَمّا تَسمِيَتُهُ بِاَنَّهُ اَعظَمُ فَاِنَّ ذٰلِكَ يَقتَضِي اَن يَكُونَ مِن
اَسمائِهِ ما لَيسَ بِاَعظَمَ فالجوابُ عَنهُ مِن وَجهَينِ اَحَدُهُما اَن يَكُونَ لَفظَةُ افعَل
هٰهُنا راجِعَةً اِلى ما فِي اَسمائِهِ والوَجهُ الآخَرُ اَن يَرجِعَ اِلى اَسماءٍ وَصِفاتٍ غَيرِهِ
فَبَيانُ الوَجهِ الاَوَّلِ اَنَّ مَعنى اَعظَمُ هُوَ اختِصاصُهُ بِفَضِيلَةِ اَنَّ الدُّعاءَ بِهِ يُجابُ
وَهٰذِهِ المَرتَبَةُ لَيسَت لِباقِي الاَسماءِ فَكَاَنَّهُ اَعظَمُ مِنها لاِختِصاصِهِ بِمَرتَبَةٍ ما لَيسَ
لِباقِيها وَاَمّا الوَجهُ الثّانِي فَيَكُونُ المَعنى اَنَّهُ اَعظَمُ بِالاِضافَةِ اِلى اَسماءِ
وَصِفاتِكُم لاَنَّهُ لَيسَ لِشَيءٍ مِن صِفاتِنا هٰذِهِ المَرتَبَةُ وَلَم يُجعَل هٰذِهِ المَرتَبَةُ لاَجلِ
نَفيِ المُشارَكَةِ فِي المَعنى بَل لاَنَّ عَلَيهِ الرُّتبَةَ وَقَدِيمٌ وَرَحمٰنٌ عَلى ما مَضى فِي السُّؤالِ
بَل لاَنَّ اللهَ تَعالى خَصَّ هٰذا الاِسمَ بِهٰذِهِ المَرتَبَةِ لِما عَلِمَ مِنَ المَصلَحَةِ فَاَمّا اِنكارُنا
اَن يَكُونَ فِي اَسمائِهِ تَعالى ما هُوَ اَصغَرُ فَلا يَلزَمُ عَلى الجَوابِ الثّانِي فَاِنّا اِن رَضِينا
ذٰلِكَ كانَ الجَوابُ الاَوَّلُ فَلَنا اِذا كانَ قَولُنا اَعظَمُ بِالاِضافَةِ اِلى اَسمائِهِ تَعالى مَعناهُ
اَنَّ لَهُ هٰذِهِ المَزِيَّةَ وَالرُّتبَةَ فَلا نُنكِرُ اَنَّهُ يَجِبُ فِيما لَيسَ لَهُ هٰذِهِ المَزِيَّةُ مِن اَسمائِهِ اَن
لا يَكُونَ الاَعظَمَ وَلا يَجُوزُ اَن نَقُولَ اَصغَرُ وَاَحقَرُ وَما يَجرِي مَجرى ذٰلِكَ لاَنَّهُ
يُوهِمُ المَهانَةَ وَما لا يَجُوزُ فِي شَيءٍ مِن اَسمائِهِ وَاِنَّما قالَ تَعالى وَلِلّٰهِ الاَسماءُ الحُسنى
فَادعُوهُ بِها وَاِنَّما سَمّاها كُلَّها الحُسنى وَلَيسَ بِمُمتَنِعٍ اَن يَكُونَ فِيما هُوَ حَسَنٌ
تَفاضُلٌ وَتَزايُدٌ وَكَذٰلِكَ قَولُهُ تَعالى قُلِ ادعُوا اللهَ اَوِ ادعُوا الرَّحمٰنَ مَعناهُ
التَّخيِيرُ كَاَنَّهُ اَن تَدعُوهُ بِاَيِّ الاِسمَينِ شِئتَ وَما يَجِيءُ فِي اَلفاظِ الدُّعاءِ مِن
اَنِّي اَسأَلُكَ بِاسمِكَ الاَعظَمِ الاَشبَهُ اَن يُرادَ بِاللَّفظَتَينِ مَعنًى واحِدٌ
وَاَمّا تَكرِيرُ لَفظِ الاَعظَمِ فَهُوَ عَلى سَبِيلِ التَّاكِيدِ وَالتَّفخِيمِ لاَنَّ الاَعظَمَ مَرَّةً واحِدَةً
غَيرُ الاَعظَمِ مَرَّتَينِ وَبِاللهِ التَّوفِيقُ والجوابُ عَنِ المَسأَلَةِ الثّانِيَةِ اَنَّ غَيرَ مُمتَنِعٍ عِندَ
اَن يَخلُوَ الزَّمانُ الطَّوِيلُ وَالحُقَبُ مِن رَسُولٍ مَبعُوثٍ بِشَرِيعَةٍ وَاِن كانَ
لا يَخلُو مِن اِمامٍ فَلِهٰذا نَقُولُ اَصحابُنا اِنَّ الاِمامَةَ واجِبَةٌ فِي كُلِّ زَمانٍ
وَلَيسَت كَذٰلِكَ النُّبُوَّةُ وَالوَجهُ فِيهِ اَنَّ اِرسالَ الرَّسُولِ تابِعٌ لِما يَعلَمُهُ اللهُ تَعالى
مِنَ المَصالِحِ لِلمُكَلَّفِينَ فِي الشَّرائِعِ وَالعِباداتِ وَغَيرُ بَعِيدٍ فِي العَقلِ اَن يَعلَمَ تَعالى
اَنَّهُ لا شَيءَ مِنَ الشَّرائِعِ بِهِ مَصلَحَةُ المُكَلَّفِينَ فَلا يَجِبُ اِرسالُ رَسُولٍ بَل لا يَحسُنُ فَاَمّا

ايانا ندعوا

باسمك

تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير وقوله وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون فيجوز أن يكون مخصوصا
بغيرها وبغير من الشرائع والعبادات من الظواهر فإن دل دليل قاطع
على عموم هذه الظواهر قطعنا لأجله على أن الشرائع من ألطاف المكلفين
وإن كان جائزا في العقل أن لا يكون الأمر على ذلك وقد اختلف أهل التأويل
في تأويل هذه الآية فقالت الجماعة إن لفظة ما هنا للنفي والمراد أن آباءهم ما
أنذروا لأن الفصحاء لم تنقض (?) جهة رسول إليهم ولكن من المعلوم لنا أن عيسى
عليه السلم كانت الحجة على كل مكلف بعده زمانه وزمان نبينا عليه السلم ويقوي
هذا الجواب إثبات الفترة فإنه علم بعث على فترة من الرسل وذهب قوم
من أهل التأويل إلى أن ما في الآية ليست للنفي بل للإثبات والمراد لتنذر قوما
أنذر آباؤهم وهذا أيضا جائز ويقوي هذا الجواب ويضعف الأول
أن قوله تعالى فهم غافلون يقتضي الذي لهم الغفلة وذلك يقتضي أنهم
أنذروا فغفلوا وأعرضوا ولا يذم بالغفلة من لا سبيل له إلى العلم والتمييز
وفي الناس من حمل قوله تعالى ما أنذر آباؤهم على النفي والمراد أنه
لم ينذرهم من هو منهم وعلى نسبهم ومن أنفسهم كما قال تعالى لقد
جاءكم رسول من أنفسكم فيكون تلخيص الكلام لتنذر قوما ما أتاهم منهم ما
أنذر آباءهم من هو منهم أي من قومهم ومن أنفسهم ويمكن في لفظة ما وجه
آخر وهو أن تكون زائدة للتأكيد كأنه قال لتنذر قوما ما ويقف ثم يبتدئ
فيقول أنذر آباؤهم فهم غافلون كما يقول القائل أكلت طعاما ما ولقيت
جماعة ويكون الغرض التنكير أو الإجمال وليس لفظة ما هنا زائدة لأن
هذا لا يمكن أن يكون دخولها سبب عدم الفائدة كما ربما وهي هنا مفيدة على
ما بيناه **مسألة** في الاعتراض على من استدل بعمل السحارة على أن العالم
ملاء وما أبطل به ذلك **اعلم** أن أكثر مما عاب به أبو هاشم من يقول
إن العالم ملاء إذا استدل بالأمر التي تعمل السحارة على ذلك بأن ادعى أن
علة وقوف الماء عن النزول من النقب الصغار التي في أسفلها إذا أسددنا

تقتضي الذي لهم الغفلة بدل فغفلوا

السحارة بالحجاز شيء تلعب به الصبيان ق

رأسها هو منع الهواء سبيل الرأس من أن يحدث في مكان الماء وقول أبي هاشم
إن العلة في وقوف الماء عن السيلان إذا سددنا رأس السحارة بالإصبع أن
الهواء يمنع الماء من النزول لضعف ما يخرج من الماء في النقب الصغار فإذا فتحنا
الرأس دفع الهواء الماء من أعلى السحارة وقوي الماء على النزول **فوجدتهم** عنه
واضح أن الماء فيه اعتمادات سفلا وثقل الهواء على مذهبنا وهو الصحيح لا
فيه البتة فكيف يمنع ما لا اعتماد فيه الجسم الذي فيه اعتماد سفلا عن الهبوط
والنزول وإذا كان الهواء هو المانع من نزول الماء من النقب الصغار
ومن مذهب أبي هاشم جواز خلو الأماكن من الهواء فكان يجب أن يجوز أن
يسيل الماء من أسفل السحارة مع سد أعلاها بالإصبع بأن يصادف ذلك
مكانا خاليا من الهواء الذي يدعي أنه مانع من نزول الماء فأما تقويته لذلك
بذكر الريشة وأنها تثبت في الهواء فلا تنزل لأن الهواء يمنعها من الهبوط ومن
[illegible] وقوله إن الهواء إذا فتحنا من رأس السحارة يدافع الماء ويكون
سببا لنزوله من الثقوب لأن الهواء لا اعتمادات فيه فكيف يدافع الماء ومن
قال من العلماء بأن فيه اعتمادات صعدا لا يمكن دفع الماء لأن تلك الاعتمادات
في غير جهة اعتماد الماء وأي عاقل يخفى عليه أن الهواء الساكن المعتدل لا يجوز
أن يدفع الماء من رأس السحارة ولا يسيل الماء من النقب من أسفلها لأن الهواء
الذي ادعى أنه دافع الماء من رأسها مفقود والذي يحتج به أبو هاشم من
أن السحارة لو ملئت زيبقا وسد رأسها لنزل الماء من الثقوب الصغار و
قوله إنما كان كذلك لثقل الزيبق وأن الهواء الذي يلاقي من تحتها
الثقوب الصغار لا يقوى على منعه من النزول كما تم ذلك في الماء موفر
على التمييز وكذا ما أجبناه فكلم على العلة المفرقة بين الزيبق والماء والذي
يجب أن يعتمد في نقض الاستدلال من القائلين بالملاء بالسحارة أن يقال
فهو ما الكرم أن يكون الله تعالى قد أجرى العادة بأن يفعل في الماء السكون
والوقوف مع سد رأسها فلا يسيل من أسفلها وإذا فتحنا رأسها لم يفعل ذلك
السكون فيجري الماء منه من الثقوب وليس يجب أن يكون أصحابنا ... أن

تقوى م
كفش م
الجسم م
تقف م
على منعها م
النزول م

فأقل ما فيه أن الريش لخفته ربما أبطأ
نزوله لنقض أنزوله فقد وربما كان في الهواء اعتمادات
صعدا فتمنع هذه الاعتمادات التي هي في غير جهة
اعتمادات الريشة من النزول فلما إذا كانت
الريشة في هواء ساكن لا اعتماد فيه فإن الهواء
لا يجوز أن يمنعها من الهبوط م م
وبعد فمع القول بجواز خلو الأماكن من الهواء و
القطع على ذلك في بعض الأحوال فقد كان يجب أن يجوز
أن يصح رأس السحارة م م
بذلك في م

يكون هذا بالعادة ونحن كلنا نقول إن انجذاب الحديد إلى الحجر المغناطيس
إنما هو بالعادة وإلا فالمغناطيس وسائر الأحجار سواء وأنه بالعادة وقع
التسبع بهذا متناول الخبز والمطعوم وأن تقع عند عدمهما والجنس واحد وما
تقول جماعتنا إنه بالعادة أكثر من أن تحصى وإذا أنكر الفلاسفة والملحدة
تعلقنا ذلك بالعادة لجحودهم الصانع دللناهم على الأصل الذي لما جحدوه
ما تقول في نفوسهم فتكثروا به فيسهل ذلك كله فإذا قيل لنا فما تنكرون أن العادة
يجوز فيها الاختلاف فجوزوا أن يكون الحجارة في بعض البلاد التي لا تتصل
بنا أخبارها تسيل الماء من أسفلها مع سد رأسها ولا تسيل مع فتحها قلنا
نحن نجوز ذلك عوضا مما لا أن تختلف العادة فيه ولا نمنع أن يستمر في كل بلد ويجد
في كل أحد ولا يخرج هذا الحكم مع استمراره من أن يكون مستندا إلى العادة
ألا ترى أن القاطعين على وقوع العلم الضروري بخبر الأخبار إذا كان
العدد بالغا على أنه يعتبر مع استيفائه جميع الشروط لا يجوزون أن تختلف العادات
في ذلك بل يقطعون على أن العادة مستمرة بذلك في كل موضع فإذا قيل
كيف يتميز ذلك وهو معتاد مع الاستمرار من الوجوب قلنا المستند
إلى العادة لا بد من أن يختلف على بعض الوجوه ليفارق بذلك الأمر
الواجب ونميز منه فالخبر الذي يجب عنده حصول العلم الضروري
قد يقع مثله ومن جنسه مع اختلاف بعض هذه الشروط فلا يجب العلم فلو
كان هناك إيجاب لوجب العلم على كل حال وهذا بعينه قائم في الحجارة
لأن الثقوب لو وسعت لسال الماء على كل حال ولو كانت هناك
طبيعة موجبة لو فرغ الكوز لم يختلف الحال على بعض الوجوه وبعد فإن
علة [illegible] هاهنا في وقوف الماء من الحجارة عن السيلان وإن كنا قد بحثنا
بطلانها لا نجدها في القدح المعروف بقدح العدل وهو قدح في وسطه
بزبخ مجوف يبلغ ارتفاعه إلى قريب من أعلاه وهذا البزبخ نافذ من جهة
أسفله وعلى رأس هذا البزبخ في وسط القدح كالغشاء يحيط به من جوانبه
على تجاف عنه وهو من أعلاه مسدود ومن أسفله منفرج فإذا ألقي حتى

بحال مرد

قائم بعينه مرد

العدد ولي مرد

قدح [illegible] مرد

البزبخ منفذ الماء

وهذا

وهذا القدح ماء فمتى انتهى حتى يبلغ إلى محاذاة رأس البزبخ فإذا زاد عليها
ولو بالشيء خرج جميع الماء من القدح بأن تتصعد من أسفل إلى رأس البزبخ
حتى ينزل جميعه وأصحاب الملاء يدعون أن العلة في صعود الماء إلى فوق أن الحجر
ذلك من شأنه هو اضطرار الخلاء حتى لا يخلو مكان من متمكن فيه فما
العلة في صعود الماء ثم هبوطه على مذاهبهم وما يحمل في الحجارة
لأنا أخبرنا وليس بعد ذلك إلا الإسناد إلى العادة وتحتها والله ولي التوفيق
مسألة سئل رضي الله عنه عن الفرق بين الألثغ والأليغ فقال الفرق بينهما
الألثغ الذي يكون في لسانه ردة في حرف بعينه كالطاء والسين وما أشبهها
من الحروف والأليغ الذي يكون في لسانه ردة في سائر الحروف مسألة
سئل رضي الله عنه عن قول النبي صلى الله عليه وآله أعلمكم بنفسه أعلمكم
بربه ما معناه فقال معنى هذا الخبر أن أحدنا إذا كان عالما بأحوال
نفسه وصفاته فلا بد أن يكون عالما بأحوال من جعله على هذه الصفات
وصيره لهذه الأحوال والأحكام لأن من علم الفرع لا بد من أن يكون
عالما بأصله الذي يستند إليه ويتفرع عليه وإذا دخل التزايد في العلم
وكان بالفرع أعلم فهو بالأصل أعلم وشرح هذه الجملة أن من علم نفسه
أنه محدث مصنوع مخلوق مربوب فأدرجه عالم فلا بد من أن يكون عالما
بمن جعله على هذه الصفات وصيره لهذه الأحوال والأحكام و
لولاه جل اسمه لم يكن على شيء منها فالتزايد والتفاضل في أحد الأمرين
يقتضي التزايد والتفاضل في الآخر ولا يلزم على هذه الجملة أن أحدنا قد يعلم
نفسه موجودا وإن لم يكن بالله تعالى عارفا وهو جل وعز الذي أوجده
ولولاه لم يكن موجودا ألا ترى أن الدهرية يعلمون العالم وما فيه
موجودا وإن لم يعلموا أن له موجدا وكذلك قد يعلم أحدنا كونه قادرا
وعالما وحيا وإن لم يعلم من جعله على هذه الأحوال و[illegible] ذلك
أنا إذا أدخلنا لفظة أفعل فقلنا من كان أعلم بنفسه كان أعلم بربه
فمن علم نفسه موجودا ولم يعلم موجده وخالقه ليس بأعلم بنفسه وإن

القدح

نحو

وسلم

فصل هو عالم ولم نظر الى الغير نقص كما اذا لم نعلم ان لم موجدا و محدثا فلعمري ان علمه بنفسه والذي يتبين به هذا انه لا يمتنع فيمن علم نظرا من النحو ان تقول انه عالم بالنحو ولا تقول هو اعلم بالنحو الا اذا كان مستوليا على جميع علومه لا يذهب عليه شيء منها وليس يمتنع ان نعكس لفظ هذا الخبر **فنقول** اعلمكم بربه اعلمكم بنفسه لانه من كان بالله اعلم فلا بد من ان يكون عالما بانه خالقها ورازقها ومحييها ومميتها والجاعل لنا على هذه الصفات والاحوال التي حيث تعلق كل واحد من الامرين بصاحبه جاز ان يجعل كل واحد من الامرين تارة فرعا وتارة اصلا

مسئلة وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم وهل يوجب قوله واختلاف السنتكم ان يكون كلاما على ظاهر الاية خلقا له تعالى وفي هذه الشبهة ثلثة اجوبة منها ان المعنى اختلاف السنتكم اي اختلاف لغاتكم في البيان والاشكال ومنها اختلاف مخارج الكلام من السنتكم ككلام الالثغ والالكن والارت والتمتام ونحوهم ومنها اختلاف السنتكم في خلقتها واشكالها وصيغها كالطويل منها والقصير والعريض والدقيق والله تعالى الموفق للصواب

مسئلة قال رضي الله عنه فلطعن من لا تحصيل له على اسيد لالنا على ان الافعال الظاهرة فينا من قيام وقعود واكل وشرب وما جرى مجرى ذلك متعلقة بنا وحادثة من جهتنا بوجوب وقوعها بحسب قصودنا واحوالنا ودواعينا بان قال كيف يجوز ان يدعوا العلم الضروري بوجوب وقوع افعالكم بحسب احوالكم وانما تشيرون بالوقوع الى الحدث واذا كان حدوث هذه الافعال لا يعلم ضرورة وانما يعلم بدقيق الاستدلال والنظر فكيف يجوز ان تعلموا الحكم الذي هو فرع ضرورة وانتم تعلمون تلك الذات بالدليل والعلم بالذات اصل للعلم بالاحكام ولا يجوز ان يكون العلم بالاصل مستندا الى عليه والعلم بالفرع ضروريا **والجواب** عن ذلك ان الوجوب والجواز حكم

للاحوال الموجبة عن الافعال التي هي ذوات حادثة ونحن نعلم كون الجسم منتقلا وكائنا في جهة من الجهات ضرورة وان كنا لا نعلم الكون الذي فيه الا بدليل والوجوب حكم لكونه كائنا وليس بحكم للكون الذي هو الذات فان حملنا على هذا التقدير الاصل والفرع الا ضرورة وهذان العلمان منفصلان عن العلم بالذات الذي يحتاج فيه الى الادلة الا ترى ان الشيوخ نصوا في كتبهم على ان المدرك منا للجوهر يعلم ضرورة عند الادراك كونه متحيزا وكونه في جهة مخصوصة وكونه موجودا ونصوا على ان هذه العلوم ضرورية وواقعة عند الادراك وان كان الادراك لا يتناول الا كونه متحيزا دون ما عدا هذه الصفة فكيف يشكل هذا الذي ذكرناه ومعلوم ان نفاة الاعراض من الموحدين والملحدين يعلمون كون الجسم متحركا او ساكنا قريبا او بعيدا ضرورة ويعلمون كون احدنا قائما او قاعدا او آكلا او شاربا كذلك ويعلمون ما هو واجب من هذه الاحوال او واجب في الموضع الذي يجب فيه او يجوز ضرورة وان كانوا لا يثبتون المعاني التي هي الاعراض ولا يعرفونها فكيف يشكل على متأمل ان الاحكام التي اشرنا اليها وادعينا وجوبها على بعض الوجوه ليست احكاما للمعاني التي لا تعلم الا بالدلالة وانما هي احكام للاحوال المعلومة ايضا ضرورة فان ما علمنا ضرورة حكم لامر نعلمه ايضا ضرورة ومن حمل نفسه على ان يخالف في وجوب ما ذكرناه دافع للضرورة لان العلم بما ذكرناه من اوضح الضروريات والفرق بين وجوب كون احدنا آكلا وقد اشتد جوعه وارتفعت الموانع عنه وهو صحيح سليم وبين وجوب اكله اذا جاع غيره معلوم ضرورة لا يشتبه على العقلاء واذا كان الفرق الذي ذكرناه معلوما بحسب ما هو مستند اليه من الوجه عند قوة الداعي وخلوصها والمعارض على هذه الطريقة بوجوب الشبع عند الاكل والسكر عند شرب الخمر وما جرى مجرى ذلك غير صحيح لامر او جوه في سائر ما ذكرناه الا ترى ان في الناس من يشبع بالقليل وفيهم من لا يشبع

العجبة وكذلك الشكر والربح ولما استند ذلك الى العادة جاز
ان تختلف بالاشخاص والاحوال ولما استند ما ذكرناه من الوجوب
الى غير العادة كان مستمرا في كل شخص وعلى كل حال وجرى وثبت فاثبت
اهل الاخرة من الاخر مسئلة في تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم
السلام اعلم انه لا طريق من جهة العقل الى القطع بفضل مكلف على
اخر لان الفضل المراعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ولا سبيل
الى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات لان الطاعتين قد
يتساوى في ظاهر الامر حالهما وان يكون ثواب احديهما على الاخرى زيادة
عظيمة واذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع فان دل
سمع مقطوع به من ذلك على شيء معول عليه والا كان الواجب التوقف
عنه والشك فيه وليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحته ما يدل
على فضل نبي على ملك ولا ملك على نبي وسنبين ان آية واحدة مما يتعلق به
في تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن ان يستدل بها على
ضرب من الترتيب نذكره والمعتمد في القطع على ان الانبياء افضل من
الملائكة عليهم السلام على اجماع الشيعة الامامية على ذلك لانهم لا يختلفون
في هذا بل يزيدون عليه ويذهبون الى ان الائمة افضل من الملائكة عليهم
اجمعين السلام واجماعهم حجة لان المعصوم في جملتهم وقد بينا في مواضع
من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبناه واجبنا عن كل
سؤال يسئل عنه فيها وبينا كيف الطريق مع غيبة الامام الى العلم بمذاهبهم
واقوالهم وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به ههنا ويمكن ان يستدل
على ذلك بامر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم عليه السلام وانه يقتضي تعظيمه
عليهم وتقديمه واكرامه واذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه و
تقديمه على الفاضل علمنا ان ادم عليه السلام افضل من الملائكة و
كل من قال ان ادم عليه السلام افضل من الملائكة ذهب الى ان جميع الانبياء
عليهم السلام افضل من جميع الملائكة ولا احد من الامة فصل بين

وعلى كل حال

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما

الامرين

الامرين فان قيل فمن اين ان امرهم بالسجود على جهة التقدير والتعظيم
قلنا لا يخلو تعبدهم بالسجود له من ان يكون على سبيل القبلة والجهة من
غير ان يقترن به تعظيم وتقديم او يكون على ما ذكرناه فان كان الاول
لم يجز ان يأنف ابليس من السجود ويتكبر عنه ويقول أرأيتك هذا الذي كرمت علي
ويقول انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والقرآن كله ناطق بان
امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة فلو لم يكن
الامر على هذا لوجب ان يرده الله تعالى عن اعتقاده ويعلمه انه لم يأمره بالسجود على
وجه تعظيمه له ولا تفضيله بل على الوجه الاخر الذي لا حظ للتفضيل فيه
وما جاز اغفال ذلك وهو سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك
دل على ان الامر بالسجود لم يكن الا على جهة التفضيل والتعظيم وكيف يقع شك
في ان الامر على ما ذكرناه وكل نبي اراد تعظيم ادم عليه السلام ووصفه
بما يقتضي الفخر والشرف نعته باسجاد الملائكة وجعل ذلك من اعظم فضائله
وهذا مما لا شبهة فيه فاما اعتماد بعض اصحابنا في تفضيل الانبياء على الملائكة
على ان المشقة في طاعات الانبياء عليهم السلام اكثر واوفر من حيث كانت لهم
شهوات في القبائح ونفار عن الواجبات فليس بمعتمد لانا لا نقطع على ان
مشاق الانبياء اعظم من مشاق الملائكة في التكليف والشك في مثل ذلك
واجب وليس كل شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه ونحن
نعلم على الجملة ان الملائكة اذا كانوا مكلفين فلا بد من ان يكون عليهم
مشاق في تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثوابا على طاعاتهم والتكليف انما
يحسن في كل مكلف تعريضا للثواب ولا يكون التكليف عليهم شاقا الا و
يكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عما اوجب واذا كان الامر
على هذا فمن اين يعلم ان مشاق الانبياء عليهم السلام اكثر من مشاق الملائكة
واذا كانت المشقة على ما ذكرناه تابعة للتكليف المتميز ولا طريق الى القطع على
زيادتها في تكليف آخر فالواجب التوقف والشك ونحن الآن نذكر
شبه من فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام ونتكلم عليها بعون الله

انما امرهم

والجهة

طاعاتهم

تكليفها لامتهم

بعض ونقصانها في تكليفهم

شبه من فضل الملائكة

فيما تعلّقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن إبليس مخاطباً لآدم وحواء
عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين فرغّبهما في التناول ليصيرا في منزلة الملائكة حتى تناولا وعصيا
وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة هي دون منزلته حتى يحمله ذلك
على خلاف الله تعالى ومعصيته وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء عليهم
السلام وتعلّقوا بقوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة
المقربون وتأخيره ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم لأن العادة
إنما جرت بأن يقال لن يستنكف الوزير أن يفعل كذا ولا الخليفة فيقدم
الأدون ويؤخر الأعظم ولا يجوز أن يقال لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا
ولا الحارس وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء وتعلّقوا بقوله تعالى
ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات و
فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قالوا وليس بعد بني آدم مخلوق
يستعمل في الخبر عنه لفظة من التي لا تستعمل إلا في العقلاء إلا الجن والملائكة
فلما لم يقل وفضلناهم على من خلقنا بل قال على كثير ممن خلقنا علم أنما أخرج
الملائكة ممن فضّل بني آدم عليه لأنه لا خلاف في أن بني آدم أفضل من الجن
فإذا كان تضمّن الخطاب يقتضي مخلوقاً لم يفضّل بنو آدم عليه فلا شبهة
في أنهم الملائكة وتعلّقوا بقوله تعالى ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم
الغيب ولا أقول لكم إني ملك فلولا أن حال الملائكة أفضل من حال النبي
لما قال ذلك فيقال لهم فيما تعلّقوا به أولاً لم زعمتم أن قوله تعالى إلا أن
تكونا ملكين معناه أن تصيرا وتنقلبا إلى صفة الملائكة فإن هذه اللفظة
ليست صريحة لما ذكرتم بل أحسن الأحوال فيه ~~[illegible]~~
أن تكون محتملة له وما أنكرتم أن يكون المعنى أن المنهي عن تناول الشجرة
غيركما وأن النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما ويجري ذلك
مجرى قول أحدنا لغيره ما نُهيت أنت عن كذا إلا أن تكون فلاناً وإنما يعني أن
المنهي هو فلان دونك ولم يرد إلا أن تنقلب فتصير فلاناً ولما كان غرض إبليس

ما قيل

ايضا

فيقال

أن ام

إيقاع الشبهة لهما فمن آكد الشبه أنهما لم يُنهيا وإنما النهي لغيرهما و
من وكيد ما يُفسد به هذه الشبهة أن يقال ما أنكرتم أن يكونا رغبا
في أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وخلقتهم كما رغّبهما إبليس في ذلك ولا تدل
هذه الرغبة على أن الملائكة أفضل منهما لأن بالتقلب إلى الخلقة غيرها لا يغلب
ولا يعتبر بانقلاب الصورة والخلق وإنما يستحق على الأعمال دون الهيئات
وغير ممتنع أن يكونا رغبا في أن يصيرا على هيئة الملائكة وصورها وليس ذلك
برغبة في الثواب ولا الفضل فإن الثواب لا يتبع الهيئات والصور ألا ترى
أنهما رغبا في أن يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في ثواب
ولا فضلاً فيه وإنما هو نفع عاجل فكذلك لا يمتنع أن تكون الرغبة منهما
في أن يصيرا ملكين إنما كانت على هذا الوجه ويمكن أن يقال
للمعتزلة خاصة وكل من أجاز على الأنبياء الصغائر ما أنكرتم أن يكونا
اعتقدا أن الملك أفضل من النبي وغلطا في ذلك وكان منهما ذنباً
صغيراً لأن الصغائر عندكم تجوز على الأنبياء ومن أين لكم إذا اعتقدا
أن الملائكة أفضل من الأنبياء ورغبا في ذلك أن الأمر على ما اعتقداه
مع تجويزكم عليهم الذنوب فليس لهم أن يقولوا إن الصغائر إنما تدخل
في أفعال الجوارح دون القلوب لأن ذلك تحكّم بغير برهان وليس يمتنع على
أصولهم أن تدخل الصغائر في أفعال القلوب كالجوارح معاً لأن حدّ
الصغير عندكم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله وليس يمتنع معنى
هذا الحد في أفعال القلوب كما لا يمتنع في أفعال الجوارح ويقال
لهم فيما تعلّقوا به ثانياً ما أنكرتم أن يكون هذا القول إنما توجّه إلى قوم
اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء فأخرج الكلام على حسب
اعتقادهم وأخّر ذكر الملائكة لذلك ويجري هذا القول مجرى من
قال لغيره لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك وإن كان القائل لا
يعتقد أن أباه أفضل وإنما أخرج الكلام على اعتقاد المخاطب المخالف
ومما يجوز أيضاً أن يقال إنه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة

إيهاماً لهما

تقول له

اللهم إلا الخلود في طاعة فيجب على
مزيد الأجر والثواب فقد تردد لكن
ليس بلازم فافهم

على مرد

أقول هذا التعليل لدخول الصغائر في أفعال
القلوب والجوارح غير متجه لأن معنى نقص عقابه عن
ثواب طاعات فاعله أن دخول العقاب ناقصاً وثبات
العقاب على القلوب أول الكلام فليته ردّ تجويز
أن يكون اعتقادهم وظنهم أن الملائكة أفضل منهم على عدم
علمهم بأنهم أفضل وإن أراد تعاظم يومئذٍ علم أهلهم ... مع أن
الفهم حين إبليس أيضاً كان لا يعلم فضيلة الأنبياء على غيرهم من الملائكة و
كان يعلم ذلك كان أيضاً يعلم أنهما أفضل فخذهم من الجن
الجنة وليس عدم علمهم بذلك بقادح في نبوتهم لأنه موقوف
التوقف ولم يقع إذن فتدبر

وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل منهم ومع التقارب والتداني يحسن ان يوقع
لكن لا تفضيل الذي لا تقارب بينه وبين غيره في الفضل فاما مع التفاوت
لا يحسن ذلك الا ترى انه يحسن ان يقول القائل ما يستنكف الامير والوزير
من كذا ولا الامير فلان من كذا فان كانا متساويين او متقاربين
او متقاربين ولا يحسن ان يقول ما يستنكف الامير من كذا ولا الحارس
لاجل التفاوت واقوى من هذا انه تعالى انما اخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح
لان جميع الملائكة اكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا وهذا لا يقتضي
ان كل واحد منهم افضل من المسيح عليه السلم وانما الخلاف في ذلك ويقال
لهم فيما تعلقوا به ثانيا الا انكرتم ان يكون المراد بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا
تفضيلا انا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض ويجري
ذلك مجرى قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا معناه لا تشتروا به ثمنا
فكل ما تأخذونه عنها قليل ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة
ويشكر قول الشاعر ؎ من أناس ليس من اخلاقهم ؎ عاجل الفحش ولا سوء الجزع
وانما اراد نفي الفحش كله عن اخلاقهم ووصفه بانه عاجل ونفي الجزع
عنها وان وصفه بالسوء وهذا من غريب البلاغة ودقيقها ونظائره في
الشعر والكلام الفصيح لا تحصى وقد كنا املينا في تأويل هذه الآية
وهو انه غير ممتنع ان يكون جميع الملائكة افضل من جميع بني آدم وان كان
في جملة بني آدم من الانبياء عليهم السلم من يفضل كل واحد منهم على
كل واحد من الملائكة لان الخلاف انما هو في تفضيل كل بني آدم على ملك
وغير ممتنع ان يكون جميع الملائكة فضلاء يستحق كل واحد منهم الجزيل
الاكثر من الثواب فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم لان الافاضل
من بني آدم اقل عددا وان كان في بني آدم آحاد كل واحد منهم افضل
من كل واحد من الملائكة **وجه آخر** ومما يمكن ان يقال في هذه
الآية ايضا ان خصوص الآية اذا تؤملت يقتضي انه تعالى لم يرد التفضيل
الذي هو زيادة الثواب وانما اراد النعم والمنافع الدنياوية الا ترى

الى

الى قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم والكرامة انما هي التنزيه وما يجري
مجراه ثم قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ولا شبهة
في ان الحمل لهم في البر ورزق الطيبات خارج عما يستحق به الثواب ويقتضي
التفضيل الذي وقع الخلاف فيه فيجب ان يكون ما عطف عليه من التفضيل
خارجا عن ذلك الباب وفي هذا الفصل فانه اشبه من ان يكون المراد بخبرها
بسياق الآية وارد به ويجري عليه واقل الاحوال ان يكون لفظة فضلناهم
محتملة للامرين فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما ذهب اليه **ويقال**
لهم فيما تعلقوا به رابعا لا دلالة في هذه الآية على ان حال الملائكة
افضل من حال النبي عليه السلم لان الغرض في الكلام انما هو نفي ما لم يكن
عليه لا التفضيل لذلك على ما هو عليه الا ترى ان احدنا لو ظن به على
صفة وهو ليس عليها جاز ان ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ وان كان
على احوال هي افضل من تلك الحال وارفع وليس يجب اذا انتفى عما ثبت انه
من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده ان يكون ذلك معتمدا في
كل ما يقع النفي له والنبي اشبه واذا لم يكن ملكا كما لم يكن عنده
خزائن الله تعالى جاز ان يجمع بين الامرين من غير ملاحظة لان حاله دون
هاتين الحالتين **وربما** توضح هذا ويزيل الاشكال فيه انه تعالى حكى
عنه في آية اخرى ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله
خيرا ونحن نعلم ان منزلته عن جليلة وهو على كل حال ارفع منها واعلى
فما المنكر من ان يكون نفي الملكية عنه في انه لا يدعي ان حاله دون
حال الملك عن ارتفاع هذه المنزلة والتعلق بهذه الآية ضعيف جدا وفيما
اوردناه كفاية وبالله التوفيق **تفسير البيت** الذي ذكره السيد
محمد الحميري في قصيدته المذهبة وهو

ردت اليه الشمس لما فاته ؎ وقت الصلوة وقد دنت للمغرب

قال رضي الله عنه هذا خبر عن رد الشمس له عليه السلم في حيوة النبي صلى الله
عليه وآله لانه روي ان النبي صلى الله عليه وآله كان نائما ورأسه في

بحجر امير المؤمنين عليه السلام فلما حان وقت صلوة العصر كره ان يتحرك
لئلا يزعج النبي صلى الله عليه وآله من نومه فلما تجلى عنه واخبره النبي
عليه السلام دعا الله تعالى بردها له فردها فصلى عليه السلام الصلوة في وقتها
فان قيل هذا يقتضي ان يكون عليه السلام عاصيا بترك الصلوة قلنا
عن هذا جوابان احدهما انه انما يكون عاصيا اذا ترك الصلوة بغير عذر و
ازعاج النبي عليه السلام عذر وبعد لا ينكر ان يكون عذرا في ترك الصلوة والوجه
الآخر انه في ترك جميع افعال الصلوة الا بعقد القلب والنية كالنوم والاغماء
قياما كانت كلها ولم يكن عليه السلام في تلك الحال بتلك الصفة فاما الاعذار
التي يكون معها العقل والتمييز ثابتين كالزمانة والرباط والقيد و
المرض الشديد واشتباك القتال فانما يكون عذرا في استيفاء افعال الصلوة
وليس بعذر في تركها اصلا وان كل معذور ممن ذكرناه يصليها على حسب طاقته
ولو بالايماء قلنا غير منكر ان يكون عليه السلام صلى مؤميا وهو جالس لما
تعذر عليه القيام اشفاقا من ازعاج النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا تكون
فائدة رد الشمس ليصلي مستوفيا لافعال الصلوة وليكون ايضا فضيلة له ودلالة
على علو شأنه والجواب الآخر ان الصلوة لم تفته بمضي جميع وقتها وانما فاته
ما فيه الفضل والمزية من اول وقتها ويقوي هذا الوجه شيئان احدهما في
الرواية الاخرى لان فيها ما يقويه صريحا في ان الفوت لم يقع وكانت
فاتت وكادت لانهم قالوا وقد دنت للغروب وهي الشمس وهذا ايضا
يقتضي انها لم تغرب وانما دنت وقاربت الغروب فان قيل اذا كانت
لم تفت فاي معنى للدعاء بردها حتى يصلي في الوقت وهو قد صلى فيه قلنا
الفائدة في ردها ليدرك فضيلة الصلوة في اول الوقت وليكون ذلك
دلالة على سمو محله وجلالة قدره في خرق العادة من اجله فان قيل
اذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي بردها فان العادة انخرقت
للنبي عليه السلام لا لغيره قلنا اذا كان النبي عليه السلام انما دعا بردها لاجل
امير المؤمنين عليه السلام وليدرك ما فاته من فضل الصلوة فشرف

انخراق

انخراق العادة والفضيلة به مستقيمة بينهما عليهما السلام فان قيل
كيف يصح رد الشمس واصحاب الهيئة والفلك يقولون ان ذلك محال لانا لو قدرنا
وقبة كان جائزا على مذاهب اهل الاسلام الذين لو ردت الشمس من وقت الغروب
الى وقت الزوال لكان يجب ان يعلم اهل الشرق والغرب بذلك لانها تطلع في
الطلوع على بعض البلاد فيطول ليلهم على وجه خلاف العادة ويمكث من
نهار قوم آخرين ما لم يكن معتادا ولا يجوز ان يخفى على اهل البلاد غروبها ثم
طلوعها بعد الغروب وكانت الاخبار تنتشر بذلك ويؤرخ هذا الحادث
العظيم في التواريخ ويكون ابهى واعظم من الطوفان قلنا قد دللنا بالادلة
الصحيحة الواضحة على ان الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك
غير متحرك لنفسه ولا بطبيعة على ما يهذي به القوم وان الله تعالى هو المحرك
له والمصرف باختياره فيه وقد استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا
وليس هذا موضع ذكره واما علم اهل الشرق والغرب والجبل بذلك على ما
مضى من السؤال فغير واجب لانا لا نحتاج الى القول بانها ردت من وقت
الغروب الى وقت الزوال وما يقاربه على ما مضى في السؤال بل نقول ان
وقت الفضل في صلوة العصر هو ما يلي بلا فصل زمان اداء المصلي فرض الظهر
اربع ركعات عقيب الزوال في كل زمان ووقت فمن تجاوز هذا الوقت
فذلك الفضل فاتت فيه فاذا ردت الشمس هذا القدر اليسير الذي نفرض
انه مقدار ما يؤدى فيه ركعة واحدة خفي على اهل الشرق والغرب ولم
يشعروا به لانه مما يجوز ان يخفى على من يشاهد الحال وشاهدها ان لم يمعن النظر
فيها والتفتيش عنها فبطل السؤال على جوابنا الثاني المبني على فوت الفضيلة
فاما الجواب الآخر المبني على انها كانت فاتت بغروبها للعذر الذي ذكرناه
فالسؤال ايضا باطل منه لانه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان وبين
مغيب بعضها وظهور بعض الا زمان يسير قصير يخفى فيه رجوع الشمس بعد مغيب
جميع قرصها الى الظهور بعضها على قريب وبعيد ولا يفطن اذا لم يعرف سبب ذلك
على وجه خارق للعادة ومن نظن بان قوة الشمس غاب ثم عاد جوزان يكون

العادة

ذلك لعلكم أخايل تفسير قول الشاعر في هذه القصيدة أيضاً

وعليه قد حبست ببابل مرة ... أخرى وما حبست لخلق معوز

هذا البيت يتضمن الإخبار عن رد الشمس ببابل على أمير المؤمنين عليه السلم
والرواية بذلك مشهورة وأنه عليه السلم لما فاته وقت العصر ردت له الشمس
حتى صلاها في وقتها وخرق العادة ههنا لا يمكن نسبته إلى غيره عليه السلم كما
أمكن ذلك في أيام النبي عليه السلام والصحيح في فوت الصلوة هنا أحد الأمرين
اللذين تقدم ذكرهما في رد الشمس على محمد النبي صلى الله عليه وآله وهو أن
فضيلة أول الوقت فاته لضرب من الشغل فردت عليه الشمس ليدرك الفضل
بالصلوة في أول الوقت وقد بينا هذا الوجه في تفسير البيت الذي أوله ردت
عليه الشمس وأبطلنا قول من ادعى أن ذلك كان يجب أن يعم الخلق في الآفاق
معرفته حتى يدونوه ويؤرخوه فأما من ادعى أن الصلوة فاتته بأن تقضى
جميع وقتها إما لغشاء طيبه بعض عسكره أو لأن بابل أرض خسف لا يجوز الصلوة
عليها فقد أبطل لأن الشغل بغيره لا يكون عذراً في فوت صلوة فريضة وأن
أمير المؤمنين عليه السلم أجل قدراً وأعلى رتبة من أن يكون ذلك عذراً له في
فوت فريضة وأما أرض الخسف فإنما تكره الصلوة فيها مع الاختيار فإذا لم
يتمكن من الصلوة في غيرها وخاف فوت الوقت وجب أن يصلي فيها و
تزول الكراهة فأما قول الشاعر وعليه قد حبست ببابل مرة
فإنما أراد بحبست ردت وإنما كره أن يعيد لفظة الرد لأنها قد تقدمت فإن قيل
حبست يعني وقفت ومعناه يخالف معنى ردت قلنا المعنيان ههنا
واحد لأن الشمس إنما ردت إلى الموضع الذي تجاوزته فقد حبست عن السير
المعهود وقطع الأماكن المألوف فأما المغرب فهو الطريق العصيب يجمع بينا
أغرب فلان عن كذا إذا أبان عنه مسئلة إن سأل سائل فقال ما الجواب
لمن يدعي عند إقامة الدليل على حدث الجسم والجوهر والعرض
شيئاً ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض أحدث الله تعالى الأشياء منه وما الذي
يفسد دعواه من المطالبة له بالأثر على صحتها الجواب أول ما نقوله

يتضمن هذا البيت الإخبار ـ نسخة ل

هو م

وسلم

ليدرك الفضل ل

بتغشيه م ل

الفكر م

الفصل م

السير م ل

وهذا الباب أن إحداث شيء من شيء غيره كلام محال ظاهر الفساد لأن
المحدث على الحقيقة هو الموجود بعد أن كان معدوماً فإذا فرضنا أنه أحدث
من غيره بعد جعلناه موجوداً في ذلك الغير ولا يكون محدثاً في الحقيقة ولا
موجوداً بعد عدم حقيقي وكأنا قلنا إنه محدث وليس بمحدث وهذا مناقض
على أن الجواهر والأجسام إنما حكمنا بحدثها لأنها لم تخل من الأعراض
ولم تتقدم المحدث فهو محدث مثله وإذا كانت الأعراض التي
نعدوها إلى حدوث الأجسام والجواهر محدثة لا من شيء ولا عن هيولى
على ما يقوله المتعلقون به فيجب أن تكون الجواهر والأجسام أيضاً
محدثة على هذا الوجه لأنه إذا وجب أن تساوي ما لم يتقدم المحدث لم في
حدوثه فيجب أن تساويه أيضاً في كيفية حدوثه على أنا لا نرى أن ما
أحدث من غيره ليس بمحدث في الحقيقة والعرض محدث على الحقيقة فيجب
فيما لم يتقدمه في الوجود أن يكون محدثاً على الحقيقة يبين ما ذكرناه
أن من أحدث من طين أو شمع صورة فهو غير محدث لها على الحقيقة وكيف
يكون كذلك وهي موجودة الأجزاء في الطين والشمع وإنما أحدث الصور و
تصويرها وتركيبها والمعاني المخصوصة فيها وهذا يقتضي أن الجواهر
والأجساد على مذهب أصحاب الهيولى غير محدثة على الحقيقة وإنما حدثت
الصور والتركيب وإذا كان الدليل على حدوث جميع الأجسام والجواهر
قد دل بطل هذا المذهب فأما الذي يدل على بطلان قول من أثبت
شيئاً موجوداً ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض من غير حيز المطالبة بتصحيح دعواه
وتعجيزه عن ذلك فهو أنه لا حكم لذات موجودة ليست بجسم ولا جوهر ولا عرض
يعقل ويمكن الإشارة إليه وما لا حكم له من الذوات والصفات لا يجوز
إثباته ولا بد من نفيه لأنه يؤدي إلى الإثبات ما لا فرق بين إثباته ونفيه
وتجويز ذلك يؤدي إلى الجهالات وإلى إثبات ما لا نهاية له من الذوات
والصفات وقد بينا هذه الطريقة في مواضع من كتبنا لا سيما في الكتاب
الملخص في الأصول على أنا نقول لمن أثبت الهيولى وادعى أنه أصل العالم

في الوجود عليها لم يتقدم

يحوجه م ل

كله

فان الاجسام والجواهر متى ما احدثت لا تخلو في هذه الذات التي سميتها
بالهيولى من ان تكون موجودة او معدومة وما نريد بالوجود ما تعنونه
انتم بهذه اللفظة لان الموجود عندكم يكون بالفعل ويكون بالقوة ويكون
المعدوم عندكم موجودا بالقوة او في العلم وانما نريد بالوجود هذا الذي
نعقله ونعلمه ضرورة وجوده وثبوته وكذلك القول في الالوان وما عداها
من المدركات فان قال هي موجودة على حد يدكم قلنا فيجب ان تكون
متحيزة لانها لو لم تكن بهذه الصفة ما حصل فيها التحيز الا ترى ان الاعراض
لما لم تكن متحيزة لم يمكن ان يحدث فيها التحيز فهي من جنس الجواهر وبطل
القول بانها ليست بجوهر ووجب لها الحدوث لان دليل حدوث الاجسام
يحيطها ويشتمل عليها فبطل ايضا القول بقدمها وثبت حدوثها وان
قال هي معدومة قلنا اذا كانت معدومة على الحقيقة فما
ثبوتكم اثبات قدم لها ولا حدوث لان اثبات هاتين الصفتين
انما تتعاقبان على الموجود فكانكم تقولون ان الله تعالى جعل من هذه
الهيولى المعدومة جواهر واجساما موجودة وهذه موافقة في المعنى
لاهل الحق القائلين بان الجواهر في العدم على صفة تقتضي وجوب
التحيز لها متى وجدت وان الله تعالى اذا اوجد هذه الجواهر وجب لها
في الوجود التحيز لما هي عليه في نفسها من الصفة في العدم الموجبة
لذلك بشرط الوجود وان الفاعل انما يؤثر في صفة الوجود ولا تاثير له
في الصفة التي كانت عليها الجواهر في العدم على ان هذه الطائفة
اذا صاروا اليها تقتضي ان اجناس الاعراض كلها قديمة لان الدليل
قد دل على ان السواد ولكل جنس من الاعراض صفة ثابتة في حال العدم
تقتضي كونه على الصفة التي يدرك عليها ان كان مما يدرك
في حال الوجود وان الفاعل انما يؤثر في احداثه وايجاده دون الصفة
التي كان عليها في حال العدم والقول في الاعراض كالقول في الجواهر
في هذه القضية فيجب ان تكون الجميع هيولى لان الطريق واحد وكلام

عند ادراك الذوات المدركات
لان احدنا اذا ادرك الجسم متحيزا
علم ضرورة م

بجملة م ل

هو؛

لو لا هم لما غير محصل ولا مفهوم وهم يدعون التحديد وما ابعدهم من ذلك
مسئلة ما حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء عليهم السلام
وهل هو معنى يضطر الى الطاعة ويمنع عن المعصية او معنى يضام الاختيار
فاذكروه ودلوا على صحة ما تقتضيه لكون اختصاص المذكورين به
دون من سواهم فقد قال بعض المعتزلة ان الله تعالى عصم انبياءه بالشهادة
لهم بالاستعصام كما ضل قوما بنفس الشهادة عليهم بالضلال فان
يكن ذلك هو العصمة فاوم بذكره ودل على صحته وبطلان ما سواه وتعلقه
من الطعن عليه وان يكن باطلا فدل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد
فيه ما سواه الجواب اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار
العبد عنده الامتناع من فعل القبيح فيقال على هذا ان الله تعالى عصمه
بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ويقال ان العبد معصوم
لانه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح واصل
العصمة في موضوع اللغة المنع يقال عصمت فلانا من السوء اذا منعت من
حلوله به غير ان المتكلمين اجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند
اللطف الذي يفعله الله تعالى به لانه اذا فعل به ما يعلم انه يمتنع عنده
من فعل القبيح فقد منعه من القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهرا وقسرا
واهل اللغة يتعارفون ذلك ايضا ويستعملونه لانهم يقولون فيمن اشار
على غيره برأي فقبله منه مختارا واحتمى بذلك من ضرر يلحقه ويوجه
ماله انه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه منه وان كان ذلك
على سبيل الاختيار فان قيل أتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده
الامتناع من فعل واحد قبيح انه معصوم قلنا نقول ذلك مضافا ولا نطلقه
فنقول انه معصوم من جميع القبائح ونطلق في الانبياء والائمة عليهم
السلام العصمة بلا تقييد لانهم عندنا لا يفعلون شيئا من القبائح بخلاف
ما تقوله المعتزلة من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر فان قيل فاذا كان
تفسير العصمة ما ذكرتم فالا عصم الله تعالى جميع المكلفين وفعل بهم ما

والتحقيق م
في العصمة م
والائمة م
فان كان معنى يضطر الى الطاعة
ويمنع عن المعصية فكيف يجوز الحمد م
والذم لفاعلها وان كان معنى يضام
الاختيار م
المعتمد م ل
دون م

يختارون عنده الامتناع من القبائح **قلنا** كل من علم الله تعالى أن له
لطفاً يختار عنده الامتناع من القبيح فإنه لا بد أن يفعل به وإن لم يكن
نبياً ولا إماماً لأن التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع
كثيرة غير أنه لا يمتنع أن يكون في المكلفين من ليس في المعلوم أن
شيئاً متى فعل اختار عنده الامتناع من القبائح فيكون هذا المكلف لا عصمة
له في المعلوم ولا لطف وتكليف من لا لطف له يحسن ولا يقبح وإنما
القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف **فأما** قول بعضهم
إن العصمة في الشهادة من الله تعالى بالاستعصام فباطل لأن الشهادة لا تجعل
الشيء على ما هو به وإنما تتعلق به على ما هو عليه لأن الشهادة هي الخبر والخبر عن
كون الشيء على صفة لا يؤثر في كونه عليها فيحتاج أولاً إلى أن يتقدم لنا العلم
بأن زيداً معصوم أو معتصم ونوضح عن معنى ذلك ثم تكون الشهادة من
بعد مطابقة لهذا العلم وهذا أبين من أن يشكل على محصّل فقال هو
الشهادة بأنه يموت أي المعلوم أنه على هذه الصفة وفي هذا البيان
كفاية لمن تأمله **مسألة** ما القول في الأخبار الواردة في عدة كتب
من الأصول والفروع بمدح أجناس من الطير والبهائم والمأكولات
والأرضين وذم أجناس منها كمدح الحمام والبلبل والقبر والحجل والدراج
وما شاكل ذلك من تسبيحات الطير وذم الفواخت والرخم وما يحكى من أن
كل جنس من هذه الأجناس المحمودة ينطق بثناء على الله سبحانه وعلى أوليائه
ودعائه لهم وعلى أعدائهم وأن كل جنس من هذه الأجناس المذمومة ينطق
بضد ذلك في ذم الأولياء عليهم السلام وكذم الجري وما شاكله من السمك
وما نطق به الجري من أنه مسخ بجحده الولاية وورود الآثار بتحريمه لذلك
كذم الدب والقرد والفيل وسائر المسوخ المحرمة وكذم البطيخة التي
كسرها أمير المؤمنين عليه السلام فصادفها مرة فقال من النار إلى النار
ودحا بها من يده فخار من الموضع الذي سقطت فيه دخان وكذم الأرض
السبخة والقول بأنها جحدت الولاية أيضاً وقد جاء في هذا المعنى ما لو

ودعائهم

من حر

تتبع

لم يحصر وظاهره منافٍ لما تدل العقول عليه من كون هذه الأجناس مفارقة
لعقيل ما يجوز تكليفه ويسوغ أمره ونهيه وفي هذه الأخبار التي أشرنا إليها
أن بعض هذه الأجناس يعتقد الحق ويدين به وبعضها يخالفه وهذا كله منافٍ
لظاهر ما العقلاء عليه ومنها ما يتضمن أن لهذه الأجناس منطقاً مفهوماً
وألفاظاً تفيد أغراضاً وأنها بمنزلة الأعجمي والعربي اللذين لا يفهم أحدهما
صاحبه وأن شاهد ذلك من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه
السلم يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل
المبين وكلام النملة أيضاً مما حكاه الله سبحانه وكلام الهدهد
واحتجاجه وجوابه وتفنيه فليتفضل بذكر ما عنده في ذلك مثاباً إن شاء الله
الجواب وبالله التوفيق اعلم أن المعوّل فيما نعتقده على ما تدل الأدلة عليه
من نفي وإثبات فإذا دلت الأدلة على أمر من الأمور وجب أن نبني كل
وارد من الأخبار إذا كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه إليه ونطابق
بينه وبينه ونجلي ظاهراً إن كان له ونشرط إن كان مطلقاً ونخصه إن كان
عاماً ونفصله إن كان مجملاً ونوفق بينه وبين الأدلة من كل طريق اقتضى الموافقة
ذلك إلى المطابقة وإذا كنا نفعل ذلك ولا نحتشم في ظواهر القرآن المقطوع
على صحته المعلوم وروده فكيف نتوقف عن ذلك في أخبار آحاد لا توجب
علماً ولا تثمر يقيناً فمتى وردت علينا أخبار هذا عرضناها على هذه الجملة وبنيناها
عليها وفعلنا فيها ما حكمت به الأدلة وأوجبته الحجج العقلية وإن تعذر
فيها تأويل وتخريج وتنزيل فليس غير الإطراح لها وترك التعريج عليها
ولو اقتصرنا على هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبر ويتفكر وقد يجوز أن يكون
المراد بذم هذه الأجناس من الطير أنها ناطقة بضد الثناء على الله تعالى
وبذم أوليائه ونقص أصفيائه معناه ذم متخذيها ومرتبطيها وأن
هؤلاء المغترين بمحبة هذه الأجناس واتخاذها هم الذين ينطقون بضد
الثناء على الله تعالى وبذم أوليائه وأحبائه فأضاف النطق إلى هذه الأجناس
وهو لمتخذيها أو مرتبطيها للتجاور والتقارب على سبيل التجوز والاستعارة

اقتضى

عليها

المغترين

كما اضاف الله تعالى في القرآن السؤال الى القرية وانما هو لاهل القرية
وكما قال تعالى وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها
خسرا وفي هذا كله حذوف وتكلف فالظاهر التعلق بمن هو في
الحقيقة متعلق بغيره والقول في مدح اجناس من الطير والوصف
لها بانها تنطق بالثناء على الله تعالى والمدح لاوليائه يجري على هذا
المنهاج الذي نحوناه فان قيل كيف يستحق مرتبط هذه الاجناس مدحا
بارتباطها ومرتبط بعض آخر ذما بارتباطها حتى علقتم المدح والذم
بذلك قلنا ما جعلنا لارتباط هذه الاجناس حظا في استحقاق
مرتبطها مدحا ولا ذما وانما قلنا انه غير ممتنع ان تجري عادة المؤمنين
الموالين لاولياء الله تعالى والمعادين لاعدائه بان يالفوا ارتباط اجناس
من الطير وكذلك تجري عادة بعض اعداء الله تعالى باتخاذ بعض اجناس
الطير فيكون متخذ بعضها ممدوحا لا من اجل اتخاذه لكن لما هو عليه من
الاعتقاد الصحيح مضافا المدح الى هذه الاجناس وهو لم يعلقها والتطوق
بالتسبيح والدعاء الصحيح الينا وهو لمتخذها تجوزا واتساعا وكذلك
القول في الذم المقابل للمدح فان قيل فلم نهي عن اتخاذ بعض هذه
الاجناس اذا كان الذم لا يتعلق باتخاذها وانما يتعلق ببعض متخذيها
لكفرهم وضلالهم قلنا يجوز ان يكون في اتخاذ هذه البهائم المنهي
عن اتخاذها وارتباطها مفسدة وليس يقبح خلقها في الاصل لهذا الوجه
لانها خلقت لينتفع بها من سائر وجوه الانتفاع سوى الارتباط
والاتخاذ الذي لا يمتنع تعلق المفسدة به ويجوز ايضا ان يكون
في اتخاذ هذه الاجناس المنهي عنها شوم وطيرة وللعرب في ذلك
مذهب معروف ويصح هذا النهي ايضا على مذهب من نفى الطيرة على
التحقيق لان الطيرة والتشاؤم وان كان لا تاثير لها على التحقيق فان
النفوس تستشعر ذلك ويسبق اليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقي

منه

منه وعلى هذا يحمل معنى قوله عليه السلام لا تؤذوا دواجنكم على عجم فاما تحريم
السمك الجري وما اشبهه فغير ممتنع لشيء يتعلق بالمفسدة فيها ولم كما
نقول في سائر المحرمات فاما القول بان الجري كان مسخ لجحده الولاية
فهو مما يضحك منه ويعجب من قائله والمتكلف له مثله فاما تحريم الله
والقرد والفيل فكتحريم كل محرم في الشريعة والوجه في التحريم لا يختلف
والقول بانها ممسوخة اذا تكلفنا حمله على انها كانت على خلق جميلة
غير منفور عنها ثم جعلت على هذه الصور المشنعة على سبيل التنفير عنها
والزيادة في الصد عن الانتفاع بها لان بعض الاجسام لا يجوز ان يكون غيره
على الحقيقة والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة فكيف يجوز ان يصير
حي حيا آخر غيره واذا اريد بالمسخ هذا فهو باطل وان اريد غيره نظرنا
فيه واما الطيبة فقد يجوز ان يكون امير المؤمنين عليه السلام لما اذاقها
نفر من طعمها ونادت كراهية له فقال من النار والى النار اي هذا من
طعام اهل النار ومما يليق بعذاب اهل النار كما يقول احدنا ذلك فيما يستقبحه
ويكرهه ويجوز ان يكون قرن الدخان عند الاطاهر كان على سبيل
التصديق لقوله عليه السلام من النار والى النار واظهار معجزة له واما ذم
الارضين السبخة والقول بانها جحدت الولاية فمتى لم يكن محمولا على معناه على
ما قدمناه من جحد اهل هذه الارض وسكانها الولاية لم يكن معقولا و
يجري ذلك مجرى قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها
ورسله واما اضافة اعتقاد الحق الى بعض البهائم واعتقاد الباطل والكفر
الى بعض آخر فمما تحيله العقول والضرورات لان هذه البهائم غير
عاقلة ولا كاملة ولا مكلفة فكيف تعتقد حقا او باطلا واذا ورد
اثر بظاهر شيء من هذه المحالات اما اطرحناه او تاولناه على المعنى
الصحيح وقد بينا طريق التاويل ونحونا كيف التوصل اليه فاما
حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين فالمراد به انه علم ما يفهم به ما ينطق

عليه م
نطق م
ما عوف
الشيعة ل
السلام
يتسوشه ف ل
معجزاته ل

به الطير وتنبيهًا على في أصواتها وأغراضها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجزة لسليمان وأما الحكاية عن النملة بأنها قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم فقد يجوز أن يكون المراد به أنه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى وأشعرت باقي النمل وخوفتها من الضرر بالمقام وأن النجاة في الهرب إلى مساكنها فيكون إضافة القول إليها مجازًا كما قال الشاعر ¶ وشكا إليّ بعبرة وتحمحم ¶ وكما قال الآخر ¶ وقالت له العينان سمعًا وطاعة ¶ وحدّرتا كالدرّ لما يثقب ¶ ويجوز أيضًا أن يكون وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة كما يتكلم أحدنا يتضمن المعاني المذكورة ويكون ذلك معجزة لسليمان عليه السلام لأن الله تعالى سخر له الطير وأفهمه معاني أصواتها على سبيل المعجز له وليس هذا بمنكر فإن النطق بمثل هذا الكلام المسموع منا لا يمتنع وقوعه ممن ليس بمكلف ولا كامل العقل ألا ترى أن المجنون ومن لم يبلغ الكمال من الصبيان قد يتكلمون الكلام المتضمن للأغراض وإن كان التكليف والكمال عنهم زائلين والقول فيما حكي عن الهدهد يجري على الوجهين اللذين ذكرناهما في النملة فلا حاجة بنا إلى إعادتهما فأما حكايته أنه قال لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه وكيف يجوز أن يكون ذلك في الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب **فالجواب** عنه أن العذاب اسم للضرر الواقع وإن لم يكن مستحقًا وليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون إلا جزاء على أمر تقدم فليس يمتنع أن يكون معنى لأعذبنه عذابًا شديدًا أي لأؤلمنه ويكون الله تعالى قد أباحه الإيلام له كما أباحه الذبح لضرب من المصلحة كما سخر له الطير وبصّره بمنافعه وأغراضه وكل هذا لا ينكر في نبي مرسل تخرق له العادات وتظهر على يديه المعجزات وإنما يشتبه على قوم يظنون أن هذه الحكايات تقتضي أن النملة والهدهد مكلفين وقد بينا أن الأمر بخلاف ذلك **مسألة** إن سأل سائل عن قوله تعالى قل تعالوا أتل

ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وكيف يجوز أن يكون من جملة ما حرم علينا أن لا نشرك به شيئًا والأمر بالعكس من ذلك **الجواب** قيل له هذه المسألة يسأل عنها من لا يتأمل عند الموضع الآية فيحسب خطأها لأن النحويين المذكورين لا يجوز أكثرهم على مذهب أهل العربية أن يكون متعلقًا بقوله ألا تشركوا به شيئًا وإنما هو من صلة الجملة الأولى ولو تعلق النحوي المذكور بقوله ألا تشركوا لم يجز أن يكون تعلقه به تعلق الفاعل أو المفعول وكأنه قال حرم الإشراك أو المبتدأ والخبر فكأنه قال الذي حرم عليكم ربكم ألا تشركوا والتعلق الأول يمنع منه أن لفظة حرم من صلة لفظة ما التي في معنى الذي فلا تعمل فيما بعدها ألا ترى أنك إذا قلت حرمت كذا فالنحو لم عامل في ما بعده عمل الفعل في المفعول وإذا قلت الذي حرمت بطل هذا المعنى ولم يجز أن يكون النحو متعلقًا بما بعده على معنى الفعل بل على سبيل المبتدأ والخبر ولا يجوز أن يكون في الآية التعلق على هذا الوجه لأن صدر الكلام يمنع من ذلك ألا ترى أنه تعالى قال أتل ما حرم فما حرم منصوب لأنه مفعول أتل وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون ما عقد مبتدأ حتى يكون ألا تشركوا خبرًا له وإذا بطل التعلق بين الكلامين من كلا الوجهين نظرنا في قوله تعالى ألا تشركوا ما الذي يتعلق به واحتجنا إلى إضمار يتعلق به ولم يجز أن نضمر حرم ألا تشركوا به لأن ذلك واجب غير محرم فيجب أن نضمر ما أوصاكم ألا تشركوا به أو أقول عليكم ألا تشركوا به والإضمار الأول يشهد له آخر الآية في قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون والإضمار الثاني يشهد له أول الآية من قوله تعالى أتل فكأنه أوصانا به فقد أمرنا به وندبنا إليه **فإن قيل** فما موضع أن من الإعراب **قلنا** في ذلك وجوه ثلاثة **أحدها** الرفع ويكون التقدير ألا تشركوا به شيئًا وكأنه مبتدأ وخبر **الثاني** النصب إما على أوصى أن لا تشركوا به شيئًا أو على أتل أن لا تشركوا **والثالث** أن يكون لغوًا ويكون المعنى لا تشركوا به شيئًا فأما موضع تشركوا فيمكن فيه وجهان النصب بأن والثاني الجزم

بلا محل حمد الشيء فإن قيل كيف يعطف النهي في قوله تعالى ولا تقتلوا
أولادكم على الخبر وهو أوصاكم ألا تشركوا قلنا ذلك جائز مثل قوله تعالى قل إني
أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ومثل قول الشاعر
حج وأوصى بسليمى الأعبدا ۞ أن لا ترى ولا تكلم أحدا ۞ ولا يزل شرابها مبردا ۞
عطف لا يكلم وهو على الخبر ويمكن في الآية وجه غير مذكور فيها والكلام يحتمله
وهو أن يكون الكلام انقطع عند قوله تعالى أتل ما حرم ربكم ثم الوقف هاهنا
ثم ابتدأ فقال عليكم ألا تشركوا به شيئا فإذا حمل هذا الوجه احتمل عليكم
ألا تشركوا وجهين أحدهما أن يراد به الزموا وأوجب عليكم ذلك كما تقول
عليك درهم وعليك أن تفعل كذا ثم قال وبالوالدين إحسانا أي وأوصي
بالوالدين إحسانا والوجه الآخر أن يكون الإغراء كما تقول عليك
زيدا وعليك كذا إذا أمرت بأخذه والدنو إليه ولم يبق بعد هذا إلا قول
واحد وهو أن يقال كيف يجوز أن يقول تعالى أتل ما حرم ربكم عليكم
ثم يأتي بذكر أشياء غير محرمات حتى يجوز لها الوصية أو الأمر وصدر
الكلام يقتضي أن الذي يأتي من بعد لا يكون إلا محرما ألا ترى أن القائل
إذا قال أتل عليك ما وهبته لك كذا وكذا لابد أن يكون ما بعده ويذكره
من الموهوب به وإلا خرج الكلام من الصحة **الجواب** عن ذلك أن التحريم
لما كان إيجابا ودليلا ما أن ما بعده من المذكورات على المعنى دون اللفظ بذكر
الأمور الواجبات والمأمورات للاشتراك في المعنى وأيضا فإن في الإيجاب
والإلزام تحريما ألا ترى أن الواجب محرم الترك وكل شيء ذكر بعد لفظ التحريم
فيه على بعض الوجوه تحريم **فإن قيل** ألا حملتم الآية على ما حملها قوم
عليه من أن لفظة لا زائدة في قوله تعالى ألا تشركوا فكأنه قال حرم
أن تشركوا واستشهدوا على زيادة لا بقوله تعالى ما منعك ألا تسجد ۞
وبقول الشاعر ۞ فما ألوم البيض ألا تسخرا ۞ لما رأين الشمط القفندرا ۞
وبقول الشاعر
ألا يا لقومي قد أطلت عواذلي ۞ ويزعمن أن أودى بحقي باطلي ۞

ويلحينني في اللهو ألا أحبه ۞ وللهو داع دائب غير غافل ۞
معناه وقتها أنكر كثير من أهل العربية زيادة لا في مثل هذا الموضع وشفعوه
وحملوا قوله تعالى ما منعك ألا تسجد على أنه خارج على المعنى فالمراد به ما دعاك
إلى أن لا تسجد ومن أمرك بأن لا تسجد لأن من منع من شيء فقد دعي إلى
أن لا يفعل ومتى حملنا قوله تعالى ألا تشركوا به شيئا على أن لفظة لا زائدة
على تضعيف قوم لذلك فلا بد مما اتصل به هذا الكلام من تقدير فعل آخر
يعمل قوله تعالى وبالوالدين إحسانا لأن ذلك لا يجوز أن يكون معطوفا
على المحرم ولا بد من إضمار ووصينا بالوالدين إحسانا وإذا احتجنا إلى الإضمار
ولم نستغن عنه مما ارتكبنا فيه زيادة لفظة لا فالأولى أن نجعل الإضمار في
صدر الكلام على حال هو من غير الغاية منه ونقدر ما تقدم بيانه فكأنه قال
ووصى ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ويشهد لذلك ويقربه آخر الآية
مسألة إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل
أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما فقال ما معنى هذه الآية وأن
ظاهرها لا يدل على تأويلها **الجواب** قلنا قد ذكر المفسرون في الآية وجهين
نحن نذكرهما ونوضح عنهما ثم نتلوهما بما خطر لنا فيهما زائدا على المسطور
فأحد ما قيل في هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا
نزل عليه القرآن وسمعه من جبريل قرأه معه ما يوحى به إليه
من القرآن أولا أولا قبل استتمامه والانتهاء إلى المنزل منه في الحال
وقطع الكلام عليها فإنما كان يفعل النبي عليه السلام ذلك حرصا
على حفظه وتصحيحه وخوفا من نسيان بعضه فأنزل الله تعالى هذه الآية
ليثبت النبي في تلاوته ما يسمعه من القرآن حتى ينتهي إلى غايته ليتعلق
بعض الكلام ببعض قالوا ونظير هذه الآية قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه
فضمن الله تعالى أنه يجمع له عليه السلام حفظ القرآن ويثبته في صدره ليؤديه
إلى أمته وأسقط عنه كلفة الاستعجال بتلاوته والمسابقة إلى

تعالى م
هذا م
هذه م
وسلم
السلام م
ليثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بتلاوة كل ما يسمعه منه تخفيفا عنه وترفيها له وأكّد ذلك بقوله
تعالى فاذا قرأناه اي اذا انتهينا الى غاية ما نريد ايراده في تلك الحالة
فاتبع قرآنه ذلك وتلاوته فلم تبق منه ما تخطر في الحال ثم ولم تزو
الاخرى انهم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلاوة القرآن على امته واداء ما تبعه
منه اليهم قبل ان يوحى اليه عليه السلام بيانه والايضاح عن معناه فإنه
لأن تلاوته على من لا يفهم معناه ولا يعرف فحواه لا تحسن قالوا وهي معنى
قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه المراد به قبل ان يقضى اليك وحي بيانه
وتفسير معناه لأن لفظة قضى كانت على وجوه معروفة في اللغة فهي
هاهنا بمعنى الفراغ والانتهاء الى الغاية كما قال تعالى فقضاهن سبع
سموات في يومين وكما قال الشاعر
ولما قضينا من منى كل حاجة ۞ ومسّح بالاركان من هو ماسح
أي فرغنا من حاجاتنا وانتهينا الى غاية الوطر منها فأما الجواب الثالث
الزائد على ما ذكرنا فهو انه غير ممتنع ان يريد لا تعجل بأن تستدعي من القرآن
ما لم يوح اليك لأن الله تعالى اذا علم مصلحة في انزال القرآن عليك أنزله
ولم تدخره عنك لأنه لا يدخر عن عباده الالطاف لهم وعلى مصالحهم فإن قيل
على هذا الوجه انه يخالف الظاهر لأنه تعالى قال ولا تعجل بالقرآن
ولم يقل بطلبه واستدعائه والظاهر يقتضي ان الاستعجال بنفس القرآن
لا بغيره قلنا ليس الأمر على ما ظنه السائل وعلى الوجوه الثلاثة في تأويل
الآية لا بد من تقدير ما ليس في الظاهر لأن على الوجهين الاولين
المذكورين لا بد من ان يقدّر ولا تعجل بتلاوة القرآن اما على سبيل الدرس
والتحفظ على ما ذكر في الوجه الاول وان تتلوه على امته قبل ان يأتي
البيان وأي فرق في مخالفة الظاهر بين ان يقدر لا تعجل بتلاوة القرآن
او يقدّر لا تعجل بطلب القرآن واستدعائه ولم فإن قيل هذا يدل
على وقوع معصية منه عليه السلام في استدعائه ما لم يكن له ان يستدعيه
من القرآن لأن النهي لا يكون الا عن قبيح قلنا النهي لا يكون الا عن

قبيح

فاتبع قرآنه م

القضاء م

وبعد وشدت على دهم المهاري
رحالنا ولم ينظر الغادي الذي
هو رائح اخذنا باطراف الاحاديث
بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

اليك م

او ان ط

من النهي

قبيح لا محالة لكن النهي لا يدل على وقوع الفعل المنهي عنه لأنه قد ينهى
عن الفعل من لم يواقعه ألا ترى ان النبي عليه السلام نهي عن الشرك وسائر
القبائح كما نهينا ولم يدل ذلك على وقوع شيء مما نهي عنه منه وهذا ايضا
يمكن ان يكون جوابا لمن اعتمد على الوجهين الاولين اذا قيل له أفوقع
منه عليه السلام تلاوة القرآن على امته قبل نزول بيانه وتحفظه وتكريره على
الدرس كالنهي عنه ويمكن من اعتمد على الوجه الاول في تأويل الآية ان يقول
في قوله تعالى لا تعجل بالقرآن وان كان ظاهره النهي ليس بنهي على الحقيقة
وقد يرد ما هو بلفظ النهي فهو غير نهي على التحقيق كما يرد ما هو بصيغة الامر
وليس بأمر وانما ذلك تخفيف منه عليه السلام وترفيه ووضع كلفة المشقة
فقيل له عليه السلام لا تتكلف المشقة الى تكرير ما ينزل عليك خوفا من ان
تنساه فإن الله تعالى يحفظك هذه المؤونة ويعينك على حفظه وضبطه كما قال
تعالى في الآية الاخرى ان علينا جمعه وقرآنه اي جمعه في حفظك وتأمرك
ويعد فإن الاولى التوقف عن معرفة غاية الكلام الذي ينتهي اليها وينقطع
عليها والتلاوة الى ان يرد منه الآية فالاول بتلاوته لما لا يعرف معناه لتعلق الكلام
بعضه ببعض مندوب عليه السلام الى الاولى من التوقيف على غايته فأما الوجه
الثاني الذي اعتمد فيه على ان النهي انما هو عن تلاوته على الامة قبل ورود
بيانه فإن كان المعتمد على ذلك يقول ليس يمتنع ان تكون المصلحة في التوقف
عن الاداء قبل البيان نهى عليه السلام عن ذلك لأن المصلحة خلافه فهذا
جائز ولا مطعن فيه وان كان المقصد الى ان الخطاب لا يحسن الا مع البيان
على مذهب من يرى ان البيان لا يتأخر عن الخطاب فذاك فاسد لأن الصحيح
ان البيان يجوز ان يتأخر عن وقت الخطاب وانما لا يجوز تأخيره عن وقت
الحاجة وقد بينا الكلام في هذه المسألة والادلة على صحة ما ذهبنا اليه منها
في مواضع من كتبنا وتكلمنا على فساد قول من اوجب اقتران البيان بالخطاب
على ان من اعتمد على هذه الطريقة في هذه المواضع فقد غلط لأن
الآية تدل على ان الله تعالى قد خاطب نبيه عليه السلام بما يحتاج الى البيان

قلنا النهي لا يكون الا عن قبيح م
ولا يواقعه م

على الحقيقة م

من غير انقطاع البيان اليه وإذا جاز ذلك في خطابه تعالى لنبيه عليه
السلم جاز مثله في خطاب النبي عليه السلم لأمته لأن من أبطل تأخير البيان
عن زمان الخطاب يوجب ذلك في كل خطاب ولا يمكن أن يدعي أن قوله
تعالى قد بين لأن ما يمنع من ذلك لأنه قيل له في هذا الوجه لا تعجل
بتلاوة القرآن على أمتك قبل أن يقضى إليك وحيه يعني قبل أن يؤدي
إليك بيانه لأن البيان يتأخر عنه على هذا الوجه وذلك يقدح على مذهب من
منع من تأخير البيان عن الخطاب وهذا التأويل الذي ذكرناه يليق بالوجه
المذكور ويمكن أن تفسر به الآية الأخرى التي هي قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به لأنه نزل على بعض القرآن فإن علينا إنزال ما تقتضي المصلحة إنزاله
عليك وجمعه لك وقوله تعالى فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه يدل
ظاهره على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب لأنه تعالى أمره إذا قرأ عليه
الملك وأوحى إليه القرآن باتباعه ثم صرح بأن البيان يأتي بعده وإن لم يكون
إلا اللفظ الذي هو المعتبرة بالتنزيل لا يستعمل فيه لفظ ثم ألا ترى أنه لا يقال أتاني
زيد ثم عمرو وإنما حضرا في وقت واحد مسئلة إن سأل سائل عن قوله تعالى
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فقال أي معنى لقوله تعالى أورثنا وما الكتاب المشار
إليه وإذا كان الاصطفاء هو الاختيار والاجتباء وذلك لا يليق إلا بمن هو معصوم
مأمون منه القبيح كالأنبياء والأئمة عليهم السلم فكيف قال بعد
ذلك فمنهم ظالم لنفسه وهذا وصف لا يليق بمن ذكرناه الجواب أن الذي
يجب اعتماده في تأويل هذه الآية أن قوله تعالى فمنهم ترجع الكناية فيه
إلى العباد لا إلى الذين اصطفوا وهو أقرب إليه في الذكر فكأنه تعالى
قال ومن عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فإن قيل
فأي فائدة في وصف العباد بهذه القسمة وكيف عدل عن وصف الذين
اصطفاهم وورثهم الكتاب قلنا الوجه في ذلك ظاهر لأنه تعالى لما
حكى توريث الكتاب لمن اصطفى من عباده أراد أن يبين وجه هذا الاختصاص

وأنه إنما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن في العباد من
هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات فهذا وجه المطابقة
بين الكلام والنظم ونحن الآن نشفع بما قيل في تأويل هذه الآية ونوضح
ما فيه من صحة أو اختلال ذكر أبو علي الجبائي ومن تابعه أن المراد بالذين
اصطفى الأنبياء عليهم السلم والظالم لنفسه من ارتكب الصغيرة منهم و
إنما يوصف بذلك من حيث فوت نفسه الثواب الذي فاته بفعل الصغيرة
ويؤدي سائر الواجبات والسابق إلى الخيرات هو الذي استكثر من فعل
النوافل وهذا التأويل يفسد من جهة أن الدليل قد دل على أن الأنبياء عليهم
السلم لا يقع منهم شيء من المعاصي والقبائح وقد استقصينا الكلام في ذلك
في كتابنا المعروف بتنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلم ثم لو عدلنا
عن ذلك لم يجز ما قاله لأن قولنا فلان ظالم لنفسه من أوصاف الذم والذم
لا يستحقه فاعل الصغيرة فكيف يجري عليه أوصاف الذم والشبهة في أن قولنا
فلان ظالم لنفسه من أوصاف الذم أنهم يقولون في كل من فعل قبيحا
إنه قد ظلم من حيث فعل ما يستحق به العقاب فكأنه أدخل على نفسه ضررا
ما كان يستحقه فأشبه بذلك الظالم لغيره ولا يجوز أن يوصف فاعل الصغيرة
بأنه ظالم لنفسه من حيث فوت نفسه الثواب لأنه إن عنى بذلك الثواب
الذي يبطل عقاب الصغيرة وعنده أن الصغيرة يحبط عقابها بالثواب
الكثير من غير أن ينقص من الثواب شيء لأنه لا يذهب إلى الموازنة التي
يذهب إليها أبو هاشم فما فوتت الصغيرة عنده ثوابا كان مستحقا
له وإن عنى بتفويت الثواب أنه لولا هذه المعصية لكان يستحق على الامتناع
منها ثوابا فاته بفعلها فهذا يوجب أن يكون الأنبياء عليهم السلم في كل حال
مفوتين لأنفسهم الثواب بفعل المباحات لأنهم لو فعلوا الطاعات
بدلا منها لاستحقوا الثواب ولوجب أن يوصفوا على التأبيد بأنهم ظالمون
لأنفسهم على أن وضع الكلام وترتيبه يقتضيان أن الظالم لنفسه في
الآية في موضع الذم لأنه تعالى جعله بإزاء المقتصد وليس بإزاء المقتصد

إلا ليشرف بها لذنوبهم **فإن قيل** فما قولكم في تأويل حكايته تعالى
عن آدم وحواء عليهما السلام قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا إنما المراد أنا نقصنا
الثواب الذي كان نستحقه لو فعلنا ما ندبنا إليه من الامتناع من تناول
الشجرة **قلنا** إنما حملنا ذلك هناك وعدلنا عن الظاهر في هذه اللفظة لقيام
الدليل على أن النبي عليه السلام لا يواقع المحظور كبيرا ولا صغيرا من الذنوب
وليس في الآية التي نحن في الكلام عليها ضرورة توجب العدول عن الظاهر
بل قد بينا أن نهج الكلام ومقابلته يقتضيان أن لفظة ظالم لنفسه في
الآية تقتضي الذم لأنها جاءت لتعتضد على أنه غير ممتنع أن تكون لفظة ظلم
بخلاف لفظة ظالم في عرف الاستعمال كما أن عند مخالفينا أن لفظة
آمن بخلاف لفظة مؤمن لأنهم يصفون صاحب الكبيرة بأنه آمن ولا يجوزون
بأنه مؤمن ويزعمون أن الانتقال عن الاشتقاق إلى الإفادة استحقاق
الثواب إنما يجب في مؤمن دون آمن فلا ينبغي أن ينكروا مثل ذلك في ظلم
وظالم ويتأول هذه الآية على أن المراد من اختاره الله تعالى بالأنبياء
عليهم السلام **وهذا الجواب** يفسد لأن الله تعالى يقول ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا ومن اصطفاه الله تعالى واجتباه بالإطلاق
لا يكون إلا محمودا معظما فكيف يكون فيهم من يستحق الذم والعقاب
ومن مجناه الله تعالى بتكليفه شيئا مخصوصا لا يقال بالإطلاق في أن
الله تعالى اصطفاه والمعتزلة أبدا يحتجون على المرجئة بأن لهم قوله تعالى
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى على أن المراد من ارتضى الشفاعة فيه ويقولون
من ارتضى شيئا يتعلق به لا يوصف بأنه مرتضى على الإطلاق فكيف
يثبتونه هنا ووجدت أبا القسم البلخي يقول في كتابه تفسير القرآن
إنه تعالى أراد العلماء بالدين قال ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء
أخيارا أتقياء ثم ظلم بعضهم نفسه فيكون كما قال تعالى يا أيها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه وهو في وقت الارتداد غير مؤمن كذلك
يكون ظالما لنفسه لم يكن من المصطفين قال ويجوز أيضا أن يكون

فيهم

قوم م

فيهم من ظلم نفسه ثم تاب وأصلح ويكون قوله منهم ظالم لنفسه أي منهم
من كان قد ظلم نفسه لا أنه في هذا الوقت ظالم لها هذه الفائدة بعينها
حكيناها عنه وهذا فاسد لأن من كان منهم ظالما فلا يطلق القول لا يوصفون
على الإطلاق بأن الله تعالى اصطفاهم فهذا الوصف يقتضي أن يكون الجماعة
أخيارا وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه بخلاف
هذه الآية لأنه وصفهم بأنهم آمنوا في الماضي ولا يمتنع من الردة في المستقبل
وقوله تعالى الذين اصطفينا يمنع أن يكون فيهم من ليست هذه صفته
وأما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب فهو غير صحيح لأن من تاب لا يوصف
بعد التوبة بأنه ظالم لنفسه لأن التوبة تمنع من إجراء ألفاظ الذم ووجدت
بعضهم يتأول هذه الآية على أن المراد بظالم لنفسه من حمل نفسه في العبادة و
حمل عليها وقال هذا يليق بأوصاف الأنبياء عليهم السلام ولا يمنع
وهذا أيضا غير صحيح لأنا قد بينا أن لفظة ظالم لنفسه يذم بها في العادة
فكيف تجري على المدح ومن هذا الذي يسمى من حمل نفسه في العبادة
بأنه ظالم لنفسه بالإطلاق على أن السابق بالخيرات هو المجتهد في
العبادة الحامل على نفسه فيها فأي معنى للتكرار وهذا تأويل يفسد
البتة وهذه الجملة توضح أن التأويل الصحيح ما قدمناه فأما قوله الكتاب
فالظاهر أنه كناية عن القرآن المنزل على رسوله فقد صارت
هذه اللفظة بالإطلاق عبارة عنه ولهذا إذا أطلق القائل فقال هذا
نطق به الكتاب وتحرم في الكتاب وورد في الكتاب لم يفهم منه إلا ما ذكرناه
ومعنى أورثناهم يعني حملناهم تقلده وأحكامه وليس يليق ذلك بالأنبياء المتقدمين
فإنه لا حظ لهم في علم هذا الكتاب وإنما تختص بهذه الفائدة نبينا عليه السلام
والأئمة من ولده عليهم السلام لأنهم المتعبدون بحفظه وبيانه والعمل
بأحكامه وذلك كله واضح بحمد الله ومنه **مسئلة** فإن سأل سائل
عن قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد
بالحق وهم يعلمون **الجواب** قلنا أما الذين يدعون من دونه فالمراد بهم

ظالما فأما الأول فالتسبيح
نفسه م
التوبة م
نفسه م
بالخيرات م
معنى م
تعالى م
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم م
تأويل آية م

ما كان يعبده المشركون ويدعونه إلها من دون الله تعالى والضمير في دونه
راجعة إلى اسم الله تعالى وتحقيق الكلام ولا يملك الذين يدعونه إلها وإن
من دون الله تعالى الشفاعة ولما كثر استعمال هذه اللفظة فيمن يعبد من
دون الله ويدعو إلها رازقا استحسن الحذف لظهور الأمر في المراد و
لهذا حمل محققو المفسرين قوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم
الآلهة من دونه وحذف ما تعلق بلفظ الدعاء وفي هذه الآية أشكل من حذفه
وقوله تعالى الذين تدعون من دونه لأن قل زعمتم من دونه قد ثبت ما يبسط على
أن المراد من كان يدعي إلها من دونه والآية الأخرى لا دليل فيها من
لفظها على ما تعلق به قوله دعاؤكم ومعنى أنهم لا يملكون الشفاعة أي ليس
لهم أن يفعلوها ويتصرفوا فيها لأن معنى المالك لغيره من كان قادرا
على التصرف فيه وليس لأحد أن يشفع من ذلك والشفاعة قد بينا في
غير موضع من كتبنا أنها لا تستعمل على طريق الحقيقة إلا في طلب إسقاط
المضار وإنما استعملت في إيصال المنافع تجوزا فيه واستعارة وقيل في
معنى الآية وجهان أحدهما أن المعبودين من عيسى بن مريم والملائكة وعزير
عليهم السلام لا يملكون الشفاعة عند الله تعالى في أحد إلا فيمن شهد بالحق
وأقر بالتوحيد وبجميع ما يجب عليه الإقرار به والوجه الآخر أن الذين
يدعون من دون الله من الحجر والأجسام وجميع المعبودات لا يملك الشفاعة
عند الله تعالى إلا من شهد بالحق منهم يعني عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام
لا يملكون الشفاعة عند الله تعالى وكانوا على الحق شاهدين بمعرفته
بجميعه فإنهم يملكون الشفاعة عند الله تعالى وإن كان لا يملكها
ما عداهم من المعبودات والفرق بين الوجهين أن الوجه الأول
يرجع الاستثناء فيه إلى من تملك الشفاعة وفي الوجه الثاني يرجع
إلى الشافع دون المشفوع فإن قيل أي الوجهين أرجح قلنا الثاني
وإنما رجحناه لأن تقدير الكلام أن الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يملكون
لهم نفعا كما قال تعالى في مواضع إنهم لا ينفعونكم ولا يضرونكم ولا يرزقونكم

ولا يضع

ويقع الكلام على نفي منفعة تصل إليهم من جهتهم ولا غرض في عموم من
يشفعون فيه أو خصوصه ولما كان فيمن يعبدونه من دون الله من يجوز أن
يشفع فيمن تحسن الشفاعة له وجب استثناؤه حتى لا يتوهم أن حكم جميع
ما يعبد في أنه لا تصح منه الشفاعة وإن كان من يصح منه الشفاعة إنما يشفع
فيمن تحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافرا ولا جاحدا ويترجح هذا الوجه من
جهة أخرى وهي أنا لو جعلنا الاستثناء يرجع إلى من يشفع فيه لكان الكلام
يقتضي أن جميع من يدعون من دون الله تعالى يشفع لكل من شهد بالحق
والأمر بخلاف ذلك لأنه ليس كل من يعبدونه من دون الله تعالى تصح منه الشفاعة
لأنهم عبدوا الأصنام وبعض عبدوا الكواكب والشفاعة لا تصح منها فلا بد
من أن يخصص الكلام وتقديره هكذا ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة إلا فيمن شهد بالحق فعود الاستثناء إلى الشافعين أيضا حتى يخصص
وأيضا فلو عاد الاستثناء إلى المشفوع فيه لوجب أن يكون على غير هذه
الصيغة فيقول إلا فيمن شهد بالحق وإذا قال إلا من شهد بالحق كان
ذلك بأن يرجع إلى الشافع أولى لأنه أليق باللفظ لأنا إذا أردنا أن نستثني
من جماعة لا يشفعون قلنا هؤلاء لا يشفعون فيه إلا من كان بصفة كذا
وإذا كان الاستثناء ممن يشفع فيه قلنا لا يشفعون إلا فيمن صفته كذا و
أيضا فعلى الوجه الأول قد تقدم عموم ظاهر في اللفظ يجوز أن يستثنى
وهو قوله تعالى الذين يدعون من دون الله وما جرى ذكر المشفوع فيه عموما
يستثنى بعضه فإن قيل الشفاعة لفظ جنس يقتضي العموم قلنا قد بينا
في غير موضع أن ألفاظ الجنس لا تقتضي الاستغراق يضرب المثل بمن
يقول هذه أيام أكل اللحم وزمان لبس الجباب فإنه يقتضي الجنس من غير
استغراق وإن توهم خصوص وعموم لفظا فإنهما لا يحتمل فإن قيل
أي فائدة في قوله تعالى وهم يعلمون وبأي شيء يتعلق علمهم قلنا ليس
كل من شهد بالحق يكون عالما لأن المقلد المحق ربما شهد بالحق على وجه
لا ينفع وإنما ذلك مع العلم فكأنه تعالى قال وهم عالمون صحة ما شهدوا

بعض م
حتى ظ
ينفع صح

بِهِ فإن قيل فإذا كان المستثنى هم الأنبياء والملائكة فيها ولا يشهد
بالحق إلا مع العلم قلنا ذلك صحيح إلا أن الاستثناء كما تناول في اللفظ
من كان بصفة وكان بمجرد هذه اللفظة لا ينفع في المعنى المقصود إلا شرطا
في العلم وجب للحكم افتقار تلك الصفة فيمن كانت إليه وهذا واضح فإن قيل
فهذان الوجهان اللذان ذكرتموهما ودفعتم أحدهما يقتضيان مشاركة نبينا عليه
السلام في الشفاعة للمذنبين ومن مذهب المسلمين أنه تفرد بالشفاعة قلنا
ليس فيما ذكر تضعيف لهذين الجوابين من وجوه أحدها أن انفراده عليه السلام
بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه أحد فيها ليس بمعلوم ولا مقطوع عليه وإنما
يرجع فيه إلى أقوال قوم غير محصلين الآخر أن عند المسلمين كلهم إلا عند
المعتزلة ومن وافقهم أن للمؤمنين شفاعة بعضهم في بعض فكيف يدعي الإجماع
في هذه الوجوه وثالثها أن المزية المدعاة لنبينا عليه السلام في الشفاعة إنما
هي على الأنبياء المتقدمين دون الملائكة لأنه لا خلاف في أن للملائكة شفاعة
وقد نطق القرآن بذلك فقال تعالى لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته
مشفقون وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فالاستثناء يعود إلى الملائكة عليهم السلام
لأنهم من جملة المعبودين فلا ينفع نفي الشفاعة عن الكل أن يستثنوا إلا أن
لهم شفاعة وثالثها أن الشفاعة قد تكون إلى الله تعالى وإلى غيره وإن جمعت
ما ادعي من تفرد نبينا عليه السلام بالشفاعة عند الله تعالى في مذنبي أمته
لجاز أن تثبت الشفاعة لغيره عند غير الله تعالى حكاية قال أتعبدون من
لا ينفعكم في الدنيا ولا يضركم واستثنى من يجوز عليه أن ينفع
في الدنيا ورابعها أن يكون المراد بالشفاعة ههنا الضر والمعونة والمنفعة
لأن الشفاعة فيمن تمنى ولم ينفع توصل إليه وإنما إرادة الشفاعة في الآية
بمعنى الشفاعة نحو المنفعة والضر وتقدير الكلام أتعبدون من لا ينفعكم
ولا يضركم ولا يعينكم ولما كان في جملة هؤلاء المعبودين من يجوز أن
يضر وينفع استثني ليبقى أن الحكم مخالف لحكم غيرهم وهذا بين لمن
تأمله مسألة إن اعترض معترض على ما نقول من أن الاستثناء إنما يخرج

من

اشتراط العلم

من الجمل ما يصلح دخوله فيها وليس بواجب أن يخرج منها ما وجب دخوله بأن يقول
فإذا ثبت هذا فيقتضي حسن أن يقول القائل جاءني رجل إلا زيدا لأن لفظة رجل يصلح أن يقع على زيد
وعمرو فيقال له إن من حق الاستثناء في اللغة العربية أن يدخل على الجمل من
الكلام فيخرج منها ما يصلح دخوله على مذهب مخالفينا ولا يصح دخول الاستثناء
على ألفاظ الوحدة ورجل لفظ واحد وإن وقع في المعنى على الطويل و
القصير وزيد وعمرو فالاستثناء إنما يخرج من الجمل ما تناولها لفظها دون
معناها فلهذا لم يستحسنوا جاءني رجل إلا زيدا وقد يستحسنون في هذا النوع
ما يجري مجرى الاستثناء بغير لفظ الاستثناء كقولهم جاءني رجل لكن زيد لم يجئ
من الكلام ما يصلح تناوله لم يحسنوه استثناء ولا استحسنوا لفظة
الاستثناء ولولا صحة هذا الأصل الذي ذكرناه لما استحسنوا أن يقولوا جاءني
رجال إلا زيدا لأنهم أخرجوا بالاستثناء ما تصلح لفظة رجال له دون ما تناوله
وجوبا فإن قيل إلا كان قولهم جاءني رجال للجنس دون ما يدعى من
تناوله للثلاثة فصاعدا فلهذا حسن الاستثناء منه وإلا فلفظة رجل في موضع
جاءني رجل للجنس قلنا لو كان لفظة رجال يراد به جنس الرجال على العموم
حسن استثناء النكرة منه من غير وصف لها يقربه من التعريف فنقول
جاءني رجال إلا رجلا لأنه إذا أريد الجنس حسن ذلك لا محالة كحسنه
لو قال جاءني الرجال بالألف واللام إلا رجلا وأجمعوا على أن ذلك
لا يجوز لأنه غير مفيد فلو أريد بلفظة رجال ههنا الجنس لكان الرجل الواحد
منها على غير وصف له مفيدا فأما لفظة رجل في الإثبات كقولهم جاءني
رجل فإنه لا يجوز أن يكون عبارة عن الجنس في شيء من الكلام ولو أرادوا
به الجنس لحسن الاستثناء كما يحسن من ألفاظ الجنس وإنما يراد في بعض
المواضع بلفظة رجل الجنس إذا كانت في النفي مثل قولهم ما جاءني رجل
وما ضربت رجلا وههنا يجوز أن يستثنى فنقول إلا زيدا مسألة إن سأل
سائل عن معنى قوله تعالى يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب

إلا زيدا

يستحسنوا

التوبة فقال كيف يجوز ان يتعبدهم بقتل انفسهم والعبادة لا
تحسن الا ان تكون مصلحة لهذا المكلف في دينه اما بان يفعل طاعة او يمتنع
من قبيح وهو بعد الموت قد خرج من كل تكليف ولا يصح منه شيء من الافعال
الجواب ان المفسرين لما اختلفوا في المراد في هذه الآية فمنهم من ذهب الى انه
تعالى كلفهم ان يقتلوا انفسهم القتل الحقيقي المعهود ومنهم من ذهب
الى انه تعالى كلفهم ان يقتل بعضهم بعضا ومنهم من حمل الآية على ان المراد
بها تكليف الاستسلام للقتل ويقول انهم استحقوا بعبادة العجل القتل فلما
تابوا امرهم الله تعالى بان يستسلموا لمن يقتلهم كما كلف الله القاتل لغيره
ان يستسلم للقود منه فاما الوجه الاول فيبطل بما ذكر في السؤال ولا يجوز ان
يكون وجه حسن هذا التكليف المصلحة لغير المقتول لان مصلحة زيد لا
تكون وجها في وجوب الفعل على عمرو ولا يمكن ان يقال ان المامور بقتل
نفسه في نفس الامر والتكليف قبل ان يقتل نفسه وان ذلك ربما كان لطفا
في بعض العبادات وذلك لان الامر بما ليس له وجه وجوب او ندب لا يحسن
بل يكون الامر قبيحا واذا كان الامر قبيحا لم يحسن ان يكون فيه لطف
لبعض المكلفين بل يمنع منه كما يمنع من ان يلطف لبعض المكلفين
بما هو قبيح في نفسه فلم يبق بعد ابطال هذا الوجه الا الوجهان الآخران
من الاستسلام لمن يقتلهم القتل الذي استحقوه او قتل بعضهم بعضا
وقد روي انهم ترددوا باسيافهم واصطفوا صفين يضرب بعضهم بعضا
فمن قتل منهم كان شهيدا ومن بقي كان تائبا ويمكن في الآية وجه آخر
ما رأينا احدا من المفسرين سبق اليه وهو ان لو بعد في القوة على كرده لم
ينقص عنه وهو ان يكون المراد بقوله تعالى فاقتلوا انفسكم اي اجتهدوا
في التوبة مما اقدمتم عليه والندم على ما فات وادخال المشاق الشديدة عليكم
في ذلك حتى كادوا ان تكونوا قتلتم انفسكم وقد يسمى من فعل ما يقارب
الشيء باسم فاعله ومذهب اهل اللغة في ذلك معروف مشهور يقولون قتل
فلان عبده حتى قتله وفلان قتله العشق واخرج نفسه وابطل روحه

للقود

مصلحة

قلا

وما جرى مجرى ذلك وانما يريدون المقاربة والمشارفة والمبالغة
في وصف التناهي بالشدة فلما اراد تعالى ان يامرهم بالتناهي والمبالغة في
الندم على ما فات وبلوغ الغاية القصوى فيه جاز ان يقول فاقتلوا
انفسكم فاذا ابطلنا في هذا الجواب انما يسمى مقاربة القتل قتلا مجازا
وتوسعا وحمل الكلام على حقيقته اولى الجواب ان الوجهين اللذين
ذكرها المفسرون في هذه الآية من قتل بعضهم بعضا او الاستسلام للقتل
يحتاجان ايضا على المجاز وظاهر التنزيل بخلافهما لان الاستسلام للقتل
ليس بقتل على الحقيقة وانما يسمى باسمه من حيث يؤدي اليه وكذلك
قتل بعضهم بعضا مجازا لان القاتل غير المقتول وظاهر الآية يقتضي ان القاتل
هو المقتول وان استشهدوا في تقوية هذا الوجه بقوله تعالى ولا
تقتلوا انفسكم يعني اخوانكم لا يغني شيئا لان ذلك مجاز لا محالة وانما
حمل على الاخوان بدليل والظاهر ان يكون تكليفا لقتل الواحد نفسه
واستسلامه على نفسه فان قيل كيف يجوز ان يستحق القتل قلنا عنه
يمتنع ان يكلفنا الله تعالى بعد التوبة من الكفر القتل اما حدا لا على سبيل
العقوبة فان قيل كيف يصح ان تكون التوبة نفسها قتل انفسهم والتوبة
هي الندم والعزم وهما غير القتل قلنا الجواب الصحيح عن هذا السؤال
ان الفاء في الآية عاطفة للقتل على التوبة ولحيث منعنا ان القتل هو
التوبة على ما ظنه بعض من لم يتامل وهو جار مجرى قول من ضرب زيدا
فعمرا والفاء ههنا عاطفة وقائمة مقام الواو الا ان لها زيادة على حكم
الواو فان الفاء تقتضي الجمع الذي تقتضيه الواو وتقتضي الترتيب والتعقيب
الذين لا يفيدهما من الواو فكانه تعالى قال توبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم
ولما امرهم بالقتل عقيب التوبة ادخل الفاء التي هي علامة على ذلك وقد
اجاب بعض الناس بان ذلك ما لا يتم التوبة الا به وشعر بصحته ان تسمى
باسمها كما يقال للغاصب اذا عزم على التوبة ان توبتك رد ما غصبت
وانما يريد ان توبتك لا تتم الا به وقد بينا ما يغني عن ذلك في الجواب الذي

على ما

يقتضي صح

بعد التوبة من الرجوع الخ
بها استحق القتل صح

اجتنباه وهو أيسر وأوضح مسألة إن سأل سائل عن قوله تعالى
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا
وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين هذه الآية تشاغل
المفسرون بإيضاح الوجوه في التكرار الذي تضمنته وظنوا أنه المشكل
منها وتركوا ما هو أشد إشكالا من التكرار وهو أنه تعالى نفى الجناح عن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل
الصالحات فإذا أريد بالاتقاء تجنب القبائح والمحارم كان ذلك شرطا صحيحا
في نفي الجناح إلا أن الإيمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح على وجه
ولا سبب لأن من جانب القبيح المحظور عليه لا جناح فيما يطعمه وإن لم يكن
مؤمنا ولا ممن عمل الصالحات ألا ترى أن المباح إذا وقع من الكافر لا إثم عليه
ولا وزر يلحقه منه ولكن في نفي الإثم كفره من المرسوم فالإشكال
إنما هو في اشتراط الإيمان وعمل الصالحات وليس لذلك تأثير معقول
في نفي الجناح ونحن نبين ما يحل هذه الشبهة القوية ونتكلم على التكرار
ولنا في ذلك طريقان أحدهما أن نضم إلى المشروط المصرح بذكره غيره حتى
يظهر تأثير ما ذكر من الشروط أو نجعل ما ولي الاتقاء من الإيمان وعمل
الصالحات ليس بشرط حقيقي وإن كان معطوفا على الشرط وكل ذلك
جائز إذا أفاد الدليل إليه وأحوج إلى التعويل عليه أما الوجه الأول
فبيانه أن يكون تقدير الكلام ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرط
في نفي الجناح لابد أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح
وقد علمنا أن باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا بد
عليه وكما ولي ذكر الاتقاء الإيمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في
نفي الجناح وجب أن نقدر هناك ما يؤثر هذه الأفعال في نفي الجناح عنه
فأشرنا إلى إضمار ما تقدم ذكره ليصح الشرط ويطابق المشروط لأن من
اتقى الحرام فيما يطعم لكنه قد يجب أن يثبت عليه الجناح فيما أخل به

لا جناح عليه فيما يطعمه

به من واجب وضيعه من فرض فإذا شرطنا أنه مع اتقاء القبيح ممن
آمن بالله وفعل ما أوجب عليه الإيمان به وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه
من كل وجه وليس بمنكر حذف ما قدمناه لدلالة الكلام عليه فمن عادتهم
أن يحذفوا ما يجري هذا المجرى ويكون قوة الدلالة عليه وسوقها الكلام
مغنيين عن النطق به وفي القرآن وفصيح كلام العرب وأشعارها
أمثلة لذلك لا تحصى فمنه قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب والفرقان
فحذف ذكر في الآية وجوه من أوضحها أنه تعالى أراد آتينا موسى الكتاب
ومحمدا الفرقان لأنه لما عطف الفرقان على الكتاب الذي أوتيه موسى
عليه السلام وعلمنا أنه لا يليق به لأن الفرقان لم يؤته موسى عليه
السلام وجب أن نقدر ما يطابق ذلك ومثله قول الشاعر
تراه كأن الله يجدع أنفه ... وعينيه إن مولاه ثاب له وفر
لما كان الجدع لا يليق بالعينين كانت معطوفة على الأنف الذي يليق
الجدع به أضمرنا ما يليق بالعين وهو البخص وما يجري مجراه ومثله
يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا ومثله علفتها تبنا وماء باردا
فالإضمار مع قوة الدلالة أحسن من الإظهار وأدخل في البلاغة والفصاحة
وأما بيان الوجه الثاني فهو أنا نعدل عن ظاهر الشرط فيما ولي الاتقاء من
ذكر الإيمان وعمل الصالحات ونجعله ليس بشرط وإن كان معطوفا على شرط
لأن العدول عن الظاهر بالأدلة القاهرة واجب لا يزال مستعملا في أكثر
القرآن فكأنه تعالى لما أراد أن يبين وجوب الإيمان وعمل الصالحات
وتأكد لزومه عطفه على ما هو واجب لازم من اتقاء المحارم لاشتراكهما في
الوجوب وإن لم يشتركا في كونهما شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا
تفسح وتوسع في البلاغة يحار فيها العقل استحسانا واستغرابا
ويعول على أن المخاطب بذلك على إرساله والعدول عن تفصيله يضع
كلا منه في موضعه وكم في القرآن من هذه الغرائب في الفصاحة والعجائب
والحذوف والاختصارات التي لا تجاسر بليغ ولا فصيح على الإقدام عليها

والمرور بنفسها خوفاً من الزلل والخلل **واما الجواب** عن شبهة التكرار فالكلام
فيه على الجملة ان تحمل الاحوال التي يقع فيها الاتقاء والايمان وعمل الصالحات
مختلفة محتملة بمضي واستقبال فيزول التكرار او تحمل المامور به من الا
والايمان وعمل الصالحات مشروطاً مخصوصاً تناول الاول غير متناول
الثاني والثاني غير متناول الاول فيزول ايضاً بذلك التكرار وقد اكثر المفسرون
على اختلافهم بكثير من الجملة التي ذكرناها هنا اليها وذكروا ان الشرط الاول
يتعلق بالزمان الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار
على فعله والثالث يختص باتقاء ظلم العباد وذكر ابو علي الجبائي هذا بعينه
واستدل على ان الاتقاء الثالث يختص بظلم العباد بقوله تعالى واحسنوا لان
الاحسان اذا كان متعدياً وجب ان يكون ما امروا باتقائه من المعاصي
ايضاً متعدياً وهذا ممن اعتمده من المفسرين ترتيب لاختلاف الاحوال
من غير ان تمزجها باختلاف غيرها او تعدل عن الاحوال فيبطل التكرار
من حيث اختلاف المامور به في عموم وخصوص ولعل ابا علي وغيره انما عدل
في الشرط الثالث عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن في
الاول والثاني ونحن نبين ان الامر بخلاف ما ظنه وهو انه لا يمتنع ان تحمل
الشرط الاول على الماضي من الزمان والثاني على الحال والثالث على
المنتظر المستقبل ولعل لاحد ان يقول لا واسطة عند المتكلمين بين الماضي
والمستقبل لان الفعل اما ان يكون معدوماً فيكون مستقبلاً او موجوداً
فيكون ماضياً وانما يثبت الاحوال ثلاثة النحويون ولا يرتضي ذلك
المتكلمون **والجواب** عن هذا ان الصحيح انه لا واسطة بين الوجود والعدم
على ما ذكر غير ان الموجود في اقرب الزمان لا يمتنع ان نسميه حالاً ليفرق به
بين الماضي الغابر السالف فرقاً كما كان كذلك بينه وبين المنتظر
واما بيان اختلاف المامور فان تحمل الاتقاء الاول على اتقاء المعاصي
العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والايمان الاول الايمان بالله تعالى
وبما اوجب الايمان به والايمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والا

لشاله

باختلافه وما ينبغي ان يكون
كذلك بل الواجب ان يبطل التكرار
اما من جهة اختلاف الاحوال

على امر

الثالث الاتقاء

لما يتعدى من المعاصي من الظلم والاساءة وليس يجب ان يخرج في
الاتقاء الثالث تخصيص بمظالم العباد لما اعتمده ابو علي من قوله تعالى
واحسنوا من حيث كان الاحسان اذا كان غير متعد فكذلك ما عطف عليه
لان ذلك من ضعيف الاستدلال لان قوله تعالى واحسنوا ليس بصريح
في ان المراد به الاحسان المتعدي لانه غير ممتنع ان يريد به تعالى فعل الحسن
والمبالغة فيه وان اختص الفاعل ولم يتعده الى غيره الا ترى انهم يقولون لمن
بالغ في فعل الحسن وتناهى فيه فلان احسن فلان احسنت واجملت ولو سلم ان
المراد به الاحسان المتعدي لم يمتنع ان يعطفه وهو متعد على فعل لا يتعدى
الا ترى انه لو صرح بذلك فقال اتقوا القبائح كلها والقبائح واحسنوا
الى غيركم لكان حسناً غير قبيح كما ينبغي ان نفزع في التخصيص لما الفرار من التكرار
وحمله على ما فيه ذلك يغني عما تكلفه ابو علي **فان قيل** اي فائدة
في تخصيص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنفي الجناح فيما يطعمونه بالشرط
المذكور ومن ليس بمؤمن يشاركهم في هذا الحكم مع ثبوت الشرط **قلنا** تعليق
الحكم بالصفة او الاسم لا يدل على نفيه عمن عدا الصفة او الموصوف وقد دل
العلماء على ذلك في مواضع كثيرة ولهذا يمتنع على المذهب الصحيح ان نعلق
الحكم باسم او صفة ويكون من عدا الموصوف او المسمى مشاركاً له في
ذلك الحكم وقد قيل ان السبب في نزول هذه الآية انه لما نزل تحريم الخمر
قال المسلمون كيف باخواننا الذين تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها وماتوا
وهو في اجوافهم وكيف باخواننا الغائبين في اطراف البلاد ولم يعرفوا
بهذا التحريم فانزل الله تعالى هذه الآية تطييباً لنفوسهم واعلاماً لهم ان من
طعم ما لم يتبين له تحريمه فلا جناح عليه وقيل ايضاً ان الآية وردت في قوم
حرموا على نفوسهم اللحوم وسلكوا طريق الترهب كعثمان بن مظعون و
غيره فبين الله تعالى ان الحلال لا جناح في تناوله وانما يجب التجنب للمحرم
وعلى هذه الاسباب لا يتوجه معها مسألة عن سبب تخصيص المؤمنين بنفي الجناح
وكل هذا واضح بحمد الله **مسألة** سأل رضي الله عنه عن قوله جل وعز

لم يمتنع صح

عز وجل

وتشتغل زكريا عليه السلام ان يكون له غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي
عاقر فكانه سأل اما يستحيل كونه وعندنا لا يحاكم ان زكريا عليه السلم
يعلم ان الله تعالى لا يعجزه ما يريد فما وجه الكلام فاجاب عن ذلك وقال
انه غير ممتنع ان يكون زكريا عليه السلم لم يسأل الذرية في حال كبره وهرمه
بل قبل هذه الحال فلما رزقه الله تعالى الولد على الكبر ومع كون امرأته عاقرا
قال انى يكون لى غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر من غير انكار منه لقدرة
الله تعالى على ذلك بل ليرد من الجواب ما يزداد به بصيرة ويقينا ويجوز
ايضا ان يكون سأل الولد مع الكبر وعقم امرأته ليفعل الله تعالى ذلك
على سبيل الآية وخرق العادة من اجله فلما رزقه الله تعالى الولد تعجب من
ذلك وانكره بعض من ضعفت بصيرته من امته فقال عليه السلام انى
يكون لى ولد ليرد من الجواب ما يزول به شك غيره فكأنه سأل
في الحقيقة لغيره لا لنفسه ويجرى ذلك مجرى سؤال موسى عليه السلم
ان يريه الله تعالى نفسه لما شك قومه في ذلك فسأل لهم لا لنفسه مسئلة
وسئل ايضا عن قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم فقال اى نجاة في استحياء النساء من
سوء العقاب وانما العذاب في ذبح الابناء فقال اما قتل الذكور واستبقاء
الاناث فهو ضرب من العذاب والاضرار لان الرجال هم الذين يدفعون
النساء عما يلحقهن به من السوء وهو واقع منهن في الاكثر مع الرجال واذا انفرد
وقع الشر كلا يمانع وهذه مضرة عظيمة وجه آخر وهو ان الرجوع الى قوله
يسومونكم سوء العذاب وهو قتل الابناء دون استبقاء النساء وانما
ذكر استحياء النساء ليشرح كيفية الحال لا لانه من جملة العذاب
ذلك كما يقول احدنا فلان عذبني بان اخذني فأدخله وعلى ثياب
فلانية وضربني بالمقارع وفلان حاضر وليس كل ما ذكره من جملة العذاب
وانما العذاب هو الضرب دون غيره وذكر الباقي على سبيل الشرح للحال
وجه آخر وهو انه روى انهم كانوا يقتلون الابناء ويدخلون

ايديهم في فروج النساء لاستخراج الاجنة من بطون الحوامل فقيل يستحيون
النساء اشتقاقا من لفظة الحيا وهو الفرج وهذا ب ... ضرب شديد لا محالة
وسئل ايضا فقال اليس قد وعد الله تعالى المؤمنين في عدة مواضع من
كتابه المجيد بالجنة والخلود في النعيم فما معنى قول النبي عليه السلم
ما ادرى ما يفعل بي ولا بكم فقال انه لا يجوز ان يريد النبي عليه السلام بقوله
ما ادرى ما يفعل بي ولا بكم ~~وسئل عن قوله تعالى~~ الثواب او العقاب ودخول
الجنة او النار لانه عليه السلم عالم بان الجنة مأواه والثواب عاقبته ولا
يجوز ان يشك في انه ليس من اهل النار وان شك في ذلك من حاله غيره
والمراد بالآية انى لا ادرى ما يفعل بي ولا بكم من المنافع والمضار الدنيا
وية كالصحة والمرض والغنى والفقر والجدب والخصب وهذا المعنى صحيح
واضح لا شبهة فيه ويجوز ايضا ان يريد انى لا ادرى ما يحدثه الله تعالى من
العبادات وما يأمرني به واياكم من الشرعيات وما ينسخ من الشرائع وما
يقر منها وما يستدام لان ذلك كله مغيب عنه عليه السلم ويعضد المعنى
قوله تعالى في اول الآية قل ما كنت بدعا من الرسل وفي آخرها ان
اتبع الا ما يوحى الي مسئلة وسئل ايضا عن قوله تعالى فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين كيف يكون النبي عليه السلم في شك مما اوحى اليه
وكيف يسئل عن صحة ما انزل اليه الذين يقرؤن الكتاب من قبله وهم
اليهود والنصارى المكذبون له فقال ان قوله تعالى فان كنت في
شك مما انزلنا اليك ظاهر الخطاب له عليه السلم والمعنى لغيره كما
قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فكأنه قال فان كنت ايها
السامع للقرآن في شك مما انزلنا على نبينا فسئل الذين يقرؤن الكتاب
وليس يمتنع عند من انعم النظر ان يكون الخطاب متوجها الى النبي صلى
الله عليه وآله وليس اذا كان الشك لا يجوز عليه لم يجز ان يقال
له ان كنت شاكا فافعل كذا كما قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك

ومعلوم أن الشرك لا يجوز عليه ولا خلاف بين العلماء في أنه عليه السلام
داخل في ظاهر آيات الوعيد والوعد وإن كان المعلوم أنه لا يفعل ما
يستحق به من العقاب وإن قيل له إن أذنبت فنكلا لا يمتنع أن يقال
له إن شككت فافعل كذا وإن كان ممن لا يشك. ووجدت بعض المفسرين
يحمل إن هنا على معنى ما النافية للجحد ويكون تقدير الكلام ما كنت في شك
مما أنزلنا إليك واستشهد على ذلك بقوله تعالى قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر
مثلكم أي ما نحن وبقوله تعالى إن أنت إلا نذير أي ما أنت إلا نذير ولا شك
ولا شبهة في أن لفظة إن قد تكون بمعنى ما في بعض المواضع إلا أنه لا يليق بهذا
الموضع أن تكون إن بمعنى ما لأنه لا يجوز أن يقول تعالى ما أنت في شك مما
أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب لأن العالم لا حاجة به إلى المسألة
وإنما يحتاج أن يسأل الشاك ليزول شكه فيكون وجه هذا الجواب بأنه تعالى
لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفي شكه لأوهم أمره بالسؤال
أنه شاك في صدقه ليزول الشك عن غيره لا عنه فأما الذين أمر بمسألتهم
فقد قيل إنهم المؤمنون من أهل الكتاب الراجعون إلى الحق ككعب
الأحبار ومن جرى مجراه ممن أسلم بعد النبوة به لأن هؤلاء يصدقون
عما شاهدوه في كتبهم من صفات النبي عليه السلام والبشارة به وإن كان
غيرهم ممن أقام على الكفر والباطل لا يصدق عن ذلك وقال قوم آخرون
إن المراد بالذين يقرؤون الكتاب جماعة اليهود ممن آمن ومن لم يؤمن فإنهم بعد
عما يجدونه في كتبهم من البشارة بنبي موصوف يدعون أنه غيرك وأنه
إذا قابلت تلك الصفات صفاتك علمت أنك هو وكل من أنصف علم أن المخبر
بنعته هو أنت وقال آخرون ما أمره أن يسألهم عن البشارة به لأنهم لا
يصدقون عن ذلك بل أمره عليه السلام أن يسألهم عما تقدم ذكره في هذه
الآية بغير فصل من قوله تعالى ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم
من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم قال تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا

وكذا م

ذلك م

وجهه مما أنزل عليه فقدم كلاما يقتضي نفي الشك فيما أنزل عليه ليعلم أن أمره بالسؤال م

اليه

إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك أي في شك مما تضمنته هذه
الآية من النعمة على بني إسرائيل وما كانت اليهود تجحد ذلك بل تعترف به وتفخر
بحكايته وهذا الوجه يروى عن الحسن البصري وكل ذلك واضح لمن
تأمله. مسألة: سئل رضي الله عنه فقيل ما القول فيما يخبر به
المنجمون من وقوع حوادث ويضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم وما المانع
من أن تؤثر النجوم ~~وما المانع من أن تؤثر النجوم~~ على حد تأثير الشمس
الأدمر فينا وإن كان تأثير الكواكب مستحيلا فما المانع من أن تكون
التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرى العادة ~~عند العادة~~ عند طلوع هذه
الكواكب وانتقالها فليتبين جواز ذلك فإن الأنفس إليه متشوقة وكيف
نقول إن المنجمين حادسون وإنه لا يفسد من أقوالهم إلا القليل حتى إنهم
يخبرون بالكسوف ووقته ومقداره فلا يكون إلا على ما أخبروا به وأي فرق
بين إخبارهم بحصول هذا التأثير في هذا الجسم وبين حصول تأثيرها
في أجسامنا. الجواب اعلم أن المنجمين يذهبون إلى أن الكواكب
تفعل في الأرض ومن عليها أفعالا يسندونها إلى طباعها وما فيهم أحد
يذهب إلى أن الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض أو
بعده أفعالا من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك ومن ادعى
هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما ذهب القدماء منهم في ذلك ومتجمل
بهذا المذهب عند أهل الإسلام ومتقرب إليهم بإظهاره وليس هذا بقول
لأحد ممن تقدم وكان الذي يجوز أن يكون صحيحا وإن دل الدليل على
فساده لا يذهبون إليه وإنما يذهبون إلى المحال الذي لا يمكن صحته وقد
فرغ المتكلمون من الكلام في أن الكواكب لا يجوز أن تكون فاعلة
وتكلمنا نحن أيضا في مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبائع التي يهذون
بذكرها وإضافة الأفعال إليها وبينا أن الفاعل لا بد أن يكون حيا
قادرا وقد علمنا أن الكواكب ليست بهذه الصفة فكيف تفعل وما يحتج الأفعال
معقود فيها وقد سطر المتكلمون طرقا كثيرة في أنها ليست بحية ولا قادرة

الكواكب بها

ذهبت هي إليه م
ظ لعله ذهبت
سكان م

اكثرها معترض وانكشف ما قلناه في ذلك ان الحياة معلوم ان الحرارة التي
لهرامة النار بنضبها ولا تحيث معها ومعلوم ان حرارة الشمس اشد واقوى
من حرارة بكثير لان الذي يصل الينا على بعد المسافة من حرارة الشمس
يبلغ عما يزل او يزيد على حرارة النار وما كان بهذه الصفة من الحرارة
يستحيل كونه حيا واقوى من ذلك كله في نفي كون الفلك وما فيه من شمس
وقمر وكواكب احياء السمع والاجماع فانه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع
الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة
وذلك معلوم من دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والضرورة واذا انقطعنا
على نفي الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة وعلى انا
قد سلمنا لهم استظهارا في الحجة انها قادرة وقلنا ان الجسم وان كان
قادرا فانه لا يجوز ان يفعل في غيره على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين
الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بيننا وبينها
فكيف تكون فاعلة فينا فان ادعى ان الوصلة بيننا الهواء فالهواء اولا
لا يجوز ان يكون الرزية في الحركات الشديدة وتحمل الاثقال ثم لو كان
الهواء آلة تحركنا بها الكواكب لوجب ان نحس بذلك ونعلم
ان الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم في غيرنا من الاجسام اذا حركناه
بآلة توضع تحريكه لنا بها على ان اكثر الحوادث فينا مما لا يجوز ان يفعل بآلة ولا
يتولد عن سبب كالارادات والاعتقادات واشباه كثيرة فكيف تفعل
الكواكب ذلك فينا ولا يصح ان يكون مخترعا للافعال لان الجسم لا يجوز ان
يكون قادرا الا بقدرة والقدرة لا يجوز لامر يرجع الى نوعها ان يخترع
بها الافعال فاما الادلة فكمن توهمها الحس على المصنف في وجوهنا و
ابداننا وانما الله تعالى هو المؤثر لها وفاعلها بتوسط حرارة الشمس مسودة
للاجسام من جهة معقولة مفهومة كما ان النار تحرق الاجسام على وجه
معقول فاي تأثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تميزه والعلم
بصحته فليشر اليه فان ذلك لا قدرة عليه وربما يمكن ان يعتمد في ابطال

وأسند ذلك

النار

كوكب

من دين رسول الله

الحادثة

وهي

نورها

كما انه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار و المأثم لماهيته الجسم عقله وحرارة الشمس

ان يكون الكواكب فاعلة فينا فعلا متعديا مقصرا لنا ان ذلك يقتضي
سقوط الامر والنهي والمدح والذم عنا وان نكون معذورين في كل اساءة
تقع منا وتجنبهما بايدينا وغير مشكورين على شيء من الاحسان والافضال
وكل شيء يفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب واما الوجه الآخر
وهو ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان يفعل افعالا مخصوصة عند طلوع كوكب
او عند غروبه او اتصاله او مفارقته فقد بينا ان ذلك ليس بمذهب المنجمين
البتة وانما يتجملون الآن بالتظاهر به وانه قد كان جائزا ان يجري
الله تعالى العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد وقع وثبت ومن اين
لنا بان الله تعالى اجرى العادة بان يكون زحل او المريخ اذا كان في درجة الطالع كان
نحسا وان المشتري اذا كان كذلك كان سعدا واي سمع مقطوع به جاء بذلك
في خبر به واستفيد من جهته فان عولوا في ذلك على التجربة وانا جربنا
ذلك ومن كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة واذا لم يكن موجبا
وجب ان يكون معتادا قلنا ومن سلم لكم صحة هذه التجربة وانتظامها
واطرادها وقد رأينا خطأكم فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم
فالا نسبتم الصحة اذا اتفقت منكم الى الاتفاق الذي يقع من المخمن
والمرجم فقد رأينا من يصيب من هؤلاء اكثر ممن يخطئ وهو على غير
اصل يعتمده ولا قاعدة صحيحة فاذا قلتم سبب خطأ المنجم ان الغلط دخل عليه
في اخذ الطالع او تسيير الكواكب قلنا ولم لا كانت اصابته سببها
التخمين وانما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة
احكام النجوم دليل قاطع هو غير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة
الاحكام الاصابة فالا كان دليل فسادها الخطأ فما احدهما في المقابلة
الا كصاحبه ومما افحم به القائلون بصحة الاحكام ولم يحصل منهم عنه
جواب ان قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ
او يترك فان حكموا اما بالاخذ او الترك فخولفوا وفعل خلاف ما اخبروا به
وقد اعضلتهم هذه المسألة واعتذروا عنها باعذار ملفقة لا يخفى على عاقل

بذلك

تبعها نعدّها من الصواب فقالوا في هذه المسألة يجب أن يكون هذا
المبتلى بها ما يريد أن يفعله أو يخرج به غيره فإنا نخرج ما قد عزم عليه من
أحد الأمرين وهذا التعليل باطل لأنه إذا كان النظر في النجوم يدل
على جميع الكائنات التي من جملتها ما يختاره أحدنا من أخذ هذا الشيء أو
تركه فأي فرق بين أن يطوي ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه حتى يقول المنجم
ما عنده وبين أن يخبر به ويكتبه قبل ذلك وإنما فزعوا إلى الكتابة وما يجري
مجراها حتى لا يخالف المنجم فيما يذكره ويحكم به من أخذ أو ترك ولو كانت
الأحكام صحيحة وفيها دلالة على الكائنات لوجب أن يعرف المنجم ما العمل
من أحد الأمرين على كل حال ولو تركنا تحت حكيم وكتمنا ما نريد أن
نفعله لما وجدنا إصابتهم في ذلك إلا أقل من خطائهم ولم يزيدوا فيه
على ما يفعله المركّن المرجّس من غير نظر في طالع ولا غارب ولا رجوع إلى أصل
وإنما السكوني بيننا وبينكم وكان بعض الرؤساء إلى الوزراء ممن كان فاضلاً
في الأدب والكتابة ومشغوفاً بالنجوم عاملاً عليها قال لي يوماً وقد جرى
حديث يتعلق بأحكام النجوم وقد رأى من تمايلي التعجب ممن يعوّل على
ذلك ويقضي زماناً به أريد أن أسألك عن شيء في نفسي فقلت سل عما بدا لك
فقال أريد أن تعرّفني هل بلغك الكذب بأحكام النجوم إلى أن لا أختار
يوماً لسفر ولبس ثوب جديد وتوجّه في حاجة فقلت قد بلغت إلى ذلك
والحمد لله وزيادة عليه وما في داري تقويم ولا أنظر فيه وما رأيت
مع ذلك إلا خيراً فأقبلت عليه فقلت ندع ما يدل على بطلان أحكام
النجوم مما يحتاج إلى فكر دقيق وروية طويلة وههنا شيء قريب لا يخفى
على أحد ممن علت طبقته في الفهم أو انخفضت حرر به لو فرضنا
جادة مسلوكة وطريقاً يمشي فيه الناس ليلاً ونهاراً وفي محجته آبار
متقاربة وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل وتوقف
حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة
من يمشي في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي من البصراء وقد فرضنا

منهم

المحن

أنه لا يخلو طرفة عين من المشاة وفيه بعض العميان وهل يجوز أن
يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان أو سلامة البصراء فقال هذا مما
لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان ولا
يجوز في مثل هذا التقارب فقلت إذا كان هذا محالاً فلو جعلنا نفيه وما لا
حيّه ويحره وأنتم تجيزون ثبته ما ذكرناه وتعديله لأن البصراء هم الذين
يعرفون أحكام النجوم ويميزون سعدها من نحسها ويتوقون بعلمهم المعرفة
مضارّ الزمان ويتخطونها ويعتمدون منافعه ويقصدونها فيما العميان
كل من لا يحسن ولا يعرف ذلك من الفقراء والعلماء وأهل الديانات
والعبادات من سائر العوام والأعراب والأكراد وهم أضعاف أضعاف
من يتعاطى علم النجوم ومثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي
يمضي على الخلق أجمعين ومثال الآبار مصائبه ونوائبه ومحنه وقد كان
يجب لو صح العلم بالنجوم وأحكامها أن تكون سلامة المنجمين أكثر
ومصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها وتكون محن
كل من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر وأظهر حتى تكون السلامة هي
الطريقة الغريبة وقد علمنا خلاف ذلك وأن السلامة والمحن في الجميع
متقاربة غير متفاوتة فقال ربما اتفق مثل ذلك فقلت له فيجب أن تشكك
من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بأن سلامة العميان
كسلامة البصراء أو نقول لعل ذلك اتفق وتعود فإن الاتفاق لا يستمر بل ينقطع
وهذا الذي ذكرناه مستمر غير منقطع فلم يكن عنده عذر صحيح **ومما يفسد**
مذهب المنجمين ويدل على ما العلة في تفوقهم من الإصابة على غير أصل
أنا قد شاهدنا جماعة من الوراقين الذين لا يعرفون شيئاً من علم النجوم
ولا نظروا قط في شيء منه قد يصيبون فيما يحكمون به إصابات يستطرف
وقد كان المعروف بالثعلبي الذي شاهدناه وهو لا يحسن أن يأخذ
الأسطرلاب للطالع ولا نظر قط في زيج بل ولا تقويم غير أنه ذكي حاضر
الجواب فطن بالوزراء معروف به كثرة الإصابة وبلوغ الغاية فيما يحكم به

العميان مقاربة السلامة

علم النجوم

اجمعون ظ

من الأمراء فلقد اجتمع يوما بين يدي جماعة كانوا عندي وكنا
كلنا قد أضمرنا جمة نقصدها لبعض الأغراض فسأل أحدنا عما نحن بصدده
فابتدأ من غير أخذ طالع ولا نظر في تقويم فأخبرنا بالجهة التي أردنا نقصدها
ثم عدل إلى كل واحد من الجماعة فأخبره عن كثير من تفصيل أمره وأغراضهم
حتى فرغ لأحدهم وأنت من بين الجماعة فلا وعدك وأعطيتني توصله إليك
وكلمك به متعلق في كمك مما يدل على هذا وقد انقضت حاجتك
وضرب يده إلى الكم فاستخرج ما فيه فاستحيا ذلك الرجل ووجم ومنع من
الوقوف على ما في كمه بجهده فلم ينفعه ذلك وأعان الحاضرون على إخراج
ما في كمه لما أحسوا بالإصابة من الزراق فأخرج من كمه رقاع كثيرة
في جملتها صك على ذلك الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك
الوقت فعجبنا مما اتفق من إصابته مع بعده من صناعة النجوم وكان
لنا صديق يقول أبدا من أدل دليل على بطلان أحكام النجوم المعتزلية
وجرى يوما مع متعاطي علم النجوم هذا الحديث فقال عند المحتجين إن
السبب في إصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم أن مولده وما تقع فيه وتقتضيه
كواكبه اقتضى له ذلك فقلت له فقل لبطليموس وكل عالم من علماء النجوم
ومصيب في أحكامه علينا إنما سبب إصابته مولده وما تقتضيه كواكبه
من غير علم ولا فهم فلا يجب أن يستدل بالإصابة على العلم إذا كانت تقع من
جاهل ويكون سببها المولد وإذا كانت الإصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم
عبث ولا يحتاج إليه لأن المواليد اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلم
لا ينفع وتركه لا يضر وهذه علة تسري إلى كل صنعة حتى يلزم أن يكون
كل شاعر مفلق وصانع حاذق وناسج للديباج مدقق لا علم له بتلك
الصناعة وإنما اتفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده
وما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى وأقل ما فيه أن المتعب بعلم حركات
الكواكب وأبعادها وأشكالها ونسبها بينها لم يكن ثمرة العلم بالأحكام
والاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غرض فيه لأنه لا فائدة في

وانجزت م كلك د
إصابة م
تولد ل
عبث واجب لا يحتاج م ل
تسري ل
مغلق ط د

أن نعلم ذلك كله تخصص نفس العلم به وإنما يجري الاطلاع على ذلك
إذا لم يتعد المعرفة إلى العلم بالأحكام إلا مجرى العلم بعدد الحصى وكيل الموا
ومعرفة أطوال الجبال وأوزانها فكما أن العناية في معرفة ذلك عبث لا يجدي
نفعا فكذلك العلم بشكل الفلك وتسييرات كواكبه وأبعادها والمعرفة
بزمان قطع كل كوكب لفلكه وتفاضلها فيه وما سمح القوم لهذا الشأن
وأفنوا أعمارهم إلا لاعتقادهم أنه يفضي إلى معرفة الأحكام فلا يغتر
بقول من يقول منهم إنما ننظر في ذلك لترتاض نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف
ما فيها فإن ذلك تجمل منهم وتقرب إلى أهل الإسلام ولولا أن غرضهم معرفة
الأحكام لما تعبوا بشيء من ذلك كله ولا كانت فيه فائدة ولا فيه عائدة ومن
أدل الدليل على بطلان أحكام النجوم أنا قد علمنا أن من جملة معجزات
الأنبياء عليهم السلام الإخبار عن الغيوب وعد ذلك خارقا للعادات
كإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص ولو كان العلم بما يحدث طريقا نجوميا
لم يكن ما ذكرناه معجزا ولا خارقا للعادة وكيف تشتبه على مسلم بطلان
أحكام النجوم وقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على تكذيب المنجمين
والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم ومعلوم من دين الرسول
عليه السلام ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون والإزراء عليهم والتعجيز
لهم وفي الروايات عنه عليه السلام من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذلك
عن علماء أهل بيته عليهم السلام وخيار أصحابه فما زالوا يبرؤون من
مذاهب المنجمين ويعدونها ضلالا ومحالا وما اشتهر هذه الشهرة في
دين الإسلام كيف يغتر بخلافه منتسب إلى الملة ومصل إلى القبلة فأما
إصابتهم في الإخبار عن الكسوفات وما مضى في أثناء المسألة من طلب
الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا
فالفرق بين الأمرين أن الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقه
الحساب وتسيير الكواكب وله أصول صحيحة وقواعد سديدة وليس
كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضرر ولو لم

وسعه م
وتفاضيلها في ل
ما تعبوا م ل
الموتى م ل

في الفرق بين الأمرين الإصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري
مجراها ولا يكاد يبين فيها خطاء البتة وأن الخطاء المعهود الدائم إنما
هو في الأحكام الباقية حتى أن الصواب هو العزيز فيها وما يتبين من الخطاء
فيها من الإصابة فقد يتفق من المخمن أكثر منه فحمل الأمرين على الآخر بهت
وقلة دين **مسألة** ما القول في المنامات أصحيحة هي أم باطلة و
من فعل من هي ومن أي جنس هي وما وجه صحتها في الأكثر وما وجه الإنزال
عند رؤية المباشرة في المنام وإن كان فيها صحيح وباطل فما السبيل
إلى تمييز أحدهما من الآخر **الجواب** اعلم أن النائم غير كامل العقل لأن
النوم ضرب من السهو والسهو ينفي العلوم ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات
الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه وجميع المنامات إنما هي اعتقادات
يبتدئها النائم في نفسه ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه لأن من عداه
من المحدثين كانوا بشرا أو ملائكة أو جنا أجسام والجسم لا يقدر
أن يفعل في غيره اعتقادا ابتداء بل ولا شيئا من الأجناس على هذا الوجه
وإنما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء وإنما قلنا إنه لا يفعل في
غيره جنس الاعتقادات متولدا لأن الذي يعدي الفعل من محل القدرة
إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات وليس في أجناس الاعتمادات
ما يولد الاعتقادات ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل
ما تولد فيه شيء من الاعتقادات وقد بين ذلك وشرح في مواضع كثيرة
والقديم تعالى القادر على أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب
أجناس الاعتقادات لا يجوز أن يفعل في قلب النائم اعتقادا لأن أكثر
اعتقادات النائم جهل وتناول الشيء على خلاف ما هو به لأنه يعتقد أنه
يرى ويجيء وأنه راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو
به وهو تعالى لا يفعل الجهل فلم يبق إلا أن الاعتقادات كلها من جهة النائم
وقد ذكر في المقالات أن المعروف بصالح كان يذهب إلى أن ما يراه النائم
في منامه على الحقيقة وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائية لأن النائم
يرى أن رأسه مقطوع وأنه قد مات وأنه قد صعد إلى السماء ونحن نعلم ضرورة
خلاف ذلك كله وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان في السراب
أنه ماء وفي المرئي أنه إذا كان في الماء أنه مكسور وهو على الحقيقة
صحيح لضرب من الشبهة واللبس فألا جاز ذلك في النائم وهو من الكمال
أبعد وإلى النقص أقرب وينبغي أن يقسم ما يتخيل النائم أنه يراه إلى أقسام
فمنها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو إليه اعتقادا
مبتدأ ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاما
خفيا يتضمن أشياء مخصوصة فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنه يراه
فقد نجد كثيرا من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم فيعتقدون
أنهم يرون ذلك الحديث في منامهم ومنها ما يكون سببه والداعي إليه
خاطرا يفعله الله تعالى أو يأمر بعض الملائكة بفعله ومعنى هذا الخاطر أيضا
أن يكون كلاما يفعل في داخل السمع فيعتقد النائم أيضا أنه ما يتضمنه
ذلك الكلام والمنامات الداعية إلى الخير والصلاح في الدين يجب أن تكون
إلى هذا الوجه مصروفة كما أن ما يقتضي الشر منها الأولى أن تكون إلى
وسواس الشيطان مصروفة وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه
ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه في منامه وفي كل منام يصح تأويله
أن يكون سبب صحته أن الله تعالى يفعل كلاما في سمعه لضرب من
المصلحة بأن شيئا يكون أو قد كان على بعض الصفات فيعتقد النائم
أن الذي يسمعه هو يراه فإذا صح تأويله على ما يراه فما ذكرناه إن لم يكن
مما يجوز أن يتفق فيه الصحة اتفاقا فإن في المنامات ما يجوز أن يصح بالاتفاق
وما يضيق فيه مجال نسبته إلى الاتفاق فهذا الذي ذكرناه يمكن أن يكون
وجها فيه **فإن قيل** أليس قد قال أبو علي الجبائي في بعض كلامه في
المنامات إن الطبائع لا يجوز أن تكون مؤثرة فيها لأن الطبائع لا يجوز
على المذاهب الصحيحة أن تؤثر في شيء وأنه غير ممتنع مع ذلك أن تكون
بعض المآكل تكثر عندها المنامات بالعادة وكان فيها ما يكثر عنده العادة

المطاعم مثل كذا يعني

تخيل الانسان وهو مستيقظ ما لا اصل له قلنا قد قال ذلك ابو علي وهو غلط
لان تاثيرات المآكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة اذا لم تكن مضافة
الى الطبائع فهو من فعل الله تعالى فكيف يضيف التخيل الباطل والاعتقاد
الفاسد الى فعل الله تعالى فاما المستيقظ الذي استشهد به فالكلام فيه
والكلام في النائم واحد ولا يجوز ان يضيف التخيل الباطل الى فعل الله
تعالى فيه ولا في النائم فاما ما يتخيل من الفاسد ويعتقده غير نائم فلا بد من ان
يكون ناقص العقل في الحال وفاقدا للتمييز بسهو وما يجري مجراه فيبتدي
اعتقادا لا اصل له كما قلنا في النائم فان قيل فما قولكم في منامات
الانبياء عليهم السلم وما السبب في صحتها حتى عد ما يرونه في المنام مضاهيا
لما يسمعونه من الوحي قلنا الاخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على
صحتها ولا هي مما توجب العلم وقد يمكن ان يكون الله تعالى اعلم النبي بوحي
يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم اني ساريك في منامك في وقت
كذا ما يجب ان تعمل عليه فيقطع على صحته من هذا الوجه لا بمجرد رؤيته
له في المنام وعلى هذا الوجه يحمل منام ابرهيم عليه السلم في ذبح ابنه
ولولا ما اشرنا اليه كيف كان يقطع ابرهيم عليه السلم بانه متعبد بذبح ولده
فان قيل فما تأويل ما يروى عنه عليه السلم من قوله من رآني فقد رآني فان الشيطان
لا يتمثل بي وقد علمنا ان المبطل والمحق والمؤمن والكافر قد يرون
النبي عليه السلم في النوم ويخبر كل واحد منهم بضد ما يخبر به الآخر
فكيف يكون رائيا له في الحقيقة مع هذا قلنا هذا خبر واحد من
اضعف اخبار الآحاد ولا معول على مثل ذلك على انه يمكن مع تسليم صحته
ان يكون المراد به من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة لان الشيطان
لا يتمثل بي لليقظان فقد قيل ان الشيطان ربما تمثل بصورة البشر وهذا
التأويل اشبه بظاهر الفاظ الخبر لانه قال من رآني فاثبت غيره رائيا له و
نفسه مرئية وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئي وانما ذلك في اليقظة
ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد انه رآني في منامه وان

من رآني م

الشياطين ربما تمثلت ... فقد رآني م

كان

كان مخبرا بانه رآني على الحقيقة فهو في الحكم كانه قد رآني وهذا عدول عن
ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته وهذا الذي رتبناه في المنامات وقسمناه
اسد تحقيقا من كل قول في اسباب المنامات وما سطر في ذلك
معروف غير محصل ولا محقق فاما ما تهذي به الفلاسفة في هذا الباب فهو
مما يضحك الثكلى لانهم ينسبون ما صح من المنامات لما اعيتهم الحيل
في ذكر سببه الى ان النفس اطلعت على عالمها فاشرفت على ما يكون وهذا
الذي يذهبون اليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط فكيف
اذا اضيف اليه الاطلاع الى عالمها وما هذا الاطلاع والى اي شيء يشيرون
بعالم النفس ولم يجب ان تعرف الكائنات عند هذا الاطلاع وكل هذا
زخرفة ومخاريق وتهاويل لا يتحصل منها شيء وقول صالح قبة مع انه تجاهل محض
اقرب حالا ان يكون مفهوما من قول الفلاسفة لان صالحا ادعى ان النائم
يرى على الحقيقة ما ليس يراه وذكر شيئا له امر معقول ولا مفهوم بل ادعى
ما ليس بصحيح وان كان مفهوما وهؤلاء عولوا على ما لا يفهم مع الاجتهاد
ولا يعقل مع قوة التأمل والتدبر فالفرق بينهما واضح واما سبب الانزال
فيجب ان يبنى على تحقيق سبب الانزال في اليقظة مع الجماع لتعرف ما يهذي
به اصحاب الطبائع لانا قد بينا في غير موضع ان اصحاب الطبائع لا اصل
لهم ولا محصل فيه على ترتيب لا يتحصل وانما سبب الماء ان الله تعالى اجرى
العادة باخراج الماء من ظهر الرجل عند هذه الحركة المخصوصة وليس يمتنع
ان يجري الله تعالى العادة بان يخرج هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النائم
انه يجامع وان كان هذا الاعتقاد باطلا مسألة سئل رضي الله عنه
عن الخبر المنسوب الى الصادق عليه السلم من انه لقد آخى رسول
صلى الله عليه وآله بين سلمان وابي ذر ولو اطلع ابو ذر على ما في قلب
سلمان لقتله وكيف يجوز ان يواخي النبي عليه السلم بين رجلين يستحل
احدهما اذا اطلع على ما في قلب الآخر دمه وما القول فيمن تأول هذا القول
وهو قوله على ان الهاء راجعة على ما في قلبه وان اراد لقتله علما وهل ذلك

محصل

وتخرقهم

غيره

مالا م

الطبع

قال ... وسلم

تأويل خبر آخر **وما القول ايضاً** فيمن تأوله على غير الوجه فقال ان معنى قوله لفتله اي لكدّ فكره وخاطره كما يجهده وانه خرّج الفتل هنا على سبيل المبالغة تنبيهاً على شدة المبالغة والمشقة كما يقول القائل قتلني انتظار فلان وبتّ الى ان اتيت وإلى ان تخلصت من الشدة التي كنت فيها عدة دفعات وهو يريد الاخبار عن شدة الكلفة والمشقة والمبالغة في وصفها **الجواب** وبالله التوفيق ان هذا الخبر اذا كان من اخبار الآحاد التي لا توجب علماً ولا تثلج صدراً وكان لظاهره منافياً للمعلوم المقطوع به تأولناه ظاهره على ما يطابق الحق ويوافقه وان كان ذلك مستبعداً او اقتضى لو اجب اطراحه وابطاله واذا كان من المعلوم الذي لا يحتمل شكاً تبرّز كل واحد من سلمان وابي ذر وتقدمه وصدق كل واحد منهما لصاحبه وانهما ماكانا من المدغلين في الدين ولا المنافقين فلا يجوز مع هذا المعلوم ان نعتقد ان الرسول عليه السلام يشهد بان كل واحد منهما لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدمه ونعلم انه ان كان قال ذلك فله تأويل غير هذا الظاهر الذي لا يليق بهما ومن اجود ما قيل في تأويله ان الهاء في قوله لقتله راجعة الى المطلع لا الى المطلع عليه كأنه اراد انه اذا اطّلع على ما في قلبه وعلم موافقة باطنه لظاهره وشدة اخلاصه له اشتدت محبته له وتمسكه بمودته ونصرته ونصيحته فقتله ذلك الحب والود بمعنى انه كاد يقتله كما يقولون فلان يهوى غيره ويستهتر بمحبته له قد قتله واتلف نفسه وما جرى مجرى هذا من الالفاظ ويكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء من النبي عليه السلم على الرجلين وانهما متفقان في الباطن والظاهر وان سرّهما في النقاء والصفاء كعلانيتهما حتى لو ان احدهما اطلع على ما في قلب الآخر لأحبه وكاد يقتله محبة له وصبابة وهذا اشبه بمنازل الرجلين في نفوسهما وعند النبي عليه السلم واولى ان يكون مدحاً وتقريظاً ولذلك الوجه الآخر يقتضي غاية الذم ونهاية الوصف بسوء الدخلة لان من يبطن جميلاً ولو اطلع على باطنه لاستحل دمه هو عين المنافق المداهن **فأما تأويل**

هذا

سهلا م ل

ونسكه م

اند م

الدخيلة م ل

هذه اللفظة وحملها على العلم غير مرضي لان المطلع على ما في قلب غيره لا يكون الا عالماً بما اطلع عليه واي معنى للفظة قتله في هذا الموضع وهل ذلك الفكر بما لا فائدة فيه وما يحمل على انه كدّ خاطره وقسم فكره فكاد يقتله فيما المسألة عنه فائمة ولم يكون مثل كل واحد من هذين الرجلين متى اطلع على قلب صاحبه كدّ خاطره واتعب قلبه حتى كاد يقتله لولا انه يطلع على سوء ومنكر وهذا هو النفاق الذي نزه الرجلين عنه وما لا يليق بهما ولا بالنبي عليه السلم ان يصفهما به **مسئلة** الاجباء في اللغة العربية هو ان يباع الزرع قبل ان يبدو صلاحه يقال اجبى الرجل يجبي اجباء اذا فعل ذلك فمعنى ما روي عن النبي عليه السلم من اجبى فقد اربى اي من باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه وقد نهي عن ذلك وحظر عليه فجرى مجرى من اربى لانه فاعل لمعصية محظورة عليه وان لم يكن بيع ما لم يبدو صلاحه رباً في الحقيقة ولا معناه معناه غير انه جار مجراه في الحظر والمعصية وجار مجرى قول القائل من زنا فقد سرق اي هو عاص مخالف لله تعالى كما ان ذلك بهذه الحال **مسئلة** ما ورد في القرآن من معاتبات الرسول عليه السلم مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق اجمعين **الجواب** واذا ثبت بالدليل عصمة الانبياء عليهم السلام فكل ما ورد في القرآن مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي وقوع الخطأ منهم فلابد من صرف الكلام عن ظاهره وحمله على ما يليق بادلة العقول لان الكلام يدخله الحقيقة والمجاز ويعدل المتكلم به عن ظاهره وادلة العقول لا يصح ذلك فيها الا ترى ان القرآن قد ورد بما لا يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال كقوله تعالى وجاء ربك والملك صفاً صفاً وقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة فلا بد مع وضوح الادلة على ان الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال عليه الذي لا يجوز الا على الاجسام من تأويل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح الفاظها قرب التأويل او بعد ولو جهلنا العلم بالتأويل جملة لم نصرف مع التمسك بالادلة وكان غاية ما فيه ان لا نعلم قصد المتكلم بما الحقه

الماذي قوله مسئلة لابي الحاتم سقوط ... فيها ل

ولا بد منه م ل

من كلامه ونعلم اذا كان حكيما ان له غرضا صحيحا على ان ظواهر
الآيات التي خوطب بها النبي عليه السلم مما ظاهره كالعتاب منها ما المقصود
به امته والخطاب متوجه وبهذا روي عن ابن عباس انه قال
نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة ويشهد بذلك قوله تعالى يا ايها بذلك م
النبي اذا طلقتم النساء فخاطب النبي عليه السلم والمراد جميع الامة ومنها
ما يظن انه عتاب وليس كذلك بل هو تعليم وتأديب ولا عار في ان
تأديب النبي عليه السلم كان صادرا عن الله تعالى والمواعظ كثيرة
في كل وقت والشروع في ذكر جميع الآيات والكشف على المراد بها
يطول غير ان جملة الكلام ما ذكرناه ونذكر بعض ذلك
ليتبين ان الكلام في الجميع على هذا المنهاج فمن الآيات
قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه وكقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض وكقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الى امثال
هذه الآي اما قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فالقصة فيه
مشهورة وهو ان العرب كانت تحرم على نفوسها نكاح زوجة من
استضافوه الى نفوسهم بالبنوة وادعوه كما يحرمون ازواج الابناء
في الحقيقة فلما اراد الله تعالى نسخ ذلك لما علم فيه من المصلحة واعلم
نبيه قبل طلاق زيد بن حارثة الذي كان النبي عليه السلم تبناه
زينب بنت جحش زوجته انه سيتزوجها اذا فارقها فلما خاصم زيد زوجته
عازما على طلاقها وعظه النبي عليه السلام وكف من ذلك اشفاقا
من سكوته عنه مما عزم عليه من نكاحها ان يرجف عليه المنافقون
ويضيفون اليه ما قد نزهه الله تعالى منه فكان اخفاؤه عزمه على تزويجها
بعد فراق زيد لها ينتهي الى امر الله تعالى في ذلك ويشهد بصحة ما ذكرناه
قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين

فالعتاب ل حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فان قيل فالعتاب
حاصل لانه كان خيرا ان يظهر ما اضمره ويخشى الله ولا يخشى الناس الجواب
عن ذلك ان اخبار الله تعالى انه اخفى ما الله مبديه فهو خبر محض لا يتعلق
به ذم وقوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فالشبهة به ضعيفة
ايضا لانه خبر انه يخشى الناس والله احق بالخشية ولم يخبر انه لم يفعل الاحق
وعدل الى الادون ومن اين حصول العتاب مع الذي جئناه على ان
غاية الامتزاج في هذا انه عليه السلم فعل ما غيره اولى منه وليس
يكون بترك الاولى عاصيا وانما يكون تاركا للافضل والوجه في ذكر العد
الذي جئناه واما قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض فالعتاب في الحقيقة متوجه الى سواه لان الله تعالى قد صرح
بذلك في تمام الآية بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم والقصة في
هذه الآية ايضا مشهورة وانما اضاف الاسرى الى النبي عليه السلم بقوله
ما كان لنبي ان يكون له اسرى وان كان المراد بالخطاب
من اسرهم لانهم اسروا ليكونوا في يده عليه السلم فهو في الحقيقة امراه
وتضافوا اليه وان لم يأمر باسرهم واما قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك اذا تأمل في الحقيقة لم يكن فيه عتاب
وانما هو توجع له عليه السلام مما يدل على ذلك ان تحريم الرجل زوجته
او طلاقه اياها فانه ليس بمأثم كبير بقبيح بل هو مباح وما هو بمثل
الصفة لا يسمى الفاعل له عاصيا فلما فعل النبي عليه السلم ذلك لمرضاة
وادخل م بعض ازواجه المشقة على نفسه بفعله فان الله تعالى لم يجعلك في ذلك الا
اشكهما على ما كنت عليه ولم تبتغ مرضاة ازواجك بادخال المشقة على
نفسك فهذا هو الظاهر واذا ابدل على تزاح الخصم فهذه الآية كان النبي
عليه السلم قد عدل عن الاولى فكان الامساك وترك التحريم افضل ولم
وتحري م ان تحريم قوله تعالى كما ان تحريه وليا واحدا منا لغيره لم يؤثر صلوة الليل

ولو نذر أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فإن كان يخل بذلك لم يعتبر
قبيحًا بل أخلّ بمندوب إليه وما عزمه أوسع **وأما** قوله تعالى عفا الله عنك
لم أذنت لهم فليس يقتضي معصية وذلك أن المقصد في الغالب بمثل
هذا الخطاب التعظيم للمخاطب واستيضاح ما عنده فيما فعل ألا ترى
أن الواحد منا يقول لغيره لم كان كذا وكذا رحمك الله وغفر لك
وهو لا يقصد إلا الملاطفة له وحسن المجاورة ولا يقصد الاستيضاح
كرمًا منه وإنما الغرض الإجمال في الخطاب وقد صار ذلك
عرفًا بين الناس والمقصد به التوقير والإجلال فأما قوله تعالى
لم أذنت لهم فليس يجب حمله على العتاب لأن هذه اللفظة ليست
موضوعة لذلك خاصة بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام وتارة يراد
بها التقرير وتارة العتاب وهي محتملة لجميع المذكور فلم نحملها في حق
النبي عليه السلام على العتاب دون بقية الأقسام وغاية ما في ذلك حمله على
ترك الأولى حسب ما تقدم في الآيات واستقصاء ذلك وذكر
ما في الآيات يطول ونكتفي في التنبيه على الآي الباقية بما ذكرنا
مسألة رسمت الحضرة العالية الوزيرية العميدية حرس الله سلطانها
ذكر ما عندي من تأويل قوله تعالى ذلك يوم التغابن و
لفظة التغابن ههنا مشتقة من الغبن الذي يكون في البيع والتجارة
وما أشبه ذلك وهو النقصان والخسران لأن المغبون هو الذي
نادى قائمة ربح فلما كان يوم القيمة يغبن فيه مستحق الثواب
ودخول الجنة والتعظيم فيما بين مستحق العقاب ودخول
النار صار مستحق الثواب ودخول الجنان كأنه غابن لمستحق
العقاب ودخول النار لأنهما جميعًا عرضا بالتكليف لاستحقاق
الثواب ففعل أحدهما ما استحق به ذلك وقصر الآخر عن هذه
الغاية وعدل إلى فعل ما استحق به العقاب وجريا مجرى
متبايعين نال أحدهما بما هو أجدى عليه وأنفع وأصلح ونقص الآخر

ما هو ضار وآل ما كان عليه فغبنه لنا يخرج بالخير والصلاح فإنما والآخر مغبونًا
وكتسمية يوم القيمة بأنه يوم التغابن من أفصح كلام وأخصره وأبلغه
والله الموفق بمنه ❀ هذا آخر ما وجد مما أملاه رضي الله عنه لإضافته
إلى كتابه المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد ❀
❀ والحمد لله رب العالمين ❀
❀ وصلى الله على محمد وآله ❀
❀ الطاهرين ❀
تم
❀

بسم الله الرحمن الرحيم انهيت مقابلة
هذا الكتاب المستطاب من فاتحته إلى
خاتمته وصرفت على تصحيحه وتنقيحه أيامًا
من عمري وذلك من [illegible] بأمر الخواجه(?)
الأعظم الأكرم والمبجل المفخم ذي
النفس القدسية والصفات الملكية صاحب السيف
والقلم جامع المحامد والشيم [illegible] خان
نصره الرحمن وأعلى [illegible]
سادات أهل الإيمان وكتب أقل الخليقة بل
لا شيء في الحقيقة زين العابدين بن [illegible]
العاملي [illegible] مستغفرًا في [illegible] الحادي
عشر من شهر ذي الحجة الحرام من سنة [illegible]
من الهجرة النبوية على مشرفها الصلوة والتحية.

[illegible]

رایت الدهر یسعی کل نذل　ویقصد کل حر بامتحان

نقلت لعلمی استمسک بصبر　فان الدهر دهر بنی الزمان

حرره الاشترودی

۱۳۳۲

[illegible] ۱۳۳۲

